خراسان

في العصر الغزنوي

تأليف

د. محمد حسن عبد الكريم العمادي

كلية الإنسانيات ـ قسم التاريخ

جامعة قطر

تقديم

د. نعمان جبران

جامعة اليرموك ـ الأردن

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٢١٠/٨/١٩٩٧)

رقم التصنيف : ٩٥٦,٠٥١

المؤلف ومن هو في حكمه: محمد حسن عبد الكريم العمادي

عنوان المصنف : خراسان في العصر الغزنوي

الموضوع الرئيسي: ١- التاريخ والجغرافيا

٢- التاريخ العربي القديم - عصر عباسي

رقم الايداع: (١٢١٠/٨/١٩٩٧)

بيانات النشر: اربد الاردن: مؤسسة حماده للخدمات والدراسات الجامعية و دار الكندي للنشر والتوزيع

*- تم اعداد بيانات الفهرسة الاولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

قائمة المحتويات

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم :-

كان يقصد بخراسان في العصر الإسلامي الأول المنطقة الجغرافية الواقعة إلى الجنوب من نهر جيحون [آموديا] وإلى الشمال من سجستان وقوهستان التي تقع فيهما كابل، قندهار، غزنة، (الآن اجزاء من افغانستان)، وكان يفصل خراسان عن العراق أذربيجان بعاصمتها تبريز والجبال بعاصمتها همذان وجرجان بسكانها من الديلم، وفارس بعاصمتها شيراز. ولقد كانت مدن خراسان وهي: نيسابور، وهراة بلخ ومرو من المدن ذات الأهمية البالغة في تاريخ خراسان. على ان الحاضرة أو العاصمة كانت مرو، التي ارتبط اسمها بزوال الفرس حيث كانت الملجأ الاخير ليزدجرد قبل ان يفر هناك سنة ٣١هـ لينهي ذلك صرح الدولة الفارسية.

والناظر إلى حدود خراسان يجد أنها تحد من الشرق الشمالي بنهر جيحون والذي كان منذ القدم يفصل بين بلاد العجم وبلاد الهياطلة أو الهون البيض الذين يشكلون فرع من فروع المغول، حيث كانت المنطقة الواقعة ما بين جيحون (آموديا) وسيحون (سيرديا) مأهولة بالهياطلة الاتراك والذين كانوا يسمون الصُغد. وهؤلاء بحكم موقعهم كانوا في صراع مستمر مع الفرس، حيث كان الهياطلة يسعون للاندفاع غرباً عبر جيحون إلى خراسان وكان الفرس يركزون على صد هؤلاء ومنعهم من تحقيق هذا الهدف لما له من أخطار سياسية عسكرية واقتصادية، ولعل مرارة هذا الصراع وطول فترته كان سبباً من أسباب ضعف الدولة الفارسية أمام الزحف العربي الإسلامي.

لقد ارتبط اسم خراسان في التراث الإسلامي بالكثير من المزايا والايجابيات والانجازات الحضارية كما ارتبط بأحداث تاريخية ذات دلالات هامة في عمق التاريخ

الإسلامي، فلذا قد لايكون غريباً أو بعيداً عن أهمية خراسان إن نسبت أقوال إلى الرسول (ص) يجعل فيها خراسان واحدة من ثلاث جنات في الدنيا، كما جاء عنه في هذا الحديث: «ثلاث جنات في الدنيا، مرو من خراسان، ودمشق من الشام، وصنعاء من اليمن». أو احدى أربع جنان إضافة إلى غوطة دمشق، شعب بوان، وصنعاء اليمن، كما اعتبرت هي وبلاد السند والهند الجناح الايسر كما هو العراق الجناح الايمن حيث شبهت المملكة الإسلامية بالطير حيث مكة والمدينة واليمن تشكل رأس الطير ومصر والشام صدر الطير على أن ذلك وغيره يحمل من الدلالات الشيء الكثير، ومنها أهمية هذه المنطقة والتي تعاظمت بعد ان توجهت إليها جيوش الإسلام واصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية.

وحول تبعية خراسان للدولة الإسلامية فالامر مرتبط بالفتح الإسلامي لهذه المنطقة. وحول هذه القضية نجد المصادر التاريخية الإسلامية تعطي انطباعاً قد يبدو للوهلة الأولى شديد الاضطراب، وذلك ان البعض من المؤرخين اعتبر الحملات الأولى التي وجهت لهذه المنطقة في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب وكأنها حملات قصد منها الفتح والسيطرة في حين أنها لا تعدو ان تكون من ضمن الحملات الوقائية التي هدفت إلى منع هجوم محتمل على الدولة الإسلامية التي كانت توجه في نفس الفترة إلى بلاد الشام والعراق. واشارت المصادر الإسلامية إلى حملات مبكرة لبلاد خراسان منذ سنة ١٨هـ وسنة٢٢هـ بقيادة الأحنف بن قيس، وتتابعت الحملات في عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ومنها حملة سنة ٣١هـ والتي اوكلت قيادتها إلى والي البصرة آنذاك وهو عبدالله بن عامر. وبذلك يمكننا القول ان الفتح الإسلامي لبلاد خراسان كان في نهاية عصر عثمان بن عفان، إلا أن هذا الفتح والسيطرة الإسلامية لم تكن ثابتة بدليل ان عام ٣٧هـ شهد محاولة لتثبيت النفوذ الإسلامي هناك، وربما كان مايشير إلى عدم الاستقرار ما أشار اليه البلاذري حين قال «وبقيت خراسان ملتاثة حتى قتل علي بن ابي طالب»، ومما لاشك فيه ان الظروف

التي عاشتها وعانت منها الدولة الإسلامية منذ قتل الخليفة عثمان وما تبعها من صراعات قد اثرت على أوضاع خراسان شأنها شأن المناطق الإسلامية الأخرى، وانتقلت اهمية خراسان ومشكلاتها إلى العصر الاموي فنجدها تحتل مركزاً في صدارة الاحداث السياسية والعسكرية وكذا الاقتصادية والاجتماعية، ونلمح الاهتمام الاموي يتمثل منذ عهد الخليفة الأموي الأول حيث ان واليه على البصرة عبدالله بن عامر بن كريز وجه نظره إلى منطقة خراسان وبلاد المشرق وحقق نتائج في هذا الميدان على يد بعض القادة من امثال عبدالله بن سوار العبد وعبدالله بن حازم الذي اسندت إليه ولاية خراسان عام ٤٣هـ. على ان النفوذ الاموي الكامل على هذه المنطقة لم يستقر إلا بعد عام ٥١هـ. وتوالى على خراسان في هذا العصرعدد من الذين اختلفت اداراتهم لها، إلا أن ما يلفت النظر في هذه الفترة هو أن خراسان أصبحت هدفاً للمعارضين يقيمون بها ومنها ينطلقون، كما كانت مكاناً لاقصاء المناوئين او المعارضين لسلطة الدولة المركزية، كما كانت خراسان مصدر شكوى من بعض القوات التي ترسل إليها لتثبيت النظام أو القيام بفتوحات في المناطق الأخرى انطلاقاً منها. ونجد صدى ذلك في شعر أحد الشعراء الموجه إلى معاوية:

معاوي إما أن تجهز اهلنـــــا	إلينا وأما ان نؤوب معـــاوياً
أجمرتنا تجمير كسرى جنوده	ومنيتنا حتى مللنا الأمانيـا
معاوي للجيش المجمر قد أتـى	له سنتان في خراسان ثاويا

وهذه الشكوى من اقـامـة الجند لفتـرات طويلة في خـراسـان، لم تكن هذه الشكوى الوحيدة فقد سبقت بشكوى وألحقت بأخرى لاسباب مختلفة، فهناك ما قاله الشاعر كثير بن العُزيز (ت٧٠هـ) يعبر فيها عن الثمن الباهظ الذي يدفع من دماء الجيوش الإسلامية في خراسان وبلاد المشرق، فيقول:

سقى زمن السحاب اذا استقلت	مصارع فتية بالجوزجـان
ورب اخ أصاب الموت قبلــــي	بكيتُ ولو نُعيت لـه بكاني

وتطورت هذه النظرة لتصل إلى حد الجهر بالشكوى من السادة والحكام الذين يعيشون حياة الرفاهية في المركز بينما الآخرون يعانون ويلات الحروب في خراسان وغيرها، كما اعتبرت خراسان مكاناً أقصي إليه معارض لبني أمية وهو سعيد بن عثمان بن عفان. كما بدت الشكوى من بعض الولاة الذين أوكلت اليهم شؤون خراسان، حيث يشار إلى أوضاعها التي تردت حين تولاها قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح سمرقند سنة ٩٣هـ فقيل في ولايته شعراً

كانت خراسان أرضا إذ يزيد بها	فكل باب من الخيرات مفتـــوح
فاستبدلت قُتُباً جعداً اناملـــــــه	كأنما وجهه بالخَل منضـــــوح

ان مثل هذه الاوضاع وتطورها في خراسان كانت من اسباب الشكوى التي قدمت إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز والتي على أثرها كانت وصية الخليفة (عمر بن عبد العزيز) إلى والي خراج خراسان عقبة بن زرعة الطائي، حيث قال الخليفة «ليس من ثغور المسلمين ثغر اهم إليّ وأعظم عندي من خراسان فاستوعب الخراج وأحرزه في غير ظلم، فإن يك كفافا لاعطياتك فسبيل ذلك، وإلا فاكتب إليّ حتى أحمل اليك الاموال فتوفر لهم اعطياتهم».

ان محاولات الاصلاح في عهد عمر بن عبد العزيز لم تجد نفعا بدليل إن خراسان بقيت مكاناً لعدم الاستقرار الداخلي وهكذا ضاعت صرخات آخر والٍ أموي على خراسان نصر بن سيار حين قال موجها كلامه لآخر الخلفاء الأمويين:

أرى خلل الرماد وميض نار	ويوشك أن يكون لها ضرام

وأيا كان الامر فإن العهد الأموي وتوسعاته في الشرق قد ألغى الفاصل بين ايران وتوران اي بين الشعوب الناطقة بالفارسية والشعوب الناطقة بالتركية، وكان هذا الفتح العربي الإسلامي إلى بلاد ما وراء النهر وخاصة امتداده حول سيحون قد

ابرز إلى مسرح التاريخ ولأول مرة الصراع والتحدي بين الشعوب المغولية وديانااتهم وبين العرب والمسلمين مما كان له أوضح الاثر وابعده في العصور اللاحقة.

وبإنتهاء عصر دولة بني أمية وتسلم العباسيين للحكم أضحت خراسان ومناطقها اكثر بروزاً في أحداث تاريخ الدولة العباسية، فارتبط اسم خراسان في هذه المرحلة ومنذ بدايتها مع أبي مسلم الخراساني الذي حقق انجازات للعباسيين بالسيطره على مرو، وما تبع ذلك من نفوذ وسطوة للخراسانيين في مؤسسات الدولة العباسية، إلا أن خراسان في هذا العصر العباسي شهدت حركات مختلفة الاهداف منها ما هو ديني – سياسي وعرقي، حيث اختلط السياسي – بالديني بالعرقي في فترات صراعات عانت منها دولة العباسيين.

ففي هذا العصر شهدت خراسان ثورات مثل حركة البها فريد وحركة سنباذ منذ ٢٧هـ وحركة المقنع ٥٩-١٦٣هـ وثورة المازيار ٢٢٤هـ وغيرها.

كما مثلت خراسان اهمية إدارية سياسية في هذا العصر ولنا ان نرى في تقسيمات هارون الرشيد لدولته بين أبنائه حيث كانت خراسان من نصيب المأمون، وكان لها دور في الصراع بين الأمين والمأمون، بل من خراسان كانت انطلاقة المأمون ليحقق النصر وبالتالي تصبح خراسان هي الاقليم الحاكم بدلاً من العراق ولتكون مرو بدلاً من بغداد لفترة من الزمن.

وخراسان في العصر العباسي ارتبطت باهميتها الاقتصادية والسكانية فقد كانت من اكثر مناطق الدولة واردات حيث بلغت حسب تقديرات بعض المصادر في القرن الثالث الهجرى مايعادل ٢٧ مليون درهم، كما كانت خراسان مركزاً هاماً بانتاجيتها المتنوعة وكونها من طرق البريد والتجارة الهامة، حتى إن البعض قال عن خراسان في حضرة المأمون: «هي المملكة بأسرها».

ويمكن القول إن خراسان موقعاً وسكاناً بقيت تلعب دوراً هاماً في تاريخ الدولة العباسية في حالتي القوة والضعف، وكانت موطناً ومطمعاً لعدد من الأسر التي

استقلت أو حاولت الاستقلال عن المركز، ولنا في الدولة الطاهريه (٢٠٥-٢٥٩هـ) والدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ) ثم الدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩هـ) أمثلة على ذلك لتبدأ بعد ذلك أسرة تركية في احتلال المركز الأهم حيث قامت الدولة الغزنوية المنسوبة إلى مدينة غزنة (الواقعة في افغانستان الحالية).

وإذا استعرضنا الثورات والدول التي قامت في هذه المنطقة فلم يكن سببها كا يشاع هو الظلم وكثرته في السلطة المركزية ورجالاتها-رغم وجوده-بل الامر يرتبط بجملة عوامل كان الظلم احدها كما كان ضعف الدولة وتراخي قبضتها على الاطراف سبباً آخر، ولذا فإن حركات الاستقلال في خراسان بمشرق الدولة تشابه في بعض اوجهها حركات الاستقلال في مغرب الدولة.

وأما الحديث عن خراسان في العصر الغزنوي وهو عنوان الكتاب الذي نقدم له والذي قام بتأليفه الزميل الدكتور محمد حسن العمادي، فإن هذه الدراسة جاءت دراسة تاريخية مجذرة تخدم القارئ حيث أن الباحث وبوعي الباحث التاريخي قدم معلومات جغرافية وتاريخية رصدت تطور تاريخ خراسان وجغرافيتها الطبيعية والبشرية قبل العصر الغزنوي وجاء ذلك بأسلوب المختصر غير المخل وابتعد فيه عن التفصيل الممل.

وحين عالج الدكتور محمد "خراسان في العصور الغزنوي" نأتي بدراسته عن ان تكون دراسة سياسة تهتم برصد سلسلة الحكام واعمالها على اهمية ذلك وهو الأبسط والاسهل منالاً، فاختار الاكثر مشقة والاعظم اهمية بأن جعل دراسته شاملة غطت الجوانب السياسية العسكرية، الاقتصادية، الاجتماعية، الفكرية، وقد أفاد كل هذه الجوانب بما يمتلكه من وسائل البحث واضاف لذلك اضافات هامة حيث اعتمد في دراسته على عدد من المصادر الاساسية باللغة الفارسية التي يعرفها ومكنته هذه المعرفة من خدمة البحث بشكل جيد وجديد.

وبعد فإن هذا العمل -خراسان في العصر الغزنوي- من الاعمال العلمية

الجيدة التي تقدم نفسها بنفسها الي القارئ ولا أظنها بحاجة إلى تزكية، ذلك ان هذا العمل العلمي يحمل في طياته عناصر قوة ذاتيه ومعلومات هامه تشد القارئ اليها.

ويضاف الى ذلك ان الباحث التزم بالطريقة العلمية المتبعة في الدراسات التاريخية بدءاً من جهده الواضح في جمع الماده العلمية من مصادرها المتعددة، واتبع الجهد بالجهد التحليلي لهذه المعلومات حيث لزم ذلك، كما ان عرض ماده فصول الكتاب جاءت معتمدة – كما يجب – التوثيق الدقيق واثبت الآراء واختلفت في اتجاهاتها أو مشاربها وخلص من ذلك برأي مرجح واقرب الى حقيقة الحدث كما كان عليه في العصر الغزنوي.

لهذا كله فإن كتاب "خراسان في العصر الغزنوي" جاء ليسد فراغا وليتحل ركناً هاماً في المكتبة التاريخية الإسلامية وبخاصة عن هذه المنطقة، لا لأن هذا العمل هو الاول في موضوعه ولكنه قد يكون الأول في تنوع مادته ومصادره كما ان هذا العمل يفتح الطريق امام دراسات اخرى تشمل تاريخ هذه المنطقة الهامة سكانا وموقعا واحداثا، وأملنا ان تتابع الدراسات في هذه الحقل على يد الباحث نفسه بما يمتلكه من مقدرة علمية، او على يد الباحثين وطلاب العلم الساعين لمعرفة تاريخ الدولة الاسلام وحضارتها باعراقها المختلفة وديانتها الاسلامية.

والله الهادي إلى سواء السبيل

د. نعمان محمود جبران

جامعة اليرموك / الاردن

١٤\٩\١٩٩٧ م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد:

وجه الباحثون والمؤرخون المعاصرون اهتمامهم في الفترة الأخيرة إلى الدخول في مجال تاريخ المشرق الاسلامي سواء كان ذلك على مستوى التاريخ السياسي أو الحضاري فأنتجت هذه الدراسات بعض الأبحاث الجيدة التي تناولت تاريخ الدول ما قام منها في خراسان أو في الأقاليم الأخرى.

فهذا البحث تناول «خراسان في العصر الغزنوي» وقد تجلى لنا فيه تطور هذا الاقليم من الناحية السياسية والتنظيمات الادارية والمالية وما طرأ عليها من تغيرات في هذا العصر، ومدى الاهتمام بانتعاش الحالة الاقتصادية وتقدم الحياة الاجتماعية وازدهار الحركة العلمية والأدبية.

وكان أقليم خراسان قد وصل إلى قمة الازدهار السياسي في العصر العباسي الأول عندما اعتمدت الخلافة العباسية اعتماداً أساسياً على موارد هذه الولاية الاقتصادية وامكانياتها البشرية في تدعيم ثقلها في المنطقة الشرقية، وكان نتاج ذلك حصول هذا الاقليم على ما يشبه الزعامة السياسية فترة حكم الطاهريين، وما كان لهم من الاشراف الاداري على بقية الأقاليم الأخرى بعد أن فوضت اليهم القيام بهذه المهمة. ثم استمرت هذه الزعامة فترة حكم الصفاريين والسامانيين، فمرت خراسان بدورة جديدة من دورات تاريخها شهد هذا الاقليم بعض التغيرات السياسية والادارية التي كان أهمها انتقال مركز الحكم منه إلى ولايات أخرى وتحولت خراسان بالتالي ولاية تابعة أما للدولة الصفارية في سجستان أو للدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر. ومع أن هذه الأوضاع أدت إلى استياء الخراسانيين من تقليل نفوذهم في المنطقة، إلا أنهم شاركوا هذه القوى المتصارعة فيما بينها لاحتلال خراسان بوصفها أهم الأقاليم الشرقية، وقد تنبأ السامانيون بذلك بعد أن دخل هذا الاقليم في حوزتهم، وأعطوا حاكمها في أغلب الفترات حق قيادة الجيش الساماني (السپهاريه) فأعاد ذلك إلى أهالي خراسان بعض ما كان لولايتهم من تقدير سياسي في المنطقة.

ومع حلول القرن الرابع الهجري وازدياد نفوذ الأتراك في بعض مناطق الدولة

الاسلامية تطلع هؤلاء الاتراك إلى أن تكون لهم السيادة في هذه المناطق، فتجلت أطماعهم في الاستقلال بالولايات الشرقية منذ استعان بهم السامانيون في ادارة شئون دولتهم، فكان البتكين من الموالي الأتراك الذين يتمتعون بمنزلة كبير عندهم، فعينوه حاكما لهراة، وسرعان ما استطاع هو واحفاده من الاستيلاء على ممتلكات الدولة السامانية وإنشاء مملكة في غزنة عام ٣٥١هـ.

وعندما انقرضت دولة السامانيين في سنة ٣٩٨هـ/٩٩٩م بسبب الضربات التي وجهها اليهم الأتراك القراخانيون، آلت اليهم أملاك هذه الدولة الواقعة في الشمال والشمال الشرقي لنهر جيحون في منطقة ما وراء النهر، وكان السلطان محمود الغزنوي قد أدخل في حوزته النواحي الجنوبية والجنوبية الغربية لنهر جيجون (خراسان- طبرستان- سجستان وأفغانستان الحالية).

كذلك فتح السلطان محمود منطقة الغور الجبلية الواقعة في القسم العلوي لـ «هري رود» (نهر هري) تلك المنطقة التي عجز قواد العرب وأمراء خراسان عن الاستيلاء عليها. هذا وقد أمضى السلطان محمود أغلب مدة حكمه البالغة- اثنين وثلاثين عاما- في قيادة الجيوش وكان هدفه الأصلي من وراء ذلك فتح الجهات الواقعة شمال الهند، وكانت تتخذ حملاته سمة الجهاد ضد الهنود الوثنيين لنشر الاسلام، وقد اتجه بجيوشه إلى تلك المناطق سبع عشرة مرة، ووسع بذلك الحدود الأولى لدولته، وكانت هذه الحروب والغارات التي لا نظير لها، والتي كانت تشن على هذه المناطق حتى تم الاستيلاء عليها متلازمة مع حمل الثروات الى العاصمة «غزنة» وكذلك انتقال مئات الآلاف من السكان إلى هناك.

وقد نتج عن هذا الاهتمام المنقطع النظير بالغزوات والفتح لبلاد الهند، جلب الثروات الطائلة ليجعل من مدينة «غزنة» الصغيرة عاصمة كبيرة وتعد من اجمل العواصم وأروعها في ذلك العهد، وبذلك استطاع السلطان محمود ان يحافظ على المناطق التي تضمها دولته وخاصة خراسان، ولكن نظرا لأهمية هذه المنطقة من الناحيتين السياسية والاقتصادية اصبحت مطمعاً لقوى سياسية جديدة أهمها الدولة القراخانية ثم من بعدها السلاجقة الذين بدأ قادتهم يعملون على مد نفوذهم السياسي إلى خراسان باعتبارها أهم الولايات التابعة للغزنويين.

أخيراً عندما انتقل الحكم إلى ابنه السلطان مسعود ونتيجة لحسم النزاع بينه وبين أخيه حول تولي حكم الدولة الغزنوية بعد وفاة أبيه، خلص له التاج والعرش، وصار مدينا بعرشه لطائفة من قواد الجيش ورجال الحاشية الذين قدموا له المساعدة في سبيل الوصول

إلى العرش، كذلك لم يول اهتماماً كبيراً بما حققه أبوه من انتصارات في المنطقة، بل ترك هذه الممتلكات الواسعة في أيدي ولاة لم يحسنوا التصرف في شئونها، ومما أخذ عليه أيضاً أنهكف على اللهو واللذة واستمر على هذه الحياة الصاخبة فترة من الزمن، فأعطى للأعداء الفرصة للنيل من دولته بعد ان ترديت الاوضاع السياسية والاقتصادية في خراسان، بسبب سوء معاملة واليها أبي الفضل سوري الذي أثقل كاهل الشعب الخراساني بالضرائب المتزايدة للايفاء بالنفقات الباهظة اللازمة سواء لمواصلة المعارك الحربية التي كانت تخوضها القوات السلطانية في الهند او لصد هجمات السلاجقة المتلاحقة لخراسان التي كانت تعد اهم اقليم في دولته، فحاول السلطان مسعود بعد ذلك جاهدا الوقوف ضد هذه الحملات المتكررة على هذا الاقليم، إلا أنه لم يحسن اختيار قادة اكفاء في مواجهة السلاجقة إلى أن انتهى الأمر به لحسم الموقف في معركة فاصلة وهي معركة دندانقان التي اسفرت عن سقوط خراسان في أيدي السلاجقة نهائياً عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م وأعلن طغرلبك في نيسابور نفسه سلطانا على الدولة السلجوقية، وأصبح بذلك أول سلاطينها وأخفقت جهود السلطان مسعود ومن جاءوا من بعده في استرداد خراسان.

وبناء على هذا قسمت رسالتي الى تمهيد وخمسة أبواب وخاتمة، فتحدثت في التمهيد عن جغرافية خراسان ثم اتبعته بعرض تاريخي لخراسان حتى قدوم الغزنويين.

أما الباب الأول فقد عرضت فيه التطور السياسي في خراسان في العصر الغزنوي واندرجت تحته أربعة موضوعات: بينت في الموضوع الأول ضعف النفوذ الساماني في خراسان وفي الموضوع الثاني شرحت كيف دخلت خراسان في حوزة الدولة الغزنوية ثم شرحت في الموضوع الثالث الصراع السياسي على سيادة خراسان في العصر الغزنوي اما الموضوع الرابع فقد تحدثت فيه عن زوال النفوذ الغزنوي من خراسان.

وخصصت الباب الثاني لدراسة نظم الحكم والادارة في خراسان في العصر الغزنوي فتناولت نظم الحكم والجهاز الاداري في هذا الاقليم، ثم شرحت التقسيمات الادارية التي خططت له حتى القرن الخامس الهجري، كذلك تحدثت عن الادارة في خراسان في عهد الغزنويين، ثم اتبعت هذه الدراسة بتفصيلات عن إدارة الجيش ونفقاته ومعداته.

أما الباب الثالث فقد تناولت فيه الحالة الاقتصادية في خراسان في العصر الغزني، فتحدثت عن الزراعة والثروة الحيوانية وتقدم الصناعة ثم تكلمت عن التجارة الداخلية والخارجية ومعاملاتها المالية.

أما في الباب الرابع فقد تناولت اهم مظاهر الحياة الاجتماعية التي تجلت في ذلك العهد وبينت عناصر السكان وطبقات المجتمع ثم قمت بشرح المناسبات الاجتماعية والأعياد ثم وضحت نظام الأسرة وأبرزت دور المرأة في الحياة الاجتماعية.

واختتمت البحث في بابه الخامس بالحديث عن الحياة الثقافية في خراسان في العصر الغزنوي، فتناولت المراكز الثقافية في هذا الاقليم ثم تكلمت عن الحياة الدينية والفرق والمذاهب وتناولت بشيء من التفصيل العلوم والآداب وكشفت عن دور العلماء في تقدم هذه العلوم.

وبعد.. فإنني لأرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث الذي تناولت فيه بالشرح والتفصيل فترة هامة من فترات التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة خراسان في العصر الغزنوي، كما أرجو أن أكون بجهدي المتواضع قد أسهمت في هذا الميدان باضافة معلومات جديدة إلى سلسلة البحوث التي تمت من قبل، وبهذا أكون قد أفدت المكتبة التاريخية الاسلامية الفائدة المرجوة.

وإني لا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن اتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان الى أستاذي العالمين الجليلين اللذين تفضلا بالاشراف على هذه الرسالة: أستاذي الدكتور عصام الدين عبدالرؤوف وأستاذ الدكتور ابراهيم الدسوقي شتا، وأعترف بأنني قد أفدت من علمهما العزيز الشيء الكثير. كما ظفرت بكريم رعايتهما وحسن توجيههما. فجزاهما عن العلم وطلابه خير الجزاء.

كما أتقدم بعظيم الشكر والعرفان بالجميل إلى المؤرخين الكبيرين عضوي لجنة المناقشة الآخرين على تفضلهما بالموافقة على الاشتراك في هذه اللجنة الموقرة، والقيام بمهمة فحص الرسالة ومناقشتها، مدفوعين بالرغبة الصادقة في العمل على تقدم الدراسات التاريخية في فرعها الاسلامي.

كذلك أجد لزاما على أن أعترف بفضل كل من قدم لي يد العون فيما احتجت اليه من مصادر أثناء إعدادي هذه الرسالة، فهؤلاء أيضاً وجب على أن أنوه بجهودهم الموفقة في سبيل خدمة العلم، وتيسير سبله للدارسين والباحثين.

«والله ولي التوفيق»

بحث في أهم المصادر

تتميز المراجع التي رجعت إليها في هذ البحث بأن بعض ملؤفيها عاصروا تلك الفترة، وكانوا على صلة وثيقة برجال الحكم، فيعد أبو الفضل محمد بن الحسين البيهقي أحد المؤرخين المعاصرين للسلطان مسعود، فكان بمذكراته الشبه يومية التي كتبها في تلك الفترة سواء عن حياة السلطان وتنقلاته أو عن أخبار الحروب التي قامت بين السلاجقة وجيوش الغزنويين والتي انتهت بسقوط خراسان في معركة دندانقان سنة ٤٣١/١٠٤٠م. قد أفاد البحث بمعلوماته القيمة فائدة كبيرة لأن البيهقي كان تركيزه على هذا الإقليم وما كان يجري فيه من أحداث حتى سقطت دولتهم بعد هذه المعركة، كما أنه لم يغفل الحديث عن العلاقة السياسية بين الغزنويين وخانات تركستان في بلاد ما وراء النهر، وعلاقة الغزنويين مع الخلافة العباسية، كذلك قدم لنا البيهقي صورة وافية الحياة الاجتماعية خلال عصره ومنها مجالس السلطان مسعود نفه، وجاء تاريخ هذا المؤرخ موضوعياً لهذه الدولة نظراً لأن كتاباته كانت مدعمة بالوثائق التي كانت في متناول يده إذ كان نائباً لرئيس ديوان الرسائل في عهد السلطان مسعود، هذا وقد قام بترجمة هذا الكتاب من الفارسية إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب والأستاذ صادق نشأت.

ويعد كتاب "تاريخ اليميني" لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (توفي سنة ٤٢٨هـ) من أهم الكتب التي تناولت تاريخ الدولة الغزنوية في عهد سبكتكين وابنه السلطان محمود، فقد كان العتبي كاتب السلطان محمود وسفيره، وقد عرض بأمانة تفصيلا لتاريخ الغزنويين، وتحدث عن فتوح السلطان محمود في الهند وغيرها من البلاد، كما تناول بالحديث ما جرى من أحداث في بلاط السامانيين في أواخر عهدهم، ودور الايلكخانات الأتراك في القضاء على آخر أمراء الدولة السامانية بمساعدة الغزنويين.

أما كتاب "زين الأخبار" لأبي سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي فإنه أيضاً من المصادر الهامة في تاريخ الغزنويين، إذ أرخ الكرديزي الحوادث منذ بدء الخليقة حتى نهاية عصر السلطان مودود بن مسعود (٤٣٢-٤٤٠هـ) وهو مكمل لبعض ما لم يذكره البيهقي بالنسبة للأحداث التاريخية، وخاصة علاقة الغزنويين بكل من السلاجقة والقراخانيين، هذا وقد قامت الدكتورة عفاف السيد زيدان بترجمة الكتاب من الفارسية إلى العربية.

ويعد كتاب "سياست نامة" للوزير نظام الملك أبي علي حسن بن علي الطوسي من

الكتب الهامة، إذ أنه يحتوى على ثروة من المعلومات عن نظم الحكم والإدارة في العهدين الغزنوي والسلجوقي، كما أمدنا أيضاً عن الولاة وعلاقتهم بالوزراء وعلاقة القضاء بالرعية وغيرها من الأمور إلى تتعلق بالجيش وترتيب وظائف العبيد والخدم من بداية الخدمة في بلاط الأمراء التي تقلدهم قيادة الجيوش والحجابة، كلك تحدث نظام الملك عن علاقة الغزنويين بالخلافة العباسية وخروج أرباب المذاهب الدينية عن طاعة ولاة الأمر وخاصة في خراسان وبلاد ما وراء النهر.

وهناك مصادر تاريخية أخرى كتبت باللغة الفارسية منها كتاب "طبقات ناصري" لمنهاج سراج الجوزجاني، وكتاب "تاريخ گزيدة" لحمد الله المستوفي القزويني، وكتاب "تاريخ روضة الصفا" لميرخواند محمد بن سيد برهان الدين، ثم كتاب "حبيب السير في أفراد البشر" لخواندمير غياث الدين بن همام الدين الحسيني، وترجع أهمية هذه الكتب إلى أنها سجلت تاريخ الغزنويين وتناولت بالتفصيل الجانب السياسي والعسكري بفتوح السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند، ثم تحدثت هذه الكتب عن الفترة الانتقالية لحكم السلطان مسعود وتدهور الحياة السياسية والاقتصادية في خراسان ثم مجئ السلاجقة إلى الحكم بعدهم، وتتميز هذه الكتب أيضاً بأنها قد اعتمدت على مؤلفات من سبقهم وخاصة تاريخ اليميني وزين الأخبار وغيرهما من الكتب المعاصرة لتلك الفترة.

كذلك يعد كتاب "راحة الصدور وآية السرور" لمحمد بن علي بن سليمان الراوندي (توفي سنة ٦٠٣هـ) من أهم الكتب الفارسية التي تناولت تاريخ السلاجقة منذ بداية أمرهم حتى انقراضهم، وقد حفل هذا الكتاب بكثير من المعلومات، فتناول أصل السلاجقة وموطنهم الأول وسبب هجرتهم من بلاد التركستان إلى ما وراء النهر، وظهورهم في عهد السلطان محمود الغزنوي الذي سمح لهم بالمرور عبر أراضي دولته إلى شرق الدولة الإسلامية، ونوه بتعاظم قوتهم في عهد السلطان مسعود واستهانتهم به حينما اعتدوا على أطراف دولته، وتمكنوا من هزيمته في موقعه دندانقان سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩-١٠٤٠م). وقد قام على ترجمة هذا الكتاب الأساتذة/ إبراهيم الشواربي وعبد النعيم حسنين وفؤاد عبد المعطي الصياد.

ويعد أيضاً كتاب "الكامل في التاريخ" لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (٥٥٥-٦٣٠هـ). من أحسن ما وصل إلينا من كتب التاريخ العام التي وضعت باللغة العربية، فقد اشتمل على تاريخ العالم منذ بدء الخليقة إلى القرن السابع أي قبل وفاته بعامين (أي سنة ٦٢٨هـ).

وتتجلى أبرز خصائص هذا الكتاب في محاولة صاحبه عرض حقائق التاريخ عرضاً مبسطاً ومترابطاً، وذلك بانتهاجه منهج الموضوع الواحد في إطار حولي، فقد أمدنا بمعلومات وافية عن الدول التي قامت في المشرق الإسلامي وخاصة دولة الغزنويين إذ تناول المؤلف هؤلاء الأتراك منذ ظهور دولتهم في غزنة حتى انتهاء حكمهم في الهند سنة ٥٨٢هـ، ثم تابع نشأة السلاجقة وصراعهم مع الغزنويين كما حدثنا عن البويهيين حتى دخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ، هذا فضلاً عما أورده من معلومات عن الزراعة والتجارة وطرقها وقد عرف ابن الأثير بدقة معلوماته وشمولها.

ويعد البيروني الذي نشأ في خوارزم من الذين عاشوا في بلاط السلطان محمود وخلفائه وقام برحلات عديدة إلى الهند، ومن مؤلفاته كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" والذي تناول فيه الاحتفال بالأعياد القومية ونظم الطوائف والجماعات المختلفة في الهند، وقد استفاد السلطان محمود من هذه المعلومات العلمية أثناء فتوحاته لبلاد الهند.

ومن أبرز مصنفاته القيمة كتاب "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" الذي قارن فيه بين رياضة الهند وفلسفة اليونان. ولقد استقى البيروني معلوماته عن الهند من المراجع السنسكريتية الهندية مباشرة.

أما كتاب "يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر" للثعالبي فهو من الكتب الهامة في الناحية الأدبية، إذ تناول أدباء خراسان وبلاد ما وراء النهر، وأهم إنتاجهم العلمي والأدبي، وهو من الكتب الموسوعية، ولو أنه اهتم بذكر سنوات وفاة المترجمين لكانت الفائدة من هذا الكتاب أعم وأشمل وهو ما تلافاه ابن خلكان في وفياته.

ومن كتب الجغرافيين والرحالة رجعت إلى كتاب "المسالك والممالك" لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) وهو عبارة عن مصدر هام في جغرافية خراسان وبلاد ما وراء النهر، فقد أمدنا بكثير من المعلومات عن هذا الإقليم وأهم مدنه، كما بين لنا أهم مراكز صناعة النسيج، وأهم واردات خراسان من البلدان المجاورة، فضلاً عن صادراته الداخلية، هذا ما جعل ابن حوقل (توفي أواخر القرن الرابع الهجري) يعتمد على (الاصطخري). ويضيف إلى معلوماته الفترة التي عاصرها في كتابه "صورة الأرض" أو كما يسميها المؤرخون "المسالك والممالك".

أما كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" لشمس الدين أبي عبد الله محمد الشافعي المقدسي المعروف بالبشاري (توفي ٣٨٧هـ/٩٩٧م) فيعد من الكتب الهامة في التاريخ والجغرافيا، تحدث عن خراسان ومدنها، فجاب فيها درس أحوالها فجاءت كتاباته

بمعلومات قيمة عن ثرواتها الزراعية والمعدنية وإنتاجها الصناعي، كما أنه لم يغفل عن ذكر المعاملات المالية من دنانير ودراهم وبعض المقاييس والأوزان المستعملة في تلك البلاد.

ومن كتب الرحلات والأسفار التي تناولت الحالة الاقتصادية في إقليم خراسان كتاب "سفر نامة" لناصر خسرو (المتوفى ٤٨١هـ). وكان ناصر خسرو قد عمل موظفاً في ديوان الاستيفاء أيام الحكم الغزنوي لخراسان، ثم تجول في الدولة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها، وزار مصر مرتين وبعد أداء فريضة الحج، عرج في طريق عودته على المنطقة الشرقية لبلاد العرب، وزود الباحثين بمعلومات كثيرة عن أسواق المشرق والمغرب، وأنواع السلع والبضائع فيها في طريقة المعاملات التجارية والمالية التي كانت سائدة في ذلك العصر، وقام الدكتور يحيى الخشاب بترجمة هذا الكتاب إلى العربية لكي يستفيد الكتاب والباحثون من قيمته العلمية.

أما المراجع الحديثة فقد استفدت من كتاب الغزنويين في شرق إيران وبلاد الأفغان للأستاذ الدكتور بوزورث، الذي تناول تاريخ هذه الدولة وحضارتها، ثم تتبع الغزنويين في كتابة أبحاثه وبين لنا فيه دور هؤلاء الأتراك في إحياء الحضارة الإسلامية في عاصمتهم غزنة وبعض الأقاليم الأخرى، خاصة من الناحية الثقافية والفكرية سواء أثناء حكمهم في خراسان أو أثناء وجودهم في بلاد الهند إلى أن سقطت دولتهم نهائياً سنة ٥٨٢ هـ.

كذلك استفدت من مؤلفات أستاذي الدكتور عصام الدين عبد الرؤوف ومن طريقة كتابته ومعالجته الموضوعية للدراسات التي قام بها في المشرق الإسلامي وخاصة تلك الدراسة التي تناول فيها تاريخ الغزنويين وحضارتهم في خراسان وبلدان الخلافة الشرقية.

هذا وقد استفدت من المراجع الأخرى الفارسية منها والمعربة أثناء كتابة الرسالة، فاستفدت من كتاب "تاريخ ديالمة وغزنويان" لعباس برويز، وكتاب سلطنت غزنويان" خليل الله خليلي، ومن مؤلفات بارتولد التاريخية وهي كتاب "تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي "وكتاب" تاريخ الترك في آسيا الوسطى "وكتاب" تاريخ الحضارة الإسلامية".

كذلك استفدت من كتاب "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لآدم متز وكتاب "تاريخ بخارى" لفامبري، وغير ذلك من المراجع والدوريات التي تتصل بموضوع البحث عن قرب.

والله ولي التوفيق.

تمهيد

(١) عرض جغرافي عام لخراسان في العصر الغزنوي

كملة خراسان في اللغة الفارسية القديمة كانت تطلق على "البلاد الشرقية" بشكل عام واستمرت هذه التسمية حتى أوائل القرن الرابع الهجري، أما الجغرافيون العرب فقد أطلقوا كلمة خراسان بوجه عام على جميع الأقاليم الإسلامية في شرق المفازة حتى حد جبال الهند [١].

وهناك تسميات أخرى أوردها حافظ أبرو في تاريخه في جغرافية خراسان إذ يقول: "خورسان يعني أفتاب مانند" ومعناه بالعربية شبيه الشمس[٢].

أما الدكتور محمد معين فقد أورد في مادة خراسان من معجمه كلمتين "خورآسان مشرق" وتعني بلاد الشمس المشرقة، والتي تشتمل على مساحة واسعة[٣]. كانت خراسان في مدلولها الواسع تضم كل بلاد ما وراء النهر التي في الشمال الشرقي ما خلا سجستان ومعها قوهستان في الجنوب، وكانت حدودها الشرقية صحراء الصين والپامير من ناحية

---

(١) كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد بغداد ١٩٥٤، ص٤٢٣.

دائرة المعارف الاسلامية (أصدرت بالالمانية والانجليزية والفرنسية)، ترجمها نخبة من الأساتذة أحمد الشنتناوي، ابراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس مراجعة الدكتور محمد مهدي علام، ١٩٣٣، ج٨، ص٢٨٢.

(٢) نور الله عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي المدعو حافظ آبرو - تاريخ حافظ آبرو، مجلد دوم - بخش جغرافيا خراسان ١٠. تصحيح ومقدمة دوروتياكراقولسكي ڤيسبادن ١٩٨٢، ص١٢.

(٣) دكتر محمد معين: فرهنك فارسي، جلد پنجم (أعلام) تهران - ١٣٦٢ شمس ص٤٨٦.

آسيا الوسطى، وجبال هندكوش من ناحية الهند(١).

إلا أن هذه الحدود صارت بعد ذلك، أكثر حصراً وأدق تحديداً. حتى يمكن القول أن خراسان كانت أحد أقاليم بلاد إيران في القرن الرابع الهجري، ومع أن خراسان لم تكن تمتد أبعد من نهر جيحون في الشمال الشرقي، فإنها مع ذلك ظلت تشتمل على جميع المرتفعات فيما وراء هراة، التي تقع حالياً في القسم الشمالي الغربي من أفغانستان، وعلى ذلك، فإن البلاد في أعالي نهر جيحون، من ناحية البامير كانت على ما عرفها العرب في القرن الرابع الهجري، هي ناحية من نواحي خراسان البعيدة(٢).

أما خراسان في الوقت الحاضر فإنها مقسمة بين ثلاث دول هي الاتحاد السوفيتي وأفغانستان وإيران، فالمنطقة الممتدة من مرو الشاهجهان إلى نهر جيحون ضمت إلى الاتحاد السوفيتي، أما ما ضم منها إلى أفغانستان في الرقعة الواقعة إلى الشرق من خط يبدأ من سرخس في الشمال، ويمتد إلى الجنوب ماراً بمنتصف المسافة بين طوس وهراة، بعد ذلك يبقى سائرها وهو تابع لإيران(٣).

وكان إقليم خراسان في أيام العرب والدويلات المستقلة حتى القرن الرابع الهجري ينقسم إلى أربعة أرباع، تسب كل ربع منها إلى أحد المدن الأربع الكبرى التي كانت في وقت من الأوقات عاصمة للإقليم بصورة منفردة أو مجتمعة وهذه المدن هي: نيسابور، مرو، هراة، بلخ(٤).

وبعد الفتح الإسلامي الأول كانت هذه المدن الأربع تشغل حيزاً في حياة الخراسانيين سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية إلا أن كلاً من المدينتين مرو وبلخ شغلتا فترة من الزمن العاصمة الأولى لخراسان، ولكن الطاهريين استطاعوا بعد تكوين دولتهم نقل دار الإمارة إلى ناحية الغرب فجعلوا من نيسابور عاصمة لهم، وقد شغل هذا

---

(١) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٣.

(٢) نفس المرجع: ص٤٢٣، ٤٢٤.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية. ج٨. ص٢٨٢.

لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٣.

حسين عطوان: الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص٢١.

(٤) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٤.

التقسيم حيزاً كبيراً في كتب الجغرافيين العرب سواء بالنسبة إلى تعريف المدينة وحدودها أو من ناحية مواردها الطبيعية والاقتصادية أو من ناحية تاريخها ومعالمها حسب التسلسل الزمني للعصور المختلفة[1].

وكانت نيسابور تسمى أيضاً "أبرشهر" وقد ضرب هذا الاسم على نقود الخلفاء الأمويين والعباسيين، ولم يكن بكل خراسان كما يقول ابن حوقل : "أصح هواءً وأفسح فضاءً وأشد عمارة من نيسابور"[2].

ويشير المقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم": إلى أنه كان بنيسابور اثنتان وأربعون محلة، منها ما يكون نصف شيراز، ودروبها المؤدية إلى الأبواب زهاء الخمسين، ومسجدها الجامع أربع رحبات بناه عمرو الصفار..."[3].

وبهذه الإشارة كان المقدسي يريد أن يبين لنا مساحة المدينة حيث كانت تقدر بفرسخ في فرسخ وهذه المساحة بالطبع تشغل حيزاً كبيراً بالنسبة إلى السكان في تلك الفترة إذا ما قيست بالمدن الكبرى في وقتنا الحاضر التي تسكنها الملايين من السكان.

أما الربع الثاني من إقليم خراسان فهو مرو الشاهجهان وتقع على نهر المرغاب الذي ينحدر من جبال الغور في شمال شرقي هراة، ثم يمر بمرو الرُّوذ، ويدور منها شمالاً إلى مرو الشاهجهان حيث تتفرع منه جملة الأنهار ثم يفنى ماؤه في رمال مفازة الغز[4].

وكانت المدينة بأرض مستوية بعيدة عن الجبال، لا يرى منها على مدى البصر جبل، وهي أرض سبخة كثيرة الرمال، وأبنيتها من طين، وهي موزعة بين أربعة أقسام يسقي كل

---

(١) أبو القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩، ٣٦٣.
لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٢٤.

(٢) ابن اسحق ابراهيم بن محمد الفرسي الاصطخري (المعروف بالكرخي): للمسالك والممالك تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محمد شفيق غربال، القاهرة ١٣٨١هـ – ١٩٦١م،ص ١٤٥.
ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٦٣.

(٣) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري: كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٧٦م ص٢٩٥.

(٤) لسترنج: بلدان الخلافةالشرقية، ص٤٣٩.
حسين عطوان (دكتور): الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، ص٢٤.

قسم منها نهر يأخذ من نهر المرغاب عند قرية الرزق أو الرزيق، حيث أقيم مقسم الماء. وتنهض عليها جميعاً مباني المدينة وأرباضها. وهذه الأنهار نهر هرمز فره الذي يجري غرباً، وفي شرقيه نهر الماجان، ثم نهر الرزق، وأخرها نهر أسعدي[1].

وثالث أرباع خراسان هو القسم الجنوبي منها، وعاصمته هراة، وتقع على النهر المسمى باسمها والذي ينبع من جبال الغور، ويجري من الشمال إلى الغرب ماراً بمدينة هراة، فمدينة بوشنج ثم ينعطف نحو الشمال منساباً إلى سرخس، ثم يفيض ماؤه بمفازة إلى الشمال منها. ويصف ابن حوقل والاصطخري مدينة هراة بقولهما:-

"وبناء هراة من طين، وبها حصن وثيق، به أربعة أبواب، ولها ربض، وعليها سور له أربعة أبواب بإزاء الحصن، باب في الشمال يخرج منه إلى بلخ، وباب في الغرب يخرج منه إلى نيسابور، وباب في الجنوب يخرج منه إلى سجستان وباب شرق يخرج منه إلى الغور، وعلى كل باب سوق، وفي داخل المدينة والربض مياه جارية، والجبل على طريق بلخ إلى الشمال من هراة، ليس به محتطب ولا مرعى، وينشعب من نهر هراة بالقرب من المدينة تسعة أنهر تروي رساتيقها ومزارعها[2].

ويقول اليعقوبي: "إن هراة من أكثر بلاد خراسان عمارة" [3]. ويقول ابن رسته: "إنها مدينة عظمية، وحواليها نور، وفي رساتيقها أربعمائة قرية كبار وصغار، وفيما بين هذه القرى سبع وأربعون دسكرة، تشمل كل منها على عشرة أنفس إلى عشرين نفساً"[4].

أما ياقوت فيقول: "إنها مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، لم ير بخراسان مدينة أجل، ولا أعظم، ولا أفخم، ولا أحسن، ولا أكثر أهلاً منها، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة، وخيرات وفيرة..."[5].

---

(١) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٤٧.
ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٥.
المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣١٠.

(٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٤٩.
ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٦.

(٣) أحمد بن أبي يعقوبي بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي: كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩١، ص٢٨٠.

(٤) أبو علي أحمد بن عمر بن رسته: كتاب الأعلاق النفسية، ليدن، ١٨٩١ ص١٧٣.

(٥) شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان، ج٤، ص٩٥٨.

ورابع أرباع خراسان هو القسم الشرقي منها، وأعظم مدينة فيه بلخ، ومساحتها مع ربضها ثلاثة أميال. وهي بأرض مستوية، وبناؤها من طين، وبينها وبين أقرب الجبال اليها نحو من أربعة فراسخ، وعليها سور له سبع أبواب، وبها نهر دهاس، وهو يجري في ربضها، ويسقى رساتيقها، ويدير عشر أرحية، وتحف أبوابها البساتين والكروم. وبعد السور الأول سور ثان يبعد عنه اثني عشر فرسخا ويحيط بقراها وضياعها ومزارعها، وليس خارجه عمارة ولا ضيعة ولا قرية وإنما وراءه الرمال. وقد وصف المقدسي[1] بهاء بلخ، وحسن موقعها، وسعة طرقها، وبهجة شوارعها، وكثرة أنهارها، والتفاف أشجارها، كما نوه بأعنابها خيراً، وأوسعها غلة، تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم[2].

هذا ولخراسان طرق ومسالك كثيرة تربط مدنها ورساتيقها وكذلك تربط بينها وبين ما يجاورها من البلدان، وقد حدد الجغرافيون العرب المسافات بين كل مدينة وأخرى تحديداً دقيقاً.

وعلى اتساع خراسان، وتباين طبيتها بين سهول ورمال وجبال، فإنها في جملتها معتدلة المناخ، لطيفة الهواء، ليس فيها مناطق حارة متقدة الحرارة، ولا مناطق باردة شديدة البرودة إلا الباميان، فإنها أكثر خراسان برداً وثلجاً وتربتها صحيحة، وأزكى أرضها السقى بنيسابور، وأحسن أرضها التي تجودها الأمطار وترويها ما بين هراة ومرو الروذ، وهي ما يعرف بالاعذاء، أي الأرض الطيبة التربة الكريمة المنبت، البعيدة من المياه والسباخ – ولذلك كانت خراسان غنية بخيرات الأرض، وأرزاق الدنيا، التي لم تكن تسد حاجات أهلها فحسب، وإنما كانت تفيض عن استهلاكهم فيضاً كبيراً من الغلات الزراعية، والمواد الأولية والغذائية والصناعات المختلفة، فكانوا يصدرونها إلى كثير من الأقطار[3]، وفي ذلك يقول الاصطخري: "بخراسان من الدواب والرقيق والأطعمة والملبوس وسائر ما يحتاج الناس إليه ما يسعهم، فأنفس الدواب ما يرتفع من نواحي بلخ وأنفس ثياب القطن والابريسم ما يقع من نيسابور

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٩٩و ٣٠٢.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ٧١٣.

(٣) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٥٨.

ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٣.

أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٣٠٢هـ، ص٣١٦.

ومرو الشهجان، وأطيب البز ما يرتفع من مرو الشاهجهان[1].

واستقصى المقدسي ما ينتج في بلدان خراسان مادة مادة، فمن نيسابور ترتفع الثياب والعمائم والحلل وثياب والشعر والغزل الجيد، ومن نسا الثياب وفراء الثعالب والبزاة ومن طوس الحصر والحبوب، ومن رساتيق نيسابور ثياب كثيرة غليظة، ومن هراة البز الكثير والديباج والزبيب والفستق، وأكثر حلاوات أهل خراسان، ومن مرو الملاحم ومقانع القز والإبريسم والقطن والبقر والجبن والنحاس، ومن سرخس الحبوب والجمال ومن بلخ الصابون والسمسم، والأرز والجوز واللوز والزبيب والسمن والعسل، والزاج والكبريت والرصاص والأبخرة، ومن غرج الشار الذهب واللبود البسط والحسان والحقائب الخيل والجيدة والبغال...[2].

---

(١) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٥٧.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٤.

(٢) عرض تاريخي لخراسان حتى قدوم الغزنويين:

بعد هذا العرض الجغرافي لإقليم خراسان وجدت نفسي أمام تاريخ حفل بالبطولات منذ الفتح الإسلامي وبعده حتى ظهور الغزنويين الذين نحن بصدد دراسة دولتهم في خراسان إلا أنني وجدت أن هذا الدور التاريخي طويل جداً بالنسبة لفترة الدراسة فرأيت أن اختصر بعض هذه الفترات التاريخية واستعرض فترة ظهور الدويلات المستقلة لمعرفة أسباب ظهورها ودورها في توطيد الأمن والرخاء لهذه المناطق الواقعة تحت سيطرتهم بين الحين والآخر كتمهيد للدخول في موضوع دراستنا التي نحن بصدد الكلام عنها.

ولعل أهمية هذا الإقليم قد ظهرت بظهور الدولة العباسية وذلك عندما استعان العباسيون بالخراسانيين وعلى رأسهم أبو مسلم الخراساني ضد الأمويين وكان خير داعية لهم في هذا الإقليم الحيوي المكتظ بالسكان والمال حتى استطاع أبو مسلم أن يحقق النصر للعباسيين في معركة الزاب الكبير ضد الأمويين وتقوم الدولة العباسية في سنة ١٣٢هـ-٧٥٠م.

وعندما قامت الدولة العباسية لم تستطع هذه الدولة الحديثة الاستغناء عن العنصر الفارسي الذي دخل في مجتمعهم، فلذا استعان العباسيون بالفرس وقدروا موقفهم البطولي وما حققوا لهم من الانتصار على خصومهم الأمويين.

فنجد أبا جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) يكرر لأهل خراسان قوله: "أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا" كما أوصى ولي العهد من بعده بقوله: "وأوصيك بأهل خراسان خيرا، فإنهم أنصارك، وشيعتك، بذلوا أموالهم في دولتك، ودماءهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم، أن تحسن إليهم، وتتجاوز عن مسيئهم، وتكافئهم على ما كان منهم..."[1].

هكذا تمكن العنصر الفارسي من استغلال نفوذه ولا سيما في عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ-٧٨٦-٨٠٨م) ومن بعده الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) حتى استطاع طاهر بن الحسين تحقيق حلم الفرس بتكوين أول دولة شبه مستقلة لهم في المشرق الإسلامي وكانت هذه الدولة هي الدولة الطاهرية.

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٩، ج٩، ص١٢٩.

ولعل هذه الدولة قد تأسست نتيجة للخدمات الجليلة التي قدمها مؤسسها طاهر بن الحسين للخليفة المأمون في مساعدته على أخيه الأمين الذي كان قد استولى على عاصمة الخلافة بغداد بعد وفاة أبيه، وعين نفسه خليفة على المسلمين،وتقدم طاهر إلى بغداد، واستولى على ما في طريقه من البلاد، وحاصر بغداد والأمين بها وانتزعها منه وتخلص منه سنه ١٩٨هـ/٨١٣م[1].

لم تكن هذه الدولة ذات نفوذ واسع في بداية الأمر حيث أن طاهر بن الحسين كان يطمع في إسناد ولاية خراسان إليه، وما زال بالمأمون حتى أسند إليه سنة ٢٥٠هـ/٨٢٠م. جميع البلاد الواقعة شرقي بغداد، حيث وطد طاهر نفوذه في خراسان واتخذ من نيسابور حاضرة لدولته، وبذلك استطاع طاهر أن يؤسس أول إمارة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية[2].

وفي سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م اعتزم طاهر بن الحسين الاستقلال نهائياً بدولته عن الدولة العباسية فأسقط اسم الخليفة المأمون من خطبة الجمعة كخطوة أولى إلا أنه لم يلبث أن توفي فجأة في نفس السنة، مما أثار الشكوك حول وفاته، ثم تولى طلحة بن طاهر ولاية أبيه، فوافق المأمون على ولايته بالرغم من استيائه من الطاهريين، إلا أنه كان يخشى إن انتزع الأمر من أيديهم أن تحدث اضطرابات في خراسان التي قوى فيها نفوذهم[3].

كما رأى المأمون أن في تولية طلحة مكان أبيه قضاء على الشك الذي ساور بعض الناس حول موت أبيه طاهر بن الحسين، فأرسل وزيره مع طلحة ليقوى دعائم سلطانه في ولايته، وليكون عينا عليه[4].

واستمر حكم طلحة لخراسان إلى أن توفي سنة ٢١٣هـ، وظل وفيا للمأمون فلم يخرج

---

(١) أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون، ج١، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٤٦هـ-١٩٢٧م ص، ٢٤٥،٢٤٦.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي القاهرة، ١٩٧٥، ص١٣،١٤.
محمد على حيدر: الدويلات الإسلامية في المشرق القاهرة، ١٩٧٣م، ص٤٤.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام ص١٦.

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة الإسلامية المستقلة في المشرق، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٦.

(٤) أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون، ج١، ص٢٧٢.

عليه وكان يكاتبه باسمه[1].

خلف عبدالله بن طاهر أخاه طلحة ٢١٣هـ/ ٨٢٨ وقد اتسع ملكه حتى شمل الري وكرمان علاوة على خراسان نفسها، كذلك الأراضي التي تقع شرقيها حتى الحدود الهندية وامتدت شمالاً حتى حدود الخلافة العباسية نفسها[2].

وكان محمد بن طاهر آخر حكام الدولة الطاهرية، ولم يكن على شاكلة أسلافه، فضعف أمره كحاكم وعجز عن إخضاع الثورات التي قامت ضده مما أدى إلى سقوط معظم أملاكه في الولايات الشرقية مثل فارس وسجستان وهراة وما حولها في أيدي الصفاريين، ولما ازدادت الاضطرابات في الدولة الطاهرية، استنجد أهل خراسان بالأمير يعقوب بن الليث الصفار لإعادة الأمن والطمأنينة إلى بلادهم، فوجد الأمير الصفاري الفرصة مواتية لتوسيع رقعة دولته على حساب الدولة الطاهرية المتداعية، فزحف بجيشه إلى نيسابور سنة ٢٥٩هـ/ ٨٣٢م وقبض على محمد بن طاهر وعلى أهل بيته وبذلك زالت الدولة الطاهرية[3].

وخلاصة القول أن الطاهريين كانوا يشدون من أزر الخلافة العباسية ويعضدونها ويعملون وفق دستورها، ولم يدخروا جهداً في القضاء علي الحركات المعادية للخلافة في أقطارهم هذا كله ساعدهم على تخفيف متاعبهم فقد شنوا حرباً ضد أعداء الدولة العباسية ويسروا سبل الحج، وحكموا بالعدل والقسطاس، بالإضافة إلى هذا كله لم يحاول الطاهريون الاستقلال التام عن الدولة العباسية، بل حرصوا على تحسين علاقتهم بالعباسيين فلذا امتازوا عن سائر الولاة السابقين لخراسان بأنهم توارثوا الولاية فيما بينهم بينما كان الولاة السابقون معرضين للنقل من ولاية إلى أخرى طبقاً لما تراه الحكومة المركزية[4].

أما الدويلات التي قامت بعد ذلك في المشرق الإسلامي مثل الدولة الزيدية في طبرستان والدولة الصفارية في سجستان وخراسان والدولة السامانية في ما وراء النهر وخراسان والدولة الغزنوية في خراسان وغزنة فيما بعد استقلت هذه الدول جميعاً عن الدولة العباسية

---

(١) محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية في المشرق، ص٥٤

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة تاريخ الإسلام، ص١٦ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٧.

(٤) محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية في المشرق، ص٦١،
نفس المرجع، ص٥٠ .

إلا أنها أبقت للخلافة الصفة الدينية، هذا ما أغضب العباسيين وجعلهم يقفون ضد الصفاريين في بداية عهدهم عندما استولوا على ممتلكات حلفائهم الطاهريين فاعتبرت الخلافة تحدياً سافراً لسلطانها لأنه أفقدها عنصراً موالياً لها، اعتمدت عليه على مر العصور السابقة، وإن كان يعقوب نفسه قد وعد الخلافة بالتأييد والطاعة كما تعهد بأن يقدم إلى بيت المال ما يحتاجه، ومن ثم ضمن خراج الأقاليم التي تخضع له[1].

ومؤسس الدولة الصفارية هو يعقوب بن الليث الصفار وأخوه عمرو كانا من المتطوعة المجاهدين في سجستان، وهؤلاء المتطوعة كانوا يعملون على حماية سجستان وفارس وكرمان من حالة الفوضى التي تعرضت لها من ثورات الخوارج، وكان معهم قوة كبيرة من الجند المسلمين الذين بدأوا عملهم مع صالح بن نصر الكناني فاتح سجستان، وقد ظهر أمر يقوب بن الليث الصفار وصار من كبار قادة المتطوعة، واشتهر أمره سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م. واستولى على سجستان ولكن طاهر بن عبدالله صاحب خراسان استردها منه وولى قيادة المتطورة في سجستان لدرهم بن الحسين، وكان يعقوب بن الليث الصفار يعمل تحت إمرته، ثم تغلب يعقوب على درهم وسار رئيس المتطوعة وحارب الخوارج والشراة، وكان لهم سلطان كبير في سجستان فتغلب عليهم يعقوب بن الليث الصفار وتولى أمر سجستان وانفرد بها، ثم مد نفوذه على هراة وبوشنج، ثم دخلت جيوشه نيسابور قاعدة الدولة الطاهرية وأزالتها سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م[2].

ودولة بني الصفار كانت دولة أسرة عسكرية طامعة في الرياسة والأموال، وأثرت التوسع على حساب الخلافة العباسية وممتلكاتها، فلذا لم يكتف مؤسس الدولة بالسيطرة على حدود دولته بل سعى إلى التوسع فضم إلى ممتلكاته مناطق أخرى بالإضافة إلى مقر حكمه سجستان وبذلك استولى على بوشنج وهراة ونيسابور كما رأينا ثم امتد سلطان الصفاريين على كل من خراسان وطبرستان وجرجان وجزء من بلاد ما وراء النهار وكرمان والسند والأهواز وجند يسابور حتى أنهم حاربوا دولة الخلافة وإن كانوا يدينون لها بالطاعة الإسمية، وعجز الخليفة المعتمد وأخوه طلحة الموفق عن الثبات لهم[3].

---

(١) محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية في المشرق، ص٦٠،٦١

(٢) عباس اقبال: تاريخ إيران از صدر إسلام تاإستيلاي مغول، طهران، ١٣٣ شمس ص١٨٩، ١٩٠.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام ص١٧.

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة الإسلامية المستقلة في المشرق، القاهرة،، ص١٨ .

هكذا نجد يعقوب بن الليث الصفار الذي قام في أول الأمر للقضاء على الخارجين على سلطان الدولة قام أخيراً ضد سياسة الحكومة الطاهرية الآيلة للسقوط وضد سلطان الخليفة الذي يعضدهم ويؤازرهم في كل أعمالهم.

هذا وفي الوقت الذي كانت سلطة الخليفة الدينية شيئاً لا يمكن اسقاطه أو تحديه، كذلك في الوقت الذي كان الخليفة هو رئيس الدولة الإسلامية، كان من المتعذر على بني الصفار آنذاك أن يتحدوا الخليفة بقواتهم أو باتساع دولتهم في بلدان الخلافة في المشرق، لأن ذلك الوضع كان يسبب لهم حرجاً أمام المسلمين بعد أن أعلن الخليفة الحرب عليهم، لذلك كان الموقف يتطلب من بني الصفار إعادة النظر في العلاقة الروحية والدينية مع الخلافة، وإلا أصبحوا في خطر كبير يحيق بهم وبدولتهم إذا امتنع قادتهم وجندهم عن المشاركة في حروبهم ضد الخليفة والدولة الإسلامية في بغداد[1].

وقد ظهرت هذه الحقيقة واضحة حينما رأى جيش الصفار الخليفة يحارب يعقوب الذي كان أول أمره جندياً من جنوده الخارجين على دولته فانضموا إلى جيش الخليفة وكانوا سبباً في الهزيمة التي لحقت بيعقوب، ويصور الطبري هذا الموقف الذي وقفه جند الصفاريين فيقول: "وقد ظهر ممن مع يعقوب كراهية القتال معه إذ رأوا السلطان (الخليفة) قد حضر لقتاله فحملوا على يعقوب وثبت يعقوب في خاصة أصحابه حتى مضوا وفارقوا موضع الحرب"[2].

وأرادت الخلافة أن تحتفظ بولاء يعقوب، وتخفف من شدة وقع الهزيمة على نفسه فأرسل المعتمد إليه رسولاً يجدد ولايته على "بلاد فارس" ويظهر له رضى الخليفة وعفوه عنه[3].

وعلى هذا أرسل الخليفة رسولاً إلى يعقوب بن الليث وعندما وصل إليه وجده على فراش المرض، فنهض يعقوب من فراشه لاستقبال الرسول في قوة وتماسك ووجد عنده سيفاً ورغيفاً وبصلاً، ثم أعطى الرسول الرسالة التي حملها من الخلافة، وهنا ظهرت ميول الصفار

---

(١) قحطان الحديثي: الدولة في العصور العباسي المتأخرة، ص١٨٤، ١٨٥.

Amir Hassan siddigi: Caliphaf and kingship, p. 33

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، ج١١، ص٢٣٨.

(٣) محمد علي حيدر، الدويلات الإسلامية في المشرق، ص٦٨.

تجاه العباسيين في جوابه الذي أجاب به رسول المعتمد حينما رد عليه قائلاً "قل للخليفة أني عليل، فإن مت فقد استرحت منك واسترحت مني، وإن عوفيت فليس بيني وبينك إلا سيفي هذا حتى آخذ بثأري أو تكسرني فتفقرني فأعود إلى هذا الخبز والبصل"[1].

ثم عاد الرسول يخبر بما رأى وسمع ولم يلبث يعقوب أن توفي في التاسع من شوال بجند يسابور سنة ٢٦٥هـ، وطويت صفحة هذا القائد، ثم قام بالأمر بعده أخوه عمرو بن الليث الصفار الذي تحسنت العلاقة في عهده بينه وبين الخلافة.[2]

أقرت الخلافة العباسية عمرو بن الليث خلفاً لأخيه يعقوب على خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان، وأرسلت إليه العهد ومعه العقد والخلع، واتخذت عمرو مع الخلافة العباسية سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياسة أخيه يعقوب فتقرب إلى الخلافة، وتودد إليها، وبلغ من ثقة الخلافة به أن أسندت إليه ولاية شرطة بغداد بالإضافة إلى الولايات التي عهدت إليه بحكمها سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م وبذلك قوي نفوذه[3].

لكن الخلافة ما لبثت أن تخلصت من صاحب الزنج وتمكنت من القضاء على حركته، وأصبحت حرة اليد تستطيع أن تقضي على أطماع الصفاريين، فأصدر الخليفة المعتمد قراراً بعزل عمرو بن الليث عن البلاد التي ولاه إياها، وأعلن هذا الخلع على ملأ من الحجاج الذين حضروا إلى بغداد من خراسان، ولعنه بحضرتهم وأخبرهم أنه قلد خراسان محمد بن طاهر وأمر بلعن عمرو بن الليث على المنابر فلعن. ثم سير جيشاً إلى قتال عمرو بفارس، فانتصر على جيوش بني الصفار أما محمد بن طاهر فقد بقي ببغداد واستخلف على خراسان رافع بن هرثمة، وأبقى بلاد ما وراء النهر في يد بني سامان[4].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الجزء السادس، بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص١٠٧ حسن احمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي، الطبعة الخامسة القاهرة ١٩٨٢، ص٤٦٣.

(٢) محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية في المشرق، ص٦٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩، ص٣٢٩، ٣٣٠.
عصام عبد الرؤوف: تارخ الإسلام، ص١٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص١٤٩.
حسن أحمد محمود وأحمد وابراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤٦٣و ٤٦٤.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٢١،٢٢ .

ثم سار الموفق بنفسه لقتال عمرو بن الليث في فارس، واضطر إلى التقهقر إلى سجستان بعد أن ألحق بقواته الهزيمة.

وحين تولى المعتضد الخلافة سنة ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م أرسل عمرو بن الليث هدايا إلى الخليفة يعلن ولاءه ويسأله ولاية خراسان، فأجابه الخليفة وبعث إليه التقليد. لكن رافع بن هرثمة رفض الإذعان قاتل عمرا الذي وقتل سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م وبعث برأسه إلى الخليفة وطالب بولاية بلاد ما وراء النهر، وكانت بيد إسماعيل بن أحمد الساماني.

وانتهز المعتضد الفرصة، فأراد أن يضرب عمراً بقوة السامانيين النامية في ما وراء النهر. فأجابه إلى طلبه. وهو يقدر المغامرة التي يتعرض لها عمرو، حيث أن الأمير الساماني إسماعيل بن أحمد رفض أن يسلمه له وكتب إليه يحثه على عدم التعرض لبلاده، وقال له: إنك قد وليت دنيا عريضة، وأنا في يدي ما وراء النهر، وأنا في ثغر، وأقنع بما في يدك، واتركني مقيماً بهذا الثغر". وقد صدق تقدير الخليفة، فإن السامانيين ألحقوا بعمرو هزيمة حاسمة وأسروه وأرسلوا به إلى الخليفة الذي سجنه حتى مات، وكان لهذا الواقعة نتائج حاسمة في مراحل تطور الحياة السياسية في شرق الدول الإسلامية، إذ كانت بداية النهاية للدولة الصفارية، وأمنت الدولة السامانية الناشئة على حدودها من خطر الصفاريين من ناحيتها، بينما أخذت الخلافة ترسل جيوشها المتوالية حتى استطاعت القضاء على بقية الصفاريين وبهذا زالت دولتهم سنة ٢٩٨هـ/ ٩١٠م[1].

وصفوة القول أن الدولة الصفارية زالت بعد ذلك العمر القصير الذي لم يتجاوز سبعاً وثلاثين سنة، وذلك بسبب جهود الخلافة العباسية المتواصلة للقضاء عليها على الرغم من قوة جيوشها وحسن تدريبها وتسليحها، وعلى الرغم من اتساع البلاد التي وقعت في يدها، وإذا لم تحقق هذه الدولة كل مطالبها إلا أنها نجحت في تأكيد حق أمراء الأقاليم في مشاركة الخليفة فيما يتعلق بذكر أسمائهم في المنابر وضرب أسمائهم على النقود المتداولة في دولتهم، وأكثر من هذا حكم الإقليم دون إرسال أموال منتظمة إلى حكومة بغداد وعلى هذا فإن الصفاريين قد عملوا على تقويض سلطة الخليفة الواهنة في فارس وبانتزاع هذه الامتيازات من الخليفة أصبحت حقائق ثابتة يتوارثها من أتى بعدهم وسنرى ذلك واضحاً عند حديثنا

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة تاريخ الإسلام ص٢٠.
حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤٦٧.

عن الدولة السامانية التي جاءت في أعقاب الصفارية وقضت على سلطانها[1].

قامت الدولة السامانية في منطقة ربما لا تدخل جغرافياً وسياسياً في منطقة الثقافة أو الحضارة الفارسية، وهي المنطقة التي تسمى "بلاد ما وراء النهر" ولكنها ما لبثت أن امتدت إلى المنطقة الفارسية، فبسطت سلطانها على بلاد خراسان كما ضمت طبرستان والري والجبل وبلاد سجستان، واستعدت هذه الدولة بحكم موقعها أن تتحمل مسؤولية الحفاظ على ممتلكات المسلمين من ناحية الشرق وضد أعدائها الأتراك الذين لم يستوعبوا الإسلام في تلك الفترة حيث أنهم كانوا رعاة وبدوا يغيرون على ممتلكات الدولة الإسلامية كلما وجدوا ماشيتهم في حاجة إلى المراعي والكلأ والماء، بالإضافة إلى أن هذه الدولة أحيت اللغة الفارسية الحديثة التي تجمع بين المؤثرات العربية والمؤثرات الفارسية، وبدأت اللغة في عهدهم تصبح لغة الفكر والثقافة، فترجم إليها بعض الآثار العربية الإسلامية، كما ظهر شعراء من الفرس، وكان ظهورهم مقدمة للشاعر الفارسي العظيم "الفردوسي" الذي يعبر تعبيراً صحيحاً عن الثقافة الفارسية الإسلامية[2].

وينتسب السامانيون إلى "سامان" رأس الأسرة السامانية، وهو كما ذهب ابن الأثير والسمعاني، والكرديزي والاصطخري والبيروني ينحدر نسبه إلى بهرام جوبين الذي يعتبر من أنجب أبناء فارس وهذه الأسرة كانت أقوى من الأسرتين الطاهرية والصفارية فقد استمر قيام دولتهم في خراسان وما وراء النهر مائة وخمسة وعشرين عاماً من سنة (٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٩)[3].

وكان أول اتصال للسامانيين بالدولة الإسلامية عن طريق جدهم سامان حين وفد على أسد بن عبدالله القسري في عهد هشام بن عبد الملك، فأكرمه أسد، وقهر أعداءه، فاعتنق

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٢١و ٢٢.
حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤٦٤.

(٢) حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤٦٥.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٩١.
أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكَرديزي: زين الأخبار، ترجمته عن الفارسية الدكتورة عفاف السيد زيدان، القاهرة ١٩٨٢، ص٢٣٢.
الاصطخري: المسالك والممالك، ص٤٢.

"سامان" الإسلام على يديه، وسمى ابنه "أسد" تبركا به[١].

وكان لأسد بن سامان أربعة أبناءهم: نوح وأحمد ويحيى والياس، وقد تجلت شجاعتهم في عهد هارون الرشيد، عندما خرج عليه رافع بن الليث بن نصر بن سيار في سمر قند وقتئذ، أعلن هؤلاء الأبناء الأربعة استعدادهم للقيام بالقضاء على هذه الثورة، وبعد أن انتصرت الخلافة على رافع وثورته، هدأ بال الرشيد إذ أنه كان يخشى أن يستولي رافع على خراسان، وكان يشكل خطراً على الخلافة العباسية إذا ما نجح في ثورته من ناحية المشرق[٢].

لما ولى المأمون الخلافة عرف منزلة أبناء أسد بن سامان وقدر إخلاصهم للخلافة العباسية، فولاهم على سمر قند وفرغانة والشاش وهراة[٣]. وكان أكبر هؤلاء الأخوة والياً على سمر قند. ولما توفي صارت سمر قند لأخيه أحمد بن أسد، ثم خلف عليها ابنه نصراً سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م. حيث كان قوي الشخصية، وكان لهذا أثره في توطيد أواصر الصلة بين أفراد الأسرة السامانية وكذلك في ازدياد قوة دولتهم فأخذ الهدوء والطمأنينة يسودان البلاد بعد أن كانت تقاسي من الاضطرابات[٤].

وظل السامنيون في بلاد ما وراء النهر يتعاونون تعاوناً صارماً مع جيرانهم وخاصة الدولة الطاهرية، كما شاروكوا في الصراع الذي قام بين الصفاريين والطاهريين، فشدوا من أزر الطاهريين، الأمر الذي جعل الطاهريين دائماً يقرون السامانيين في بلاد ما وراء النهر ولما ضعف أمر الدولة الطاهرية واستولى الصفاريون على إقليم خراسان، قدرت الخلافة للسامانيين إخلاصهم، فجعلت بلاد ما وراء النهر إقليماً منفصلاً عن خراسان وأقرت عليه السامانيين، وبذلك أصبحوا يحمون هذا الإقليم المهم من ناحية الشرق، ويمدون الدولة

---

(١) محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية، ص٨٢.

(٢) ڤاسيلي ڤلاديميروڤتش بارتولد: تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، نقله عن الروسية، صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ص٣٣٢.

(٣) أبو بكر محمد بن جعفر النرشخي: تاريخ بخارى، ترجمه الدكتور أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي، القاهرة، ص١٩٦٥م، ص١٠٥و١٠٦.

(٤) أرمنيوس ڤامبري: تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة الدكتور أحمد محمود الساداتي – القاهرة، يوليو ١٩٦٥، ص٩٤.

بارتولد: تركستان، ص٣٣٢.

الإسلامية من هذا المنقذ بالعون للخلاص من حركات التمرد التي تواجه الحكومة العباسية نتيجة ضعف الحكومة المركزية المتمثلة في بغداد[1].

أما عن العلاقة بين السامانيين والخلافة العباسية فكانت تقوم على المودة والتفاهم حيث أن السامانيين لم يتجهوا بأطماعهم إلى التوسع ضد جيرانهم من الولايات الشرقية أو أملاك الدولة الإسلامية إنما جاء امتداد سلطانهم إلى الداخل نتيجة الفراغ الذي حدث على أثر ضعف الدولة الطاهرية وكذلك نتيجة للتحدي السافر من الصفاريين للدولة العباسية. أما الامتداد الحقيقي للسامانيين فقد وجه إلى بلاد الترك وأواسط آسيا للمحافظة على الثغور الإسلامية من غاراتهم، فقد غزا اسماعيل بن أحمد الترك في سنة ٢٨٠هـ. وأسر منهم عشرة آلاف أسير، كما صد غاراتهم في سنة ٢٩١هـ[2].

ظهرت الدولة السامانية بمظهر القوة في عهد اسماعيل بن أحمد وقامت الدولة في عهده بإزالة الدولة الصفارية بعد أن عجزت جيوش الخلافة العباسية عن القضاء عليها، وهو بهذا قدم خدمة كبرى للدولة العباسية.

كما تمكن اسماعيل بن أحمد الساماني من فتح بلاد طبرستان وانتزاعها من يد محمد بن زيد الذي كان ينازع السامانيين والخلافة العباسية في خراسان، وبهذا وقف السامانيون ضد الحركات السياسية والمذهبية التي كانت تضر بمصالحهم وتهدد سلطتهم الشرعية في البلاد. ولم تكتف جيوش الدولة السامانية بطرد العلويين، بل جعلت طبرستان تحت السلطة الشرعية للدولة السامانية، وجعلت الخطبة باسم الخليفة العباسي[3].

هذا وكان السامانيون يتمتعون بالاستقلال الذاتي عن الحكومة المركزية فيما يختص بالإدارة الداخلية حيث كانوا يولون ولاة الإقاليم أو يعزلونهم عن مناصبهم. هكذا كانت العلاقة بين اسماعيل والخلافة العباسية تقوم على أساس المودة حتى أن الخلفاء كانوا يعتمدون على اسماعيل في إقرار سلطانه في بلاد المشرق كما اعتمدوا على ابنه أحمد الذي

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٩٩و١٠٠.

(٢) نفس المصدر، ج٦، ص٣٦٦.
حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤٦٦.

(٣) الكَرديزي: زين الأخبار، ص٢٣٤.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٢٥

خلفه في الحكم فيما بعد[1].

ولما توفي الأمير اسماعيل تولى مقاليد الأمور في الدولة السامانية ابنه أحمد بن اسماعيل قائداً لدولة مترامية الأطراف وهكذا وصلت قوة الدولة السامانية إلى حد أن الدولة العباسية كانت تستعين بها في قمع الثورات والقوى التي تريد الانفصال عنها ولكن يشاء الله أن هذه الدولة وفي فترة حكم الأمير أحمد أن تحيط بها الأخطار من جميع الأطراف، فمن الداخل انقسم البيت الساماني على نفسه طمعاً في السيادة والحكم، كما أن بعض رجال الدولة عملوا على تحقيق أطماعهم في الوصول إلى السلطة، أما من الخارج فحركة الأمير الحسن بن علي الزيدي الملقب بالأطروش الذي استولى على طبرستان وبلاد الديلم واستطاع أن يدعو قبائل هذه المنطقة إلى الإسلام فأسلم عدد كبير منهم كانوا على الوثنية أو المجوسية، ثم التف أهل هذه البلاد حوله، وطردوا منها والي السامانيين[2].

وبهذه المشاكل والمتاعب التي واجهت الدولة السامانية، ضعف شأن بني سامان حتى أصبحوا ألعوبة في أيدي كبار رجال الدولة، ثم أدى ضعف الدولة إلى ازدياد نفوذ الترك، فارتفع شأنهم بعد أن كانوا مجرد خدم وأتباع، وبدأوا يتطلعون إلى الاستقلال والحلول محلهم، فتمكنوا من القضاء على السامانيين، بل امتد نفوذهم إلى الكثير من بلدان الدولة الإسلامية، فنجد أن بني سبكتكين أقاموا دولتهم على أنقاض الدولة السامانية في إقليم خراسان وبلاد الأفغان والهند، كما أسس القراخانيون الترك دولة لهم فيما وراء النهر بعد أن تغلبوا على بني سامان، في عقر دارهم، كما قضى السلاجقة على بني بويه وانتقل إليهم النفوذ والسلطان في شرق الدولة الإسلامية حتى امتدت سلطتهم إلى بغداد نفسها[3].

قد أدى السامانيون دورهم في الأقاليم الإسلامية على أكمل وجه، فمن الناحية السياسية فقد حافظوا على الثغور الإسلامية في المشرق، كما مدوا النفوذ الإسلامي إلى بلاد الترك البعيدة، وجعلوا من بيئة بلاد ما وراء النهر بيئة صقل وتهذيب للعنصر التركي الذي

---

(١) بارتولد: تركستان، ص٢٥٢

(٢) حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤٦٨.

عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٢٧.

محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية، ص١٢٥.

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص٣٤.

أسلم على يد السامانيين، وبدأ يتحول إلى عنصر مفيد بالنسبة للدولة الإسلامية وانبثق عن التأثير الساماني ذلك الدور الذي تهيأ للترك الغز في خدمة الخلافة العباسية في العصر السلجوقي بقضائهم على الدولة البويهية التي اتخذت من بغداد مقراً لمحاربة الخلافة العباسية والمسلمين في المشرق الإسلامي[1].

كما انبثق من النفوذ الساماني الدولة الغزنوية وهي دولة تركية اتخذت من خراسان والثغر الهندي مركزاً لها وعملت باسم السامانيين، ثم حلت محلهم وقامت بدور كبير وسنتحدث عن هذه الدولة حديثاً مستفيضاً في الفصول التالية:-

أما عن دورهم الحضاري، فإن بلاط السامانيين في بخارى كان مثابة العلماء وكعبة للأدباء ويقول الثعالبي في هذا الموضع: "كانت بخارى في الدولة السامانية بمثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر"[2]. وكانت مكتبة نوح بن نصر الساماني كما يقول ابن خلكان "عديمة المثل، فيها من كل فن من الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها ما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته"[3].

لم تقتصر عناية الدولة السامانية على مدينة بخارى العاصمة فقط، وإنما حظيت بالاهتمام أيضاً مدن خراسان وبقية مدن بلاد ما وراء النهر حيث ازدهرت هذه المدن ازدهاراً كبيراً في جميع النواحي الحضارية، ويروي المقدسي عندما رحل إلى إقليم خراسان وما وراء النهر في العهد الساماني قائلاً: "إنهم أحسن الملوك سيرة، وهذا فضلاً عما عرف عنهم من إجلال للعلم وأهله"، كما مدح المقدسي أهل خراسان في نفس العهد بقوله "انهم أشد الناس تمسكاً بالحق، وهم بالخير والشر أعلم". كما أقر بعلمهم الكثير، وحفظهم العجيب، واستقرار الأمور في خراسان، وانتشار الرخاء فيها.

بهذا المدح الذي خص به المقدسي السامانيين سواء فيما يتعلق بحسن سيرتهم في الحكم أو عدلهم في الرعية أو تكريمهم لأهل العلم، نجد أن هذه الدولة وفرت كل أسباب الحضارة

---

(١) محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية، ص١٨٩.
عصام الدين عبد الرؤوف: الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، ص٣٤.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر – ٤ أجزاء – القاهرة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م، ج٤. ص ص ٦٤-٦٦.

(٣) حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤٧٠.

للمشرق الإسلامي حتى أصبحت دولتهم منطقة الرخاء المادي ومراكز إشعاع للعلم والتجارة والصناعة[1].

وأخيراً فإن هذه الفترة التاريخية التي قمنا بالحديث عنها منذ قيام الدولة الطاهرية إلى بداية ظهور الانحلال السياسي في هذه الدول، كان الهدف منه تحديد خراسان جغرافياً حسب ما ورد في كتب البلدانيين والجغرافيين في القرن الرابع الهجري، وكذلك معرفة تاريخ هذا الإقليم أثناء صراعات القوى التي انفصلت عن الخلافة العباسية، وكونت دولاً مستقلة في خراسان، وأيضاً أردنا بهذا العرض بيان أهمية هذا الإقليم من الناحية السياسية التي لم تكن وليدة حكم هذه القوى المتصارعة من أجل السلطة والحكم، وإنما تمتد هذه الأهمية بجذورها التاريخية إلى ما قبل الفتح الإسلامي لبلاد فارس، حيث ارتبط اسم خراسان عند الفرس ببلاد الشمس المشرقة المزدهرة سياسيا واقتصاديا.

وكانت خراسان قد وصلت إلى قمة ازدهارها السياسي والاقتصادي في العصر العباسي الأول بحيث اعتمدت الخلافة العباسية اعتماداً أساسياً على موارد هذا الإقليم الاقتصادي وإمكانياتها البشرية مما دعم من ثقلها السياسي في بلاد الخلافة الشرقية، وكان نتائج ذلك حصول إقليم خراسان على ما يشبه الزعامة السياسية في المنطقة إبان حكم الطاهريين، الذي أتاح لهم حق الإشراف على بقية الأقاليم الشرقية، فوصلت خراسان بهذا الإجراء إلى درجة كبيرة من النفوذ السياسي على خوارزم وبقية الأقاليم مثل طبرستان وسجستان وقوهستان كما جاء ذلك في فترة الحكم الغزنوي، وكذلك لم تدم للغزنويين هذه السيطرة السياسية والاقتصادية على سيادة هذا الإقليم، إذ أن الخراسانيين استعانوا بالسلاجقة لينقذوا بلادهم من حكم الوالي الغزنوي العميد سوري بن المعز الذي ظل يقود البلاد إلى الدمار اقتصادياً وبشرياً نتيجة الحروب التي استمرت مشتعلة بين الغزنويين والسلاجقة فترة سنواتها الست والتي انتهت بسقوط خراسان في أيدي السلاجقة في سنة

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ص٢٩٠-٢٩٣.
حسن أحمد محمود وأحمد ابرهيم الشريف: العالم الإسلامي، ص٤٧٠.
محمد علي حيدر: الدويلات الإسلامية ص ص ١٨٩-١٩٠.

٤٣٢هـ/ ١٠٤١م[1].

وكذلك تأتي هذه الفترة التي نخصها بالبحث أي فترة حكم الغزنويين، حيث مرت خراسان بدورة جديدة من دورات تاريخها السياسي، إذ شهد هذا الإقليم بعض التغيرات السياسية والإدارية التي كان أهمها انتقال مركز الحكم إلى عاصمة الدولة غزنة، وتحولت خراسان بالتالي إلى إقليم تابع لعاصمة الغزنويين طيلة سنوات حكم السلطان محمود، أما فترة حكم السلطان مسعود فقد أعادت إلى هذا الإقليم مكانته السياسية والاقتصادية خصوصاً أو أن هذا السلطان في معظم سنوات حكمه، قد اتخذ من مدن خراسان: بلخ ونيسابور وهراة حواضر له ولدولته.

---

(١) أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي: تاريخ البيهقي، ترجمه يحيى الخشاب وصادق نشأت، بيروت ١٩٨٢، ص ص ٤٣٧و٤٣٨.

فتحي أبو سيف: خراسان (تاريخها السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين)، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ص٦.

الباب الأول

التطور السياسي في خراسان في العصر الغزنوي

أولاً: ضعف النفوذ الساماني في خراسان.

ثانياً: دخول خراسان في حوزة الدولة الغزنوية.

ثالثاً: الصراع السياسي على سيادة خراسان في العصر الغزنوي.

رابعاً: زوال النفوذ الغزنوي من خراسان.

الباب الأول

التطور السياسي في خراسان في العصر الغزنوي

أولاً: ضعف النفوذ الساماني في خراسان:

أشرنا عند الحديث عن الدولة السامانية كيف انقسم بنو سامان على أنفسهم طمعاً في السيادة والحكم وكان هذا الانقسام واضحاً في ولاية الأمير أحمد بن اسماعيل عندما حاول عمه اسحاق بن أحمد والي سمرقند الخروج عليه واستقطاع جزء من دولته، إلا أنه استطاع أن يتفادى هذه الفتنة بين البيت الساماني ويقضي على ثورة عمه اسحاق بن أحمد ويعيد الهدوء والأمن إلى مدينة سمر قند. أيضاً مع ولايته ازداد النفوذ التركي في العاصمة بخارى والإقاليم الأخرى نظراً لاستخدام الأتراك في الحراسة الخاصة بالسامانيين، وهذا النظام قد أدخله في البلاط الساماني الأمير اسماعيل أسوة بالخلفاء العباسيين بالرغم من أن رجال البلاط قد بلغوا في النفوذ والسيطرة ما لم يبلغوه في عهد من العهود السامانية السابقة[1].

ثم شغف هذا الأمير بالصيد على شواطئ جيحون عام ٩١٢/٣٠١ حتى جاءته الأخبار باستيلاء الأطروش العلوي على طبرستان وطرده للأمير صالح منها، فأراد الأمير اسماعيل إصلاح الأمر ولكن أجله لم يمهله. حيث أنه راح ضحية مؤامرة دنيئة من قبل غلمانه الذين هجموا عليه وقطعوا رقبته وكان ذلك يوم الخميس ٢١ من جمادى الأخرى سنة ٣٠١هـ الموافق ليلة ٢٢ أو ٢٤ يناير سنة ٩١٤م، وسمي بالأمير الشهيد[2].

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٣٦. أرمنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ص١١٢. بارتولد: تركستان، ص٣٥٤. قحطان عبد الستار الحديثي: الدلة العربية في العصور المتأخرة، ص٢٥٧.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٢٥، ١٣٦. والكرديزي: زين الأخبار، ص٢٣٩. أرمنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ص١١٣.

تولى الأمير السعيد أبو الحسن نصر بن أحمد بن اسماعيل مقاليد الحكم بعد مبايعة أصحاب أبيه له وهو في الثامنة من عمره، كما تولى تدبير أمور الدولة أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني، فأحسن سياسة الدولة، وضبط أمورها إلا أن تنافس أمراء البيت الساماني للوصول إلى الحكم قد سبب بعض الاضطرابات في بداية الأمر، فكانت محاولة عم أبيه اسحاق بن أحمد الاستقلال بسمر قند وذلك بمؤازرة بعض أفراد اسرته باعتباره أكبر أفراد الأسرة سناً، وكذلك محاولة ابنه أبي صالح منصور بن اسحاق الساماني الاستيلاء على نيسابور وبعض مدن خراسان، ولكن الأمير نصر بن أحمد استطاع أن يضع حداً لهاتين الثورتين، ويعيد إلى دولته البلاد التي وقعت في حوزتها[1].

. ثم جاء تمرد الولايات الأخرى وأراد حكامها الاستقلال بولاياتهم فخرج كل واحد منهم بناحيته فخرج عن طاعة السعيد أهل سجستان وصاحب طبرستان وغيرهم من القادة الذين اتخذوا من مدن خراسان قاعدة لمحاربة الدولة السامانية إلا أن السعيد انتصر عليهم جميعاً وظفر بهم وكان الأمر بخلاف ما ظنه القوم، وطالت مدة حكمة ثلاثين عاماً وبالنظر إلى هذه الثورات والحركات التي قامت في عهد الأمير نصر بن احمد ندرك مدى الاخطار التي كانت تحيط بدولته، وبانتهاء عصره انتهى عصر القوة بالنسبة للدولة السامانية[2].

وعندما تولى ابنه نوح بن نصر الحكم لم تهدأ الولايات السامانية من الاضطرابات السياسية بل زادت إلى حد ما في إقليم خراسان وذلك لكثرة الطامعين في ولاية هذا الإقليم، كما اتخذ بعض القواد من خراسان مركزاً لمحاربة الدولة السامانية، وكان هذا مثار اهتمام الأمير نوح بن نصر وفي سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٢م خرج إلى مرو ومنها إلى نيسابور حيث بقي فيها خمسين يوماً يتابع الأحداث السياسية ويتفقد أحوال الرعية هناك، وفي أثناء إقامته في نيسابور، اشتكت الرعية من سوء خلق أبي علي الصغاني[3]. ومن طول يد توابه، فعزله الأمير وأجلس مكانه إبراهيم ابن سيمجور، إلا أن أبا علي لم يرضَ بهذا الوضع وسبب ذلك أنه كان من الذين كافحوا من أجل وصول الأمير نوح بن نصر إلى الحكم فحاول باتصالاته بالأمراء

---

(١) النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٢٧ الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٣٩، ٢٤٠ أرمنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ص١١٣.

(٢) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٤٣و ٢٤٤. أرمنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ص١١٤و ١١٥ قحطان الحديثي: الدولة العربية في العصور المتأخرة، ص٢٦٤و ٢٦٥.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٢٩. أرمنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ص ١١٥

والقادة تبرير عصيانه، فبعث برسالة إلى الأمير ابراهيم بن أحمد عم نوح يخبره بأنه عقد له الرياسة وأخذ له البيعة على أصحابه على أن تكون إليه ولاية خراسان[1].

هذا ما جعل ابراهيم بن أحمد الساماني يتحالف مع أبي علي لمحاربة ابن أخيه نوح فوضعا أيديهما معاً على خراسان ثم توجها بقواتهما إلى بخارى فدخلاها سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م، وأمر ابراهيم بقراءة الخطبة، باسمه في كل مكان، في حين ترك نوح بخارى ولجأ إلى سمر قند، وكاد يفقد عرشه على وجه اليقين لولا أن حالفه الحظ فدب الخلاف بين خصميه، ونتج عن ذلك أن عاد الوئام بين الأمير نوح وعمه إبراهيم من جديد، وبذلك رجع نوح إلى مقر حكمه في بخارى، ثم أسند إمرة خراسان إلى قائده منصور بن قراتكين[2].

وكان على الأمير نوح أن ينهي صراعه مع أبي علي الذي أقام بالصغانيان، فبعث جيشاً من بخارى إلى عقر داره ولم يلبث أن وجد نفسه في موقف عسير وقطع عليه طريق الاتصال ببخارى، حتى لجأ أخيراً في ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م إلى الصلح وبعث أبو علي بابنه إلى بخارى كرهينة، وأما خراسان فقد جهد منصور بن قراتكين عبثاً في استعادة النظام بين العسكر، كما أنه لم يتوقف في رجائه ملتمساً أن يعفيه من هذه المهمة الثقيلة إلى أن توفي عام ٣٤٠هـ/١٥٩م، وعين خلفاً له أبا علي الذي وصل إلى خراسان في ذي الحجة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م. تاركاً صغانيان وترمذ في يد ابنه أبي منصور نصر بن أحمد. وقد استطاع أبو علي أن يعيد النظام إلى خراسان وخوارزم وبدأ الحرب نداً للبويهيين، وانتهت الحرب بعقد صلح مما أثار سطخ نوح فعزل علياً وعين مكانه أبا سعيد بكر بن مالك، ولكن قبل أن يسافر إلى مقر عمله توفي الأمير نو ح عام ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م، فأرسله ابنه عبد الملك إلى خراسان فاستطاع هزيمة أبا علي وإعادة هذا الإقليم إلى السلطة السامانية[3].

حاول الأمير عبد الملك بن نوح إزالة بعض الاضطرابات السياسية في حكومته بتعيين أبي منصور محمد بن عزيز وزيراً له، إلا أن الاضطرابات تجددت من قبل والي خراسان بكر بن مالك الذي عامل الحرس باحتقار وأهمل مطالبهم وأثار حفيظتهم عليه مما أدى إلى

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٤٨. النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٢٩.

(٢) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٤٩، ٢٥٠. أرمنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ص١١٦.
قحطان الحديثي: الدولة العربية في العصور المتأخرة، ص٢٧٧.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٢٩. الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٤٩و ٢٥٠

مصرعه في رمضان عام ٣٤٥/ ديسمبر ٩٥٦م. على يد قائد الحرس البتكين[1]. عند باب قصر الأمير[2].

والبتكين هو مؤسس مملكةغزنة التي ينتسب إليها الغزنويون – ولد في سنة ٢٦٧هـ/ ٨٠-٨٨١م وكان قد بيع كعبد للأمير أحمد بن اسماعيل الساماني، ثم تدرج في حرسه الخاص، واعتقه نصر بن أحمد، ثم اسندت إليه قيادة بعض القوات السامانية في عهد نوح بن نصر إلى أن وصل إلى وظيفة صاحب الحجاب، وبعد وفاة الأمير نوح اكتسب البتكين نفوذاً كبيراً في عهد الأمير عبد الملك بن نوح والذي أدى إلى قتله وإلي خراسان أبي بكر بن مالك كما أشرنا[3].

أراد الأمير عبد الملك بن نوح أبعاد القائد البتكين عن العاصمة، فأنعم عليه بحكم مقاطعة بلخ، وعندما لم يرضَ بذلك عينه قائداً لقوات خراسان، وعندما أراد الاحتفاظ بمنصب صاحب الحجاب أشار على عبد الملك بتقليده منصب قيادة الجيوش في خراسان لأبي منصور محمد عبد الرزاق، واحتفظ لنفسه (البتكين) بمنصب كبير الحجاب في الحكومة الجديدة في ذي الحجة٣٤٩هـ/ العاشر من فبراير ٩٦١م.

لم يهنأ البتكين بهذا المنصب لأن وفاة الأمير عبد الملك كانت في شوال ٣٥٠هـ/ نوفمبر ٩٦١م مما أدى إلى تطورات في نظام الحكم ببخارى بعد أن تولى منصور بن نوح الحكم في البلاد، وكان البتكين يميل إلى تولية أحد أبناء الأمير السابق الحكم بدلاً من الأمير منصور، ويتبين لنا ذلك من خلال الرسالة المتبادلة بينه وبين أبي علي البلعمي عندما كان يستشيره من

---

(١) البتكين كلمة مركبة من "الب" بمعنى البطل وتكين بمعنى المسمى. والكلمة الأخيرة وصحتها تكين أو تكن أوتين لا تزال تروج كلسم علم بين التركمان، فحين تسأل الواحد منهم عن اسمه مثلاً، يجيبك "أوراز تكين من" يعني "أنا أدعى أوراز" وتجد لفظ تكين ملحق بكثير من الأسماء التركية، مثل قرة تكين، نوشتكين، اينالتكين، سبكتكين بمعنيم تل أو شبيه.

(٢) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٥٦. بارتولد: تركستان،ص ٢٨٢.

(٣) Mohammad Nazim: The life and the times of sultan Mahmud of Ghazha. Cambridge. 1931. P24.

خليل الله خليلي: سلطنة غزنويان، كابل ١٣٣٣ هـ.ش، ص١.

هو الأصلح لتولية العرش بعد وفاة الأمير السابق عبد الملك[1].

وعندما أجمع السامانيون على وجوب تولي الأمير منصور الحكم، عزم البتكين على تدعيم قبضته بحد السيف فبعث رسولاً إلى أبي منصور يعرض عليه التحالف يقول له: "أحكم أحوال خراسان وضع حق الصحبة بين كلينا في مكانها، كما هو اعتقادي فيك"[2].

أراد الأمير منصور أن يتدارك الموقف فبعث برسالة إلى والي خراسان يأمره بمحاربة البتكين ومنعه من عبور نهر جيحون، وعندما أحس البتكين بالخطر عبر النهر وتمرد وقاد حركة العصيان على سيده، وهذا كان واضحاً في تصرفاته كما ذكر الكرديزي. فأشعل النار في المعسكر حتى أحرقه كله ثم خاطب الخواص من غلمانه قائلا انظروا فأمامكم طعن السيوف والسجن والمصادرة، ومن خلفكم القتل والأسر والسيف، ومن الصواب أن نذهب إلى بلخ"[3].

ومن ناحية ثانية أورد صاحب كتاب مجمع الأنساب هذا النص الذي مضمونه أن البتكين عندما أحس بالخطر خرج من مدينة بخارى ومعه المال الكافي والمعدات اللازمة، وكان خروجه تجاه الهند لمحاربةالكفار، وبعد أن أخذ طريقه وبعد منزلين أو ثلاثة استدعى رؤساء الجند وخاطبهم قائلاً: "يا أيها الرجال تعلمون أنني رجل مسن وخدمت ملكين كبيرين وهما الشاه اسماعيل والشاه أحمد، واليوم حيث يجلس طفل على العرش، فمتى تكون للكبار حرمة في هذه الدولة؟ وهم قصدوا قتلي، فلذا لم أر من المصلحة أن أكون عاصياً تجاه سيدي وألا أرفع السيف في وجهه، لهذا عزمت على أن أمضي بقية عمري في محاربةالكفار. فلعلها تكون

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٥٨ نظام الملك: سياست نامة، ص١٤٨.
مير غلام محمد غبار: أفغانستان درمسير تاريخ –كابل– الطبعة الأولى – ١٣٤٦ هـ.ش،ص ١٠٤.
Mohammad Nazim: the life and the times. p. 25

(٢) أبو عمر ومنهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد بن مونهاج الدين عثمان الجوزجاني (المعروف بقاضي منهاج سراج، طبقات ناصري، الجزء الأوله به مقابلة وتصحيح وتحشية وتعليقات عبد الحي جيبي قندهاري.
قندهار ١٣٢٨هـ.ش، ص٢٥٢. نظام الملك: سياست نامة، ص١٤٨.

(٣) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٥٩. الترشخي: تاريخ بخارى، ص١٣٢.
Nazim: the life and the time. p. 25

لي الشهادة وإذا تيسر لي الفتح فإنني أنوي أداء فريضة الحج"[1].

ومن هذا النص يتضح لنا أنه كان ينوي البعد عن المشاحنات حول قيادة السلطة في بخارى، ولكن الأمير منصور أراد إخضاع هذا القائد الثائر لسلطان دولته، فأرسل إليه جيشاً، وتقابلا معاً في منتصف ربيع الأول ٣٥١هـ (ابريل ٩٦٢)، فانتصر البتكين على جيش الأمير، وأسر قائد الجيش وعدداً آخر من القادة المهمين، ولكن البتكين أحسن معاملتهم في اليوم التالي وأخلع عليهم وأطلق سراحهم وحمل القائد رسالة إلى الأمير منصور يقول فيها: إنني لن أعود إلى بخارى بأي صورة من الصور وسوف أقوم بخدمتكم من بعيد"[2].

ثم رحل البتكين من خراسان إلى غزنة وفي طريقه استولى على عدة مدن في المنطقة وأقر فيها العدل، وعندما أراد اجتياز غزنة ليذهب إلى الهند منعه حاكمها لويك[3]. أو لاويك من المرور منها، فما كان من البتكين إلا أن حاصر غزنة واستولى عليها من حاكمها الساماني، ثم تمكن بعد ذلك من الاستيلاء على زابلستان وبست وكابل وأطرافهما بل أضاف ممالك أخرى كثيرة إلى غزنة حتى أرسى فيها قواعد لملكته ولما وصل خبر انتصار البتكين إلى الأمير منصور صالحه على أن تصير له نيسابور على خراج سنوي قدره خمسون ألف دينار يؤديه سنوياً، ولكن البتكين لم ينعم بهذه الانتصارات طويلاً وبمملكته الجديدة لأنه توفي في ٢٠ من شعبان ٣٥٢هـ/ الموافق ٢٣ سبتمبر ٩٦٣[4].

وخلف البتكين ابنه أبو اسحاق ابراهيم الذي كان قائداً لجيوش خراسان في الحكم

---

(١) محمد بن علي بن محمد شبانكاره: مجمع الأنساب – به تصحيح مير هاشم محدث تهران ١٣٦٣هـ.ش، ص٢٩، ٣٠.

(٢) Nazim: the life and the times. p. 26.

شبانكاره: مجمع الأنساب، ص٣٠.

(٣) ورد كذلك اسم انوك ومعناه بالتركية: شبل، ضبع، ذئب، كلب. خليل الله خليلي: سلطنت غزنويان، ص٣.

(٤) نظام الملك: سياست نامة، ص١٥٤.

شبانكاره، مجمع الأنساب، ص٣١.

C.E Bosworth: The Ghaznavids their Empire in Afghanistan and Eastern Iran 999-1040.
Edinburgh 1936. p. 37.
Nazim: the lkfe and the times. p. 26.

الساماني، غير أنه لم يستطع السيطرة على مقاليد الحكم في غزنة لأنه كان ضعيف الشخصية، ولما ثار عليه أهل غزنة، استفاد من ذلك أبو علي لاويك فزحف بعسكره نحو غزنة، وعندما لم يستطع أبو اسحاق ابراهيم مقاومته هرب إلى بخارى مستعيناً بالأمير منصور بن نوح، فأمده بجيش مكنه من استرداد غزنة سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، ففرح أهل غزنة برجوعه إليهم، ومن ثم استرد قوته مرة أخرى، إلا أنه بعد فترة قصيرة من توليه العرش توفي في ٢٧ شوال سنة ٣٥٤هـ (٢٦ من سبتمبر٩٦٥م) بعد أن حكم هذه المملكة مدة أربع سنوات[١] .

وعندما توفي الأمير أبو اسحاق، اجتمع الأعيان وقادة المملكة وأجمعوا على انتخاب أمير لهم ولقد كان من بين قادة الترك التابعين لالبتكين تركي كان محل عنايته ورعايته وكان نائبه العام في قيادة الجيش وهو القائد بلكاتكين، وعندما وقع عليه الاختيار لإدارة المملكة كان أول عمل قام به أن بعث برسالة إلى بخارى ليقدم ولاءه للدولة السامانية ولأنه انتخب بالاجماع من الغلمان[٢].

ويسجل الشبانكاري في كتابه مجمع الأنساب، أن فائقاً كان أميراً ونائباً عند نوح بن منصور عندما وصلت رسالة بلكاتكين إلى البلاط الساماني، وكان يحقد كثيراً على نفوذ الأتراك لكونهم مستقلين تماماً في غزنة، فعندما دعاه إلى المشورة بما حصل في مملكة غزنة، أشار على الأمير بإرسال جيش للقضاء على بلكاتكين هناك، فأرسل جيشاً من بخارى لاستعادة هذا الجزء من الأتراك، إلا أن بلكاتكين هزمهم ومن بعدها لم ترسل جيوش مرة أخرى من بخارى إلى هذه الأجزاء من ممتلكات الغزنويين، في فترة حكم بلكاتكين الذي استمر قرابة عشر سنوات، فلما توفي عام ٣٦٤هـ/٩٧٥م، احتفظ بالسلطة غلام أخر لالبتكين واسمه بيري أو بيرتيكين لمدة عامين، اعتبر نفسه أيضاً حاكماً من قبل السامانيين، ولكنه في حكمه لم يلتزم بالنظر في مشاكل الأهالي وانصرف إلى حياة اللهو والشراب، وسرعان ما

---

(١) الجوزجاني: طبقات ناصري: ج١، ص٣٦٨ شبانكاره: مجمع الأنساب، ص٣١، ٣٢.
Bosworth: the Ghaznavids. p. 38

خليل الله خليلي: سلطنة غزنويان، ص٣و٤
Nazim: The life and the times. p. 26.

(٢) شبانكاره، مجمع الأنساب، ص٣١٢. خليل الله خليلي: سلطنة غزنويان، ص٤.
Botworth: the Ghaznavids. p. 38.
Nazim: The life and the times. P 27

أصبح مكروهاً من رعاياه الذين دعوا أبا علي لاويك ليكون ملكاً عليهم، ولكن لمهارة ومكانة سبكتكين بين الأهالي استطاع هذا القائد إنقاذ هذه المملكة من احتلال الغزاة، فلذا قرر الجنود عزل بيريتكين من الحكم عام ٣٦٦هـ/٩٧٧م. واختيار سبكتيكين مكانه، وقد كان سبكتكين يملك النفوذ والتأييد من الأهالي في توليه الحكم، ولكنه التزم في بداية الأمر دور النصح والمشورة لهذا القائد. وكذلك دور المراقب للتطورات السياسية التي كانت ستطرأ على هذه المملكة في أثناء حكمه، وعندما وجد الوقت مناسباً للتدخل، اختاره عامة الشعب لمواصلة المسيرة وهذا ما سنعرفه من خلال كفاحة هو وابنه محمود من أجل تأسيس الدولة الغزنوية في غزنة وخراسان(١).

ثانياً: دخول خراسان في حوزة الدولة الغزنوية:-

دخلت خراسان في حوزة الغزنويين بعد أن سادت الفوضى أحوال هذا الإقليم نتيجة تولي بعض الولاة المنشقين الذين كانت لهم الأطماع الخاصة تجاه أملاك الدولة السامانية، وكان من أهدافهم أيضاً الوشاية بالقادة المخلصين فحدث ما حدث من الخلاف بين الأمير منصور بن نوح وكبير حجابه البتكين وهم يبغون بذلك أن يصفو لهم الجو ليتلاعبوا بالأمراء الضعاف الذين جلسوا للحكم في بخارى ولكن البتكين ترك خراسان بما له من الضياع والأموال الطائلة التي كان يملكها(٢). أملاً أن يسود هذا الإقليم الأمن والأمان بدلاً من الفوضى والاضطرابات وعدم الاستقرار إلا أن الدولة السامانية بقيادة منصور بن نوح أرادت ملاحقة البتكين في تمرده، فانتهز ركن الدولة هذه الفرصة وتمكن من احتلال

(١) شبانكاره، مجمع الأنساب، ص٣٢-٣٣،٣٤.

Nazim: The life and the times. p. 27.
Bosworth: the Ghazavids. p. 38. 39

خليل الله خليلي: سلطنة غزنويان، ص٤، ٥، ٦

بارتولد: تركستان، ص٣٩٨.

(٢) وكانت أموال البتكين في خراسان وما وراء النهر عبارة عن "خمسمائة ضيعة في خراسان وما وراء النهر ولم تكن ثمة مدينة إلا وكان له فيها قصر وبساتين ومحطات قوافل وحمامات ومستغلات كثيرة فضلاً عن مائة ألف رأس غنم ومائة ألف حصان وبغل وجمل"

نظام الملك: سياست نامة، ص١٥١.

طبرستان وجرجان[1].

أما خراسان فقد وصل بها الضعف أيام أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور لدرجة أن السامانيين عقدوا صلحاً مع البويهيين بدلاً من الدخول معهم في حروب جانبية لإعادة الأقاليم التي ضاعت منهم، ووافقوا على أن يدفع لهم البويهيون مبلغ (٢٠٠) ألف دينار سنوياً، وبذلك فقد السامانيون ولاياتهم الغربية والجنوبية الغربية، ولم يستطع الأمير منصور من التوسع وإعادة نفوذه إلى تلك الولايات بسبب قوة البويهيين من جهة وتغلغل نفوذ الأتراك داخل الأجزاء الشرقية والوسطى من الدولة الإسلامية من جهة أخرى[2].

فكل هذه الاعتبارات لعبت دوراً كبيراً في الدولة السامانية وسقوطها في النصف الثاني من القرن العاشر/ الرابع الهجري، وكان لظهور القوتين الحاكمتين القراخانية في الشمال من نهر جيحون والغزنويين في الجنوب أثره في سقوط هذه الدولة في سنة ٣٨٩/٩٩٩م[3].

فعندما تولى نوح بن منصور الحكم ازدادت الاضطرابات الداخلية فحال بينه وبين الاستقرار في بخارى، ولم يلبث أن غادرها بمجيء بغراخان (والد قدرخان) إلى عاصمته وهو الذي استولى على خزائن الدولة وذخائرها النفيسة، وبهذه السيطرة انتقل الحكم للقراخانيين فترة قصيرة، لولا تدهور صحة هذا الخان ومرضه لما غادر بخارى وعندما أراد المغادرة استدعى عبد العزيز بن نوح بن نصر الساماني وخلع عليه وقال له: "سمعت أنهم اغتصبوا ولايتك وها أنذا أعيدها إليك لما أعهده فيك من الشجاعة والعدالة وحسن السيرة، فلتكن على ثقة بأني سأكون عوناً لك كلما دعت الحاجة إلى العون والمساعدة". وعاد الخان إلى سمرقند،

---

(١) أبو علي أحمد بن محمد المعروف بمسكوية: كتاب تجارب الأمم، الجزء الثاني القاهرة، طبع بمطبعة شركة التمدن "الصناعية سنة ١٣٣٣هـ - ١٩٥١م. ص١٩٠.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٥٤٢.

(٢) The Cambridge Hisory of Iran - volume 4- the period from the Arab Invasion to the Saljuqs - edited by: R.N. Frye. Combridge chapter 5" The Early Ghaznavids" by C.E. Bosworth. p. 163.

(٣) Ibid. p. 163, 164.

وهناك اشتد عليه المرض حتى توفي[1].

ولما عاد الأمير نوح بن منصور إلى بخارى في يوم الأربعاء من منتصف جمادى الآخرة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م قبض على عمه عبد العزيز واعتقله، ثم ملا عينيه بالكافور حتى أعماه. وبعد أن استقر الأمير نوح ببخارى، وجاوز أبو علي سيمجور الحد في الظلم والاستهتار بتحالفه مع فائق الخاصة ضد الدولة السامانية وأميرها وهنا اتجهت نيته إلى سبكتكين أمير غزنة، فبعث إليه رسالة ليقدم له يد العون في صراعه مع أبي علي وفائق[2].

فسبكتكين من مواليد سنة ٣٣١هـ/٩٢-٩٩٣م، وكان أبوه جوق رئيساً لولاية صغيرة في تركستان، وعندما وقعت حرب بين قبيلته وقبيلة مجاورة وقع أبو منصور سبكتكين أسيراً لديهم ولم يكن حينذاك يتجاوز الثانية عشرة من عمره، وبعد أن ظل أسيراً في تلك القبيلة لمدة أربع سنوات بيع كعبد لنصر الحاجي، واضطر نصر لتركه في نخشب لمدة ثلاث سنوات، وخلال هذه المدة تمكن سبكتكين من تعلم فنون القتال والفروسية فأعجب به نصر وجعله قائداً على العبيد، ثم جلب سبكتكين مع مجموعة من العبيد إلى بخارى، واشتراه البتكين حاجب الحجاب للأمير عبد الملك، وكان البتكين ميالاً له مما جعله يرقيه بسرعة إلى مراتب عالية بدون

---

(١) أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي: تاريخ البيهقي، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب والأستاذ صادق نشأت، بيروت، ١٩٨٢، ص٢١٤.
الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٧١.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢١٥.
الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٧١.
الجوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص ص ٢٥٣،٢٥٤.

أن يجتاز التدرج المعتاد في خدمة العبيد[1]. وبعد وفاة البتكين أصبح سبكتكين حاجب الحجاب أكثر الضباط ثقة لدى أبي اسحاق ابراهيم وتزوج من ابنة البتكين[2].

وأثناء سنوات تحكم بلكاتكين وبيري استمر سبكتكين يتمتع بعزةالنفس والكرامة والشرف إلى أن وافق الأعيان بإجماع الآراء عليه واعتلى العرش يوم الجمعة ٢٧ من شعبان سنة ٣٦٦ هـ الموافق ٢٠ من أبريل ٩٧٧م[3].

وفي غضون السنة الأولى أو السنتين بعد توليه الحكم، ضم سبكتكين بست وقصدار (شمال شرق بلوخستان). إلى ممتلكاته ونتيجة للحملة على بست بارك له هذا النصر أحد أعظم أنباء بست وهو أبو الفتح السبتي والذي كان من قبل كاتباً ومعاونا لبايتوز وانضم بعد ذلك إلى خدمته وتولى إنشاء ديوان القضاء للغزنويين. ثم وجه سبكتكين حملاته إلى الهند، وكان يحكم على الأراضي الواقعة من دامغان إلى نهر شيناب جيبال الذي ينتمي إلى سلالة الهندوشاهي الحاكمة، وبهذا وجه سبكتكين كل القوى ضد الهنود وابقاء سلطته في عاصمته غزنة وهذا الذي جعل منه قوة في السياسة الداخلية للدولة السامانية التي بدأت تنهار نتيجة لتمرد الكثير من الحكام والولاة ضد هذه الدولة المترامية الأطراف، وعلى أيه حال أبقى

---

(١) كان التدرج الوظيفي في بلاط السامانيين بالنسبة للعبيد على هذا النحو-

أ- سنة كاملة لا يسمح له فيها بركوب الخيل سراً أو علانية وإذا ما فعل يعاقب وعليه خدمة الركاب العالي راجلاً.

ب- وحين تنقضي السنة يكلم رئيس عنبره الحاجب في أمره فيخبر الحاجب الملك فيأمر له حينئذ بمهر تركي بسرج غير مدبوغ ولجام جلدي عادي. وبعد خدمة سنة بمهر وسوط فقط، يعطى في السنة الثالثة سيفاً معقوفاً يشده على وسطه، ويعطى في الرابعة جعبة وكنانة سهام يرتديهما عندما يمتطي جواده. أما في الخامسة، فيعطى سرجاً أحسن ولجاماً مكوكباً وقباء ودبوساً وفي السادسة، يولى السقاية ويوكل بالماء فيعلق في وسطه قدحاً وفي السابعة، يوكل باللباس. وفي الثامنة يعطى خيمة من عمود واحد في ستة عشر وتداً، ويضاف إلى فوجه ثلاثة غلمان صغار ممن اشتراه حديثاً ويلبس قلنسوة لباد سوداء محلاة بخيوط فضية وقباء جنزياً، وهكذا يظل يزداد في ألبسته وآلاته وعدده وعدد أفراده ومقامه سنوياً إلى أن يصبح قائد فوج، ثم يصبح محط أنظار صحبه ومحباً لمولاه ينبغي الا يولي الامارة أو الولاية مالم يبلغ الخامسة والثلاثين أو الأربعين من عمره. نظام الملك الطوسي: سياست نامة، ص١٤٤، ١٤٥.

(٢) Nazim, M., The life and times of Sultan Mahamud of Ghzana (Cambridge 1931. pp. 28.29).

الجوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص٣٦٧، ٣٦٨.

شبانكاره: مجمع الأنساب، ص٣٧.

(٣) Bosworth: The Ghaznavids p. 40.
Cambridge History of Iran. p. 29.

سبكتكين على واجب الاحترام للأمير نوح وقام بمساعدته على سحق التمرد والعصيان عندما طلب منه العون والمساعدة كما أشرنا(١). فأسرع بقواته فوق ممرات الجبال وتقدم إلى هراة حيث احتشد المتمردون في قوة ضده، وفي بداية الأمر تمكن سبكتكين من التفاوض مع أبي علي وفائق، واستطاع أن يقنع أبا علي سيمجور من المصالحة مع الأمير ودفع الأموال المقررعليه ومقدار خمسة عشر ألف ألف درهم. إلا أن هذا الاتفاق لم يتحقق لأن أبا علي نقض الاتفاقية فهاجمه سبكتكين وابنه محمود بنواحي هرارة في ١٥ رمضان سنة ٣٨٤هـ الموافق ٢٣ اكتوبر سنة ٩٩٤م، ودارت الدائرة على أعداء الدولة السامانيةوسار نوح وسبكتكين إلى هراة، واستعمل الأمير نوح على نيسابور محمود بن سبكتكين مع إعطائه قيادة جيوش خراسان ولقبه سيف الدولة، كما لقب أباه ناصر الدين والدولة، وعاد الأمير نوح ظافراً على أعدائه إلى حاضرة دولته بخارى، بينما بقي سبكتكين في هراة، وأقام محمود في نيسابور(٢).

على أن أبا علي وفائق لم يركنا إلى الهزيمة، فعزما على استرجاع خراسان من الغزنويين وفي ربيع الأول سنة ٣٨٥هـ/ ابريل ٩٩٥م علماً أن سبكتكين قد ترك محموداً في نيسابور في قلة من الرجال وبدون موارد كافية، فهاجماه ولكن محمود أخلى نيسابور وعسكر على بعد ثلاثة أميال خارج المدينة في انتظار التعزيزات من أبيه، ولكن أبا علي وفائق اشتبكا معه في معركة أدت إلى هزيمة محمود واستوليا على نيسابور وغنما غنائم كثيرة من ضمنها الفيلة(٣).

---

(١) Nazim: The life and the times. p. 29
Bosworth: The Ghaznavids. p. 43.
The Cambridge Histroy of Iran. p. 166.

(٢) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص ص ٢٥٤و٢٥٥
العتبي: تاريخ اليميني، ج١، ص ص ١٨٠ – ١٩٩.
الكرديزي: زين الأخبار، ص ص٧٢، ٢٧٣
بارتولد: تركستان، ص٣٣٩.
Nazim: The life and the times. p. 30, 31.

(٣) العتبي: تاريخ اليميني، ج١، ص٢٠٥
الجوزجاني: طبقات ناصري، ص٢٥٥.
Nazim: The Life and the times. P. 31.
بارتولد: تركستان، ص ص ٣٩٩و ٤٠٠

أسرع سبكتكين لمساعدة ابنه محمود فجمع جيشاً كبيراً وسار نحوهم، والتقى بهم في طوس في ٢٠ من جمادى الثانية سنة ٣٨٥هـ الموافق ٢٢ يوليو سنة ٩٩٥م واقتتلوا يوماً كاملاً وأنجد محمود أباه بعسكر كثيف، وهزم الأعداء وقتل منهم خلقاً كثيراً، كما أسر منهم أعداداً كبيرة، ومنهم القادة، ثم تبادل الأسرى بالفيلة التي سبق الاستيلاء عليها أثناء هجوم الأعداء على نيسابور. بينما لاذ أبو علي وفائق بالفرار. وبذلك أمنت الدولة السامانية شر هذا العصيان بفضل جهود وإخلاص سبكتكين وابنه محمود[1].

أراد أبو علي العفو من الأمير نتيجة للأخطاء والمظالم التي حصلت منه أثناء حكمه لخراسان فبعث برسالة إلى الأمير نوح يلتمس العفو عنه فأجابه الأمير إلى طلبه شريطة أن يفارق فائقاً وأن يذهب إلى خوارزم، فانصاع أبو علي للأوامر فذهب إلى خوارزم، وفي تلك الأثناء هاجم أبو عبد الله قوات أبي علي قرب هزار أسب وشتتها وأخذ أبا علي أسيراً عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م، وهنا حصلت مواجهة بين المأمون بن محمد أمير كركانج وخوارزمشاه بسبب الأسير أبي علي واستطاع المأمون أن يخلص أبا علي من الأسر ومن ثم يكاتب الأمير نوح يتشفع في أبي علي ويسأله الصفح عنه فسمح له بالرجوع إلى بخارى حيث قوبل باحتفال كبير من جانب الوزير عبد الله بن عزيز والحاجب بكتوزون وغيرهما من الأعيان واستقبله نوح في دار الإمارة غير أنه لم يلبث أن اعتقل فيما بعد بأمر من الأمير نوح بقلعة بخارى هو وثمانية عشر فرداً من أخوته وأصحابه[2].

أما فائق فقد وجد نفسه وحيداً عندما رفض الأمير نوح رجاءه بالعفو عنه فعزم على أن يجتاز ما وراء النهر دون موافقة الأمير نوح فأرسلت ضده قوة بقيادة الحاجب بكتوزون لحقت به في نسف، ولكن لم يجر قتال بين الطرفين، وتمكن فائق من بلوغ أراضي القراخانيين حيث وجد هناك الضيافة والإكرام، ووعده أيلك خان أن يعيده إلى سابق عزه، فتشفع له لدى الأمير نوح وأعطاه ولاية سمرقند إلا أن فائقاً كان يضمر الحقد والكراهية للدولة السامانية فظل يلح على ايلك خان من مهاجمة بخارى، فعندما سمع الأمير نوح بهذه الأخبار لجأ المرة

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٧٣.
الجوزجاني: طبقات ناصري، ص٢٥٥.

(٢) العبي: تاريخ اليميني، ج١، من ص٢١٩-٢٣١.
Nazim: The life and The Times p. 31.
بارتولد: تركستان، ص٤٠٠

الثانية إلى طلب العون من سبكتكين الذي جاء على رأس قوةكبيرة، وعسكر سبكتكين بين كش ونسف وكتب إلى نوح يستعجله اللحاق بجشه لمناهضة عدوه، غير أن الوزير عبد الله بن محمد عزيز نصح الأمير بأنه ليس من الصواب لرأس الدولة السامانية أن ينضم إلى جيش سبكتكين القوي بالقوات البائسةالموجودة تحت إمرته لأن في هذا تحقيراً للعرش، فلهذا اعتذر الأمير نوح عن القدوم بنفسه، فوجد سبكتكين نفسه مهيأ لإرسال قوة من عشرين ألف رجل إلى بخارى تحت قيادة ابنه محمود وأخيه بغراجق لتسليمه الوزير وتعيين وزير من أنصار سبكتكين وهو أبو نصر أحمد بن محمد بن أبي زيد، واستجابة لرغبة سبكتين سلمه الأمير الوزير أبا علي وحاجبه ايلمنكو وجمعا آخر سيقوا إلى قلعة كردين، وعقد سبكتكين صلحاً مع القراخانيين تم بموجبه أن يكون الحد الفصال بين أملاك الدولة لسامانية وأملاك القراخانيين مفازة قطوان، وبهذا بقي جميع حوض نهر سيحون في يد القراخانيين[1].

هذا وظل سبكتكين بطبيعة الحال الحاكم المطلق على جميع الولايات الواقعة جنوبي نهر جيحون ولم يعد للأمير نوح سيطرة على مجريات الأحداث بخراسان، أما الأمور في بلاد ما واء النهر فقد جهد الوزير أبو نصر حليف سبكتكين في إعادة الأمور الى نصابها باستعمال الشدة إلا أن هذا الأسلوب لم ينجح في تلك الفترة التي كانت فيها الدولة السامانية فقدت كل أملاكها بعد التقسيم الذي أشرنا إليه. فلذا قتل هذاالوزير على يد غلمانه بعد خمسة أشهر من توليه السلطة بأمر من الأمير نوح،وعندما أراد أن يخفي جريمته نكل بهؤلاء الغلمان مخافة أن يتهمه سبكتكين بتلك الجريمة، فبعث رسولاً إليه يرجوه تعيين خلف للقتيل، فوقع اختياره على أبي المظفر محمد بن ابراهيم البرغشي الذي ظل يشغل منصب الوزارة حتى وفاة نوح في يوم الجمعة ١٤ رجب عام ٣٨٧هـ الموافق ٢٣ يوليو عام ٩٩٧م[2].

وبموته يمكن القول أن الدولة السامانية سقطت فعلاً ذلك لأن ابنه ووريثه أبا الحارث منصور بن نوح وقائد قواته التركي بكتوزون لم يعد لديهما القدرعلى مواجهة حملة القراخانيين على بخارى ومقاومتها، كما استقرت الدولة الغزنويةبقيادةمحمود بن سبكتكين

(١) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص٢٥٦.

Nazim:The life and the times. p. 31.32

بارتولد: تركستان، ص٤٠١.

(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ج١، ص٢٥٥.

بارتولد: تركستان، ص٤٠٢.

بعد حرب دامت سبعة أشهر مع أخيه اسماعيل الذي عينه والده خلفاً له قبل وفاته بقليل خلافاً للعرف والاتفاقيات السابقة بالنسبة لتولية العهد بعد سبكتكين حيث أن الجميع كان يعلم أن الذي يخلفه هو ابنه الأكبر محمود وكانت وفاته يوم ٩ أغسطس ٩٩٧ م – شعبان ٣٨٧هـ(١)

أما أبو القاسم محمود بن سبكتكين فقد ولد في التاسع من المحرم سنة ٣٦١هـ – الموافق الأول من نوفمبر سنة ٩٧١م. وكانت أمه ابنة لأحد أعيان زابلستان حتى أن محموداً كان يسمى بمحمود الزابلي– تلقى تعليمه العلمي المعتاد كأمير شرقي تحت رعاية وإرشاد معلمه القاضي أبي علي، حيث ثقفه جيداً في العلوم الدينية المختلفة، كما حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ولم يهمل الجانب السياسي في تعليمه، فقد علمه أبوه سبكتكين مبادئ الحكم الناجح وأسسه، كذلك اكتسب محمود خبرة عظيمة في أعمال الإدارة. ويذكر أنه عندما ذهب سبكتكين للحرب في بست ترك ابنه محموداً وكان حينئذ مجرد طفل في السابعة من عمره نائباً له في غزنةمع وزيره أبي علي كرماني، وبعد سنوات قليلة أسند إليه حكم مقاطعة زمين داور(٢).

وكصبي أبرز نفسه في أحدى الحملات العسكرية التأديبية ضد الغور وكان عمره خمس عشرة سنة حيث قام بدور بارز في معركة قرب دامغان بين أبيه وجيبال سنة ٣٧٦هـ (٦–٩٨٧م). وسجن محمود في قلعة غزنة بضعة أشهر نتيجة جفوة سببها بعض الحاقدين بينه وبين أبيه سنة ٣٨٠هـ (٩٠/٩٩١م) ولكن سوء الفهم هذا لم يطل عمره فأطلق أبوه سراحه واسترد مكانته في المملكة، وبعد سنوات قليلة وفي سنه ٣٨٤هـ (٩٩٤م). حارب محمود بجانب أبيه ضد فائق وأبي على سيمجور فأظهر مهارة ملحوظة كمقاتل وقائد حتى منحه الأمير نوح لقب "سيف الدولة" وعينه قائداً للقوات الخراسانية بدلاً من أبي على سيمجور كما أسلفنا(٣).

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص ص ٢٧٦، ٢٧٧

Nazim: The life and the times P. 39.

(٢) الجوزجاني: طبقات ناصري، ج١، ص٢٧٠، ذكر أن محمودا ولد في ليلة عاشوراء سنة ٣٧١هـ. خليل الله خليلي: سلطنت غزنونيان، ص٢٠.

(٣) Nazim: The life and the times. p. 36.

خليل الله خليلي: سلطنت غزنويان ص٢٠، ٢١.

أما عن الخلاف الذي نشأ بين الأخوين اسماعيل ومحمود بعد وفاة أبيهما فإنه جاء نتيجة للأحداث التي سبقت وفاة سبكتكين بفترة قصيرة عندما عين اسماعيل كنائب عنه في مقاطعات غزنة وبلخ، وجعل سبكتكين الأعيان يقسمون له يمين الولاء، ثم عهد إليه والده برعاية أسرته وحاشيته، ويرجع بعض المؤرخين إعطاء سبكتكين الحكم من بعده لابنه اسماعيل لأنه كان حفيد البتكين من ابنته فأراد سبكتكين بهذا التعيين تكريم سيده القديم، ثم عمل اسماعيل بتوصية ابيه فذهب إلى بلخ ونادى نفسه ملكاً كما أعلن الولاء والطاعة للأمير أبي الحارث منصور بن نوح الساماني، وسعى لكي يضمن ولاء جنوده بأن وزع عليهم الأموال حتى يقفوا معه في الصراع مع أخيه محمود[1].

ومن الصعب التأكد من الاعتبارات التي دفعت سبكتكين إلى تعيين اسماعيل مفضلاً إياه على محمود كخليفة له، ربما يكون قد أثرت فيه صلة اسماعيل بالبتكين أو لأنه وقف إلى جانبه وهو على فراش الموت في غياب ابنائه الثلاثة الآخرين، ولكننا لا ننكرأن سبكتكين أظهر نقصاً في بعد نظره السياسي في خليفته للمستقبل وكذلك في توهمه بأن محموداً وهو الابن الأكبر والأكثر مرونة سوف يقبل أن يتمتع أخوه بالحكم بعد أن ضمن حكم مقاطعات كل من بلخ والعاصمة غزنة[2].

ولم يرضَ محمود بهذه التسوية، فكان يرغب في الحصول على مطالبه في الحكم دون حرمان أخيه اسماعيل من نصيبه من الميراث، وعندما تلقى أخبار وفاة أبيه، ارسل محمود أبا الحسن الحامولي إلى اسماعيل برسالةمؤاساة مؤكداً فيها حبه له واستعداداه لأن يسلم له مقاطعة بلخ أو خراسان إذا هو تنازل عن غزنة مقر الحكم حسب توصية والده له بتوليه العهد من بعده، وأكثر من ذلك فإن محموداً لم يكن لينازع في وصية والده الجديدة لو أن اسماعيل كانت لديه الخبرة المطلوبة في الحرب والإدارة[3].

رفض اسماعيل هذا الاقتراح، وعندما تعقد الموقف، حاول أبو الحارث فريغوني حاكم جوزجان وحمو محمود حل خلافهما بالتفاوض، ولكن اسماعيل شك في عرض الوسيط، ولم

---

(١) Bosworth: The Gaznavids. p. 44
Nazim: The life and the times. p. 38.

(٢) The Cambridg History of Iran (The Early Ghaznavids) P.168.
Nazim; The life and times. p. 38.

(٣) Ibid p. 38. 39.

يعط آذاناً مصغية لهذا الاقتراح، لذلك زحف محمود إلى غزنة، لينفذ مشيئته بحد السيف، وقد بذلت مرة أخرى محاولة للتسوية بين الأخوين ولكن اسماعيل رفض ذلك، ثم وقعت الحرب بين الطرفين في ربيع الأول ٣٨٨هـ (مارس ٩٩٨). فانتصر فيها محمود وكسب عرش غزنة، ولجأ اسماعيل إلى احصن ولكن ذلك لم يطل حيث سلم نفسه لأخيه عندما وعده (محمود) أن يعامله معاملة كريمة، وبهذا استمر حكم اسماعيل فترة سبعة أشهر.

نعود ثانية إلى حالة الدولة السامانية وهي في محاقها الأخير ونرى موقف محمود من هذه الدولة بعد أن حل مشكلة تجاه الحكم في غزنة، فإذا بمشكلة أخرى تواجهه بتعيين الأمير منصور بن نوح "بكتوزون" قائداً على نيسابور سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م فاستاء محمود من ذلك وعارض في تفويض قيادة نيسابور إلى بكتوزون، وجهد منصور عبثاً في ارضاء محمود بتعيينه حاكماً على بلخ وترمذ وهراة وبست[1].

فقد أصر محمود على أن يتولى حكم خراسان بأكلمها، واضطر غريمه (بكتوزون) إلى إختلاء نيسابور بقوة السلاح، وحينما وردت الأخبار إلى الأمير منصور غضب على محمود بسبب هذا التصرف فتوجه من بخارى على رأس جيش كبير يصحبه فائق الخاصة لإعادة بكتوزون إلى نيسابور لأنه كان ميالاً إليه أكثر من محمود بن سبكتكين، فلما علم محمود بذلك ترك نيسابور وعاد إلى عاصمته غزنة بالرغم مما كان عليه من مظاهر القوة لأنه لم يكن يريد حرب ولي نعمته، إلا أننا نفهم من رواية البيهقي أن الأمير منصور سار على رأس جيش كبير ومعه فائق وكان يريد أن يحسم هذا الخلاف دون إراقة دماء، فظل الأمير والجيش في مرو عدة أيام، ثم عادوا جميعاً إلى سرخس حيث استقبلهم بكتوزون بجيش كثيف، لمقابلة محمود، ولكن الأمر لم يستقر على رأي وكان الأمير متردداً في تسوية المشكلة مع محمود لدرجة أن بكتوزون فسر تردده بأنه ربما ينوي إلى الاتفاق مع محمود، وأيده فائق فيما ينوي الأمير اتخاذه معهما، وخشيا من أن يكيد لهما فيكون مصيرهما مصير أبي علي، لهذا قرار أن يسبقا منصور في العمل لدرء الخطر عنهما، ففي ١١ صفر ٣٨٩هـ الموافق الأول من فبراير عام ٩٩٩م خلعا الأمري منصور ووكلا به من سمل عينيه وأرسل إلى بخارى وتم إعلان تعيين

---

(١) بارتولد: تركستان ص٤٠٤.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٤٣.

أخيه الأصغر أبي الفوارس عبد الملك خلفاً له[1].

هذه المواقف أتاحت لمحمود أن يقوم بحملات عسكرية ويهزم زعيمي هذه الحركة وهما فائق وبكتوزون في ٣٠ جمادى الأول ٣٨٩هـ الموافق ١٩ مايو ٩٩٩م بالقرب من مرو واستولى على كل خراسان بعد حملات متكررة، كما استطاع أخوه نصر بن سبكتكين الاستيلاء على نيسابور وبنفس الظروف التي توفرت لأبناء سيمجور في مواجهة السامانيين من تأييد الأمراء المحليين دخلت كل من جرجان وغرجستان وانضوت هاتان الإمارتان تحت إمرة السلطان محمود، وبهذه الانتصارات الجديدة أراد هذا السلطان إعطاء دولته وحدودها الجديدة صفة رسمية من قبل الخلافة العباسية، فأرسل السلطان محمود رسالة إلى الخليفةالقادر بالله يشرح له أسباب حروبه الأخيرة مع السامانيين وما استجد بعد استيلائه على خراسان ويجدد ولاءه وإخلاصه لأمير المؤمنين وبذلك كسب تأييد الخلافة على ما ضمه من أملاك الدولة السامانية، هكذا ورث محمود دولة آل سامان وملك ديار خراسان وعلى أثر ذلك بدأ السلطان محمود يعد الترتيبات لإعلان قيام الدولة الغزنوية في غزنة وخراسان والولايات الأخرى التي وقعت في حوزته بعد انهيار الدولة السامانية[2].

وفي هذه الأثناء هرب الأمير عبد الملك وفائق إلى بخارى، ثم انضم إليهما بكتوزون، واجتمع الثلاثة لإنقاذ ما يمكن انقاذه من الأقاليم التي سقطت في حوزة السلطان محمود إلا أن المحاولات كانت غير مجدية لفتح جبهات أخرى ضد السلطان محمود لأن أحد الثلاثة وهو فائق توفي في هذا العام وبذلك فقدت الدولة السامانية أو الأمير عبد الملك أكبر مؤيديه ضد الغزنويين في خراسان، ومن التطورات التي حصلت في هذا العام أن أرسلان أيلك خان وهو أبو نصر أحمد بن علي شمس الدولة خرج إلى بخارى وفي الطريق انضم إليه عدد من الأمراء المحليين وفي يوم ١٠ من ذي القعدة ٣٨٩هـ الموافق ٢٣ اكتوبر ٩٩٩م، استطاع أن يدخل بخارى دون مقاومة وذلك لفتوى علماء الدين بعدم مقاومة القراخانيين لأنهم مسلمون دفاعهم عن الدين، وبدخول القراخانيين بخارى سقط آخر معقل للدولة السامانية، وأسر كل

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي،ص ٧٠٧.
بارتولد: تركستان، ص٤٠٤.

(٢) Bosworth: The Ghaznavids p. 45.
The cambridge Histery of Iarn (The Earlgy Ghaznavids). P. 170.
بارتولد: تركستان، ص ص ٤٠٤، ٤٠٥.

أفراد الأسرة السامانية بما فيهم الأمير عبد الملك وأخوه منصور وكل أقربائهم[1].

ثالثا: الصراع السياسي على سيادة خراسان في العصر الغزنوي:

كان السلطان محمود الغزنوي يسعى إلى تكوين دولة متسعة الأرجاء وكان ذلك واضحاً من كفاحه للاستيلاء على خراسان، وكذلك من خلال الرسالة التي بعث بها إلى الخليفة القادر بالأمر بالله يشرح له سبب دخوله في حرب مع السامانيين ويؤكد تأييده الكامل له ووقوفه إلى جانبه ضد الاضطرابات والحركات التي نشأت بعد انهيار الدولة السامانية، فاهتم أمير المؤمنين الخليفة القادر بالأمر وسرعان ما أرسل إلى السلطان محمود العهد بولاية خراسان وتاجاً ولقبه "يمين الدولة وأمين الملة" وهذا التأييد من جانب الخليفة كان دافعاً قوياً للسلطان محمود على أن يكون خير عون للخليفة ضد المتغيرات التي طرأت على الدولة العباسية أو في الدفاع عن ممتلكاتها، فأول عمل بدأ به السلطان محمود هو أنه ذكر اسم الخليفة القادر بالله في خطبة يوم الجمعة بخراسان، وأحاط نفسه بمظاهر الأبهة والعظمة أكثر مما فعل السامانيون، واستعمل لقب السلطان في دوائر البلاط[2].

لعل هذه الخطوات التي ابتعها السلطان محمود مع استيلائه على إقليم خراسان كان يهدف بها إلى تحقيق الصفة الرسمية لدولته وكذلك كان يطمع في الاعتراف من قبل الخلافة العباسية بحدود دولته الجديدة وأن السلطان محمود كان يسعى منذ توليه قيادة الجيوش الخراسانية وإلى أن ضم هذا الإقليم ولكن لم يتحقق ذلك إلا بسقوط الدولة السامانية سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م. حيث أن السلطان محمود لم يكن يريد القضاء على الدولة السامانية شخصياً لأنه ان يؤيد هذه الدولة ويقف بجانبها ضد أعدائها ولكن ظروف ومسببات التمرد والعصيان المستمرين من قبل الولاة ورجال البلاط جعله يسرع إلى تحقيق مآربه وذلك

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٨١.
بارتولد: تركستان، ص٤٠٧.
برتولدا شبولر: تاريخ إيران درقرون نخستين اسلامي، ترجمة دكتر جوادي فلاطوري، تهران، ١٣٤٩هـ.ش، ص١٩٥.

(٢) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٨١.
بارتولد: تركستان، ص ص، ٤٠٤. ٤٠٥.
عباس اقبال: تاريخ إيران، ص ٢٥٧.
عباس پرويز: تاريخ ديالة وغزنويان، تهران ١٣٣٦هـ. ش، ص١٩١.

باستيلائه على أغنى اقليم في المنطقة وهو اقليم خراسان ويعلق المؤرخ بوزورث على هذا الكفاح من جانب السلطان محمود من أجل خراسان قائلاً: "ويضم خراسان أصبح محمود سيداً على اقليم غني ومزدهر، ففي خراسان واحات زراعية غنية، وكانت مدنها مراكز الصناعة والحرف المحلية، ويوجد بها الطرق التجارية الممتدة لمساحة طويلة بين العراق ووسط آسيا، كما كانت خراسان في ذلك الوقت القلب والنبض الفكري والثقافي للدولة الإسلامية في المشرق"[1].

حاول السلطان محمود خلال سنوات حكمه الاثنتين والثلاثين (٣٨٩هـ-٤٢١هـ/٩٩٩-١٠٣٠م المحافظة على هذا الإقليم والدفاع عنه بكل ما يملكه من قوة رغم انشغاله في الجبهة الهندية بحروبه الطاحنة مع راجات الهند، على الرغم من انهيار الدولة السامانية، فإن ابا إبراهيم اسماعيل بن نوح الساماني استطاع الهرب من سجنه من أخذ المعتقلات بأوزكند، ولقب نفسه بالمنتصر، وذهب مختفياً إلى بخارى ومنها إلى خوارزم، وهناك التف حوله بقية قواد السامانيين وجمع غفير من الجند، وفعلاً بهذه القوات استطاع إلحاق الهزيمة بقوات ايلك خان ملك الترك في سمر قند، وغنم مغانم كثيرة، قوي بها شأنه، وشأن اتباعه وأنصاره، ورجع أبو ابراهيم إلى بخارى، واستبشر أهلها بعودته فرحبوا وفرحوا بعودة السامانيين إلى الحكم.

في بداية الأمر لم يستطع ايلك خان دفع هذا الأمير الثائر عن بخارى، على أن هذا الأمير عندما قوي مركزه في بخارى كان يحلم باسترداد البلاد التي كانت خاضعة لبخارى أيام السامانيين فاستولى على أبيورد، وجنى منها أموالاً كثيرة، ثم سار نحو نيسابور التي كانت تحت الحكم الغزنوي وكان أميرها أبو نصر منصور بن سبكتكين في هراة، واستولى المنتصر على نيسابور[2].

على الرغم من قصر حكم هذا الأمير فإنه واجه أكبر دولتين في المنطقة الدولة الغزنوية في خراسان وغزنة والدولة القراخانية في بلاد ما وراء النهر، إلا أن الهزيمة التي لحقت بالدولة الغزنوية في خراسان جعلت السلطان محمود يعيد أفكاره وحساباته من جرد تجاه

---

(١) The Cambridge History of Iran - pp. 170-171.

(٢) النرشخي: تاريخ بخارى، ص١٤٨. والكرديزي: زين الأخبار، ص٢٨٢. وأرمنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ص١٢٤. وعصام الدين عبد الرؤوف: الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق، ص٤٥.

عودة السامانيين إلى الحكم مرة أخرى إذا ما تم الاستيلاء على إقليم خراسان بالكامل، ومن ثم جهز جيشاً وذهب لمناصرة أخيه أبي نصر، فلما اقتربت منها، غادر الأمير الساماني خشية أن يقع في يد السلطان محمود فيفتك به كما فعل القراخانيون بالأسرة السامانية فهرب إلى صديقهم المخلص الأمير شمس المعالي قابوس ابن وشمكير الزيارى صاحب طبرستان وجرجان فأكرم وفادته وقدم للأمير يد العون في استرداد بعض أملاك أجداده من حكامها المتنازعين فيما بينهم، وفعلاً كان من اليسير على الأمير ابراهيم الاستيلاء على الري وشغل الفراغ السياسي بها، إلا أنه لم يطل بقاؤه في الري بسبب الفرقة التي حدثت بين أصحابه وقد حاول أبو ابراهيم إعادة بعض ممالك الدولة السامانية بعد الاستيلاء على الري فاشتبك مع أيلك خان في سمرقند، ودارت فيها الدائرة عليه، فاتجه إلى مرو وطلب المساعدة من أبي جعفر بن اخته فلم يجبه واستخف بالرسول، فخرج له أحد مؤيدي السلطان وهو مرسي النقيب، وحارب أبا ابراهيم وهزمه، فغير وجهته إذ عاد إلى بخارى، لكن جند أيلك خان أجبروه على مغادرة هذه البلاد، بعد ذلك لم يستطع الأمير تحقيق مكاسب جديدة بل لقيا الهزيمة تلو الهزيمة حتى تفرق جميع أتباعه وهرب مع ثمانية من رجاله ودخل في حلة ابن بهيج وهو من العرب في صحراء مرو، فأمر أحد الأثرياء وكانوا يدعونه ماهروي أتباعه فراقبوا طريق أبي ابراهيم وقتلوه في ربيع الآخر سنة ٢٩٥هـ/١٠٠٥م[١].

وبعد سقوط آخر أمراء السامانيين قسم الغزنويون والقراخانيون الأسلاب فيما بينهم حتى أصبح لكل دولة حدود، فالدولة الغزنوية حددت بالأجزاء الجنوبية وجنوب غربي نهر جيجون (خراسان، وطبرستان، وسجستان، وأفغانستان الحالية)، أما حدود الدولة القراخانية فقد حددت بالأجزاء الشمالية وشمال شرقي نهر جيحون (وما وراء النهر وغيره). وبعد تعيين الحدود أعلن القراخانيون أنهم موالي أمير المؤمنين وحكام بلاد ما وراء النهر، ومن ثم بدأت أسرتهم تسك النقود باسم الخليفة القادر بالله وعليها أيضاً اسم الأيلك خان نصر الذي لقب "ناصر الحق"[٢].

وأرسل السلطان محمود سفيرين إلى أوزكند للاعتراف بالدولة القراخانية وحدودها فيما وراء النهر، وقد استقبل الأيلك نصر هذين السفيرين بالترحاب، وأرسل معهما هدايا

---

(١) بارتولد: تركستان، ص٤١٠.

(٢) ن. و. بيكولوسكايا، وآ. يو. ياكوبوسلي وأي. ب. بطروشفسكي ول. م ستريوا وآ. م. بلنيتسكي: تاريخ إيران ازدوران باستان تاپايان سده، هيجدهم، ترجمة: كريم كشاورز، تهران ١٣٤٦هـ. ش، ص٢٩١.

ثمينة إلى السلطان، ثم تمت مصاهرة بين الطرفين حيث تزوج السلطان، محمود كريمة الأيلك نصر، وتقدت معاهدة بين الطرفين واتفقا في شروطهما على أسس معاهدة سابقة قد عقدت بين بغراخان وأبي علي كطرف عن الدولة السامانية في أيام سبكتكين وتنص على أن يكون نهر أموبريا (نهر جيحون) حداً فاصلاً بين الدولتين[1].

كان محمود قد عاهد نفسه على القيام بغزو الهند كل عام، وفي إحدى غزواته بالهند نقض القراخانيون معاهدة الصلح المتفق عليها مع الغزنويين، وأرسلوا فرقتين من جيهشم إلى خراسان وكانت الفرقة الأولى بقيادة سباشي تكين لاحتلال نيسابور وطوس، والثانية بقايدة جعفر تكين لاحتلال بلخ وقد استطاعت الفرقتان أن تحققا هدفيهما، وكان موقف أهالي نيسابور تجاه الغزاة سلبياً، بينما أبدى سكان بلخ مقاومة ضد الغزاة حتى لجأ الغازي إلى استباحة المدينة فتعرضت للسلب والنهب. فلما علم السلطان محمود بنبأ عبور الترك نهر جيحون عاد سريعاً إلى غزنة، ثم قدم إلى خراسان حيث وجد الغزاة قد تفرقوا إذ فضل الانسحاب من بلخ إلى ترمذ، أما سباشي تكين فإنه لم يستطع الوقوف طويلاً أمام السلطان وقواده فعبر النهر في عدد قليل من الجند بعد أن قطع عليهم السلطان محمود الطريق يقول الكَرديزي في هذا الموضع: "إن الترك تشتتوا في نواحي مرو الرُّوذ وسرخس ونساوياورد، وتقبهم أرسلان جاذب من مدينة إلى أخرى، ولما علم السلطان محمود أن جماعة منهم قد استقروا على شاطئ النهر، ولم يتحولوا عن مرو أمر الجند بقرع طبول الحرب، ولما سمعها الترك رموا بأنفسهم في الماء بسبب ما لحقهم من ذعر، وتفرقوا"[2].

وترجع هزيمة القراخانيين أمام السلطان محمود إلى سببين أولهما: أن السلطان محمود دخل الحرب بكل قواه أمام العدو الذي كان ينوي الاستيلاء على خراسان ولأن محموداً كان يعلم أن نتيجة هزيمته في هذا الإقليم سوف تؤدي إلى القضاء على دولته أما ثانيهما: فإن قلة خبرة القراخانيين في الحرب جعلتهم يخرجون منهزمين أمام السلطان محمود، وعندما عنف قواده أجابوا بقولهم: "ليس لأحد قبل بمقاومة تلك الفيلة وذلك السلاح

---

(١) بارتولد. تركستان، ص٤١٤.

(٢) الكَرديزي: زين الأخبار، ص٢٨٧.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ٢٩٨.

بارتولد: تركستان، ص٤١٢.

والعدة وأولئك الرجال"[1] .

لم يتقبل الأيلك نصر الهزيمة وعزم على الثأر بنفسه من السلطان محمود، فاستنفر العسكر من كل أنحاء بلاد ما وراد النهر حتى اجتمع له أربعون ألف فارس ثم عقد حلفاً مع قريبه قدرخان يوسف حاكم ختن لمساعدته في حربه ضد السلطان محمود، وعبر ايلك النهر بهذا الجيش الكبير، وتقابل مع السلطان محمود عند قنطرة جرخيان على بعد أربعة فراسخ من بلخ، وكان جيشه يضم خمسمائة فيل لم يكن للقراخانيين عهد بها وهي التي حددت من البداية مصير المعركة في يوم الأحد ٢٢ ربيع الثاني ٣٩٨هـ الموافق ٤ يناير ١٠٠٨م، فمني جيش القراخانيين بهزيمة ساحقة وابتلع النهر أعداداً كبيرة من جنده أثناء محاولتهم الهرب[2] .

وبهذه النهاية وضع السلطان محمود حداً لتحركات القراخانيين إلى خراسان، كما أن هذه الهزيمة أدت إلى حدوث منازعات وخلافات بين أفراد الأسر الحاكمة، فعقد الأخ الأكبر لأيلك وهو طغان خان حاكم كاشغر مع السلطان حلفاً ضد أخيه، وعندما نوى أيلك نصر غزو كاشغر من أوزكند كان سقوط الثلوج في هذه الفترة من السنة سبباً في أن سد عليه الدروب وأرغمه على العودة، وتلا هذا أن أرسل الطرفان سفراءهما إلى محمود الذي نجح في القيام بدور الوسيط في هذا الصراع وبذل جهده في ذات الوقت للتأثير على السفراء بعظمة بلاطه فاستقبلهم على هيئة مهيبة يحيط به حرسه في زي متألق ثم عقد الصلح بين الطرفين في عام ٤٠٢هـ/ ١٠١١-١٠١٢م[3].

هذا وتعبر حرب كثر آخر الحروب التي وقعت بين القراخانيين والغزنويين كما رأينا لأن هذه الدولة ونعني بها الدولة القراخانية كانت تريد الاستقرار فيما وراء النهر لكي تحافظ على

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٨٨.
بارتولد: تركستان، ص٤١٢.

(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٨٣.
بارتولد: تركستان، ص ص ٤١٢، ٤١٣.
عباس اقبال: تاريخ إيراناز صدر إسلام استيلاي مغول تجريش امردادماه ١٣١٨هـ. ش، ص٢٥٧.

(٣) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص١٢٨.
بارتولد: تركستان، ص٤١٣.
عباس اقبال: تاريخ إيران، ص٢٥٨.

حدودها المتفق عليها مع الدولة الغزنوية من الترك الغز الذين كانوا يريدون التوسع على حساب هذه الدول الواقعة في المنطقة وهذا ما سنراه فيما بعد بالتفصيل بالنسبة إلى السلاجقة الذين زحفوا إلى خراسان ومن ثم إلى بقية الأقاليم الواقعة تحت سيادة الخلافة العباسية إلى أن دخلوا بغداد عاصمة العباسيين.

رابعاً: زوال النفوذ الغزنوي من خراسان

لا شك أن السلطان محمود عندما تحالف مع القراخانيين وتصالحوا على اقتسام الحدود فيما بينهم وجه كل اهتمامه نحو غزو الهند، وقد أدى مهمته على أكمل وجه في شمال هذه البلاد حتى انهار اتحاد الولايات الهندية الذي كان قائما بين الأمراء المحليين هناك، وكان السلطان في هذه الفترة دائم الحركة والنشاط من أجل توسيع مملكته وفرض سلطتة على البلاد المجاورة، ولعل اهتمام السلطان محمود بالفتوحات والغزوات وتوسيع مملكته، كان سبباً في الضغط على الأهالي في خراسان وزيادة الضرائب وتوقيع الغرامات على التجار والصناع والفلاحين في الإقليم لفترة تزيد عن عشر سنوات ولم ينته هذا الوضع إلا بعزله لوزير أبي العباس الاسفراييني، ووفاة السلطان نفسه، وقد أدى ذلك الظلم والقسر إلى نفور الأهالي منه، ونزوح الكثير منهم عن خراسان.

ومن ثم تهيأت النفوس في هذه الأقاليم (أي إقليم خراسان). لاستقبال أي وافد قوي يمكن أن يحقق للأهالي الرفاهية في الداخل والأمن من الغزو الخارجي، وخاصة أن هذه البلاد كانت تقف على مر الزمان حائلاً وسداً في وجه الجماعات والشعوب النازحة ففقدت قدرتها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ولم تعد لها الطاقةالتي كانت تمتاز بها من قبل على استيعاب المهاجرين[١].

ثم تعرضت خراسان في سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م لهجوم من التركمان الذين يسمون

---

(١) الدكتور أحمد معوض: أضواء على تاريخ الشرق الإسلامي وحضارته وذروة عصر السلاجقة العظام (طغرل بيك) – القاهرة ١٩٨٢ ص١٩.

Nazim: The life and times: P. 77-85
Bosworth: The Ghaznavids: 52-54.
C.E.Bsowroth: The Med. eval History of Iran, Afghaniston and central Asia, London, 1977 "The imperial policy of the early Ghaznavids" p. 67-74.

"بالتركمان العراقيين" فقاموا بعمليات نهب وسلب لبعض مدن خراسان، ثم قام التركمان السلاجقة بعدهم بعمليات أخرى للسلب والنهب، عندما أرسلوا جماعات من الفرسان إلى بلاد الأفغان، فوصلت إلى جوزجان وطخارستان وسجستان، وسلبت القطعان وسلطت قطعانهم على الأراضي الزراعية ترعى فيها، وقطعت الطرق التجارية، وأرعبت مدن خراسان عامة، وتسببت في قيام المجاعة في الريف والحضر على السواء بحيث أنه عندما وضع طغرل السلجوقي يده على هذه البلاد، لم يكن من الممكن زراعة أي منطقة خارج أسوار بيهق (سبزوار حالياً) أو الحصول على اللحم الضأن لمدة سبع سنوات فيما بين ٤٢٢هـ- ٤٢٩هـ/ ١٠٣٢-١٠٣٨م[1].

ويرجع بعض المؤرخين فترة تعرض إقليم خراسان لغارات التركمان الى السلطان محمد الغزنوي قبض على اسرائيل بن سلجوق في سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م أو في سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م حسب مصادر أخرى، وأسره وفرق اتباعه وانتشروا في جهات عدة، وأخذوا ينهبون ويسلبون نواحي خراسان لمجرد بث الفوضى وإشاعة الذعر حتى تثور النفوس على الغزنويين[2]. والقصة كما رواها الراوندي قصة طويلة وخلاصتها، أن اسرئيل تولى قيادة السلاجقة باعتباره أكبر اخوته سناً، غير أن حظه العاثر أوقعه بين مكر وخداع السلطان محمود عندما تحايل عليه بأن يأتيه أحد الأخوة الثلاثة ليعقد معه العهد والمواثيق.

فلما أقبل "اسرائيل" بالغ محمود في اكرامه، وأجلسه على العرش إلى جواره وعنى بالتقرب إليه والترحيب والاهتمام بأمره . ثم قال له أثناء الحديث "عندما نذهب إلى بلاد الهند لغزو الكفار يلزمنا جيش جرار نسير به إلى هذه الديار، وينتج عن ذلك أن بلاد خراسان تبقى معطلة مهملة، ولي رغبة في أن اعقد معكم ميثاقاً وتحالفاً على أنه إذا خرج علي عدو أو ثار ثائر واحتجت إلى مدد، استعنت بخيلكم وفرسانكم".

وأجاب اسرائيل قائلا: "لن يكون منا تقصير في خدمتكم...". وقال محمود "وإذا عرضت لنا حاجة، فبأي إمارة يصلنا المدد.. وما مقدار عدده؟."

وكان اسرائيل يعلق قوسه في ساعده، ويتدلى من رباط ردائه سهمان، فأخذ سهماً نهما واعطاه لمحمود، وقال له: "ارسل هذا السهم إلى جندنا إذا عرضت لك حاجة إلينا، ففي

---

(١) أحمد معوض: أضواء على تاريخ الشرق الإسلامي، ص٢٠.

(٢) نفس المرجع، ص٢٧.

الحال يأتيك منا مائة الف فارس..."[1].

قال محمود: "وإذا لم يكف هذا لعدد، فماذا تفعل؟ "فتناول اسرائيل السهم الآخر وقدمه إلى محمود وقال: "أرسل هذا السهم إلى جبال بلخان يأتك على الفور خمسون ألف فارس غيرهم..".

قال محمود: "فإذا لم يكف هذا العدد، فماذا نصنع؟" عند ذلك ناوله اسرائيل قوسه، وقال: "أرسل هذا إلى إمارة تركستان، يأتيك إذا شئت مائتا ألف فارس" وتدبر السلطان محمود هذا الحديث، وشغل باله، فاحتجز اسرائل عنده.

وطلب محمود الطعام، فلما تهيأ المجلس طعما وشربا، وظلا يشربان ثلاثة أيام بلياليها، وخلع محمود على اسرائيل وفرسانه أطيب الخلع والهدايا، ثم أمر كل واحد من أمراء جيشه أن يستضيف في معسكره واحداً من أمراء اسرائيل وفرسانه، وأن يسقيه شراباً قوياً، حتى إذا لعبت الخمر برؤوس الضيوف قيدوهم بالقيود الثقيلة، وفعل محمود باسرائيل مثل ذلك، وحمله في أثناء الليل إلى بلاد الهند، وحبسه في قلعة كالنجر، فلما أفاق اسرائيل من سكره، وجد نفسه عليلاً أسيراً، فاستسلم للقضاء[2].

من الحديث السابق الذي دار بين السلطان محمود واسرائيل سلجوق يتضح لنا كيف استطاع السلطان محمود أن يستدرج اسرائيل، ويقف على حقيقة قوة السلاجقة، وأن لديهم من المقاتلين الأشداء ما يفوق العد والحصر، وأنهم يملكون من العتاد الشيء الكثير، فأوجس في نفسه خيفة، وسيطرت على ذهنه فكرة القضاء علي السلاجقة في مهدهم، فكانت تلك الخطة التي أوردها الراوندي وغيره من المؤرخين والتي كانت تهدف إلى أن القبض على زعيمهم (اسرائيل) سوف يكون نهاية المطاف بالنسبة إلى هؤلاء التركمان الرحل الذين ركزوا جهودهم فيما بعد للانتقام من الدوة الغزنوية.

ومع أن السلاجقة لم يقوموا في عهد السلطان محمود بأية أعمال عسكرية تجاه الدولة الغزنوية إلا أنهم لجأوا إلى الحيلة فطلبوا من السلطان أرضاً لقلة وجود المراعي الكافية

---

(١) محمد بن علي سليمان الراوندي: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ ال سلجوق، ترجمة الأساتذة، الدكتور ابرهيم أمين الشرابي، الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة ١٩٦٥، ص٨٨.

(٢) الراوندي: راحة الصدور، ص ص٨٩-٩٠.

لمواشيهم، فلذا قبلوا قيادة ميكائيل بن سلجوق لكي يخطط لبلوغ هدفهم، فطلبوا من السلطان محمود أن يأذن لهم بعبور دياره والإقامة في نساوياورد وفراوة، وقبل السلطان محمود ذلك الطلب ظناً منه أن القضاء على اسرائيل زعيمهم السابق قد فلّ شوكتهم، وأن الوقت حان لملاطفتهم، ولم يأبه بتحذير أبي الحرث أرسلان جاذب والي طوس الذي كان يرى أن وصول السلاجقة إلى خراسان يشكل خطراً جسيماً على الدولة الغزنوية[1].

وكان تحذير ارسلان جاذب والي طوس للسلطان محمود يتلخص في أن هؤلاء سوف يكونون مصدر قلق للدولة لأنهم بدو رحل وليس لهم مكان للاستقرار، وأخيراً اعترف السلطان محمود بأنه أخطأ في هذا القرار، وفي سنة٤١٨هـ/ ١٠٢٧م اضطر السلطان محمود إلى أن يرسل حملة تاديبية بعد أن اشتكى منهم أهالي نساوياورد وفراوة لقيامهم بأعمال السرقة والنهب ولكن قائده أرسلان جاذب فشل في السيطرة عليهم. وفي السنة التالية قام السلطان بنفسه بإنزال هزيمة ساحقة بهؤلاء التركمان فتفرقوا هنا وهناك وهرب البعض إلى الغرب في جبال بلخان على الساحل الشرقي لبحر قزوين، وهرب البعض الآخر منهم إلى داخل فارس وعملوا كمرتزقة مع قوام الدولة البويهي في كرمان[2].

وبعد هذه الهزيمة التي مني بها السلاجقة في خراسان لم يتجرأ أحدمنهم على الدخول في معارك مع السلطان محمود وذلك لأنه كان يدرك قيمة هذا الإقليم وأهميته ويعرف تمام المعرفة ما إذا سقطت خراسان في أيديهم فسوف تكون نهاية الامبراطورية التي كافح من أجلها فترة الاثنتين والثلاثين سنة السابقة، وهذا ما حصل بعد أن توفي يوم الخميس ٧ من شهر بيع الآخر سنة ٤٢١هـ الموافق ابريل ١٠٣٠م وذلك عندما فقدت الدولة الغزنوية بعض

---

(١) الكرديزي: ين الأخبار، ص٣٠٧.
أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، الكويت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ص ٢٢
The Cambridge History of Iran, p. 190.191.

(٢) صدر الدين أبو الحسن على بن ناصر الحسيني: زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، بيروت، ١٤٠٥-١٩٨٥م ، ص٢٧ - ويذكر أنه الحاجب أرسلان الجاذب قال: "إني لأرى هؤلاء بأس وشدةوالرأي أن تقطع ابهام كل من يعبر فيهم، لتأمن مضرته ولا تخشى خيانته فقال له السلطان، كيف أفعل هذا بالمسلمين من غير جريمة محققة، إنك لقاسي القلب"
الكرديزي: زين الأخبار، ص ٣١٢،٣١١.
The Cambridge History of Iran P. 191.

ممتلكاتها ومنها خراسان أثناء حكم ابنه السلطان مسعود الذي لم يمتد سلطانه على الامبراطورية سوى إحد عشر سنة فقط من (٤٢١هـ-٤٣٢هـ/ ١٠٣٠-١٠٤١م)[١].

ترك السلطان محمود الحكم لابنه الأصغر الأمير محمد في غزنة حسب وصيته له رافضاً فكرة تقسيم السلطة بين الأخوين (محمد ومسعود) من أساسه، ويرجع هذا الرفض إلى وجود خلاف بين الأب وابنه مسعود بسبب وشاية بعض الحاقدين عليه فأراد والده إبعاده أو ارساله في مهمة إلى أقصى غرب الدولة، وهناك حقق فتح الري وبلاد الجبل، إلى أن استولى على مدينة اصفهان، ولولا وفاة أبيه لكان قد اتخذ طريقاً منحنياً عن طريق سوريا ومصر لتوسيع الدولة في تلك الأرجاء، إلا أنه فضل العودة بعد أن وصلته رسالة من عمته الحرة الختلية تحثه على الرجوع لأخذ مكانه كولي للعهد بدلاً من أخيه محمد، وسوف نتناول جانباً من رسالتها كما أوردها البيهقي وقد قالت في بداية الرسالة: "لقد توفي عميدنا السلطان محمود، رحمه الله بعد صلاة عصر يوم الخميس لسبعة أيام خلت من ربيع الآخر فانتهت بوفاته أيام عز عبيد... "[٢].

ثم قالت: "وتسير الأمور الآن بتدبير علي الحاجب، كما أن الرسل أسرعت بعد الدفن في الليلة نفسها ذاهبة إلى جوزجان لاستدعاء الأخ محمد للجلوس فور مجيئه على العرش، وقد كتبت عمتك هذا إليك تفيدك بما جرى في نفس الليلة بدافع الشفقة والعطف. والأمير يعلم أن أخاه لا يسطع القيام بهذا العبء الثقيل، وإن لأسرتنا أعداء كثيرين، وأننا قد صرنا نحن الحرائر وكذلك خزائن المال هدفاً للأغراض، فالواجب على الأمير أن لا يشتغل بما استولى عليه من البلاد وبما يمكن الاستيلاء عليه، وأن ينهض للأمر كله لأنه ولي العهد لأبيه، هذا والأمور سارت إلى اليوم بهيبة السلطان الوالد، إلا أنها بعد إذاعة خبر الوفاة ستسير على نحو آخر، ويجب أن تعلم أن غزنة هي الأصل ومن ثم فإن خراسان وبقية البلاد فروع لها فلتتأمل جيداً في كل ما كتبته إليك ولتستعد للعودة بأسرع ما تستطيع حتى لا تضيع وتفقد هذا العرض.."[٣].

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢.

الكرديزي: زين الأخبار، ص٣١٤. وقد جاء خبر وفاة السلطان عنده يوم الخميس ٢٣ ربيع الآخر سنة ٤٢١هـ.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٣.

ونفهم من هذه الرسالة بالإضافة إلى مطالبتها إياه بالعودة سريعاً إلى غزنة لأخذ الحكم من أخيه محمد، إنها وضعت الأهداف الاستراتيجية والسياسية للدولة فترة حكم السلطان مسعود، بتصنيفها البلدان من ناحية الأهمية في الدولة، فأولت العاصمة غزنة الأهمية القصوى إذ اعتبرتها الأصل ووجهتها نحو الهند كالقلب، للدولةوتليها في الأهمية خراسان أما بقية الأقاليم فاعتبرتها ثانوية، لذلك نرى أن هذا التصنيف أثر بالفعل في تفكير السلطان مسعود فيما بعد لدرجة أنه كان يشعر بالتعطش نحو الهند من الناحية الدفاعية أكثر منها بالنسبة إلى خراسان، وهذا ما جعله من الناحية الدفاعية، ويقلل من الأخطار الناجمة هناك بالرغم من نصيحة أكثر قواده له، ونتيجة لذلك خرج الموقف من يده حيث أمن (السلاجقة) لأنفسهم موطئ قدم لم يستطع الغزنويون في النهاية إجلاءهم منه[1]

أما عن الحكم فقد استطاع السلطان مسعود من اتصالاته برجال البلاط أن يصل إلى مطلبه، وفي أثناء المسير إلى خراسان وصله منشور من أمير المومنين القادر بالله يضمت التعازي والتهاني وما يترتب من نعوت وألقاب، ويؤكد له العهد والولاء باعتباره ولي السلطان محمود، كما أقره على ما دخل في حوزته من ولايات الري والجبال وأصفهان، وأمره بأن يعجل بالسير إلى خراسان كيلا تقع اضطرابات في ذلك الثغر العظيم، فاطمأن خاطر السلطان مسعود بهذه الرسالة واستبشر بها كثيراً، وأمر بأن تقرأ على الملأ، وبأن ينفخوا الأبواق ويدقوا الطبول استبشاراً، وعلى أن ينسخوا من تلك الرسالة صوراً ويرسلوها إلى جميع الأنحاء حتى يتأكد للجميع أنه خليفة أمير المؤمنين وولي عهد أبيه، ثم تقدم منتصراً نحو الشرق إلى أن وصل إلى نيسابور، وفي نهاية رمضان ٤٢١هـ، سبتمبر ١٠٣٠م تلقى الجيش في غزنة اخباراً بأن القوات في خراسان نادت بمسعود سلطاناً على الدولة وعليه فقد عزلت محمداً في تكيناباد ومن ثم أودع السجن في قلعة كوهتيز[2].

ونرى البيهقي يعلق على اخيار السلطان محمود ابنه محمداً بقوله: إن السلطان اعتاد أن يغير من الشجعان (وقد كان الأمير مسعود من الذين أثبتوا شجاعتهم في ميدان الحرب) لذلك فضل ابنه محمد الضعيف الهادئ للحكم، وكان يعلم أنه من المؤكد إذا ما حدث صراع على السلطة فسوف يكون الغلبة لمسعود الأقوى. ويقال أيضاً أن أبا نصر بن مشكان صاحب

(١) Bosworth: The Ghaznavids. p. 228.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٧.

تاريخ Bosworth: The Ghaznavids. p. 228.

ديوان الرسائل في عهد السلطان كان يريد أن يلقى محمد الاحترام والتكريم في حياته لأنه سوف لا يحصل على شيء منه بعد وفاته، وهذا ما حير كل الكتاب المعاصرين في تلك الفترة والذين كتبوا عنه فيما بعد[1]

أما موقف السلطان مسعود من السلاجقة فقد وقف على مجريات الأحداث بعد وفاة قائدهم اسرائيل في سجن السلطان محمود عام ٤٢٢هـ/ ١٠٣٨م. وقد أغضب ذلك الحدث السلاجقة، وجعلهم يعقدون العزم على الأخذ بالثأر لإسرائيل، فاختاروا أخاه ميكائيل ليكون قائداً لهم، ففكر هذا القائد الجديد في الانتقال بهم إلى خراسان وكان يهدف بهذه الخطة أولاً إلى تثبيت أقدام السلاجقة في هذا الإقليم ثم يسعى ثانية إلى الانقضاض على الغزنويين والأخذ بالثأر منهم، وترمى أخيراً إلى تكوين دولة قوية تخلف الغزنويين في إقليم خراسان وما وراء النهر[2].

وهكذا رأينا كيف استطاع السلاجقة دخول خراسان بسلاح الحيلة والدهاء حتى سمح لهم السلطان محمود بالمرور من الأراضي الخاضعة لنفوذه من بلاد ما وراء النهر في طريق انتقالهم إلى اقليم خراسان وكان ذلك في عام ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م، وأخذ السلاجقة بعد ذلك يغيرون بأعذار وذرائع مختلفة على أرض خراسان وعلى مر الزمان تزايد في حملاتهم عليها. ولعل موقعة نسا واحدة من أهم الوقائع المبكرة بين الغزنويين والسلاجقة كما أسلفنا.

وفي عام ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م. طلب السلاجقة من والي نيسابور أن يسمح لهم بالنزول بالقرب من المدينة والإقامة حولها، فرفض الوالي، وأحس بالخطر الذي يتهدده، فاستنجد بالسلطان مسعود، وطلب منه الحضور إلى نيسابور، للقضاء على هذا الخطر السلجوقي الداهم، إلاأن السلطان مسعود عزم على إرسال جيش قوي بقيادة بكتغدي، وفي يوم الخميس ٩ من شعبان ٤٢٦هـ، سار هذا الجيش صوب نسا بكامل معداته وعتاده في تعقب السلاجقة، ورافقهم الخواجة حسين علي ميكائيل، ومعه الألبسة والذهب الكثير ليبذل الصلات على كل من يراه قد أحسن يوم الوغى، كل حسب بلائه ثم هاجم القائد بقواته معسكرات السلاجقة بالقرب من مدينة نسا وتمكن من انزال هزيمة قاسية بهم، غير أنهم، لم يلبثوا أن

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١١٨.

(١) Bosworth: The Ghaznavids. p. 230.

(٢) أحمد معوض: أضواء على تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته، ص ٤٥ ،٤٦.

أعادوا تنظيم صفوفهم، ثم هاجموا قوات السلطان مسعود وانتصروا عليها، ووقع كل ما لدى الجيش من آلات وعدد غنيمة في يد العدو، كذلك وقع الخواجة حسين علي ميكائيل أسيراً حين تفرق الجيش وتقهقر من الميدان[١].

وما هي إلا أيام حتى وصل المنهزمون إلى محضر السلطان مسعود، الذي ظن بقواده ورجاله الظنون، وأخذ يتتبع الأحداث بنفسه، إلى أن توصل بالمشاورة مع رجلا البلاط والقادة إلى مصالحة السلاجقة، ثم تبادل الطرفان الرسل إلى أن وفقا في صيغة التفاهم التي بمقتضاها تعطى لهؤلاء القادة الثلاثة من السلاجقة ولايات نسا وفراوة ودهستان، ويرسل إلى كل منهم خلعة ومنشور ولواء، وكتب أبو نصر بن مشكان صاحب ديوان الرسائل آنذاك المنشورات الثلاثة، فكتبت دهستان باسم أبي داود جغرى ونسام باسم طغرل وفراوة باسم بيغو، وخوطن كل واحد منهم بلقب، الدهقان" وأرسلت إليه الرسائل مع الخلع السلطانية المعتادة لهذه المناسبات[٢].

استغل السلاجقة فترة انشغال السلطان مسعود بتوجيه حملةتأديبية إلى أحمد ينالتكين العاصي في الهند، فنقضوا هذه الاتفاقية وسخروا من الخلع والهدايا السلطانية، وهرع أبو نصر الصيني إلى نيسابور ليخبر الوزير أحمد عبد الصمد ورئيس ديوان الرسائل بما حصل من هؤلاء السلاجقة من الغرور والخيلاء، وكيف أنهم أخذوا يدوسون القلنسوات ذوات الركتين بأقدامهم، فأصر أبو نصر الصيني على إبلاغ السلطان مسعود بهذه التطورات حتى يتدارك الموقف من جذوره، وكما كان الموقف لا يحتمل الصبر لأن الرسل والسعاة كانت تتوافد من العميد سورى صاحب ديوان خراسان وأصحاب البريد تفيد بأن السلاجقة وتركمان العراق الذين انضموا اليهم أخذوا في إثارة الفتن، وأنهم يرسلون رجالهم إلى كافة النواحي، ويخيفون الناس ويسلبون كل ما يجدونه أمامهم، وأنهم متمادون في الفساد، كما جاءت رسالة من بست تفيد بأن جماعة منهم قد جاءوا إلى فراوة وزير كان ونهبوا كثيراً من الأنعام، وكذلك وصلت رسائل من جوزجان وسرخس بهذا المعنى، وقد جاء فيها أنه لا بد من اتخاذ

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص٥١٥، ٥١٦، ٥١٧.
عبد النعيم محمد حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي ص ٣٤.
أحمد معوض: أضواء على تاريخ المشرق، ص٤٥.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٢٨.
Bosworth: The Ghaznavids. p. 243.

إجراء حاسم وإلا ضاعت خراسان(١).

إلا أن السلطان لم يعط الأهمية القصوى لهذا الموقف في خراسان، وفضل إرسال أحد قواده المرموقين "سباشي" الذي كان يحكم مرو في ذلك الوقت، وأمره بدفع السلاجقة، بينما فضل السلطان أن يتابع الأحداث بعد أن زود الجش بالعدة والعتاد، وكلف العميد سورى صاحب ديوان خراسان بإعداد نفقات الجند حتى لا يعوزهم شيء، ويتسنى لهم بذلك تطهير أرض خراسان من التركمان في أرق وقت، وخرج السلطان يوم الإثنين ١٤ ربيع الآخر ٤٢٧هـ ليودع الجيش وقادته ويرجو لهم التوفيق والنصر، ولما دخل القائد الحرب مع السلاجقة اتبعوا معه نظام الكر والفر، وذلك كلما اقتربت جيوش الغزنويين، تخلوا عن مواقعهم، وسارعوا بالانتقال إلى موقع آخر، وخيل للقائد سباشي أن ذلك الانسحاب كان خوفاً منه، فواصل الزحف بجيشه في أعقابهم، إلا أن السلاجقة وضعوا القائد الغزنوي وجيشه في كمين وأخذوا يهاجمونه من كل الأطراف بسهولة، فقتلوا العديد من جنوده، وغنموا الكثير منهم ومن حشمهم وعبيدهم ورجالهم(٢).

وفي خريف عام ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م، وجد السلاجقة الوقت مناسباً لأن يطالبوا السلطان مسعود مطالب جديدة لمنحهم مرو، أبيورد، وسرخس لأنهم وجدوا المراعي التي خصصت لهم على أطراف الصحراء، (في نسا وباورد) غير كافية لهم، كما طالبوا بإيراد هذه الولايات الثلاث على أن تبقى الإدارة في أيدي موظفي السلطان الموجودين وهم صاحب الديوان وصاحب البريد، وفي المقابل عليهم الاعتراف رسمياً بالدخول في طاعة السلطان واعتبار قواتهم جزءاً لا يتجزأ من القوات السلطانية وعليهم الدفاع عن أملاك الدولة وعلى السلطان تجنيدهم فيما يشاء، ولكن كان من المستحيل على السلطان مسعود قبول هذه الصفقة غيرالرابحة، وأن يسلم هذه الأماكن الهامة بدون قتال، ومن ثم استمر السلاجقة في حربهم مع القائد الغزنوي ثلاث سنوات، وكانت النتيجة الخسائر الكبيرة في صفوف الغزنويين، حتى أن القائد سباشي سئم من هذه الحرب التي حققت للسلاجقة مكاسب كثيرة في خراسان، لذا فضل سباشي أن يترك هذه الجبهة إلى هراة تاركاً نسا من ورائه لقدرها، وهذا ما جعله مصدراً للشكوك بين رجال البلاط حتى قيل عنه أنه يقضي معظم وقته في خراسان بين

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٢٠، ٥٢٥.

(٢) أحمد معوض: أضواء على تاريخ الإسلامي، ص٤٦.

الشراب ومعاشرة النساء وعلى ذلك فهو إما جبان أو على اتفاق سري مع السلاجقة، وعندما صدرت إليه الأوامر بالاشتباك مع السلاجقة وعلى الرغم من أن هذا كان ضد حكمته ونظرته للأوضاع المتربية في الميدان، دخل الحرب مرغماً، فكانت الهزيمة أمام جيشه بالقرب من سرخس سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م. ونتج عن ذلك أن ضاعت منه طوس ونيسابور وأجزاء أخرى من خراسان حتى اضطر إلى أن يختبئ في هراة مع عشرين من غلمانه الذين تمكنوا من الهرب بعد هزيمتهم أمام السلاجقة[1].

ولما دخلت نيسابور في حوزة السلاجقة في شهر رمضان سنة ٤٢٩هـ، يونية ١٠٣٨م أراد السلاجقة نهب المدينة ولكن الأمير طغرل بك منعهم احتراماً لشهر رمضان المبارك ولما انقضى هذا الشهر العظيم صمم داود جغري القائد السلجوقي على نهب مدينة نيسابور فمنعه طغرك بك واحتج عليه برسل الخليفة الذين وفدوا إليه وطلبوا منه منع النهب والفوضى فلم يلتفت إليه وقوي عزمه على النهب، فما كان من طغرل بك إلا أن أمسك سكيناً وقال: والله لئن نهبت شيئاً لأقتلن نفسي، فكف عن ذلك وعدل إلى التقسيط فقسط على أهل نيسابور نحو ثلاثين ألف دينار وفرقها في أصحابه[2].

أما جغرى بك فقد اتجه بعد عشرة أيام من الراحة إلى هراة بأمر من طغرل بك ليفتحها، وما أن سمع أهل هرة هذا الخبر حتى ساروعوا إلى استقبال جغري بك والترحيب بمقدمه، ثم عين عمه موسى بيغو حاكم على المدينة، وزحف هو على مرو، فاستولى عليها، وأحسن إلى أهلها بالعدل والرحمة.

ترامت هذه الأخبار إلى اسماع السلطان مسعود، فأيقن أن نهاية الدولة الغزنوية في إقليم خراسان ستكون على أيدى السلاجقة إن لم يبادر بالقضاء عليهم بنفسه، وتلألأ بريق الأمل في عينيه، وطمع في أن يعيد للدولة هيبتها، فجمع عدداً كبيراً وحشداً هائلاً من الفرسان والمشاة واتجه للقاء السلاجقة في معركة فاصلة[3].

---

(١) الحسيني: زبدة التواريخ ص٣٨.

Bosworth: The Ghaznavids. p. 248.

(٢) الحسيني: زبدة التواريخ ص٤١.

(٣) أحمد معوض: أضواء على تاريخ المشرق الإسلامي، ص٤٧، ٤٨.

عبد النعيم محمد حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص٣٦، ٣٧.

وهذه المعركة الفاصلة هي اللقاء المرتقب الذي طال انتظاره بالنسبة إلى السلاجقة لكي يحددوا في النهاية من هو سيد الموقف بعد معارك هذه السنوات الطويلة، وأيضاً بالنسبة لأهل خراسان كانوا يترقبون الأحداث ليعرفوا مدى ولاء هذا السلطان لإقليمهم الحيوي والغني بموارده والذي أعطى للغزنويين كل أسباب الرخاء والرقي والازدهار لدولتهم المتسعة الأرجاء، كما كان الأهالي يترقبون من هذه المعركة الفاصلة نهاية الكوارث والمشاكل الأخرى التي حلت بمنطقتهم، وكان من المعروف أن السلطان مسعود تقاعس شخصياً من فترة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م إلى ١٠٤١ للدخول في معارك فاصلة ضد السلاجقة رغم نصائح العسكريين له بالذهاب إلى خراسان والوقوف مع الجنود في ساحة المعارك، إلا أنه رفض ذلك بناء على نصيحة وزيره الأستاذ الرئيس أحمد عبد الصمد الذي كان يرى أنه من الأفضل للسلطان أن يحافظ على ممتلكاته في الهند ويترك مشكلة خراسان للقادة الكبار لكي يحققوا له النصر في معاركهم ضد السلاجقة، والذي اتضح له بعد ذلك أن هؤلاء السلاجقة كانوا قد كرسوا أنفسهم لإقامة دولة لهم في هذا الإقليم فلذا كانوا يحاربون الغزنويين بكل قوة وإيمان حتى قال القائد جغري بك: "لا مفر من المقاومة حتى الرمق الأخير فإنا إن قهرنا (السلطان مسعود) صارت الدنيا كلها لنا"[1].

وهكذا كانت معركة دندانقان[2] في ٨ رمضان عام ٤٣١هـ - ٣ يونيه عام ١٠٤٠م، حين قرر السلطان مسعود الذهاب إلى خراسان للانتقام منهم بعد أن أصبح معظم المدن الرئيسية تحت سيطرتهم، فأعد لهم جيشاً كبيراً لتنفيذ هذه المهمة، وفرق على جنوده الأموال الكثيرة، وسار من غزنة العاصمة "في جيوش يضيق بها الفضاء"، ولما بلغ السلطان خراسان، كان طغرلبك في مدينة نيسابور منفصلاً عن أخيه، فأراد السلطان مسعود مباغتته والحيلولة دون اتصاله بأخيه، كي يقطع عليه خط الرجعة بحيث لا يستطيع السير إلى نسا أو

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٨٣.

(٢) دندانقان: "بلدة من نواحي مرو الشاهجهان على عشرة فراسخ منها في الرمل وهي الآن خراب لم يبق منها إلا رباط ومنارة، وهي بين سرخس ومرو، رأيتها وليس بها ذو مرأى غير حيطان قائمة وآثار حسنة "ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤٧٧.

تصل إليه أي إمدادات من أخيه، وبذلك يسهل أسره إذا ما سلك طريق هراة إلى سرخس[1].

على هذا عزم السلطان مع فريق من فرسانه على الوصول إلى طوس، وفي الطريق أخذته سنة من النوم وهو على ظهرالفيلة، ولم يستطع أحد من أعوانه أن يوقظه،أو أن يقود الفيلة في سرعة، وظل في نومه حتى السحر، وبذلك ضاعت عليهم فرصة الوصول إلى طوس، في الوقت الذي كان طغرلبك قد عقد العزم على اللحاق بأخيه جغري بك ليكونا قوة ضارية ضد قوات السلطان مسعود الكبيرة بالعدة والعتاد[2].

ثم كان الموعد كما يذكر المؤرخون بعد ذلك في صحراء دندانقان بين سرخس ومرو، حيث الماء القليل، والحر الشديد، والبلاد التي يضيق بها الصديق والعدو من شدة القحط وقلة الموارد والعلف وغيرها من الأمور التي يحتاج إليها الجنود ودوابهم، وقد صور لنا البيهقي تلك المظاهرة بكل صدق بقوله "وكان اليوم شديد القيظ، والمؤن قليلة والعلف لا وجود له، والدواب هزيلة، والناس صيام، وقد مر السلطان في الطريق على كثيرين يجرون جيادهم ويبكون فامتلأ قلب السلطان حسرة وقال "ما أسوأ حال هذا الجيش" وأمر لهم بآلاف الدنانير"[3].

هكذا أثرت هذه المظار على جو المعركة التي وقت بين الطرفين،ومع ذن السلطان مسعود كان متحمساً للنيل من السلاجقة، وإنهاء الحرب لصالحه، إلا أن هذه الأمنيات قد باءت بالفشل نتيجة خيانة بعض القادة العسكريين وانضمام عدد كبير من غلمانه إلى صفوف السلاجقة، مما كان له الأثر الكبير في ارتباك صفوف الجند وترك السلطان وحيداً في ميدان القتال مع عدد قليل من الفرسان لمقاتلة الجيش السلجوقي الذي بدأ يحقق انتصاراًعلى الجيش الغزنوي حتى هزم السلطان مسعود هزيمة نكراء في هذه المعركة التي كان قد رصد لها كل إمكانياته البشرية والقتالية من العدة والعتاد تاركاً وراءه عدداً كبيراً من القتلى، ومغانم كثيرة من الأسلحة والمؤن وغيرها فبدأ القائد داود تقسيمها على أصحابه وجنده بعد

---

(١) البيهقي:تاريخ البيهقي، ص٦٦٤.
الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٢٠،٢٢١.
أشبولر: تاريخ إيران درقرون نسختين إسلامي، ص٢٢٢.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٦٤.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١١٠.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٨٠.

أن نزل في سرادق السلطان مسعود وقعد على كرسيه، ثم نظر السلطان مسعود حوله، فإذا به وحيداً في ميدان القتال بعد أن اختلط عليه الحابل بالنابل، فأدار عنانه، وامتطى ظهر الفيلة، وولى مهزوماً تاركاً خزائنه وأمتعته وسائر ما يملك قانعاً بالفرار والنجاة كان ذلك عام ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م[١].

كذلك من الأمور التي لفت نظر المؤرخين في هذا الوقت تدهور الحياة الاقتصادية في خراسان نتيجة هذه الحروب المتكررةالتي قضت على الزراعة والموارد الرئيسية في البلاد، ثم ارتفعت أسعار المواد الغذائية بشكل ملحوظ حتى نقصت لدرجة أن الناس لم تجد ما تأكل منه، وظلت المجاعة مع معركة دندانقان وبعدها حتى بيع المن من الخبز بثلاثة عشر درهما، أما الشعير وبقية المواد الغذائية فلم يرها أحد بعينيه، ويعلل البيهقي ذلك الأمر بأن السلاجقة قد خربوا ودمروا، وسلبوا الغلة من كل مكان حتى لم يتركوا حبة واحدة منها، كما أشعل العميد سوري بن المعز والي خراسان النار في هذه المواد الغذائية حتى لا تصل إليها السلاجقة، وقد أدى ذلك الإجراء إلى هلاك الكثير من الناس والدواب من شدة القحط، فضاقت الحياة بالناس وبما حل بهم من أزمات، فثار العامة والجيش ضد السلطان والدولة، فكان نهاية الغزنويين في خراسان[٢].

هذا وكانت موقعة دندانقان "من المواقع الحاسمة الفاصلة في تاريخ كل من الغزنويين والسلاجقة، لأنها كانت موجهة لتاريخ كل من الدولتين، كما كانت ذات نتائج وآثار عظيمة في خراسان وبلدان الخلافة والمشرق، وما جاورهما من بلاد المسلمين، فقد أدى انتصار السلاجقة إلى ظفرهم بمغانم كثيرة مادية كانت أم معنويةكما ظفروا باعتراف الخليفة العباسي القائم بأمر الله بقيام دولتهم، وهوالاعتراف الذي صدر في عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م. فأحكموا بعد ذلك سيطرتهم على أجزاء إيران المختلفة، حتى يزدادوا قدراً في نظر الخليفة العباسي، فتعلو كلمتهم في خراسان وإيران، وبذلك بدأ منذ عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م تكوين دولة السلاجقة الكبرى التي احتلت مكاناً بارزاً في التاريخ[٣].

---

(١) نفس المصدر، ص ص٦٨٤،٦٨٥،٦٨٦.

Bosworth: The Gazanavids. p. 131.

عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ص ١١٠،١١١.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص٦٧٤، ٦٧٥.

(٣) عبد النعيم محمد حسنين: إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص٣٧،٣٩.

الباب الثاني

نظم الحكم والإدارة في خراسان في العصر الغزنوي

الباب الثاني

نظام الحكم والإدارة في خراسان في العصر الغزنوي

اولاً: نظم الحكم:

حرص الغزنويون على صبغ حكمهم بالصبغة الشرعية بعد سقوط الدولة السامانية في خراسان، وكان لا يتم إلا إذا أرسل الخيفة العباسي تقليداً للسلطان الجديد بالحكم، وكان هذا التقليد يكسب حكمهم هيبة في نفوس رعاياهم،فأرسل الخليفة العسباسي القادر بالله إلى السلطان محمود خلعاً لم يسمع بمثلها فور توليته الحكم، ولقبه في كتابه "يمين الدولة وأمين الملة". فلما تبوأ السلطان محمود سرير الملك، وذاع صيته في المنطقة، طلب من الخليفة ألقاباً كثيرة، فأبى الخليفة عليه ذلك، فكاد السلطان محمود أن يسير إلى بغداد لإرغام الخليفة على تنفيذ رغباته، لكن الرسل سعوا بينهما حتى عادت العلاقات بين الدولتين إلى ما كانت عليه من الود والولاء[1].

هذا وكانت الدولة الغزنوية من الناحية القانونية تابعة للخلافة العباسية، غير أن هذه التبعية كان إسمية، فقد حكم الغزنويون دولتهم مستقلين تماماً عن بغداد، وظلوا يتوارثون الحكم حتى انهارت دولتهم.

أما عن قاعدة الوراثة في الحكم فلم تسر على نظام ثابت، ذلك أن بعض سلاطين الغزنويين عهدوا بالحكم إلى غير الوريث الشرعي، فناصر الدين والدولة سبكتكين قد عهد بالحكم قبل وفاته إلى ابنه الأصغر اسماعيل وتجاهل خبرة وامكانيات ابنه الأكبر محمود في

---

(١) Habib: Sultan Mahmd of Ghaznin P. 36.

عصام عبد الرؤوف الفقي: الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق، القاهرة دار الفكر العربي، ١٩٨٧، ص ص٩٩–١٠٠.

مجال السياسة والإدارة وقيادة الجيوش فترة تسلمه بعض المهام التي أثبت فيها جدارته، وكان الأصلح للحكم بدلاً من أخيه اسماعيل، كذلك فعل السلطان محمود إذ عهد بالحكم إلى ابنه محمد، وأغفل امكانيات ابنه الأكبر وقدراته فترة أيامه الأخيرة بعد أن كان يثني عليه دائما لدى وزرائه وقادته ويشيد بشجاعته وجرأته في الحرب وفي إدارة شؤون الولايات التي أسندت إليه في كل من بلخ وزمين داور، ومع كل هذه السمات التي تميز بها الأمير مسعود جعل الحكم لابنه الأصغر محمد عندما كان غائباً عن دار الحكم أثناء وفاته، وأدى ذلك إلى حدوث الكثير من المنازعات حول الوصول إلى الحكم بين الإخوة من أبناء البيت الغزنوي، إلى أن استطاع مسعود أن يسيطر على الحكم وتعود للدولة قوتها ومكانتها في المنطقة، وهذا ومهما يكن من أمر هذه الصراعات الجانبية في الأسرة الواحدة، فإن الحكم قد ظل في البيت الغزنوي قرابة قرنين من الزمان، وفشلت محاولات القادة العسكريين خلال تلك الحقبة من انتزاع الحكم من الغزنويين[١].

وكان السلطان محمود حاكماً مطلقاً في دولته، حيث كان هو المشرع والحاكم والمنفذ لكل سلطات الدولة، ولكنه مع هذه الميزات التي وردت عنه كحاكم مطلق شارك معه في الحكم والإدارة خواجة بزرگك (الوزير الأعظم) لإدارة دفة البلاد والدولة ولكي يحافظ على الاستقرار والأمن على ممتلكاته الممتدة في كل من خراسان وبلاد خوارزم وغزنة وبلاد الهند والري واصبهان، كما استعان في إدارة الدولة بعدد من الموظفين من أهل الكفاءة والمقدرة،ومن أبرز هؤلاء كبير الحجاب والمشرف وقائد الجيش[٢].

كما أنه لم يغفل عندما سيطر على خراسان عن ابقاء الكثير من الموظفين السامانيين في وظائفهم بمجرد ولائهم وتبعيتهم للنظام الغزنوي، وكان أبو العباس الفضل بن أحمد الاسفراييني كاتباً لدى عميد الدولة فائق الخاصة، قبل أن يصبح وزيراً للسلطان محمود، وكذلك الوزير أبو علي حسن بن محمد الميكالي النيشابوري، كان يلازم السلطان منذ بداية نشأته وأوائل صباه، وخاصة فترة حروب السلطان مع السيمحوريين في خراسان، وعمل في عدة مناصب منها أعمال الكتابة ومهامها في ديوان الرسائل وكذلك فوض إليه عمل البريد في

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٨٠.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٤٧.
Nazim: The life and the times. P. 126.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ١٤٧.

سجستان قبل أن يصبح وزيراً، وقد وقع عليه الاختيار بعد عزل الوزير أحمد بن الحسن الميمندي من بين ثلاث شخصيات كانت معروفة مرشحة لمنصب الوزارة ويكفيه أن قال عنه السلطان محمود، " إنه يتفوق عليهم جميعاً بعلو النسب وكمال الحسب والوقوف على دقائق الأمور"[1].

كذلك لم يستغن كل من السلطانين محمود ومسعود عن خدمات العائلات العريقة سواء في الحياة الإدارية أو القضائية، فقد شاركت هذه العائلات التي كانت تسكن خراسان ومنها الأسرة التبانية والأسرة الميكائيلية في أعمال كثيرة تجاه الدولة الغزنوية، وقد برزت شخصيات كبيرة من هاتين الأسرتين أمثال: أبو صالح التباني وأبي طاهر التباني والخواجة حسين علي ميكائيل، فقد عين السلطان محمود ابان وجوده في نيسابور أيام السامانيين الفقيه أبا صالح التبانيإ أماماً على مذهب أبي حنيفة في غزنة ٣٨٥هـ كما أوفد أبا طاهر التباني إلى بغراخان والدقدرخان ليتفاوض معه عندما استولى على بخارى وخزائن الدولة السامانية سنة ٣٨٠هـ، ثم تولى بعد ذلك قضاء طوس ونسا، كما عين السلطان مسعود الخواجة حسين علي ميكائيل كتخدا لجيش بكتغدي الذي أرسله إلى خراسان[2]. هكذا رحبت الدولة الغزنوية بهؤلاء الرجال المحنكين في الإدارة سواء كان ذلك في إدارة دفة البلاد أو استقطابهم في الإدارة المحلية أو القضائية لبقية نواحي الدولة، هذا وكان دور السلطان محمود وابنه السلطان مسعود بعد ذلك هو الاستفادة من هذه الخبرات القدرات بعد أن امتدت دولتهم إلى مناطق واسعة من بلاد المشرق الإسلامي وخاصة خراسان التي كانت القاعدة العريضة لمعظم الأجهزة الإدارية للدولة والدول السابقة مثل الطاهرية والسامانية – فكان من سياسة السلطان محمود بعد استقرار الأحوال السياسية في جميع أرجاء الدولة أن فتح باب الهجرة والتنقل للخراسانيين وغيرهم للعمل في العاصمة غزنة أو في مدن الإقاليم الإسلامية التي وقعت تحت سيطرتهم، كما أن الدولة الغزنوية لم تستغن عن القدرات والخبرات الإدارية التي كان يمارسها المواطنون القاطنون في تلك الأقاليم، بل قامت بجليهم إلى العاصمة للاستفادة من خبراتهم، هذا وهناك إشارات تدل على أن الغزنويين كانوا يتخذون بعض المدن الخراسانية مثل: نيسابور وبلخ وهراة مراكز إدارية وحواضر في فترات

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٥٤،١٥٥.

غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء ص٤٢٨.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص٢١٣،٢١٤،٥١٥.

متقطعة من السنة، وإن السلطان مسعود في بداية حكمه قد شكل وزارة أحمد بن الحسن الميمندي أثناء وجوده في خراسان، كما كان تتلقى التعازي والتهاني في هذه المدن الثلاثة حتى استقر به المقام في مدينة بلخ وأخذ يدير شؤون الملك منها، بعد أن جاءته الأخبار بأن الجيش قد أيد أخاه الأمير محمد وإنه على استعداد لتأييده إذا أراد دخول غزنة بالقوة أثناء وجود علي تكين فيها، وبعد أنزال هذا الخطر، اتخذ السلطان مسعود من غزنة عاصمة لدولته ومن مدن خراسان حواضر له ولإدارته وكان يتردد عليها في فترات من السنة[1].

هذا وقد خدم الدولة الغزنوية في فترة حكم السلطان محمود وابنه مسعود أربعة وزراء وهم أبوالعباس الفضل بن أحمد الاسفراييني –أحمد بن الحسن الميمندي– أبو علي حسن بن محمد المعروف بحسنك– أحمد عبد الصمد الشيرازي– وهؤلاء قاموا باصلاحات كثيرة في أجهزةالدولة فمنهم من حمدت له هذه الأعمال ومنهم من لقى جزاء هذه الأعمال السجن ومصادرة أمواله بل الموت كما كان مصير الوزير حسنك.

(٢) الوزارة:

كان منصب الوزير من أهم المناصب في الدولة الغزنوية، لأن الوزير كان على رأس الديوان، ويشرف على أعمال الدولة ويرأس جميع موظفيها، مما جعل الوزير يمسك بزمام الأمور ويستطيع توجيه سياسة الدولة في الداخل والخارج إذا كان قوياً نافذ الكلمة[2].

وكان للدولة وزير واحد يقوم بإدارة مجموعة من الدواوين، والتي كانت تعرف حينذاك بديوان الاستيفاء، وديوان الإشراف، وديوان الرسائل وديوان عرض الجيش، وكان الوزير في العصر الغزنوي يسمى "السيد الأعظم"، ويخضع لشروط معينة عندما تسند إليه الوزارة، ومن هذه الشروط ألا يكون رجلاً عجولاً ويكون دقيقاً في تنفيذ الأوامر وأن يتمتع بالكفاءة الوافرة التي تؤهله في حل القضايا المستحدثة، وأخيراً أن يكون قد تدرج في عدة مناصب

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٦ وما بعدها.

(٢) بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء وكسر الياء والمنقوطة باثنتين من تحتها هذه النسبة إلى أسفراين وهي بليدة بنواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، بيروت، ١٩٨٨، ج، ص١٤٣.

(٢) عبد النعيم محمد حسنين (دكتور): إيران والعراق في العصر السلجوقي، ص١٦٢.

إدارية في الدولة، فمثلاً الوزير أحمد بن الحسن الميمندي قد شغل عدة مناصب إدارية قبل أن يصبح وزيراً منها أنه كان جابياً للضرائب ورئيساً لديوان الرسائل، ومحاسباً عاماً، كما كان الوزير أبو العباس الفضل بن احمد الإسفراييني يشغل منصب البريد في مرو أثناء حكم السامانيين قبل أن يعتلي الوزارة في العهد الغزنوي[1].

كذلك كان يسند إلى الوزير أحياناً بالإضافة إلى منصبه إدارة الشؤون العسكرية والمالية، فمثلاً الوزير أبو العباس الفضل بن أحمد تولى بجانب عمله كوزير الشؤون المالية للدولة، فلما عجز عن دفع المبالغ المعتادة على وزارته، غضب عليه السلطان، ويقال إنه دخل السجن بمحض إرادته رغم استنكار أصحابه ذلك العمل، ولكن السلطان تركه في السجن إلى أن مات سنة ٤٠٤هـ وهي السنة التي كان السلطان غائباً عن الدولة لانشغاله بغزو سومنات[2].

أما عن إسناد الشؤون العسكرية للوزير فهناك اشارات تدل على أن معظم الوزراء قد تولوا إدارة شؤون الجيش مع مهام المنصب الرئيسي وهو الوزير الأول للدولة، فالوزير أحمد بن الحسن الميمندي شغل هذا المنصب في الوزارة الأولى في عهد السلطان محمود، ولكنه اعتذر للسلطان مسعود عن توليه هذا المنصب للمرة الثانية نظراً لكبر سنّه، أما الوزير أحمد بن عبد الصمد الشيرازي فقد تولى بالإضافة إلى منصبه كوزير شؤون الجيش، وقد اكتسب هذه الخبرة فترة وجوده في بلاط خوارزمشاه وأثناء مشاركته هذا الأمير في حروبه ضد الأتراك القراخانيين والسلاجقة، كما أنه لعب دوراً كبيراً في إدارة شؤون الجيش فترة الحروب التي دارت بين الغزنويين والسلاجقة وإقليم خراسان حتى أصبح موضع ثقة السلطان مسعود، وترك له أمر قيادة الجيوش هناك قائلاً عنه "إن الوزير أحمد عبد الصمد خليفتنا في خراسان وإن مرو والمدن الأخرى كلها مملوءة بالجند" فقاد أبو نصر أحمد بن عبد الصمد مهام السلطنة ودبر أمور الجيش والرعية بأسلوب أصبح -بواسطته- دستوراً لوزراء العالم وقانوناً لمدبري أمور الدنيا[3]

---

(١) Nazim: The life andthe Times. P. 134.

(٢) عقيلي: آثار الوزراء، ص ١٥١و ١٥٢.

Nazim: The life and the Times. P. 135.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٥٠.

خواندمير: دستور الوزراء ص٢٤٠.

لم يتهاون السلاطين الغزنويون مع وزرائهم إذا استغلوا نفوذهم في الحصول على المال الوفير، فالسلطان محمود قبض على وزيره أحمد بن الميمندي وصادر أمواله سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م بعد أن نمى إلى علمه أنه يسئ استغلال سلطاته، فأودعه السجن في أحد قلاع الهند، وبذلك تجاهل -السلطان محمود- خدمات الوزير الجليلة له ولدولته، وظل في السجن إلى أن ولي مسعود الحكم فأمر بالإفراج عنه، وعهد إليه بالوزارة فقبله هذه المرة بشروط مسبقة سوف نتكلم عليها في موضع آخر[1]

وجرت العادة إذا رشح السلطان رجلاً لتولي الوزارة أن يكتب المرشح إلى السلطان بياناً بالمهام التي سيضطلع بها بعد تعيينه والاصلاحات والانجازات والواجبات التي يعتزم الالتزام بها في وزارته، وكانت هذه المهام توضع في مجموعة من الشروط والاستفسارات[2]. أمام السلطان، ليتبادل مع الوزير الآراء في وضع برنامج متكامل لما يقوم به الوزير بعد ذلك من إصلاحات وإنجازات تجاه الدولة والعامة، وبعد موافقة الطرفين -السلطان والوزير- على هذه المواضعة، ترفق معها ورقة كتبت عليها صيغة القسم الذي يؤديه الوزير أمام السلطان في احتفال خاص سوف يعد له القصر فيما بعد. كما أن هذه المواضعة كانت تحفظ في قسم المحفوظات السلطانية الخاصة ويقوم على رعايتها قائم يسمى "دوات دار"[3].

ثم كان الوزير يخضع لرسوم معينة بعد أن يؤدي القسم المعهود، فيأمره السلطان بالذهاب إلى خزانة الملابس لارتداء الخلعة المخصصة له، وتتكون من قباء ناصع البياض عليه نقوش دقيقة الطراز، وسلسلة فخمة، ومنطقة تزن ألف مثقال من الذهب، مرصعة بالفيروز، وبعد ارتداء هذه الخلع السلطانية يدخل الوزير مجلس السلطان، فيقف له الجميع، ويؤدي التحية للسلطان ويقبل الأرض بين يديه ثم يسمح له السلطان بعد ذلك بالجلوس إلى

---

(١) خواندمير: حبيب السير، ج٢، ص٢٦-٢٧.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٤٩.

(٢) كانت تسمى المواضعة

(٣) وهو الموكل بحفظ الوثائق السلطانية المهمة.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٦٣.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٤٩.
بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، القاهرة،الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص٨٦.
حسن أنوري: اصطلاحات ديواني، ص٣٧.

جواره[1].

كذلك كان من المراسم المألفة في ذلك الوقت بعد مراسم الاحتفال بتقليد الوزير مهام منصبه، أن يتبادل السلطان والوزير الهدايا النفيسة، فالوزير أحمد ابن الحسن الميمندي أهدى السلطان مسعود بعد توليه الوزارة عقداً من الجوهر، أعطاه السلطان خاتماً من الفيروز نقش عليه اسمه وقال: "هذا خاتم ملكنا تسلمه إليك ليعلم الجميع أن أوامره تالية لأوامرنا". وبعد هذه المراسم يعود الوزير إلى داره في موكب كبير، ثم يتوافد على داره الأعيان وكبار رجال الدولة مهنئين ومقدمين له الهدايا النفيسة[2].

(٣) اشهر وزراء السلطان محمود والسلطان مسعود:

(١) الوزير ابو العباس الفضل بن احمد الإسفرايني:

كان يعمل في بداية حياته نائباً وكاتباً لفائق الذي كان والياً للسامانيين على خراسان ولما أفل نجم فائق، التحق بخدمة الأمير ناصر الدين سبكتكين، وبعد أن توفي هذا الوزير، وجلس ابنه السلطان محمود على عرش السلطنة، شمل أبا العباس بعنايته، وأسند إليه منصب الوزارة، وجاء في كتاب آثار الوزراء أنه برغم أن الفضل ابن احمد كان رجلاً عديم الفضل والأدب، خالياً من التبحر في لغة العرب، إلا أنه كان ماهراً في ضبط أمور السلطنة، وإنجاز مهام الجيش والشعب، وإدخال اللغة الفارسية في دواوين الدولة في عهد السلطان محمود[3]. هذا وبعد أن انقضت عشر سنوات على وزارته، تغير طالعه، وتبدلت أحواله، وانتقل من أوج

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٦٢.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٤٩.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٦٤-١٦٥
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام ص١٥٠.
بدر عبد الرحمن محمد: رسم الغزنويين، ص٨٨

(٣) ومع ذلك منحه الله -سبحانه وتعالى، ابناً اسمه الحجاج، اجتمع فيه الفضائل الشخصية، وأصبح من فضلاء عصره، كما نظم أشعاراً عربية في غاية الفصاحة، والبلاغة. أما ابنته فقد كسبت مهارة فائقة في علم الحديث حسب ما روي عنها بعض المحدثين.
العقيلي: آثار الوزراء ص١٥٠.
غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء ص٢٣٥.

الشرف إلى حضيض الوبال.

ويذكر المؤرخون أسباب عزل الوزير الإسفراييني فيروون عدة روايات منها: أن الأمير علي القريب الذي كان من جملة عظماء وأمراء وكبير حجاب السلطان محمود، انه على نزاع وخلاف مع الوزير أبي العباس الفضل بن أحمد حول بعض القضايا الإدارية والمالية في الدولة، ولما تباطأ الوزير في سداد المبالغ التي على وزارته لخزانة الدولة، بدأ الأمير القريب يحرض السلطان على محاسبته والضغط عليه بتسديد تلك المبالغ من ماله الخاص، فلما عجز عن دفع ذلك، صادر السلطان أمواله، ودخل السجن بمحض إرادته، وخلال هذه الظروف أراد الأمير علي القريب أن يثبت للسلطان خيانة الوزير والستيلاء على أموال الدولة. فترة حكمه، وكان هذا الأمير يحتفظ سراً الوزير الاسفراييني بقبضة خنجر مرصع بالجواهر الثمينة وكأس ياقوتية كان قد حصل عليها كهدايا أيام الحكم الساماني في خراسان، وعندما صدر الحكم من السلطان بالتفتيش على ما يختزنه الوزير، أخذ (هذا الأمير) ذلك الخنجر والكأس إلى القلعة مكان سجنه، وأشاع بين الحاضرين أنه تم الحصول على هذه الأمتعة ضمن مقتنيات الوزير، فغضب السلطان عليه، وأبقاه في سجنه إلى أن مات في عام ٤٠٤هـ[١].

(٢) الوزير أحمد بن الحسن الميمندي:

كان الوزير أبو القاسم أحمد بن الحسن الميمندي من أبرز وزراء السلطان محمود، فقد كان إماماً فاضلاً ومحبوباً لدى العظماء -بفضل جمال خطه ووفور فضله مال فصاحته وكثرة كياسته- وكان أخا للسلطان محمود في الرضاعة، كما كان زميله في الدراسة فترة الطفولة والشباب، ووالده حسن الميمندي كان يعمل في منطقة سبت في تنظيم أموال الديوان وذلك أثناء حياة الأمير ناصر الدين سبكتكين، وقد ظن فيه هذا الأمير بسبب رسائل المفسدين والحاقدين ظناً سيئاً، فقضى عليه، ومن هنا يعتبره بعض الرواة أنه أحد وزراء السلطان محمود وهذا بطبيعة الحال خطأ تاريخي بالنسبة إلى هذه الشخصية، كما أن هذا الخبر ليس له أي أساس من الصحة لدى علماء التاريخ[٢].

---

(١) العقيلي: آثار الوزراء ص١٥٠-١٥٢.
غياث الدين خواند مير: دستور الوزراء ص٢٢٥-٢٣٦.

(٢) العقيلي: آثار الوزراء ص١٥٢-١٥٣.
غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء ص٢٣٦.

هذا وقد تدرج الوزير أحمد بن الحسن في عدة مناصب إدارية قبل أن يتولى الوزارة، فقد شغل منصب رئيس ديوان الرسائل، ثم أخذت العناية والرعاية السلطانية شيئاً فشيئاً – ترفع مكانته إلى أن أسند إليه منصب مستوفي الولايات وشؤون الجند بالإضافة إلى أعماله السابقة الذكر، ثم تقلد مهمة تنظيم جمع أموال بلاد خراسان، وقد أبدى الميمندي مهارة فائقة في إدارة وإنجاز جميع هذه المهام بسرعة تدعو إلى الدهشة، ولولاه لما أمكن إنجازها إلا في سنوات طويلة، ولما تغيرت معاملة السلطان الحسنة على وزيره السابق أبي العباس الإسفراييني، قرر إسناد منصب الوزارة وإدارة جميع شؤون السلطنة إلى الميمندي بعد أن اكتسب تلك الخبرة الطويلة في مجال عمله المتواصل في شؤون الدولة سواء في خراسان أو في الأقاليم الأخرى من الدولة، كما ترك له الحل والعقد في جميع أمور الدولة، وفي بداية عهده أعاد إلى اللغة العربية قوتها كلغة الدواوين، وأمر بكتابتها في جميع إدارات الدولة دون غيرها، وظل ذلك الوزير القوي يقوم بتدبير أمور الملك والمال إلى أن كان هدفاً لحساد من ندماء السلطان، وكبار الأعيان في الدولة، الأمر الذي حمل السلطان على عزله سنة ٤١٤هـ–١٠٢٣م، بعد أن صودرت أمواله، وأمر السلطان بحبسه في قلعة كالنجر، إذ بقي بها حتى نهاية حكم السلطان محمود[١].

ولما تولى السلطان مسعود الحكم سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠–١٠٣١م، أخرج الوزير أحمد بن الحسن الميمندي من السجن فأكرمه وعهد إليه بالوزارة فقبلها هذه المرة بشروط مسبقة جاء ذلك على صورة خطاب أو مواضعة تبادلها الوزير مع السلطان حول برنامج الوزارة وكانت خلاصة هذه الشروط كما يلي:–

١. أن يباشر السلطان شخصياً فحص القرارات قبل تنفيذها من الوزير أحمد بن الحسن الميمندي.

٢. لا يقبل السلطان أية وشاية ضده إلا بعد التحقيق فيها ومعرفة أسبابها.

٣. ديوان العرض وديوان شؤون القصر يشرف عليه السلطان بنفسه،

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٦٠–١٦١.
القفيلي: اثار الوزراء، ص١٥٣.
غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٢٧.
بدر عبد الرحمن: رسوم الغزنويين، ص٩٠.

٤. لا يسمح السلطان للأمراء ونوابهم وكذلك حكام الأقاليم الاستيلاء على أراضي الدولة وأموال الرعية.

٥. يترك السلطان للوزير أحمد أمر تعيين نوابه وأمناء السر ورؤساء البريد[١].

فلما قبل السلطان هذه الشروط، شكل الوزير أحمد بن الحسن الميمندي وزارته الثانية في مدينة بلخ في محرم سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠-١٠٣١م، وكان الوزير قد عاهد الله أن يأخذ الحق من الفقير والغني، وأن لا يتهاون مع أحد مهما بلغ ذلك من الصعاب، ومع هذا فقد واجه الوزير في بداية عهده بعض المشاكل، ولكن لحسن سياسته وبعد نظره، استطاع أن يحصر هذه المشاكل ويحلها وأن يتغاضى عن بعضها مراعاة للمصلحة العامة، وهذه العملية جعلت السلطان يحترم الوزير وقراراته ومحاولته مناصرة المظلومين، كما ترك له أمر تدبير شؤون المملكة وجعله أميناً لسره ومشورته، وكان يدعوه تارة بالسيد الأعظم "خواجة بزرك"، وتارة أخرى بالأستاذ الرئيس، وكان يرجع إليه في جميع الأعمال والأمور التي تستدعيها المشورة والدليل على ذلك أن السلطان عندما أراد أن يقود حملة تأديبية ضد أحد القادة المنشقين عليه في بلاد الهند، استطاع الوزير الميمندي بساسته الحكيمة أن يقنع السلطان مسعود بالتراجع عن السفر إلى هذه البلاد لفترة أخرى حتى يستتب الأمن وتعود الأوضاع السياسية إلى حالتها الطبيعية في تلك النواحي، وكان الوزير الميمندي يرى بهذه المشرورة أن منطقة خراسان أولى بالاهتمام في تلك المرحلة من غيرها وذلك بسبب ظهور بعض القادة أمثال علي تكين وغيره ومحاولاتهم شن الغارات الانتقامية بالتعاون مع السلاجقة ضد الأهداف المدنية والعسكرية في بعض المدن الخراسانية مثل بلخ[٢].

هذا وكان السلطان مسعود قد فوض إلى الوزير الميمندي أعمال الدولة، عدا أمور الجيش فقد تولى ذلك أبو سهل الزوزني، فكان الوزير يوجه رجال الدولة طبقاً لما يقتضيه الصالح العام، كما كان يولي ويعزل ويحاسب الولاة، ويحكم في المظالم، إلى أن أخذ شهرة في آفاق البلاد والعباد، وعظمن هيبته في النفوس، وتودد إليه الصغير والكبير، فانتظمت جميع شؤون الدولة على يده، ولم يزل كذلك حتى وافته المنية عام ٤٢٤هـ/ ١٠٣٢-١٠٣٣م،

---

(١) العقيلي: اثار الوزراء، ص١٨٠-١٨٦.

Nazim: The life and the times p 130.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٧١، ٢١٠-٢١١.

ولما علم السلطان مسعود بخبر وفاته نعاه قائلاً: "لقد كان أحمد وحيد عصره، وقل أنه يوجد مثله"[1].

(٣) الوزير أبو علي حسن بن محمد المعروف بـ "حسنك ميكال":

كان أبو علي حسن بن محمد (حسنك) يلازم السلطان محمود منذ بداية نشأته وأوائل صباه، وقد وصف بحلاوة الحديث، وحسن التصريف، كما اتصف بحدة الطبع، وثرء الذهن، ولم يكن صاحب مهارة في فن الكتابة والإنشاء، وغيرها من أمور علم السياق والاستيفاء التي اتصف بهما الوزيران السابقان الإسفراييني والميمندي وفي الفترة التي عزل فيها أحمد بن الحسن الميمندي من منصب الوزارة، رأى السلطان أن يقوم الوزراء العظام بترشيح أحد أكابر الأمة لشغل هذا المنصب، فكتب أمراء الدولة أسماء بعض منهم[2]. فلما عرفوا ميل السلطان محمود إلى اختيار حسنك لتولي منصب الوزارة، اتفقوا جميعاً وعرضوا عليه قولهم: "ليس هناك أنسب من الأمير حسنك لتولي منصب الوزارة". فلقى هذا القول قبولاً في نفس السلطان، وقلد حسنك ذلك المنصب الرفيع، وكان الوزير حسنك قد شغل عدة مناصب في الدولة قبل أن يرتقي منصب الوزارة[3]، فهناك إشارات لدى المؤرخين تدل على أنه شغل منصب أعمال الكتابة ومهامها، كما فوض إليه عمل البريد في سجستان، وأيضاً شارك السلطان محمود في حروبه مع السيمجوريين في خراسان، وأخيراً أسندت إليه بعثة الحج سنة ٤١٤هـ، فاتهمه الخليفة القادر بالله بالقرمطة، ويرجع سبب هذا الاتهام إلى أنه أثناء عودته من الحج عرج في طريقه على أراضي الدولة الفاطمية في بلاد الشام، وقيل أنه قبل الخلع التي أنعم عليه بها الخليفة الظاهر بالله الفاطمي، وكان هذا سبب غضب الخلافة العباسية عليه وعلى السلطان محمود إذ كان الخليفة القادر يعتقد بأن قبوله هدايا الفاطميين كان بإيعاز من السلطان، ولما وصلت العلاقة بين الدولتين إلى طريق مسدود، وجد السلطان محمود حلاً يرضي الطرفين فأرسل هذه الخلع والهدايا إلى دار الخلافة لحرقها أمام الملأ لتكون نهاية لهذه القضية التي أثارت المجتمع الإسلامي على الدولة الغزنوية[4].

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٧١-٣٨٧.

(٢) وكان من المرشحين لتولي هذا المنصب كل من أبي القاسم العارض، وأبي الحسن العقيلي، وأحمد بن عبد الصمد، وحسنك ميكال.

(٣) غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٨.

(٤) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٩٤.

كذلك أتهم الوزير حسنك خلال فترة وزارته، بأنه استخدم نفوذه لامتلاك أراضي الرعايا والمواطنين في نيسابور بصورة غير شرعية، بل إن سلطانه امتدت إلى التدخل في شؤون البيت الغزنوي نفسه، وذلك عندما نصب الأمير محمد حسب توصية السلطان محمد الحكم بدلاً من أخيه الأمير مسعود، وكان يعلم أن مسعوداً ولي للعهد أيام والده، ولم يكتف بذلك بل أنه تلفظ بأقوال غير مهذبة على السلطان مسعود الذي كان في أصفهان وقتها، وكانت تلك الأقوال موجهة لأحد أنصاره ليبلغها له عندما يصبح سلطاناً على البلاد وهذه الأقوال كما يرويها البيهقي: "قل لأميرك أنني أفعل كل ما أفعل بأمر من مولاي (السلطان محمود) فإذا نلت يوماً سرير الملك فأمر بشنق حسنك". ولما انتزع السلطان مسعود الحكم من أخيه الأمير محمد، وقف حسنك ذلك الموقف المناهض لتوليه الحكم، فعزله عن الوزارة، وأمر بالقبض عليه، وصادر أمواله، وانتهت حياته نهاية أليمة محزنة، وبقيت قصة شنقه في ذلك الوقت حديث المجتمع النيسابوري الذي كان يكنّ له كل حب وتقدير لمكانته الاجتماعية بينهم ولأعماله الخيرية التي بقيت ببقاء اسمه، كما تركت هذه أثراً في نفوس المحموديين – أنصار السلطان محمود– الذين كانوا بعد ذلك هدفاً للغلاة من المسعوديين –أنصار السلطان مسعود– في عملية تغيير نظام الدولة وتشكيلها في عهدها الجديد[1].

وحصل السلطان مسعود على ما تمناه، فما أن أعلن عن قراره بالسير إلى غزنة حتى انهارت جبهة خصومه، وانقسمت على نفسها، فوصلت رسالة تأييد من غزنة اشترك في إرسالها معظم أمناء الدولة الذين اشتركوا في تنصيب الأمير محمد وعلى رأسهم الحاجب علي قريب والأمير يوسف بن سبكتكين عم السلطان وأبو سهل الحمدوي وعلي ميكائيل وغيرهم من عتاة المحموديين الذين وقفوا بجانب الأمير محمد أولاً، فأعلن هؤلاء في رسالتهم تأييدهم لحق مسعود وندمهم على ما سبق منهم[2]. وعندما وصل مسعود إلى مدينة دامغان[3]. لحق به أبو سهل الزوزني وهو من كبار القادة في غزنة وأعلن انضمامه إلى

---

(١) نفس المصدر، ص١٩٠.

عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٥١.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٧.

فتحي عبد الفتاح أبو سيف: النزعات السياسية في الدولة الغزنوية مع بداية حكم السلطان مسعود بن محمود الغزنوي –مقالة في مجلة الدراسات الشرقية، العدد الرابع يوليو ١٩٨٦م، ص١٤١.

(٣) دامغان: تقع بين الري ونيسابور، وكانت قصبة قومس، ياقوت الحموي، معجم البلدان مج٢، ص٤٣٣.

مسعود[1].

لم يقتصر الأمر في سبيل تأييد مسعود سياسيا على رسائل قادمة من جانب السياسيين في غزنة لتأييده، بل وصل الأمر إلى حد أن بعض قادة غزنة رحلوا عنها بغلمانهم وعساكرهم للإعلان عن طاعتهم المبكرة لمسعود والانضمام إلى جيشه، كما فعل علي بن عبد الله المعروف بعلي داية، واياز بن إيماق- الذي كان يلقب بالأمير اياز في عهد السلطان محمود -وهما كانا من كبار القادة المحموديين[2].

ويبدو أن التغيير المفاجئ في مواقف هؤلاء القادة، وسرعة انقلابهم على السلطان محمد بن محمود، قد أحدث بعض التغيير في سياسة السلطان مسعود تجاه هولاء القادة والسياسيين فيما بعد، فمنهم من انضم إلى طاعة السلطان والعمل معه ومنهم من غضب عليه السلطان، وترك أمر تصفية هؤلاء القادة[3]. لأنفسهم، لما ساد بينهم من أحقاد، وبقيت للسلطان مسعود في النهاية الكلمة العليا والرأي النافذ على الجميع.

حاول الوزير أحمد بن الحسن الميمندي بعد خروجه من السجن وتولي الوزارة الثانية وذلك في عهد السلطان مسعود حاول إصلاح هذه الفجوة بطريقته المعتادة وسياسته الحكيمة، ولكنه وجد أن التيار المناهض في ذلك الوقت قد سبقه في كل شيء، ولم يجعل لتحكيم العقل مجالاً لإصلاح ما تركه السلطان محمود من خلافات بين البيت الغزنوي وقادته، وأن أبا سهل الزوزني قد ترك له العنان للتصرف في أمور الدولة، فقد قاد مجموعة من المناهضين وبتأييد من السلطان للتشفي والانتقام من المحموديين[4].

---

(1) الكَرديزي: زين الأخبار، ص٣١٩.

ثابتي (سيد علي مويد) تاريخ نيسابور، سلسلة انتشارات انجمن آثار علي إيران ٥٢٥، شاهنشاهي، ص١٣٧.

(2) عباس برويز، ديالمة وغزنويان، ص٣١٥.

Bosworth :The titulature of the Carly Ghaznavids, Oviens XV Leiden 1962. P. 223.

فتحي أبو سيف: النزاعات السياسية في الدولة الغزنوية، ص١٤٢.

(3) أبو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٥٧.

عباس برويز: ديالمة وغزنويان، ص٣١٦.

فتحي أبو سيف: النزاعات السياسية في الدولة الغزنوية، ص١٤٢.

(4) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٥٨، ١٥٩، ١٦٠.

ومع أن الوزير الميمندي استطاع بأسلوب بارع التغلب على هذه الجبهة المناهضة التي كان بإمكانها الوقوف في وجه برنامجه الإصلاحي في السياسة والإدارة، إلا أنه لم يستطع الوقوف أمام مخططها الذي كان يهدف إلى قتل وتقي ومصادرة أموال القادة والسياسيين السابقين في الدولة، فاستمال إلى جانبه كل من أبي سهل الزوزني وأبي سهل الحمدوي وذلك بولاية الأول على أعمال العرض –الجيش– وولاية الثاني في وظيفة الإشراف على المملكة وهي أحدى الوظائف الهامة آنذاك، وتناسي الوزير مؤقتا ما يكنه لأبي سهل الزوزني من كراهية، وفي نفس الوقت خطط الوزير للتخلص من أبي القاسم كثير، المعزول من إدارة العرض وكل من أبي بكر الحصيري، وأبي الحسن العقيلي وكانا من جملة الندماء المقربين للسلطان وكانت تربطهما بالوزير علاقة سيئة منذ أيام السلطان محمود وليس غريباً أن يفكر الوزير في القضاء على هذه الجبهة أو العمل على أضعافها وقد عبر مراراً عن هذه الفترة وعن المناوئين له صراحة بقوله: "فتح هذا السلطان الطريق أمام كثير من الأذناب، وزاد من جرأتهم"[1].

وأخيراً لا يستطيع الباحث أن يجد خطاً واضحاً لسياسة هذه الفترة أمام هذه الاتجاهات المتناقضة إلا إذا اعتبرنا التأرجح بين الاتجاهين والاستفادة من صراعهما هو الخط الذي رسمه السلطان لنفسه، فقد رأى السلطان مسعود ما ينتجه هذا الصراع بين المتنازعين من كشف المثالب وإبراز أعداء وخصوم حكمه، وأن عيون كل جانب من أطراف النزاع هي بمثابة عين السلطان على الجانب الآخر، هذا ما جعل الجميع يسعون لكسب وده ورضاه إما رغبة أو رهبة.

(٤) الوزير أبو نصر أحمد بن عبد الصمد الشيرازي:

كان في بداية حياته رئيساً لديوان التونتاش الحاجب وابنه هارون في مملكة خوارزم، وهو سليل أسرة عريقة في العلم والمجد، عمل أبوه كاتباً لأحد قادة الدولة السامانية ويدعى "حسام الدولة أبا العباس تاش". وكان أحد المرشحين للوزارة في عهد السلطان محمود عندما عزل الوزير أحمد بن الحسن الميمندي في وزارته الأولى، ولكن رشح الوزير أبو علي حسن بن

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٦١، ١٦٩.
فتحي أبو سيف: النزاعات السياسية في الدولة الغزنوية، ص١٥٩.

محمد المعروف بـ "حسنك" لمنصب الوزارة[1].

ولما توفي الوزير أحمد بن الحسن الميمندي، استدعى السلطان مسعود أبا نصر أحمد من خوارزم وأسند إليه منصب الوزارة، فأدار أبو نصر أحمد مهام السلطنة ودبر أمور الجيش والرعية، وقاد الجند وشهد حروباً كثيرة فترة وزارته، وكان أبو نصر قد اكتسب هذه الخبرة أثناء وجوده في بلاط خوارزمشاه وقت حروبه مع الأتراك والسلاجقة، كما أنه لعب دوراً كبيراً في إدارة شؤون الجيش فترة الحروب التي دارت بين الغزنويين والسلاجقة في إقليم خراسان، فلما ازداد خطر السلاجقة في هذا الإقليم، سار إليهم -الوزير أحمد بن عبد الصمد- وشتبك معهم في عدة معارك، حتى أثبت قدرته في مجال العسكرية، وكسب ثقة السلطان وترك له أمر قيادة الجيوش في خراسان، وقد امتدح السلطان تلك القيادة بقوله: "إن الوزير -أحمد بن عبد الصمد- خليفتنا في خراسان وأن مرو والمدن الأخرى مملوءة بالجند"[2].

وكان السلطان مسعود يعرف قدرة هذا الوزير الحربية، لأنه أعجب به عندما استطاع بحكمته وبرايته الحربية أن يخلص القوات الغزنوية من هزيمة محققة بعد أن جرح فيها الحاجب التونتاش ومات متأثراً بجراحه في معركة دبوسي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣٢م[3]. كما كان السلطان يتطلع إلى هذا الوزير أن يخرج الدولة من محنتها في خراسان، وأن يقودها إلى بر الأمان من الناحية العسكرية بعد أن توالت الهزائم المتكررة عليها نتيجة سوء الإدارة والقيادة فيها. فتحمل هذه المسؤولية الكبيرة في فترة كانت من أصعب فترات العصر الغزنوي وهي فترة الصراع على حكم خراسان بين الغزنويين والسلاجقة[4].

وعلى الرغم من علو مكانة الوزير أحمد بن عبد الصمد، فإن السلطان أساء الظن به تحت تأثير أعدائه الذين أبلغوا السلطان أن وزيره يمهد لمجئ السلاجقة إلى خراسان، وقد تعجب الوزير من سوء ظن السلطان به، وتدخل أبو نصر بن مشكان في هذا الموضوع،

---

(١) غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص .
بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين، ص٩٢.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٦٥.

(٣) دبوسي: بلدة صغيرة من أعمال الصغد فيما وراء النهر.

(٤) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٥٠.

وتمكن من إزالة شك السلطان في ولائه(١). ثم دعا السلطان الوزير وكبار قادة الجيش في اجتماع المجلس لدراسة الأوضاع العسكرية في خراسان عام ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م، فقرر إرسال جيش قوي بقيادة مجموعة من القادة العظام على رأسهم سباشي وذلك للسيطرة على الوقوف العسكري هناك، وعقد السلطان النية على الرحيل إلى بلاد الهند، ولكن الوزير نصحه بعدم السفر وقتئذ، واقترح عليه الذهاب إلى بلخ ليكون على مقربة من سير الأحداث الحربية في خراسان، ولكن السلطان لم يتنبه إلى رأيه في تلك الفترة، فاشتكى الوزير إلى بعض رجال الدولة من هذا التصرف ومن نزوات سيده وتقلبه ومن ميله إلى الرحلات الترفيهية، وإهمال واجباته تجاه الدولة وخاصة خراسان التي كانت تهددها الحرب إلى أن سقطت في أيدي السلاجقة عام ٤٣١هـ/١٠٣٩-١٠٤٠م. بعد معركة داندانقان الفاصلة، هذا وظل الوزير أحمد بن عبد الصمد يخدم السلطان مسعود فترة حكمه، وبعد مقتله انضم إلى خدمة ابنه السلطان مودود، ثم دخل السجن بسبب وشاية بعض الأمراء، ووضع له أعداؤه السم في الشراب، فتسبب في وفاة ذلك الوزير(٢).

(٤) الحجابة:

ومن المناصب الكبيرة في الدولة الغزنوية، كبير الحجاب فاختصاصه يشبه اختصاص كبير الأمناء في عصرنا الحاضر إذ يقوم بنقل أوامر السلطان إلى كبار رجال الدولة، وينقل رغبات وطلبات الوزير وكبار الموظفين إلى السلطان، ثم تطور لفظ الحاجب في الدولة الغزنوية، فأصبح يطلق على عدد من أفراد حاشية السلطان من أمراء وقواد وندماء، ويخلع هذا المنصب على كل واحد منهم تقديراً لخدمته، ولا يتقلد منصب الحجابة في الغالب شخص لا يتمتع بحب السلطان له، ويراعى في اختيار الحاجب أن يكون من المخلصين في خدمة البلاط الغزنوي منذ فترة طويلة، ولا يمثله إلا إذا كان من حاشية السلطان، فلذا كان يقوم بالإشراف التام على مقر السلطان ومجلسه وشؤونه الخاصة، ويستشيره السلطان في كل مهام الدولة صغيرها وكبيرها، وقد يسند إليه السلطان مهمة قيادة الحملات الحربية، ويذكر

---

(١) نفس المصدر: ٥١١-٥١٢.
بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين، ص٩٢.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٩٠.
غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٤٠.

البيهقي عدداً من الشخصيات التي تقلدت منصب الحجابة وقيادة الجيوش في عهد السلطان محمود وابنه السلطان مسعود، فمنهم أبو سعيد التونتاش الذي لعب دوراً هاماً في الاستيلاء على خوارزم، وضمها إلى الدولة الغزنوية، فكافأه السلطان محمود بأن أسند إليه ولاية خوارزم، وكذلك علي قريب الحاجب وأخوه منكيراك وأبو بكر الحصيري النديم والحاجب بكتكين وبلكاتكين القائد، والحاجب أرياق قائد الهند... وغيرهم[1].

هذا ويلغ من أهمية هذا المنصب أن صاحبه كان يتولى تدبير أمور الدولة في حالة غياب السلطان أو وفاته فحينما توفي السلطان محمود بعث علي قريب -كبير الحجاب- إلى السلطان محمد لتولي الحكم وتولى كبير الحجاب تدبير شؤون الملك حتى مجئ محمد من جوزجان توليه السلطنة غير أنه عاد وخرج على السلطان محمد، وأرسل إلى مسعود يطلب منه القدوم لتولي الحكم، ويسر له ذلك، ولكن السلطان مسعود أخذ عليه استدعاءه محمد، وعدم انتظار مقدمه، فأمر بالقبض عليه، وصادر أمواله[2].

ومن أبرز الذي شغلوا منصب الحجابة في عهد السلطان محمود، أبو سعيد التونتاشي "كبير الحجاب كما ذكرنا، وكان من الشخصيات القيادية البارزة ممن كان لهم دور في قيام الدولة الغزنوية، وقد تمتع بشخصية قوية، تجلت فيها صفات الإدارة الناجحة والسياسة الحكيمة، ولما انضمت خوارزم إلى الدولة الغزنوية سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧-١٠١٨م، وقع اختيار السلطان محمود عليه ليكون والياً على خوارزم في نفس السنة وأطلق عليه لقب "خوارزمشاه" بالإضافة إلى لقب كبير الحجاب[3].

ولما تولى السلطان مسعود الحكم أكرم التونتاش وأبقاه ضمن حاشيته بغزنة، فكان أحد أمناء سره ومستشاريه، غير أن اتجاه السلطان مسعود إلى معاقبة رجال أبيه حمله على الفرار إلى خوارزم خفية سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، وبقي على وفائه للدولة الغزنوية، وخاض عدة

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٨٩-٩٢.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٥٢.
بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين، ص٩٧-٩٨.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٨٨.
عصام الدين عبد الرؤوف: (دكتور) تاريخ الإسلام، ص١٥٢.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٦٩- ١٧٠.
عصام الدين عبد الرؤوف: (دكتور) تاريخ الإسلام، ص١٥٢.

معارك ضد الدولة القراخانية والسلاجقة، وتوفي في معركة دبوسي ٤٢٣هـ/١٠٣١-٣٢-١٠م، متأثراً بجراحه وهي المعركة الأخيرة التي خاضها ضده "علي تكين" والي القراخانيين على سمرقند[١].

كذلك تولى بكتغدي منصب كبير الحجاب في عهد السلطان مسعود، وعقدت له قيادة الجيوش في خراسان بعد أن خلع عليه السلطان وامتدح قدراته السياسية والإدارية بقوله: "إنك منا بمنزلة العم"، وبعث معه عشرة من المقدمين على رأس جيش قوي إلى نسا أملا في أن يحقق انتصارات ضد السلاجقة في هذا الإقليم وكان ذلك في عام ٤٢٦هـ/١٠٣٥م[٢].

أخيراً لم تقتصر الحجابة على الرجال في الدولة الغزنوية، فقد شاركت النساء في ذلك المنصب، فأسند السلطان مسعود إلى السيدة "ستي زرين" منصب حجابة شؤون القصر السلطاني، وكانت هذه السيدة على علاقة جيدة بالأميرات في البلاط الغزنوي، فلذا كان السلطان يعهد إليها بتبليغ ما يريد من الرسائل إلى أهل الري في كل مجال، هذا وكان من واجبات الحجابة أيضاً ترتيب المراسم السلطانية من حفلات الزواج أو تنصيب الوزراء، وغير ذلك من المناسبات الأخرى، فلما عهد السلطان مسعود بالوزارة إلى الأستاذ الرئيس أحمد بن الحسن الميمندي، صحبه كبير الحجاب بلكاتكين الذي خلف علي قريب إلى خزانة الملابس لارتداء خلعة الوزير، كما أشرفت الحاجبة "ستي زرين" على حفلات زواج الأميرات وزوجات السلطان، وقد وصفت هذه السيدة بعض الزينات والهدايا التي قدمت في زواج السلطان مسعود من ابنة أبي كاليجار بقولها: "كان للعروس سرير كأنه البستان وكان ضمن جهازها إناء أرضيته من نسيج الفضة المزخرفة..."[٣].

ثانياً: الجهاز الإداري في خراسان:

هذا وكانت هناك دواوين أخرى لم تكن أقل أهمية من ديوان الوزراء فإذا ذهبنا إلى الدواوين التي تلي هذا الديوان نجد أنه ديوان العرض الذي يختص بالجيش ونفقاته ومعداته

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٥٠.

(٢) نفس المصدر: ص٥١٥-٥١٧.

(٣) نفس المصدر: ص٢٨٨، ٤٢٠.

عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٥٣.

بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين، ص١٠٠-١٠١.

ورواتبه وحيث أننا سوف نتكلم عنه بالتفصيل في فصل مستقل، لذا فإننا سوف نتابع الحديث عن ديوان الرسائل والذي يختص بأمور المراسلات السلطانية مع الخليفة وحكام الأقاليم، وكان هذا الديوان يسمى أيضاً "مستودع الأسرار" والذي يشرف عليه يجب أن تكون له خبرة وتجربة بشؤون المراسلات السلطانية وأن يكون موضع ثقة ومتقدماً في العمر وذا تجارب إدارية سابقة وعادة كان يتولى هذا المنصب رجل له خبرات في فن الكتابة والإنشاء أو في علم السياق والاستيفاء وعلى أن يتصف بذكاء الطبع وثراء الذهن.

(١) ديوان الرسائل وواجباته تجاه الدولة:

ومن واجبات صاحب ديوان الرسائل الرئيسية هو تحرير أو كتابة الرسائل السلطانية إلى الخليفة أو حكام الدول المجاورة أو أمراء الأقاليم أو الولاة وأصحاب الدواوين في الأقاليم الأخرى، وكان السلطان يملي على صاحب الديوان الرسائل المهمة والخاصة التي توجه إلى الخليفة أو إلى حكام الدول المجاورة، أما الرسائل العادية والمتعلقة بشؤون الإدارة في الدولة والموجهة إلى الأمراء والولاة وأصحاب الدواوين فكان صاحب ديوان الرسائل هو الذي يقوم بصياغتها ثم يعرضها على السلطان للموافقة والتوقيع عليها.

أما التقارير السرية التي كانت تكتب إلى الحكام والقادة والمشرفين وأصحاب البريد فكانت تراجع من قبل صاحب الديوان للاطلاع عليها ومعرفة محتواها قبل عرضها على السلطان، وكان لصاحب الديوان مساعدون وعدد كبير من الموظفين يسمون "دبيران" أو كتاب وكانت رواتبهم عالية، أما أبناؤهم وأبناء المستوفي الذين كانوا يعملون في ديوان الرسائل فإنهم كانوا لا يتقاضون أي راتب من الدولة نظير تدريبهم وتعلمهم هذه الصنعة وهي الكتابة والإنشاء[١].

هذا وكانت ساعات العمل الرسمي في ديوان الرسائل تبدأ من التاسعة أو العاشرة صباحاً وتنتهي في الثالثة ظهراً، أما العطلات الأسبوعية فكانت يومي الثلاثاء والجمعة، أما عن حالات القضايا الطارئة في الدولة فهناك مجموعة من الموظفين يقومون بأداء واجبهم في أوقات غير رسمية، كما أن هناك موظفين كانوا يرافقون السلطان في رحلاته الترفيهية أو

---

(١) Nazim: The life and the times p. 143

عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٦٦.

رحلات الصيد كي يقوموا بخدمته إذا ما طرأت على الدولة أمور جديدة وتستحق البت فيها وكان يرأس ديوان الرسائل في العهدين -السلطان محمود والسلطان مسعود- أبو نصر بن مشكان وقد استطاع فترة ربع قرت من الزمن أن يحل ويفصل في القضايا الشائكة في هذه الدولة وقد اشتهرت هذه الشخصية وكان موضع الاحترام والتقدير من السلطان والعامة، وعندما توفي أبو نصرتولى هذا المنصب أبو سهل الزوزني الذي أخذ على عاتقه مبدأ الانتقام من المحموديين في بداية عهد السلطان مسعود، كما أن طاهر الكاتب تولى هذا المنصب في الفترة الانتقالية لسلطة السلطان مسعود، كما أن أبا الفضل البيهقي كان يعمل نائباً لرئيس ديوان الرسائل مع أبي نصر والذي جاءوا بعده في عصر السلطان مسعود والسلطان مودود[1].

(٢) النظام البريدي وأخبار الرسائل الرسمية:

كانت الخدمات البريدية في جميع أنحاء الدولة تساعد على نقل أخبار السلطان وتتبعها في أرجاء البلاد وكذلك أخبار الأقاليم الواقعة تحت نفوذ الغزنويين، وكان هذا النظام البريدي مكلفاً بنقل أخبار المشرفين بأسرع وقت إلى المسؤولين في الدولة، هذا وكان يتم ترتيب هذه الأمور عن طريق صاحب البريد في المدن والأقاليم لتوصيلها إلى العاصمة غزنة أو إلى الحواضر التي كان السلطان يتخذها مقراً للسلطنة في فترات متقطعة من السنة وهي، بلخ ونيسابور وهراة.

أما كاتب الرسائل الرسمية فهو حلقة وصل بين السلطان وكبار المسؤولين في الدولة وذلك لأهمية هذه الرسائل التي يمليها السلطان عليه ويأمره بكتابتها، فكان هذا المنصب بالغ الأهمية في الدولة، والذين عملوا في هذا المجال هم شخصيات معروفة وسبق الإشارة إليهم أثناء حديثنا عن الإدارة أمثال أبي الفتح البستي وأبي العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني وأبي علي حسن بن محمد (حسنك) قبل أن يرتقوا إلى منصب الوزير في عهدي سبكتكين والسلطان محمود، كما أن نظام الملك يذكر في كتابه (سياست نامة) أن السلطان محموداً كان كاتباً وقارئاً يهوى الإصغاء إلى أخبار الملوك دائما، ولقد حاز كل الصفات والسير

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٥٧،٧-٦٧٠.

(١) Nazim: The life and the times p. 144

الحميدة[1].

وصاحب البريد ومساعدوه كانوا يتقاضون راتب نقدية كبيرة نظراً خدماتهم الجليلة التي يؤدونها للدولة، كما أن هذه الخدمات كانت على شكل البريد المستعجل -إذا جاز لنا استخدام المصطلح- فعندما كانت الرسائل والتقارير الرسمية موجهة من صاحب البريد والمشرفين إلى دواوين الدولة تنقل على وجه السرعة بواسطة "عسكردار" وهم مجموعة من السعاة الذين يحملون الرسائل على ظهور الخيول السريعة ويقال إن هؤلاء السعاة كانوا في الغالب من العرب الذين لهم الخبرة في مجال البريد من محطة بريد إلى أخرى حتى يصلوا إلى المكان المقرر لتسليم الرسالة، وبهذا كانوا يهتمون بنقل ما يقع من أحداث وأخبار ليل نهار من على بعد خمسين فرسخاً وكما جرت به العادة من قبل يجب تعيين نقباء لمراقبتهم والإشراف عليهم حتى لا يتوانوا في أداء واجباتهم[2].

وكان البريد في العصر الغزنوي قد وصل إلى مستوى عال من الخدمة والتطور لدرجة أن التقارير المهمة كانت تكتب بالرموز والمصطلحات المتفق عليها بين دواوين البريد في الدولة، وهذه الرموز لا يعرفها إلا المختصون أو أنها كانت تكتب في ديوان الدولة وكان متفقاً عليها بطبيعة الحال بين بقية أجزاء الدولة، أما الذين لهم حق امتياز الخدمة البريدية في الدولة فهم الوزراء والأمراء وقادة الجيش والمقدمون نظراً لأنهم كانوا هم يتمتعون بامتيازات خاصة من الدولة، وكذلك لأنهم كانوا على اتصال مباشر بالسلطان والوزراء وكبار رجال الدولة هذا وقد شغل وظيفة "صاحب البريد" شخصيات مهمة خدمت (السلطان محمود والسلطان مسعود) وهم أبو عبد الله الفارسي صاحب بريد بلخ، وأبو المظفر الجمحي الذي عمل مع العميد سوري في نيسابور وكذلك عبيد الله سبط أبي العباس الفضل بن أحمد الإسفراييني صاحب بريد سرخس[3].

وعند ما تسلم السلطان مسعود الحكم تولى أبو سهل الزوزني هذا الديوان وأخذ على

---

(١) نظام الملك: سياست نامة، ص١٥٧.

(٢) Nazim: The life and the times p. 145,146

نظام الملك: سياست نامة، ص١٢٣.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٢، ٥١، ٤٣٩.

Nazim: The life and the times p. 146

عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٦٨.

عاتقه أسلوب الانتقام من المحموديين -وهم الشخصيات الذين عملوا مع السلطان محمود- فكان وراء السلطان مسعود حتى أصدر حكم شنق الوزير حسنك في ساحة شارستان ببلخ سنة ٤٢٢هـ. هذا وكان على صاحب الديوان بث العيون في الأطراف دائما، وكانوا يتنكرون في زي تجار وسياح ومتصوفة وبائعي أدوية ودراويش وفراقيش ومطربين وعجائز وغيرهم لنقل كل ما يسمعون من أخبار حتى لا يظل ثمة شيئ خافياً، وحتى يمكن تلافي أي طارئ جديد في حينه. فما أكثر ما كان الولاة والأمراء وأصحاب الإقطاع والعمال يضمرون للسلطان خلافاً وعصياناً ويتربصون به الدوائر سراً، لكن المشرفين كانوا يكتشفون ذلك ويخبرون السلطان به، فيركب من وقته وينقض عليهم بغتة، فيحيق بهم ويحبط مآربهم ومقاصدهم. وكانوا، إذا ما عرفوا أن متمرداً أو جيشاً أجنبياً ينوي الهجوم على الدولة يخبرون السلطان، فيأخذ الأمير أهبته ويدفع عن البلاد الخطر، وقد قام المشرفون والرسل وسعاة البريد بمهمة شاقة وهامة في إقليم خراسان أثناء اعتداءات السلاجقة عليه ولذلك لتوصيل الأخبار أولاً بأول إلى ديوان الوزراء وديوان العرض لكي يتخذوا على ضوء هذه المعلومات الطول البديلة، وليأخذوا حذرهم تجاه إيقاق الحملات المتكررة على مدن خراسان[1].

(٣) ديوان الإشراف:

أما ديوان الإشراف فكان من اختصاصاته المحافظة على أمن الدولة ومصالحها والإشراف على شؤونها الداخلية والخارجية والمحافظة عليها من الأعداء والمتمردين على السلطة، وكان رئيس هذا الديوان يقوم بتعيين المشرفين في جميع أنحاء الدولة، لكي يزودوه بالأخبار والمعلومات الكافية حول الأمن والاستقرار في جميع أقاليم الدولة، ليقدم به التقرير الشامل إلى السطان أو الوزير، فلذا كان يمنح رئيس هذا الديوان والمشرفون الذي يعملون معه المكافآت السخية والوعود بالمناصب الرفيعة في الدولة، وكذلك كانوا يغرون ويحوزون ثقة العبيد والخدم الذين يعملون مع الأمراء وكبار رجال الدولة ليكونوا عيونا عليهم، فمثلاً كان السلطان يعين مشرفين على أبنائه وخاصة ولي العهد ليعرف تحركاته ويكشف كل أموره الخفية، فقد وردت الأخبار إلى السلطان محمود بأن بأن الأمير مسعود إبان مقامه في هراة

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢٧.
نظام الملك: سياست نامة، ص١١١.

كان يعمد سراً إلى السهر مع جماعة من الشبان، ويقيم مجالس الطرب، فيؤتى إليه خفية بالمطربين والمطربات في غفلة من أستاذه ريحان الذي كان يقوم بتربيته، فلم تنته القصة عند ذلك بل انهم نقلوا إلى السلطان أخباراً أخرى حتى قالوا: أنه بنى لنفسه داراً[1]. وللذين معه لمختلف أنواع الاجتماع في ساعة السهر، مع أن أباه السلطان قد عين مشرفاً على نجله الأمير حين يكون في الخارج بعيداً عن مراقبته، لكي يعد عليه أنفاسه ومع ذلك لم يصل إلى هذا المكان الذي كان يسهر فيه، كما أن السلطان وضع مشرفين يعرفهم الأمير من قبيل الغلمان والفراشين والعجائز والمطربين وغيرهم الذين كانوا ينهون إليه كل ما يقفون عليه من أحوال ذلك النجل حتى لا يخفى عليه شيئ، وبذلك كان يؤنبه بما صدر من خلال رسائله وينبهه ويقوم بنصيحته فهو ولي للعهد ويعرف أن سرير الملك سيكون له[2].

وكان لولي العهد عيون على أبيه السلطان، وكان من جملة أولئك نوشتكين الخاصة، وهو أقرب المقربين إلى السلطان محمود، وعمته الأمير الحرة الختلية، لكي يبعثوا له بالمعلومات عن

---

(١) وقصة هذه الدار تتلخص في أن الأمير قد أمر بتشييد بيت في جوسق البستان العدناني للراحة وقت القيلولة وكانت مجهزة بوسائل الراحة، وقد زينت جدرانها من السقف إلى الأرض بصور بديعة، ولما وقف السلطان على هذا الخبر، قرر أن يرسل فارساً قوياً ليتحقق من وجود هذه الدار ويأتيه بالخبر، وقد أعطاه رسالة تخوله بأن يسل سيفه ويضرب عنق كل من يحاول اعتراضه في سبيل الوصول إلى المكان المشار إليه، فلما وصل الفارس إلى هراة، كان الأمير مسعود مجتمعاً بالندماء في صفة السراى العدناني كما أن الحجب فتلغ تكين هو وسائر الحجاب وأهل المراتب والحشم جميعاً كانوا على باب السراي، وما أن وصل هذا الفارس إلى ذلك المكان، حتى استل سيفه وتأبط دبوسه، فأرادوا اعتراضه فلم يجبهم بشئ وسلم الحجاب الرسالة ثم دخل السراي فقرأ فتلغ تكين الرسالة. ثم قدمها إلى الأمير مسعود قائلاً: ماذا يجب أن نعمل؟ فأجاب الأمير: ينبغي تنفيذ أي أمر والامتثال به.
وبعد أن تحقق هذا الفارس من الأمر الموكل إليه ولم يشاهد ما قيل عن الأمير وأن هذه الأقاويل ما هي إلا افتراءات وأكاذيب ملفقة ضده، اعتذر للأمير وقبل الأرض، وأراد الانصراف إلا أن الأمير مسعود قال له، ربما أخطأوا في المكان، وزيادة في التأكد، عليك أن تحقيق من الأماكن الأخرى. وبالفعل تأكد الفارس وبمعيته كبير الحجاب والمشرف وصاحب البريد من بقية الدور والغرف في القصر، ثم استأذن في الانصراف، حاملاً معه تقارير ومحاضر بواقع الحال، وقدمها إلى السلطان، وعندما قرئت على الملأ، قال السلطان: "إنهم يلفقون ضد ولدي الأكاذيب".
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢٦ إلى ١٣٠.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢٦.

Nazim: The life and the times p. 144.

أمور الدولة وتصرفات السلطان إزاءه ومدى حبه له، وما الذي غير رغبته وجعله يعطي ولاية العهد لأخيه محمد عندما بلغته وشاية مؤداها أن مسعوداً غير صالح كي يمسك بزمام الحكم لهذه الدول، وأنه يقيم الحفلات والسهرات دون علم والده، وهذه الأمور بطبيعة الحل أثرت في والده السلطان حتى أنه غير رأيه في ابنه الأمير مسعود وأبعده عن العاصمة وعين أخاه محمداً ولياً للعهد[1].

ثالثاً: التقسيمات الإدارية لإقليم خراسان حتى القرن الخامس الهجري:

كانخراسان حسب النظم الإدارية في العهد الساساني قبل الإسلام مقسمة إلى أربعة أقسام إدارية يحكم كل قسم منها مرزبان[2]. والمرازبة مجموعة ممن يحملون رتبة (الأسيهبد)[3]. وحسب هذه النظم كانت الإدارة مقسمة على هذا النحو: الربع الأول يتبع مرزبان مرو الشاهجهان وأعمالها، والربع الثاني يتبع مرزبان بلخ وطخارستان والربع الثالث يتبع مرزبان هراة وبوشنج وبادغيس، وسجستان، والربع الرابع يتبع مرزبان ما وراء النهر[4].

ولما دخل إقليم فارس وبقية الإقاليم ومنها خراسان في حوزة الإسلام بقيت النظم الإدارية على ما كانت عليه في العهد الساساني، ويرجع ذلك إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد سمح للمسلمين الفاتحين بالتعامل مع تلك النظم الإدارية القديمة حتى يتمكن المسلمون بعد ذلك من إرساء قواعد إدارية إسلامية لهذه المجتمعات المسلمة ومع أن إداره هذه الملتكات الجديدة على عهد الخليفة عمر والخفاء الراشدين من بعده، كانت تخضع لأنماط إدارية متباينة، فمصر وبلاد الشام جرت إدارتها على النماذج البيزنطية، على حين

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢٧.

(٢) مرزبان: يعني المحافظ في المصطلح الحديث، وصاحب المعجم الذهبي يقول: مرزبان: حامي الحدود... حاكم الثغور.

محمد التونجي: المعجم الذهبي، بيروت، ١٩٦٩، ص٥٤١.

(٣) أسيهبد رتبه عسكرية تعادل الفريق في الوقت الحالي وكانت في القديم رتبة قائد لفرقة عسكرية كبيرة ويقال: أسباهد، سپاهبد. أما كلمة أسپهبدان: فهم الطبقة الرابعة من رجال بلاط الساسانيين وهي مؤلفة من قواد الجيش مع رئيسهم الذي كان يسمى (آران أسپهبد) والذي أطلق فيما بعد هذا الإسم على ملوك طبرستان بعد الإسلام.

محمد التونجي: المعجم الذهبي، ص٦٥.

(٤) ابن خردانبة. المسالك والممالك، ص١٨.

سادت العراق وبلاد فارس وخراسان التقاليد البهلوية لغة ونظاماً، فبقيت هذه التنظيمات الإدارية ، وكذلك المؤسسات الإدارية نفسها في هذه البلاد المفتوحة على ما كانت عليه، حتى لا يضطرب سير الأعمال فيها، وأيضاً للاستفادة من خبرة العمال ونظام الإدارة منها، وفي نفس الوقت طعمت هذه الإدارات بالروح العربية الجديدة التي صقلها الإسلام، وزودها بتعاليم سامية تستهدف خير الإنسانية ورفاهيتها، هذا وظلت التقسيمات الإدارية في خراسان في القرنين الأول والثاني الهجريين قائمة على نظامها السابق حتى أنه لم يغير الجغرافيون المسلمون من تقسيمها الرباعي إلا إضافة بعض المدن والأرياف إلى أرباعها الرئيسية وذلك نظراً لاتساع هذه المدن من ناحية السكان ومتطلباتها اليومية[1].

ولعل أقدم نص يتطرق إلى موضوع التقسيمات الإدارية والجغرافية لخراسان من وجهة نظر البلدانيين والجغرافيين المسلمين الرواية التي أوردها ابن الفقيه عن البلاذري وكان تقسيمه قد شمل واقع خراسان في القرنين الأول والثاني الهجريين من الناحية الإدارية وجاء ليشمل أربعة أرباع خراسان مضافاً إليها بعض المدن والمقاطعات الجديدة على هذا النحو:

الربع الأول:

إيران شهر: وهي نيسابور، قهستان، طبسين، هراة، بوشنج، بادغيس وطوس.

الربع الثاني:

مرو الشاهجهان، سرخس، نساوياورد، مرو الروذ، الطالقان، خوارزم، زم، آمل، وهما على نهر بلخ وبخارى.

والربع الثالث:

غربي النهر وبينه وبين النهر ثمانية فراسخ، فارياب، وجوزجان، وطخارستان، ختل وهي خش والقواديان وخست وأندرابة وباميان وبغلان ووالج وهي مدينة مزاحم بن بسطام ورستاق بنك وبدخشان وهي مدخل الناس إلى التبت ومن أندرابة مدخل الناس إلى كابل ترمذ وهي في شرقي بلخ صغانيان وزم وطخارستان السفلى وخلم وسمنجان.

والربع الرابع:

ما وراء النهر بخارى والشاش وطراز بند والسغد وهو كس ونسف والرويستان

---

(١) ابراهيم أحمد العدوي: التاريخ الإسلامي (آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية). القاهرة ١٩٧٦، ص١٣٤.

وأسروشنة وسنام قلعة المقنع وفرغانة والشم وسمرقند وأباركت وبناكت والترك[1].

وإذا نظرنا إلى التقسيمات الجغرافية والإدارية في القرنين الثالث والرابع الهجريين حتى القرن الخامس الهجري نجد أن الجغرافيين المسلمين قد ألغوا التقسيم الرباعي كما كان معروفاً في فترة الحكم الساساني وفي القرنين الأول والثاني الهجريين، وبدأوا في العصور التالية يسمون أهم المدن الخراسانية بتسميات أكثر تنظيماً وإيضاحاً واضعين أمامهم الاعتبارات السكانية والإدارية والاقتصادية والعسكرية لتلك المدن الهامة، فنجد أن كلمة كورة أطلقت على نيسابور وهراة ومرو الروذ وبلخ وبوشنج وطخارستان وترمذ وبخارى وسمر قند وطوس وسرخس وأبيورد وبادغيس ونساوقوهستان وغيرها من المدن الأخرى وظل هذا النظام قائماً حتى مجئ الغزنويين إلى خراسان سنة ٣٨٩هـ في عهد السلطان محمود[2]. ثم ظهرت تسميات إدارية أخرى لتنظيم هذه المحافظات فهناك القصبة والرستاق أدخلها السامانيون ضمن النظم الإدارية في إقليم خراسان والهدف منها تقسيم هذا الإقليم وخضوعه لنظام الدواوين والبريد والمراكز ليكون على اتصال مباشر بالحكومة المركزية في العاصمة بخارى. كما ازدهرت خراسان وما وراء النهر في العصر الساماني والغزنوي نتيجة للإدارة المنظمة وبلغت المدينة غاية التقدم لما زودت به من شؤون الخدمات والمرافق التي تساعد السكان على قضاء حاجاتهم دون عناء أو تعب[3].

أما في العصر الغزنوي فيلاحظ أن التقسيمات الإدارية لإقليم خراسان في القرنين الرابع والخامس أن البلدانيين والجغرفيين ضموا البلاد الواقعة فيما وراء النهر إلى هذا الإقليم وذلك حسب التقسيمات الإدارية التي كانت الدولة السامانية تقوم بتنظيمها في ذلك الوقت إلى أن ضم إلى خراسان ولايات وهي سجستان ثم طبرستان وجرجان والري وما يتصل بها.

إلا أن الحروب التي وقعت بين السامانيين والسيمجوريين في إقليم خراسان كانت السبب في تقسيم هذا الإقليم إلى قسمين في عهد الأمير نوح الساماني، ولقد تم الاتفاق بين

---

(١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص٣٢١، ٣٢٢.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٩٨.

الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٤٥،١٤٦.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٥٨،٣٦١.

سبكتكين والقراخانيين على أن تكون جميع الولايات الواقعة جنوبي نهر جيحون تحت سيطرة سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية، أما الولايات الواقعة شمالي نهر جيحون فإنها تكون ضمن أملاك الدولة القراخانية[1].

ومن المعروف أن الغزنويين قد تقلدوا عدة مناصب إدارية في فترة حكم السامانيين لإقليم خراسان، فهناك إشارات تاريخية تدل على أن البتكين قد تولى السپهسالارية (قيادة الجيوش) وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، وكان صادق العهد وفياً وشجاعا جداً، حتى وثق فيه بنوسامان ووضعوا تحت تصرفه أموال خراسان والعراق، ثم عظم شأنه في خراسان، فكان له ألف وسبعمائة عبد وغلام تركي.

وظلت هذه السمة مسيطرة على روح الإدارة في خراسان، ولما مات عبد الملك ابن نوح الساماني، بدأت الدولة السامانية تضعف إدارياً وعسكرياً أمام القوى المتحالفة من الأمراء والولاة، وكان البتكين في هذه الأثناء قد بلغ منصب الوزارة بعد أن ولي نيسابور، فهو بدلاً من أن يساند الدولة ويحافظ على كيانها -وكان قدراً على ذلك- انطلق يهاجم أميره في جيش كبير، ويعلل المؤرخون ذلك إلى أن خاصة أمرائه من بخارى قد كتبوا له: "لقد حدث كذا وكذا وتوفي أمير خراسان مخلفاً وراءه أخا في الثلاثين من عمره وابنا في السادسة عشرة، فإلى أيهما تعهد بالملك فأمر هذه المملكة منوط بك".

فسير البتكين رسوله على وجه السرعة برسالة تقوله: "كلاهما أهل للملك، وهما أميران من ولد مولانا، وأرى من الأصوب تنصيب ابن الأمير"[2].

عندما وصل رسول البتكين إلى بخارى، كان قد نصب للحكم الأمير أبو صالح منصور بن نوح أخو الأمير السابق لإمارة خراسان وما وراءالنهر، ومن ثم اعترى البتكين الخجل لرسالتيه اللتين كان قد أرسلهما وقال: "فلماذا استشارني أولئك الأوغاد اللئام إذن، فقد أرادوا الاستئثار بالأمـــر وحدهم؟ إن الإثنين مني بمنزله النـــور من العين"[3].

---

(١) بارتولد: تركستان، ص٤٠١.

(٢) الكَرديزي: زين الأخبار، ص٢٥٨.

الجوزجاني، طبقات ناصري، ج١، ص٢٥١.

نظام الملك: سياست نامة، ص١٤٧.

(٣) نظام الملك: سياست نامة، ص١٤٨. الكَرديزي: زين الأخبار، ص٢٥٨، ٢٥٩.

ولما علم الأمير منصور بن نوح بما أشار به البتكين على رجال البلاط بتعيين ابن أخيه حاكماً على الدولة استاء منه، ثم أخذ الحاقدون يضمرون له الكراهية ويشوهون سمعته لدى الأمير منصور حتى أوحوا إليه قائلين له: "لن تكون أميراً وحاكماً حقيقياً ما لم تقتل البتكين، إنه يحكم خراسان من ثلاث وخمسين سنة ويكدس الأموال والثروات، وإن الجيش كله يأتمر -بأمره ويطيعه والرأي أن تقبض عليه وتفرغ منه بالاً وتملأ الخزينة بأمواله- وليس من حيلة لهذا سوى أن تستدعيه إلى البلاط وتظهر له الود، فتقول له على سبيل الخداع: "إنك منذ تولينا الإمارة، لم تأت إلى البلاط ولم تجدد العهد والولاء، إنك محط آمالنا وقد اتخذناك بمثابة الأب، إن قواعد ملكنا راسخة بك، فأنت مدار ما وراء النهر وخراسان، أما ما يدور على الألسن من قيل وقال فليس إلا أنك لم تأت إلينا قط. عليك الحضور إلى البلاط بأسرع وقت ممكن لإعادة كل ما خرج عن قاعدته وأصوله في بلاطنا وقصرنا سيرته الأولى ليزداد اعتمادنا عليك وثقتنا بك، وتخرس ألسنة ذوي المآرب الخبيثة وتكف عن الكلام"[1].

يتبين لنا من هذه الخطة التي خططها الحاقدون هو قتل هذا القائد الكبير الذي اكتسب خبرة وكفاءة كبيرة في إقليم خراسان، وكان له نشاط وأعمال كثيرة وضع عليها بصماته منذ أكثر من ثلاثة وخمسين عاماً، هذا وكان الأمير يعلم قدرات البتكين من هذه النواحي وماله من مكانة مرموقة في المجتمع الخراساني إلا أن هؤلاء الحاقدون كانوا ينتظرون نهاية محزنة لهذا القائد الكبير في خراسان، ولكن البتكين عندما علم بالغدر من جانب الدولة السامانية، لم يرد الصراع مع الدولة وأميرها لما كان يكن لهما من الحب والإخلاص فلذا أنهى صراعه مع الأمير منصور بن نوح بأن ترك إقليم خراسان ووجه كل خبراته العسكرية والإدارية نحو الجهاد في سبيل الله ببلاد الهند، وكان موفقاً في هذا الاختيار حيث أنه وضع في تلك المناطق اللبنة الأولى لتأسيس مملكة في غزنة إلى أن جاء أحفاده وحققوا أحلامه، وأسسوا تلك الدولة المتسعة الأرجاء في المشرق الإسلامي.

ولما جاء خلفاء البتكين حسب التسلسل الزمني لتوليهم الحكم في البيت الغزنوي كانوا جميعا لهم الخبرة العسكرية في ميدان الحرب، ووصلوا إلى أعلى الرتب العسكرية وهي رتبة السپسهالارية (قائد الجيش). كما ظلو أوفياء وبادروا بالمساعدة والعون بقواتهم للدولة السامانية التي كانت تعاني من الاضطرابات والانقسامات في الإدارة وتمرد الجيش خاصة

---

(١) نظام الملك: سياست نامة، ص١٤٩.

في خراسان.

(١) الإدارة في عهد سبكتكين والسلطان محمود:

هذا وكانت الفترة الانتقالية لتأسيس مملكة في غزنة من عصر البتكين إلى بيريتكين مجرد اختبار القوى في تلك المناطق إلى أن استقر الحكم لسبكتكين الذي استخدم نكاءه في تهيئة المنطقة لنظام إداري ليس بجديد على النظام المركزي في بخارى إذ يمكن القول بأن هذا النظام كان قائماً في تلك المناطق إلا أن سبكتكين قد تمسك به لإعطائه ولاية غزنة وبعض الولايات التي استولى عليها صفة الاستقلالية وكذلك إعطاء المحاربين نوعاً من الاستقرار بعد الحروب التي قدموا من خلالها للدولة الانتصارات الكبيرة. فكانت بداية تكوين الهيئة الإدارية في غزنة من ثلاثة دوواوين أساسية وهي:-

١) ديوان الإدارة وجبي الضرائب من الأقاليم التي أدخلت تدريجيا إلى غزنة.

٢) ديوان يهتم بمرتبات وتموين الجيش، وإقطاع القادة أراضي الدولة.

٣) ديوان يتعامل مع المراسلات والعلاقات السياسية مع بخارى[(١)].

وكانت هذه الدواوين الثلاثة كما تذكر المصادر والمراجع تطابق نظام ديوان الوزير وديوان العرض وديوان الرسائل في الدولة السامانية، ولا نستطيع أن نجزم في بداية تكوين الإدارة في غزنة من هم الذين عملوا مع إدارة سبكتكين، كما اتضحت فيما بعد أسماء الوزراء ورؤساء الدواوين في عصري محمود وابنه مسعود، ومع ذلك فهناك إشارات تدل على أن سبكتكين في حملته على بست عين ابنه محموداً كنائب عنه في غزنة، وعندما حقق مكاسب عسكرية هناك انضم إليه بعض العلماء والأدباء والإداريين أمثال أبي الفتح البستي الذي كان يعمل كاتباً عند القائد باي توز في بست، وقد عمل البستي في البداية ككاتب في الدولة الغزنوية إلى أن أصبح رئيساً لديوان الرسائل، وهذا المنصب كان أشبه بمنصب وزير الخارجية في الدولة الحديثة -إذا جاز لنا التعبير لأنه كان حلقة اتصال بين رجال عصره من الملوك الحكام والأمراء وبين الدولة الغزنوية الحديثة الناشئة التي كان يشرف عليها الأمير سبكتكين.

---

(١) Bosworth: The Ghznavids. P. 42.

فقد وثق أبو الفتح أواصر الصداقة بينه وبين خلف بن أحمد أمير سجستان وأقرب الولايات إلى غزنة، حين مدح هذا الأمير في مناسبات كثيرة حتى كسب وده وأعجب بشعره وأرسل إليه على يد أحد خواصه ثلاثمائة دينار، وكذلك وطد العلاقة بين الأمير سبكتكين والأمير خلف بن أحمد الصفاري، حتى قويت بينهما الصداقة والتعاون وظهر ذلك التعاون عندما دعت ظروف سبكتكين إلى طلب معاونة خلف ابن أحمد له في حربه ضد أبي علي بن سيمجور، وهي الحرب التي كلفته بها الدولة السامانية إبان ضعفها لتأديب ذلك الوالي الذي خرج عليها في خراسان، فاستجاب خلف بن أحمد الصفاري لهذه الرغبة وحارب بجيوشه جنباً إلى جنب جيوش سبكتكين حتى انتهت تلك الحرب بهزيمة السيمجوريين وتولية محمود بن سبكتكين قيادة الجيوش السامانية وحكم خراسان بدلاً من أبي علي السيمجوري[1].

وكذلك وطد أبو الفتح البستي العلاقات بين سبكتكين وقابوس بن وشمكَير أمير طبرستان وذلك عندما أدى قابوس خدمة جليلة للأمير سبكتكين أبان حربه ضد السيمجوريين إذ كان حليفاً له، فأمر قابوس ابنه "دارا" بالانحياز بجيشه إلى جانب الجيش الغزنوي وكانت حركة حاسمة أدت على الفور إلى انقلاب ميزان المعركة لصالح الغزنويين، ولم تقتصر صلات أبي الفتح بوصفه رجل الدولة على أمراء هذه الولايات الصغيرة التي أسهمت في تعضيد ومناصرة الدولة الغزنوية الناشئة وتثبيت حكمها في تلك الأطراف، بل نراه كذلك انطلاقاً منه في تحقيق هذا الهدف يوثق صلاته برجال الدولتين الكبيرتين في تلك المنطقة وهما الدولة السامانية والدولة البويهية[2].

ولقد كانت غزنة ولاية من ولايات الدولة السامانية قبل تأسيس الدولة الغزنوية وواليها يعد واحداً من ولاتها، وحينما أسس سبكتكين دولته في تلك الجهات، كان يسعى إلى اعتراف من الدولة السامانية، فرأى في كاتبه أبي الفتح البستي الشخص الذي يستطيع أن يلعب دوراً هاماً في توطيد العلاقة بينه وبين السامانيين، فهو بحكم رئاسته لديوان الكتابة كان على اتصال دائم برجال البلاط الساماني من خلال مكاتباته الرسمية لهم حيث أنه كان يشرح سياسة سبكتكين تجاه فتوحاته في الهند، وكذلك ضمه لبعض الولايات التي وقعت في حوزته ومنها بست وقصدار، واستطاع من خلال سياسته الحكيمة ودرايته وحنكته أن يكسب

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج١ ، ص٢٧٥.

(٢) محمد مرسي الخولي: أبوالفتح البستي (حياته وشعره)، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م، ص٦٥، ٦٦.

تأييد الدولة السامانية لسبكتكين وأعماله في الهند مع الاعتراف بدولته في غزنة والولايات التي ضمها إلى إدارته ومنها الولايتان بست وقصدار. أما صلة –أبي الفتح البستي– بالدولة البويهية وهي التي كانت تنازع الدولة السامانية النفوذ وتؤلب عليها قوادها وتجتزئ من أراضيها كلما سنحت لها الفرصة، وتقف منها موقف الند، فقد كانت صلة الترقب وكف الأذى ما أمكن، وخصوصاً في الفترة التي أصبح فيها للأمير سبكتكين بعض الهيمنة على شؤون الحكم في الدولة السامانية[1].

وتحقيقاً لهذه الغاية، وثق أبو الفتح صلته بالوزير الكبير الصاحب بن عباد ومدحه بكثير من شعره الذي ضمنه الكثير من المودة والتقدير والإعجاب، وكان نتيجة هذا المديح أن كسب احترام هذا الوزير الكبير، وأدى ذلك إلى عدم الاحتكاك بين الدولتين حول السيادة والسلطة على الأقاليم السامانية طوال حياة الصاحب بن عباد الذي توفي عام ٣٨٥هـ[2].

هذا وقد خدم أبو الفتح البستي بهذه الأعمال الجليلة الدولة الغزنوية في بداية عهدها، إذ حمى ظهرها من كل ضرر يحتمل أن يقع عليها من جيرانها، في الوقت الذي كان فيهأميرها متجها بكل جهده وطاقته إلى فتوحاته في الهند، كما أنه بذل كل الجهد والعناية في سبيل نجاح هذه الدولة الناشئة وظهورها على مسرح الأحداث، ويكفيه أنه تعامل مع رجال الدول المجاورة التي تمرست على الخبرة السياسية والقوة العسكرية في المنطقة، وكان لنجاحه في أداء واجبه كرئيس لديوان الكتابة، ونجح أميره في غزواته الموفقة للهند، أعظم الفضل في تأسيس هذه الدولة الوليدة إدارياً في غزنة ومن ثم في خراسان في عهد السلطان محمود.

بعد وفاة الأمير نصر الدين سبكتكين، واستقرار الأمر لابنه الأكبر محمود، استمر أبوالفتح في خدمة السلطان محمود، ومن أعماله الثقافية أنه ألف پندنامه وهي مجموعة تعاليم ونصائح كتبها في عهد الأمير سبكتكين لابنه السلطان محمود عن حياته السابقة قبل

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج١، ص٢٣٨.

(٢) محمد مرسي الخولي:أبو الفتح البستي، ص٦٨.

أن يتوج أميراً لغزنة[1]، وظل أبو الفتح في خدمة السلطان محمود إلى أن غضب عليه فنفاه إلى تركستان.

توفي في عام ٤٠٠ أو ٤٠١هـ، وكان وفاته بأوزجند قصبة بلاد الترك[2].

وبعد أن أرسى سبكتكين دعائم الحكم والإدارة في الولايات الشرقية ووطد علاقته بدولة السامانيين وعمل معها في إزالة بعض الاضطرابات والثورات التي كانت تعرقل مسيرة الحياة السياسية والإدارية والاقتصادية في إقليم خراسان، اكتسب سبكتكين وابنه محمود بتأييدهما ومساندتهما للدولة السامانية منزلة كبيرة لدى البلاط الساماني فقلد الأمير نوح بن منصور "سبكتكين" سپهالارية (قيادة جيوش خراسان) وحكم ولاية نيسابور لابنه محمد الذي اكتسب خلال وجوده في هذه المدينة خبرة إدارية جديدة إلى جانب الخبرات السابقة التي اكتسبها خلال توليه أول ولاية في عهد والده ألا وهي زمين داورد من بلاد بست[3].

---

(١) العتبي: التاريخ اليميني، ج١، ص ٧١.
سيف الدين حاجي بن نظام عقيلي: اثار الوزراء بتصحيح وتعليق مير جلال الدين حسيني آرموي، تهران ١٣٣٧ شمسي، ص١٤٩.

(٢) نفس المصدر، ص١٤٩.
(ويجمع المؤرخون على أن أبا الفتح قد توفي في منفاه عام ٤٠٠هـ أو ٤٠١هـ إلا أن البيهقي يذكر أنه كان حياً حتى يوم ٢٧ صفر ٤٢٢هـ وهذا يؤيد الرأي الذي يقول أنه توفي سنة ٤٣٠هـ وكان البيهقي قد ذكر في أحداث عام ٤٢٢هـ أنه كان يشتغل في الاصطبل وقد صادف ذلك أن كان أبو نصر بن مشكان الذي كان يقوم في ذلك الوقت بحل مشكلة الفقيه الحصيري وابنه مع الوزير أحمد بن الحسن الميمندي عندما طلب أبو نصر الإذن بالدخول على الوزير، وقبل أن يدخل على الوزير اعترض أبو الفتح البستي طريقه وهو يرتدي ثوباً خلقاً وفي عنقه قربة صغيرة قائلاً: لقد مر علي عشرون يوماً اشتغل بحمل الماء إلى الاصطبل، فاشفع لي ليصفح الأستاذ الرئيس عني ويقيني أن الشفاعة لا تؤثر عند الوزير إلا إن تكون من مثلك، فقلت له إني ذاهب الان في مهمة خطيرة فإذا انتهيت منها فسوف أبذل الجهد في شانك وأرجو أن أوفق. وبعد أن استطاع حل مشكلة الفقيه الحصيري وابنه، قال الوزير إن لي حاجة أخرى فقال له: اطلب فأجيبك خيراً، قلت شاهدت أبا الفتح بالقربة وليس حسناً أن يعمل مثله في الاصطبل ولو كان الواجب أن يعاقب فقد عوقب، وإن له سابقة الخدمات الكثيرة عند مولانا، وقد عرف السلطان قدره وهو يعطف عليه نظراً للقواعد المرعية من عهد السلطان محمود، فإذا رأى الوزير عفا عنه، قال: عفوت، فليدعوه فدعوه، وتقدم بتلك الكسوة الخلقة وقبل الأرض ثم وقف فقال له الوزير: هل تبت عن بث الأراجيف، قال: يا مولاي إن القربة والاصطبل قد علماني التوبة فضحك الوزير وأمر أن يذهبوا به إلى الحمام ويلبسوه حلة. وجاء وقبل الأرض فأجلسه وأمر له بالطعام، فتناول منه شيئاً ثم أمره باحتساء عدة أقداح فشرب ثم طيب خاطره وصرفه إلى داره. البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٧٧.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١١٧.

وعندما انهارت الدولة السامانية في ٣٨٩هـ/٩٩٩. تة اسم كل من الدولتين الغزنوية والقراخانية الأسلاب فكانت خراسان خوارزم من نصيب الدولة الغرنوية ذي الحد الشمالي من نهر جيحون، وحيث أن هذه الدولة كانت عسكرية الصفة والبنية كانت في حاجة ماسة إلى خبرات إدارية من هذه الأقاليم التي دخلت في حوزتهم، وكانت هذه الدولة قد استعانت في الفترة السابقة بالإدارة السامانية في زمن سبكتكين وذلك بإدخال ثلاثة دواوين إلى مملكة غزنة التي وصفت بأنها جزء من الإدارة في بخارى، وبعد دخلو الإقليمين خراسان وخوارزم لم يطرأ أي تغير على نظام الإدارة في الدولة الغزنوية، ألا أنها زودت كيان الدولة بالخبرة الإدارية الفارسية في مجال شؤون الدولة المتسعة الأرجاء، واستعانت بالإداريين ذوي الكفاءة والخبرة من هذين الإقليمين وإرسالهم إلى العاصمة غزنة لتطوير نظام الدواوين هناك، كما اهتم السلطان محمود بإقليم خراسان من ناحية الإدارة فجعل أخاه نصر بن سبكتكين قائداً لجيوش خراسان، كما عين الأمير مسعود على ولاية بلخ، وبهذا الاهتمام الإداري لمدن خراسان أصبحت كل من نيسابور وبلخ وهراة حاضرة للدولة ومقراً للسلطة في معظم أوقات السنة[1].

(٢) الاصلاحات الإدارية في عهد السلطان محمود:-

لو ألقينا نظرة على الجهاز الإداري في الدولة الغزنوية فإننا نجد أن فترة حكم السلطان محمود يمكن اعتبارها فترة استقرار جزئي لنظام إداري تمثل في مجموعة دواوين قام بإدارتها موظفون. أكفاء ومخلصون له ولدولته، ومع ذلك فهناك إشارات تدل على أن السلطان شخصياً قام بالإشراف الدقيق على هذا الجهاز حتى لا يحصل أي تلاعب في تنفيذه، لذا أثنى مينورسكي على تنظيم السلطان، محمود ووصفه: "بأنه قد أعاد بناء القيم الإدارية الجيدة في الدولة"[2].

أما فترة حكم السلطان مسعود فيعتبرها المؤرخون فترة مضطربة وحرجة في التاريخ الغزنوي ولا يمكن للقارئ العادي في بداية الأمر معرفة أحوال هذه الدولة نتيجة لبعض الخلافات التي وقعت بين الأخوين الأمير محمود والأمير مسعود في ولاية العهد بعد وفاة

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٢٥٩.

Bosworth: The Ghaznavids. P. 142.

(٢) نقلاً عن مينورسك Bosworth: The Ghaznavids. P. 55.

السلطان محمود، وكان من المعروف أن السلطان محمود جعل ولاية العهد للأمير مسعود ولكنه تراجع عن هذا القرار وجعلها لابنه الأصغر الأمير محمد ووافق على ذلك كبار رجال الدولة، وعندما طالب الأمير مسعود بحقه الشرعي في الحكم وترك مقر حكمه في أصفهان قاصداً خراسان، تراجع الأمناء والقادة عن ذلك القرار، واستقر الرأي على اعتقال الأمير محمد وسجنه بقلعة كوهيتز بتكيناباد[1].

وعندما تولى السلطان مسعود الحكم، لم يلتفت في بداية عهده إلى إصلاح ما أفسده بعض الحاقدين للانتقام من بعض رجالات الدولة في عهد أبيه، بل أيد ذلك الأمر حتى وصل إلى حد قتل بعض الشخصيات المعروفة في الدولة، ومن هنا بدأ يظهر شرخ في الجهاز الإداري في الدولة بصورة عامة وفي خراسان بصورة خاصة، حتى طمع الطامعون في هذا الإقليم وعجز نظامه الإداري والعسكري عن صد الهجمات البربرية من قبل السلاجقة على المدن والقرى والأرياف حتى هدرت معظم الخيرات التي وهبها الله لهذا الإقليم. وظهرت بوادر الفوضى محل الاستقرار الذي ظفر به الناس فترة من الزمن في عهد السلطان محمود.

والمتتبع لتاريخ هذه الدولة يجد أن البتكين وخلفه وهم من العبيد الذين تدرجوا حسب نظام ترتيب الغلمان لشغل المناصب في الدولة السامانية إلى أن حققوا مناصب كبيرة في هذه الدولة وهم بذلك تحولوا من غلمان عسكريين إلى خدمة دولة متقدمة في الحضارة الإسلامية، فتبوأوا فيها مراكز عالية في المجتمع الذي يتعامل بنظم مختلفة عن نظمهم وحياتهم البدوية، ويبدو أنه في بداية دخولهم هذه المجتمعات واجهوا بعض الصعوبات في حياتهم السياسية والإدارية إلا أنهم تغلبوا على ذلك مع حصولهم على مناصب مثل السپهلارية والحجابة العظمى وهي أعلى رتبة عسكرية وإدارية في الدولة، وبتولي هذين المنصبين الكبيرين في البلاط السامانى أصبحوا من الرجال الذين كانت لهم أعمال جليلة كتبت لهم في سجل خدمات الدولة سواء كانت إدارية أو عسكرية[2].

ثم تلقى محمود وأبناؤه تعليمهم الخاص على أيدي علماء واكبوا الحضارة الإسلامية كدين ودولة، فنشأهم هؤلاء السلاطين النشأة الإسلامية وتربوا التربية الصالحة فبذلك انصهرت هذه الصفات الجديدة بالإضافة إلى النشأة الأولى التي ولد عليها سبكتكين في بيئة

---

(١) البيهقي، تاريخ البيهقي: ص١.

(٢) نظام الملك، سياست نامة، ص١٤٤و ١٤٥.

بدوية تركية مع البيئة الإسلامية وقوانينها التي كان يجب على السلاطين أن يحكموا بها، وعلى الموظفين تنفيذها، وهم بهذا قد ورثوا جزءاً كبيراً من مبادئ حضارتهم الجديدة من الحضارة الإسلامية الفارسية التي أرست قواعدها الدولة السامانية في بلدان الخلافة الشرقية.

ولعل أول عمل بداية السلطان محمود بعد أن تولى الحاكم في خراسان وغزنة أنه أبقى على بعض السامانيين في وظائفهم في ديوان خراسان، بينما أغرت غزنة الآخرين وخاصة عندما احتل القراخانيون بقية أملاك السامانيين في بلاد ما وراء النهر، فرحبت الإدارة الغزنوية بهؤلاء الرجال المدربين حيث عملوا معاً في الدولة أثناء حكم محمود بعد أن دخلت في حوزته معظم الأقاليم التابعة للدولة السامانية نظراً لوجود مجال العمل الذي يلائم قدراتهم وخبراتهم الإدارية في تلك البلاد(١).

وبعد أن ضم السلطان محمود إلى دولته إقليم خراسان سعى من خلال الرسائل المتبادلة بينه وبين الخليفة القادر بالله إلى اعتراف الخلافة العباسية بدولته في غزنة وخراسان، وكان الخليفة القادر بالله في هذه الفترة على خلاف مع الدولة السامانية، فاستغل السلطان محمود هذه الفرصة وركز على تأييده الكامل للخليفة والمحافظة على أملاك الخلافة في هذه المناطق من الدولة الإسلامية، كما بين له أن سبب صراعه مع الدولة السامانية كان هو إحقاق الحق للخلافة والخليفة بعد امتناع السامانيين عن الاعتراف بشرعية الخليفة القادر بالله منذ توليه الحكم في بغداد عام ٣٨١هـ(٢).

فاعتراف الخلافة العباسية كان أمراً ضرورياً لتدعيم سلطة محمود في خراسان وعاصمته غزنة، لذا بادر الخليفة القادر بالله بالرد سريعاً على السلطان محمود معبراً عن اعترافه بحكم تلك الأقاليم التي وقعت في حوزته بعد انهيار الدولة السامانية، كما أرسل الرسل بالهدايا والخلع ومنحه لقب "يمين الدولة وأمين الملة"، فارتاح السلطان محمود بهذا التقدير من قبل الخليفة وتبوأ سرير الملك وأذاع شعار الطاعة لأمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين، فكان مخلصاً للحفاظ على أملاك الدولة العباسية خلال حكمه الذي استمر من ٣٨٩هـ إلى ٤٢١هـ الموافق ٩٩٩م/١٠٣١م(٣).

---

(١) Bosworth: The Ghaznavids. PP. 56, 57.

(٢) بارتولد تركستان، ص ص٤٠٤-٤٠٥.

(٣) عصام عبد الرؤوف الفقي: تاريخ الإسلام، ص٨٦.

رابعا: الإدارة في خراسان في العصر الغزنوي

كانت الحكومة الإقليمية ذات سلطات إدارية مستقلة في الدولة، إلا أن تفاصيل هذه الحكومات وأعمالها لم تذكر في المصادر أو المراجع سوى بعض المعلومات المتفرقة، وكانت الدولة الغزنوية تتكون من عدد من الأقاليم وكانت إدارة هذه الأقاليم متأثرة تأثراً واضحاً بالنظم القبلية التي تجعل الوالي أو الحاكم يستأثر بإدارة الإقليم الذي عين عليه، دون تدخل من جانب السلطان في تنظيم الإقليم وتصريف أموره الداخلية، فحاكم كل إقليم كان مستقلاً استقلالاً تاماً في إدارة أمور إقليمه مع إعلانه الطاعة والولاء للسلطان، وقد ظل حكام الأقاليم سمتقلين بإدارة أمور أقاليمهم في أوقات قوة الغزنويين، أو في أقوات ضعفهم على السواء(١).

وكانت الدولة الغزنوية -وهي في أوج قوتها- تضم أقاليم عديدة، أشهرها خراسان وخوارزم وبلاد الهند وسجستان والري وأصفهان وغيرها من الأقاليم الأخرى التي بدأت تسن لنفسها القوانين وترسي قواعد إدارتها بالتعاون مع الإدارة المركزية في غزنة، وكان يتم ذلك عن طريق الاتصال والمشاورة في كافة الأمور الإدارية، هذا وكان بإقليم خراسان ثلاث إدارات مهمة وهي:-(٢)

١) الإدارة المحلية أو الإقليمية

٢) الإدارة العسكرية

٣) الإدارة القضائية

(١) الإدارةالإقليمية (الولاة):-

كان والي الإقليم أوصاحب الديوان في خراسان يستعين بعدد من الموظفين في إدارة أمور إقليمه، وكان يتخذ أحياناً وزيراً له يشرف على هذه الإدارة، كما كان يتخذ الجند، ويستعين بالقبائل في تكوين جيش له، يحمي به حدود إقليمه ويرد كيد أعدائه عنه، ويوسع به سيطرته على الأراضي المجاورة لإقليمه إذا وجد إلى ذلك سبيلا فكان لكل حاكم جيش تابع

---

(١) Nazim: The life and the times p. 149.

عبد المنعم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٦٧.

(٢) Nazim: The life and the times p. 149.

له، مختص به[1].

كذلك كان صاحب الديوان -الوالي- المسؤول عن الموظفين المدنيين الذين يقومون بجباية الضرائب في الإقليم، وهو بدوره المسؤول المباشر بعد ذلك أمام السلطان أو الوزير في تقديم الكشوف بالأموال والضرائب التي دخلت ديوانه خلال السنة، وكان صاحب ديوان خراسان يستعد دائما للمناسبات والأعياد لكي يرسل الهدايا والتحف الثمنية إلى السلطان وفي عهد العميد سورى بن المعز صادف مناسبة حلول شهر رمضان المبارك سنة ٤٢٥هـ ليذهب إلى غزنة ويجدد العهد والولاء للسلطان مسعود، وقد حمل معه الهدايا والتحف الكثيرة، وقد احتوت هذه الهدايا على كثير من الألبسة والطرف وآلات الذهب والفضة والغلمان والجواري والمسك والكافور والسجاد والأدوات المنقوشة وغير ذلك من النعم التي حوتها هذه الهدية -هدية العميد سورى- وقد أدهشت الحاضرين، فإنه كان قد جمع الطرائف من مدن خراسان وبغداد والري والجبال وجرجان طبرستان، حتى أن السلطان من فرحته صاح قائلاً وياله من خادم طيب سورى هذا لو كان مثله خادمان أو ثلاثة لحصلنا على فوائد عظيمة[2].

ويتضح لنا من هذا الموقف أن السلطان نسي في سعادته الغامرة لهذه الأموال والهدايا والتحف أحوال خراسان التي قد ساءت في ذلك الوقت بسبب حملات السلاجقة المتزايدة عليها، وأن هذا الوالي عندما أحضر له هذا الكم من الهدايا والأموال إنما أثقل كاهل المواطنين بالضرائب بما لا طاقة لهم به لكي يرضيه ويرضي أفراد حاشيته وقادة جيشه، فلذا كان أولى به أن يسأل رعاياه كم من العنت والإرهاق وقع عليهم -شريفهم ووضيعهم- حتى اكتملت هذه الهدية، وإذ لم يستطع أحد من الحضور أن يبوح له بهذه المعاناة والظلم الذي وقع على الشعب الخراساني في ذلك الوقت، فإن الأيام وحدها هي التي أثبتت له ذلك عندما فضح أبو نصر بن مشكان ذلك الوالي -العميد سورى- خلال رسائله وتقاريره التي كان يكتبها للسلطان، والحقيقة أن العميد سورى قد أطلق يده في خراسان واستأصل شأفة أعيانها ورؤسائها واستحوذ على أموال لا تحصى وامتد ظلمه إلى الضعفاء وبدأ يتلاعب

---

(١) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٦٧.

(٢) سورى بن المعز الغوري نسب إلى الغور وهي موضع ف بأفغانستان الحلية انظر تايرخ الدول الإسلامية، لخيل أدهم ترجمه أحمد السعيد سليمان، ج٢، ص٥٩٤. وما بعدها.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٢٦.

بموارد الدولة حتى كان يقاسم السلطان تلك الأموال النصف بالنصف، فلما زاد ظلمه على الشعب وتقطعت بهم الأسباب كتبوا الرسائل إلى بلاد ما وراء النهر وأوفدوا رسلهم شاكين لأمراء الترك كي يغزوا بلادهم ويخلصوهم من ظلم الغزنويين[١].

هذا وكان يشغل "أبو القاسم كثير" منصب صاحب ديوان خراسان أيام السلطان محمود، وقد اتهم بعد عزله أيام السلطان مسعود بسرقة أموال الدولة، فأراد الوزير أحمد بن الحسن إقامة الحد عليه بعد توليه الوزارة نتيجة وشاية قام بها بعض الحاقدين لإساءة العلاقة بين السلطان والوزير في معاقبة أنصار والده[٢]. وكان لظهور هذه النزاعات وما ارتبط بها أشبه بتغيرات وردود فعل سياسية أو اجتماعية أو نفسية لأحداث وظواهر نبتت جذورها في العهد السابق (عهد السلطان محمود). وقد أمضى السلطان مسعود سنوات حكمه الأولى في العمل على الخروج من هذه الدائرة، واستمر في صراعه مع هذه النزاعات وأصحابها بعد وفاة أبيه عندما تحولت السلطة الفعلية إلى يد أخيه محمد، وبدأت الدولة تتصارع داخلها بين الأخوين، حتى أصبحت الدولة الغزنوية تعاني من الاضطراب السياسي بسبب هذه النزاعات المتنافرة[٣].

(٢) الإدارة العسكرية:

كان يتولى قيادة الإدارة كما كان معروفاً في الدواوين الغزنوية رجل يدعى السپهالار – أي قائد الجيش– وهذا المنصب من أعلى الرتب العسكرية التي كانت تمنح للقادة في الدولة متى أثبت كفاءته في ميدان الحروب والإدارة، فالسلطان محمود قد تولى قيادة الجيوش السامانية في خراسان فترة الحوب التي وقعت بين السامانيين والسيمجوريين قبل انضمام هذا الإقليم إلى الدولة الغزنوية سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م ثم أسند هذه الإدارة إلى كل من أخويه نصر ويوسف طيلة فترة حكمه، ويذكر المؤرخون أن الأمير نصر بن سبكتكين بالإضافة إلى

---

(١) نفس المصدر: ص٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) ويروي البيهقي قصة الوالي أبا القاسم الكثير عندما اتخذ الوزير أحمد بن الحسن الميمندي الإجراءات لحاسبته واسترداد الأموال التي اختلسها من خراسان فلولا تدخل أبو نصر بن مشكان في الوقت المناسب لكان نهايته على يد الوزير نهاية اليمة. البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص٢٨٤-٢٨٥.

(٣) فتحي أبو سيف: النزاعات السياسية في الدولة الغزنوية (مع بداية حكم السلطان مسعود بن محمود الغزنوي مقالة في مجلة الدراسات الشرقية، العدد الرابع، يوليو ١٩٨٦، ص ص١٣٣-١٣٤.

مهمة قيادة الجيوش الغزنوية في خراسان كان شعلة من النشاط، فاهتم بالحركة العمرانية في مدينة نيسابور، ونشر العدل، وعين كذلك محتسباً وكان أميناً يحبه الناس ويراقب أعمال السوق والتجارة، كما أنه أغلق الحانات وزين الشوارع والأسواق، وجعل لها سقوفاً لحماية الناس والبضائع المعروضة من الأمطار والغبار الذي كان ينتج من حركة الدواب والتنقل في ذلك المكان ثم انتقل هذا الأمر إلى مدينة بلخ واتخذها عاصمة له، وظلت مدينة نيسابور إحدى الحواضر الهامة للغزنويين إلى أن سقطت في عام ٤٣١هـ بعد معركة دندانقان الفاصلة بينهم وبين السلاجقة[1].

لقد تركزت قيادة الجيوش أو السپهالارية أول الأمر في الأسرة الحاكمة، ثم لم تلبث أن أسندت إلى كبار القادة في الدولة، ففي عهد السلطان محمود تولى تاش فراش منصب السپهالارية، واستمر في هذا المنصب إلى أن قتل في عهد السلطان مسعود سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧-١٠٣٨م[2].

كذلك علت مكانة الحاجب أشفتكين غازي عندما تقلد منصب السپهالارية في عهد السلطان مسعود، فكان إذا دخل القصر يقوم باستقباله اثنان من الحجاب من وسط السراي ومرافقته إلى داخل القصر، وكان السلطان يعبر عن تقديره له بقوله: "إن القائد منا بمنزلة الأخ، وإما لن ننسى ما أداه وما يؤديه من خدمات" ولكن هذا التقدير لم يدم طويلاً لهذا الحاجب في مجال الإدارة والقيادة لأن الحاقدين قد أوغروا صدر السلطان عليه، فقبض عليه عند نهر جيحون، فأمر السلطان بالاستيلاء على أمواله وغلمانه، ثم أرسله إلى أبي علي كوتوال (قائد) قلعة غزنة ليزج به في السجن[3].

كذلك تولى منصب السپهالارية في خراسان كل من بكتغدي وكبير الحجاب سباشي في الوقت الذي تدهورت الأوضاع الأمنية في هذا الإقليم وقد بذلت المحاولات الجادة لإصلاح تلك الأوضاع إلا أن هذين القائدين لم يوفقا في السيطرة على الموقف الحربي هناك، هاذا وكان من المتبع في المراسم الغزنوية عند أحد هؤلاء القادة أن يترك ابنه رهينة في البلاط السلطاني لضمان عدم خيانته في العمل واستعداده للتفاني في أداء المهمة الملقاة على عاتقه خير أداء،

---

(١) فريدون كرايلي: ينشابور شهر فيروزه -تهران- تيرماه ١٣٥٧هـ.ش، شعبان ١٣٩٨هـ، ٩٥.
(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٨١.
(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٥١-٢٥٨.

وكان السلطان يعين لهؤلاء القادة مساعداً للشؤون المالية وهذا المساعد كان يتولى عملية إعداد الجيش من الناحية التموينية وتوفير رواتب الجند ومدهم بالمواد الغذائية وغيرها من الأمور المعيشية أثناء تنقلهم بين المواقع والمدن الرئيسية(١).

(٣) الإدارة القضائية:

عرف الغزنويون أهمية القضاء، كما تأكدوا من أن انتشار العدل يضمن لهم ولأفراد رعاياهم حياة طيبة ومستقرة ومنذ ابتداء دولتهم وهم يعملون على مناصرة القضاة، ومن واجباته الإشراف على أعمال القضاء في جميع المدن الخراسانية، والتأكد من أنهم يقومون بواجباتهم القضائية بشكل مرضٍ، كما يتعرف على أحوال القضاء في الأقاليم واحداً تلو الآخر ليبقي على العلماء والزهاد والأمناء منهم، وعزل كل من لا يتصف بهذه الصفات، وتعيين آخر صالح يحل محله ويجب أن يكون القاضي راتب شهري يكفيه أمور معاشه حتى لا يفكر في أن يخون الأمانة، ولا شك أن هذا العمل هام ودقيق، لأن دماء المسلمين وأموالهم بيد القضاة، فإذا ما حكم أحدهم حكماً عن جهل وطمع وعمد، فعلى القضاة الآخرين عدم تنفيذ الحكم وإجرائه وإخبار السلطان به لعزل ذلك الشخص ومعاقبته، وعلى ولاة الأمر والحكم أن يشدوا من أزر القضاة، ويحفظوا للعدالة هيبتها ورونقها، فإذا امتنع شخص أو تلكأ عن الحضور فيجب إحضاره عنوة وقسراً، فلقد كان أصحاب الرسول (ص) يتولون القضاء بأنفسهم، ولم يعهدوا به لأحد، لكي لا يسود غير الحق، ولا يستطيع أحد أن يفر من ساحة العدالة(٢).

وكانت الدولة الغزنوية قد اتخذت من المذهب الحنفي في القضاء والفتاوى مذهباً رسمياً للدولة، وذلك على الرغم من انتشار مذهب الشافعي والدعوة له، ولذلك علا شأن القضاة الأحناف لدى السلاطين، ويذكر السبكي(٣). أن السلطان محمود الغزنوي تحول إلى المذهب الشافعي، غير أنه ليس هناك ما يؤيد هذا القول، فكان فقهاء المذهب الحنفي من المقربين إلى السلطان محمود، فلما ضم نيسابور سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠-١٠٠١م. إلى دولته صحبه عدد كبير

---

(١) نفس المصدر، ص١٥-١٧و ص٩٠-٩٢.

(١) Nazim: The life and the times p. 149.

(٢) نظام الملك: سياست نامة، ص٧٧.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١٦.

من علمائها إلى غزنة من بينهم أبو صالح التباني وهو من كبار فقهاء المذهب الحنفي بها، ولما لمس السلطان قدرة ذلك القاضي العلمية والأدبية، رفع من شأن أسرته، واستدعى عدداً منهم لكي يقوموا بالتدريس لطلاب العلم الذين بدأوا يتوافدون على المدارس العلمية التي بنيت في مدينة غزنة في ذلك الوقت، وقد برز منهم أبو طاهر، وأبو صادق، كما اتخذ من "أبي محمد عبد الله بن الحسين الناصحي" (التوفى ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥-١٠٥٦م) قاضياً للقضاة، ووكل إليه التدريس والفتوى في غزنة[1].

وعندما ازدادت أهمية القضاء في الدولة، وأشرف السلطان شخصياً على تعيين كل من قاضي القضاة للأقاليم، وكان من أهم واجبات هؤلاء القضاة فض المنازعات التي كانت تحدث بين الأفراد، وإصدار الأحكام حسب قوانين وقواعد الشريعة الإسلامية، كما كان من واجباته أن يقوم بالوعظ والإرشاد بالإضافة إلى الخطبة في أيام الجمع والمناسبات[2].

ومن القضاة الذين علا شأنهم في الدولة الغزنوية القاضي أبو العلا صاعد بن محمد الاستوائي، وقد انتهت إليه رياسة الحنفية بخراسان في زمانه، وخدم الغزنويين خلال حكمهم طيلة حياته، وأحبه السلاطين، وحفظوا له سابقته في خدمتهم فعين قاضياً على نيسابور، ثم عينه السلطان محمود مربياً وأستاذاً لابنه مسعود، وسلم إليه إمرة الحجيج سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١-١٠١٢م، فلما بلغ من علو المنزلة والمكانة الرفيعة في الدولة عمل حساده على السعي به لدى السلطان محمود إذا اتهموه باعتناق مذهب الاعتزال الذي سبب له محنة خطيرة، ثم برئ مما نسب إليه، بل لقد زادته تلك المحنة تقرباً وثقة لدى حكام غزنة[3].

كذلك لقى القاضي أبو العلا الصاعد كل ترحيب لدى السلطان مسعود، إذ أكرمه السلطان عند قدومه نيسابور سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م وقربه إليه ورفع منزلته، ثم أسند إليه قضاء نيسابور، إلى أن اعتذر القاضي عن قدم تقلد هذا المنصب سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م، وذلك لأسباب ربما كانت تتعلق بكبر سنه[4].

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٢٥.
العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٣١٦.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٩٩، ٥١٧

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٢٨.
بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين، ص١٠٣.

(٤) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٦، ٣٧.

إدارة المدن:-

من خلال دراستنا للدواوين الإدارية في خراسان وجدنا أن هناك إشارات تدل على اهتمام الدولة ببعض المدن مثل نيسابور وهراة وبلخ وذلك لتردد السلطان والوزراء عليها في معظم أيام السنة، فاهتمت الدولة بحماية هذه المدن دفاعياً وبنيت لكل مدنية قلعة مزودة بالجند والمعدات الدفاعية وكان يرأسها قائد يسمى كوتوال وتحت إمرته مجموعة من المقدمين، وتعتبر هذه القلاع منطقة عسكرية ودفاعية ضد غارات العدو على أي مدينة من مدن الدولة، كذلك اهتمت الدولة بحركة العمران في المدن ونشرت العدل بين الناس في الأسواق، فجعلت عليها ضابطاً مدنياً يسمى "المحتسب" يحافظ على السلم والنظام في المدينة وكذلك يقوم بمراقبة الأوزان والأسعار ومعرفة المبيعات والمشتريات للسير بموجبها والتقيد بها، ومراقبة البضائع التي يؤتى بها من الأطراف لتباع في الأسواق خشية أن يغشوها أو ينقصوا من وزنها، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[1]..

وقد جرت العادة دائما في إسناد هذا العمل إلى أحد خاصة السلطان، أو خدمه، أو إلى تركي عجوز ممن لا يحابون أبداً وممن يهابهم الخاص والعام، فإذا ما ارتكب أحدهم جريمة فإنه يعرض نفسه للاعتقال أوالجزاء والعقاب فالمرتكب لأية جريمة في حق الناس من غش وغيره، كان يرسل إلى أمير الحرس أو السجان لاتخاذ ما يراه مناسباً لحين محاكمته من قبل قضاة أكفاء[2].

كذلك كان يعين في المدن الخطباء الذين يصلون بالناس في المساجد الجامعة، فكان القاضي يختبر هؤلاء الخطباء للتأكد من تقواهم، وحفظهم القرآن، فالصلاة من الأمور الدقيقة، وصلاة الناس مرهونة بالإمام، فإذا ما اختلت صلاته، اختلت صلاتهم أيضاً.

وأخيراً فإن المؤسسات التابعة للأوقاف الدينية منها والتربوية في كل مدينة كانت تدار بشكل مستقل من قبل موظف يدعى (مشرف الأوقاف) كما أن رئيس هذه المؤسسة كان يقوم

---

(١) نظام الملك: سياست نامة، ص٨٠
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٩٠ "ومن هذه القلاع" قلعة ميكالي في رستاق بست" التي لجأ إليها العميد سورى وأبو سهل الحمدوي ومعهما أموال نيسابور حتى لا تقع هذه الأموال في يد العدو بعد أن انهزم القائد سباشي في نيسابور.

(٢) نظام الملك: سياست نامة: ص٨٠.

بالإشراف الكامل على الأموال والدخول التي ترد من الأوقاف[1].

خامساً: إدارة الجيش ونفقاته ومعداته:

(١) قوة العبيد:

لا شك أن الدولة الغزنوية قامت على أكتاف القادة العظام -البتكين وسبكتكين ومحمود- الذين خدموا الجيش والدولة السامانية في كل من خراسان وما وراء النهر، وكما رأينا أن نظام ترتيب غلمان العبيد تدريجياً حسب خدماتهم وكفاءتهم ولياقتهم في البلاط الساماني أخذ يتطور من نظام الحراسة الخاصة للقصر إلى ارتقاء هؤلاء العبيد مناصب عسكرية كبيرة في الدولة في مقدمتهم منصب السپهالارية (قيادة الجيوش) فتولى كل من البتكين وسبكتكين قيادة جيوش خراسان، ولكن هولاء الغلمان استغلوا مناصبهم العسكرية للتدخل في شؤون الدولة السامانية فقتلوا الأمراء واستغلوا كذلك نفوذهم في تولية الحكم لمن يريدون، كما كان يريد البتكين في تولية ابن الأمير أبي الفوارس عبد الملك بن نوح الحكم بعد وفاته، ولما اختلف الأمير الجديد منصور بن نوح مع القائد البتكين تمرد عليه واستطاع أن يجعل من غزنة مملكة له وذلك بعد أن انتصر مع غلمانه الأتراك على الوالي الساماني في غزنة، ثم أخذت هذه المملكة أهبتها من القوة والعسكرية وزحفت على جيرانها وبهذا أسس خلفاء البتكين الدولة الغزنوية بعد أن دخلت في حوزتهم كل من خراسان وخوارزم وبلاد الأفغان والري وأصفهان[2].

هكذا أخذت هذه الدولة الطابع العسكري في قيامها ولذا اختص الجيش بأهمية خاصة كمنشأة ومؤسسة داخل الدولة، ثم تطور الجيش تطوراً ملموساً في نطاق العرف والتقاليد العسكرية الإسلامية الشرقية على غرار الجيوش السامانية والبويهية، وكان قوام الجيش الغزنوي ونواته قوة العبيد -غلمان ومماليك- وكانت هذه المؤسسة تهتم بهذا العنصر على أساس أنهم القوة الذاتية للحفاظ على كيان الدولة، وكانت تكمن قيمة وأهمية هذه القوة في عدم وجود جذور وارتباطات عريقة لها. وعلى أنهم جلبوا منذ الصغر من خارج الدولة

---

(١) Nazim: The life and the times of sultan Mahmud. p. 150.

(٢) نظام الملك: سياست نامة: ص١٤٤.

الإسلامية، وكان بإمكان سادتهم تشكيل عقولهم وإعدادهم للحرب وعليهم تنفيذ الأوامر والولاء لهم والرجوع إليهم في كل شيء.

ويرجع تطور إدخال قوة العبيد في الجيوش الإسلامية إلى الخلفاء العباسيين الذين أدخلوا هذا العنصر في حراسة القصور ومن ثم كمحاربين في الجيش بعد أن خفضوا أجور المقاتلين العرب، إلى أن توقف استخدامهم بعد ذلك مستغلين هذه الأموال المدخرة من معاشاتهم في شراء العبيد الأتراك، إلى أن طرد المعتصم عندما اعتلى عرش الخلافة لسنة ٢١٨/٨٣٣ العرب من ديوان مصر واشترى الغلمان بدلاً منهم، ثم استقدم أعداداً كبيرة من هؤلاء الغلمان في عاصمة الدولة بغداد، حتى اشتكى الناس منهم ومن تصرفاتهم، فاضطر الخليفة المعتصم إلى بناء مدينة جديدة لهم ليبعدهم عن بغداد وليجنب الأهالي والسكان ما يصدر منهم من المتاعب والمشاكل وكانت هذه المدينة هي "سر من رأى" وعندما قامت الدولة الإسلامية الفارسية في خراسان وما وراء النهر استخدمت هذه القوة كخدم وفي حراسة القصور فيعقوب بن الليث الصفار كان تحت أمرته فرق من الغلمان يزيد عددهم على الألفين كحرس خاص ولكنه استعان بهم عندما استولى على خراسان من الدولة الطاهرية[1].

أما الدولة السامانية فقد جلبت من أسواق ما وراء النهر أعداداً كبيرة من العبيد وذلك لاستخدامهم في حراسة القصور والبلاط والجيش، ويمكن القول أن الأمير اسماعيل بن أحمد (٢٧٩هـ ٢٩٥هـ/٨٩٢م-٩٠٧م) هو أول من أجاز استخدام نظام الحراسة الخاصة في البلاط الساماني أسوة بما كان عليه الحال عند العباسيين في قصورهم، ويصف نظام الملك نشأة مملوك تركي ببلاطِالسامانيين منذ لحظة شرائه إلى أن بلغ أعلى المراتب، وقد أشرنا إلى ذلك النظام عند الحديث عن سبكتكين فترة استخدامه في خدمة السامانيين الذين يرفعون من مراتب العبيد تدريجياً وفقاً لخدماتهم وكفايتهم ولياقتهم... وكان يأمل الأمراء من هؤلاء العبيد الغلمان أن يشكلوا قوة موازنة أمام العناصر الوطنية العسكرية من فئة الدهاقنة الإيرانيين الذين كانوا يعارضون سياسة التمركز في جيش الدولة، إلا أن هؤلاء الغلمان خلال حكم هذا الأمير تمكنوا من استغلال نفوذهم في البلاط الساماني حتى أقدموا على قتل الأمراء، فقد كان لحادثة قتل الأمير أحمد بن اسماعيل (٤٠١هـ/٩١٤) بأيدي غلمانه أثر في عدم تحقيق هذا الأمل المنشود، إلا بوجود أمير قوي وقادر يستطيع السيطرة على قواته المتعددة

---

(١) Bosworth: The Ghaznavids. P. 99.

الجنسيات، وهذا ما جعل الاصطخري يمتدح عصر الأمير نصر بن أحمد (٣٠١هـ-٣٣١هـ/ ٩١٤م-٩٤٣م) في الوقت الذي كان تحت إمرته ١٠,٠٠٠ من الغلمان وعدد كبير من عناصر مختلفة من كل جنس وملة في جيشه، لأنه استطاع أن يسيطر على ميزان القوى المتعددة في فترة حكمه التي امتدت إلى ثلاثين عاماً[١].

هكذا وبحلول القرن الرابع والخامس الهجريين كان بناء وتشكيل معظم الجيوش الإسلامية في المشرق الإسلامي يقوم على أساس قوة العبيد، فإذا نظرنا إلى البتكين خلال فترة وجوده في خراسان نجد أنه كان يملك ٢٧٠٠ من العبيد الأتراك، وهذا يدل على أن نظام نطاق الحكم في الدولة السامانية سمح لهؤلاء القادة الكبار بتربية الغلمان وكذلك أجازت لهم الملكية الخاصة، دون أن تتعرض هذه الأموال والضياع والعبيد إلى مصادرة بعد وفاته، وعلى عكس الدولة الغزنوية التي غيرت هذا النظام فلجأت إلى مصادرة كل ما يملكه القادة والوزراء من ضياع وعبيد وأموال على أن يئول كل ذلك إلى خزانة السلطان، فكان لدى رجل مثل البتكين أموال وفيرة وفرص تتيح له إلحاق الرجال بخدمته وصار باستطاعته تجهيز مائة ألف فارس إذا ما أراد الحكم، كما كان بإمكان هؤلاء الأمراء استغلال هذه القوى لصالحهم دون أن يلجأوا إلى تشكيل دويلات في المنطقة[٢].

هذا وكان يقود عنصر العبيد في جيش الغزنويين قائد يسمى "سالار غلمان" وكانت هذه الرتبة العسكرية تلي في الأهمية رتبة القائد العام "حاجب برزك" وكانت تشكل عنصر العبيد عدة جنسيات مثل الأتراك والهنود، كما كان يشمل بعضاً من الخراسانيين والعرب والغوريين والديالمة[٣].

وكانت السيادة الإدارية للأغلبية التركية بسبب تقلدهم المناصب القيادية، إلا أن السلطان مسعود كسر هذه القاعدة في سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٣م، فأسند وظيفة سالار الغلمان إلى قائد هندي بعد أن تمرد عليه أحمد ينالتكين القائد التركي للجيوش الغزنوية في الهند، وكان هذا القائد الهندي يشغل منصب المترجم في الإدارة العسكرية في الهند قبل تسلمه

---

(١) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ص١٩١-١٩٢

(٢) شبانكاره: مجمع الأنساب، ص٢٩ .
نظام الملك: سياست نامة، ص١٥١.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٩٥.

(٣) نظام الملك: سياست نامة، ص١٤٠.

المنصب الجديد، أما عن التنظيم العام للغلمان في البلاط الغزنوي فكان على هذا النحو، مجموعة خاصة وهي الحرس الخاص للسلطان غلمان السراي- وغلمان السلطان لأمور السلاح والأعلام[1]. كذلك هناك غلمان يشرفون على إدارة خزانة الثياب السلطانية، كذلك كان للسلطان غلمان يسمون چتر دار، وهم حاملو المظلة الشمسية، أما فيما يختص بأعدادهم فيسجل البيهقي أنه في ١٠٣٧/٤٢٨ وفي العرض العسكري السنوي بلغ عدد غلمان القصر ٤٠٠٠ غلام، على أن هذا الرقم ازداد في سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٩م إذ بلغ ٦٠٠٠ غلام، وذلك لأن السلطان مسعود ضم هذا العدد إلى الجيش الذي ذهب لمواجهة الموقف المتوترفي هذا الإقليم نتيجة لغارات السلاجقة المتكررة[2].

كما أن فرقة من غلمان العبيد شاركت في حرب السلطان محمود، فهناك إشارات على أن السلطان محمود قد استخدم فرقة في تأديب علي تكين الذي رفض السماح لرسل محمود بالمرور إلى "ملوك الترك" أي حكام تركستان الشرقية، وفي سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥ عبر السلطان نهر جيحون ودخل سمر قند وعندها عقد علي تكين مع السلطان محمود الصلح لعدم قدرته على جيش السلطان الجرار، وقبل أن يدفع جزية سنوية وألفا من غلمانه، كذلك كان أول من انضم إليه من أمراء ما وراء النهر في هذه الحملة أمير صغانيان وتلاه خوارزمشاه التونتاش، وبانضمام هذين الأميرين إلى الدولة الغزنوية دخل أكبر ولايتين من الولايات التي بها أسواق كبيرة من تجارة الرقيق وبهذا كانت تؤديان الغرض لطلبات هذه الدولة من العبيد لاستخدامهم في القصور ولأغراض الحراسة والجيش، وكذلك في هذا الهجوم تقابل السلطان محمود مع قدرخان يوسف "سالار تركستان"أجمع" فتبادلا معاً الهدايا وقد جرى هذا اللقاء في جو من الود والصفاء، وكان ضمن الهدايا التي قدمها قدرخان للسلطان محمود الخيول التركية والعبيد[3].

ولأهمية هذه القوة في البلاط الغزنوي من الناحية العسكرية وحراسة القصور، صارت تخضع مباشرة لإدارة السلطان، وهو الذي يتولى إسناد المهام إليها في مختلف المجالات، وكذلك هو الذي يقوم بالتوزيع من هؤلاء الغلمان على القادة العظام عندما ينتدبهم إلى خارج العاصمة سواء لأعمال إدارية أو لحملات عسكرية موجهة ضد المخاطر التي تهدد أمن الدولة،

---

(١) كان صاحب السلاح يسمى :سلاحدار" وأيضاً صاحب الأعلام كان يسمى "أعلام دار"

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٢٩.

(٣) الكَرديزي: زين الأخبار، ص ص٣٠٤، ٣٠٥.

فمثلاً عندما عين السلطان مسعود القائد أحمد يناتكين سپهالار للهند سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١ بعث معه ١٣٠ من غلمانه، وكذلك أرسل السلطان مع تاش فراش ١٥٠ من غلمانه حينما وجهه إلى الري، كما بعث السلطان أيضاً مع أبي سهل الحمدوي في سنة ١٠٣٣/٤٢٤ عندما عينه والياً على الري وجيبال ٢٠٠ غلام[1].

ويدخول هؤلاء الغلمان ضمن قوات القائد الجديد ينتقل ولاؤهم وطاعتهم من السلطان إلى هذا القائد، إلا أنهم في بعض الأحيان كانت توكل إليهم أعمال مختلفة على أن يكونوا عيوناً ومشرفين على هذا السيد الجديد، مثلما حدث لأحمد يناتكين في الهند فقد كان غلمانه يراقبون أعماله، فلذا اضطر إلى تغيير هؤلاء الغلمان بعدد جديد اشتراهم سراً من تركستان دون علم السلطان وحتى لا يعرف هؤلاء الغلمان تحركاته أثناء فترة تمرده في الهند[2]

(٢) قوات الجيش من المتطوعين:-

إن اعتماد أي جيش على عنصر واحد كان مدعاة لظهور الأخطار والتخريب والفساد، وعدم الجدية والبلاء في الحرب، ومن هذا المنطلق أولى السلطان محمود ومن بعده ابنه السلطان مسعود اهتماماً كبيراً بالجيش فقد درج السلطان محمود على أن يؤسس جيشه من عدة أجناس في البلاد الواقعة تحت نفوذه وتشكلت هذه العناصر من الترك والخراسانيين والعرب والهنود والغوريين والديالمة، وكان كل جنس يقاتل في المعارك والحروب ببسالة ومضاء حفاظاً على سمعته وخوف العار والهزيمة وكيلا يقول أحد أن الجنود من الجنس الفلاني وهنوا في القتال وتقاعسوا وكان كل فريق يبلي في القتال بلاءً حسناً ويبذل غاية جهده إظهاراً لقدرته وتفوقه على الآخرين.

وبهذا أثنى نظام الملك على السلطان محمود بسبب تنوع جيشه من عدة جنسيات كما حذر الحكام من الاعتماء على جنس واحد في الجيش لأن ذلك سيؤدي إلى العصيان والتآمر ضدهم، كما أوصى أن يكون بين صفوف جندهم ألفان من الديالمة والخراسانيين ولا ضير في أن يكون بعض هؤلاء من الكرجيين[3]. "والشبانكاريين"[4]. معاً، فكلا العنصرين يتمتع بالبسالة والشجاعة.

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤١٧، ٤٢٤.

(٢) نفس المصدر، ص٤٢٥، ٤٣٦، ٤٢٧.

(٣) نسبة إلى "كرجة" معرب كرجه، وهي مدينة من مدن خوزستان (معجم البلدان).

والحقيقة التاريخية التي أشار إليها نظام الملك في كتابه سياست نامة بالنسبة للجيش الغزنوي وبنائه في القرن الخامس الهجري كانت تعني موازنة للقوى السابقة في المنطقة من حيث تعدد الجنسيات بين صفوفها، فالبويهيون كانوا يعتمدون على الديالمة والأتراك والعرب، على حين أن الفاطميين في الغرب اعتمدوا على البربر والزنوج وأتراك المماليك، وبهذا تكون الدولة الغزنوية هي أول دولة جربت هذه القوى المتعددة الجنسيات لكي تدافع بخبراتها القتالية الأعداء الطامعين فيها[1].

عندما أقفرت منطقة المراعي فيما وراء النهر في القرن الخامس الهجري اضطرت جماعات من قبائل الغز والترك إلى النزوح إلى الحدود الجنوبية لنهر جيحون وهي الحدود التابعة للدولة الغزنوية، وقد سمح السلطان محمود بدخول هذه القبائل سنة ١٠٢٥/٤١٦ في خراسان، وقد دخل كثير منهم في الجيش كجنود ومقاتلين وعندما أثبتوا جدارتهم في القتال، امتدح شعراء البلاط الغزنوي أمثال فرخي ومنوجهري بعض هذه القبائل التركية التي التحقت بصفوف الجيش وحققت الانتصارات للدولة، وهذه القبائل هي: قبيلة القرلق Qarluq. الياغما، القاي، شيجل Chigil[2].

كما جند حكام الأقاليم من جانبهم رجالاً من هذه القبائل التركية النازحة من بلاد ما وراء النهر واستخدموهم في الجيش المحلي، وقد أدخل التونتاش خوارزمشاه عدداً منهم في جيش خوارزم وذلك للتقليل من هجمات البدو الأتراك والدفاع عن حدود الدولة من القراخانيين وخلفائهم، وبعد وفاة التونتاش تحالف ابنه هارون مع أتراك السلاجقة وقبائل تركية أخرى للإطاحة بالسلطة الغزنوية في خوارزم[3]، أيضاً استعان السلطان محمود في حربه ضد القراخانيين ٣٩٨هـ/١٠٠٨م بالغز والخلج عندما هاجموا خراسان وكانت عناصر جيشه مكونة من الهنود والأفغان وقوات من العاصمة غزنة، ويذكر العتبي في هذه السنة أن قائد

---

(٤) نسبة إلى "شبانكاره" من قرى إقليم فارس والشبانكاريون أسرة حكمت في جنوبي فارس من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن الثامن الهجري (فرهنك فارسي، وانظر أيضاً إلى لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص٣٢٨.

(١) نظام الملك وسياست نامة، ص١٤٠و ١٤١.

(٢) Bosworth: The Ghaznavids. P. 108.109.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٤٨.

الغز محسن بن تاك أو طاك دافع عن مدينة سرخس[1].

أما الهنود الذين استخدموا في الجيش الغزنوي فإنهم كانوا يشبهون الأتراك في افتقارهم إلى الروابط الأسرية وإلى المصالح التي قد تؤثر على ولائهم للدولة، وبداية كانوا مجرد جنود يقومون بخدمة السلطان، إلى أن اهتم السلطان بهؤلاء القوم وجعل لهم حياً سكنياً في مدينة غزنة، ومن ثم أصبحوا يشكلون عنصراً هاماً في فترات متعددة من حكم السلطانين محمود ومسعود وهم بذلك كانوا القوة الثانية التي تعتمد عليها الدولة بعد قوة العبيد الغلمان، بل إن الدولة في كثير من الأحيان كانت تنظر إليهم كقوة يمكن الاعتماد عليها أكثر من الأتراك، وكان ذلك واضحاً أثناء اختيار السلطان مسعود أحد قادتهم سپهالاراً للهند عندما تمرد أحمد ينالتكين على الدولة، وبهذا التعيين يلاحظ أن السلطان بدأ لا يثق في قادة الأتراك الذي كانوا يستغلون نفوذهم سواء بالتمرد أو الاستقلال عن الدولة فترة إيفادهم خارج العاصمة لأداء خدمات إدارية أو عسكرية في الولايات الأخرى، فلذا اختار القائد الهندي ابن حجام للقضاء على تمرد أحمد ينالتكين ليعود الأمن والرخاء إلى الهند[2].

كذلك شارك الديالمة في الجيش الغزنوي وهم سكان الجبال، وقد برزوا في القوات الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ومن المحتمل أن فقر بلادهم أجبر هولاء على السعي وراء الرزق من هذه الوظيفة العسكرية خارج مناطقهم، ويبدو أن هذه الحالة التي مرت بها بلادهم جعلتهم يساعدون في العصور المتأخرة الدولة الساسانية فقد استخدمت منهم فرقة للمحافظة على حدود الدولة من ناحية الشمال وكذلك أخبرنا ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري أنه شاهد جماعة من الديالمة ضمن فرقة المشاة في الجيش الفاطمي أثناء الاحتفال السنوي بوفاء النيل، وأن هؤلاء كان لهم حي سكني في أحد أحياء القاهرة المعمورة، وأيضاً استخدم أبو على السيمجوري في القرن الرابع الهجري فرقاً من الديالمة في حربة ضد السلطان محمود في خراسان وبعد هزيمة السيمجور يين في حربهم انضم هؤلاء الديالمة إلى الجيش الغزنوي، واشتهروا كجنود مشاة وكان سلاحهم المميز الحربة ذات الشوكتين

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٧٩.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٣٠.

Bosworth: The Ghaznavids. P. 109.110.

القصيرتين التي كانت تقذف على الأعداء[1]

أما العرب والأكراد فكانوا يجتمعون وإن لم يكن دائما تحت قيادة واحدة في الجيش الغزنوي، وكانت تسند إلى هؤلاء الأدوار القتالية الصعبة في المعركة وذلك لأنهم اشتهروا بالفروسية والقتال والمبارزة وكانوا يقدمون أقصى ما عندهم من التضحية والبلاء في الميدان، وتمثلت هذه التضحية أثناء معركة دندانقان سنة ٤٣١هـ/١٠٤٠م التي تحملت القوات العربية والكردية فيها الجزء الأكبر من التفاني مع السلطان مسعود في الخطوط الدفاعية ضد السلاجقة[2].

والعرب دخلوا خراسان وبلاد ما وراء النهر مع الفاتحين لهذه البلاد في القرون الأولى من الهجرة وسكنوا في تلك المناطق بين السكان الأصليين وسرعان ما أخذوا على طبيعة تلك البلاد وضربوا أروع مثل في الشجاعة والفروسية حتى أطلقوا عليهم الخيالة الجرّاء، ومع التطوات في المنطقة شاركوا جيوش الأسرة الفارسية الحاكمة ضمن الدول التي تكونت في خراسان وما وراء النهر، وكان آخرها الدولة الغزنوية[3].

وكان أول لقاء للجماعة العربية مع الغزنويين في عهد السلطان محمود، وذلك عندما تعاون القائد العربي عبد الله محمد بن ابراهيم الطائي في سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٨م مع شقيق السلطان أبي المظفر نصر بن سبكتكين ضد القراخانيين في خراسان، كذلك شارك هذا القائد الغزنويين في غزوة خوارزم سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م ويبدو أن {الجماعة العربية اتصفت بسرعة المراوغة في القتال} ولذلك كانت تسند إليهم المهمات السريعة، وهناك إشارات تدل على أن جماعات من العرب سكنت واحة سمرقند واشتهرت بصناعة المنسوجات، بينما آخرون منهم فضلوا حرفة الرعي بدلاً من المشاركةفي الحروب الدائرة في خراسان، ويذكر مؤلف كتاب حدود العالم أن ما يقرب من ٢٠,٠٠٠ من العرب كانوا يقطنون إقليم جوزجان وعاشوا على قطعام من الأغنام والجمال، وكانوا أكثر ثراء من كل العرب الذين انتشروا في أنحاء خراسان، وأخيراً استعان السلطان محمود بالعرب الذين كانوا يعيشون في صحراء

---

(١) آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب -مراجعة عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧ ص٢٠٩و ٢١٠.
ناصر خسرو، سفر نامة، ص٦١، ٦٢.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥١٥.

(٣) Bosworth: The Ghaznavids. P.112.

مرو للتخلص من أبي إبراهيم إسماعيل المنتصر الذي أقلق الدولتين الغزنوية والقراخانية فترة هروبه من السجن، وقد أسند هذه المهمة إلى شخص عربي يدعى أبن بهيج لقتل ابي إبراهيم اسماعيل المنتصر الذي لجأ إليهم بعد أن حوصر هو ورجاله في المنطقة، وبقتله زالت الدولة السامانية من المنطقة(١).

(٣) ديوان العرض:

كان صحب العرض -وهو قائد الجيش- يتمتع بنفوذ كبيرة في الدولة، فلعل مهام هذا المنصب تتضح لنا من خلال تقلد أبي سهل الزوزني هذه الوظيفة فترة حكم السلطان مسعود، وقد كان ذا نفوذ وقوة حتى أن السلطان كان يستشيره في كافة أمور الدولة، ومن هذا المفهوم يمكننا أن نحدد مهام هذا المنصب في الدولة وما كان يقع علي صاحب هذا الديوان من الأعمال تجاه إدارة الجيش لأنه كان المسؤول المباشر أمام السلطان في الشؤون العسكرية كما كان الوزير المسؤول الأول أمام السلطان في الشؤون الداخلية والخارجية للدولة، وحسب القواعد المتبعة لتولي منصب صاحب ديوان العرض كان لا يشترط فيه أن يكون عسكرياً، فلذا كان السلطان يختار أحد الشخصيات البارزة لهذا الديوان على أن تغلب عليه صفة الإدارة أكثر من كونه ضابطاً في الجيش، ومع هذا فإن الوزير كان في معظم الأحيان هو الذي كان يشغل هذا المنصب بالإضافة إلى مهام منصبه كوزير، وقد تحدثنا عن الوزير أحمد بن الحسن الميمندي في فصل الجهاز الإداري على أنه قبل ديوان العرض بالإضافة إلى أعماله كوزير في عهد السلطان محمود وفي الفترة الثانية من وزارته في عهد السلطان مسعود سنة ٤٢١هـ/ ١٠١٣م لم يقبل ديوان العرض لكبر سنه، فلذا اقترح على السلطان بإسناد ديوان العرض لأبي سهل الزوزني، وكعادته استغل نفوذه في الدولة لدرجة أنه أوقع في روع السلطان أن خوارزمشاه التونتاش ميال إلى السوء تجاه الدولة، وأخذ يعدد على السلطان كيف استغل نفوذه في بلاد خوارزم حتى جمع لنفسه الخزائن والأموال الوفيرة إلى جانب ملكه الواسع فلو قضى عليه وفوض الأمر في بلاده إلى معتمد من قبل السلطان لغنمت الدولة نفوذاً عظيماً وخزانة عامرة وجنداً كثيرين، ثم خطط السلطان طريقة التخلص منه، وقد أوقع نفسه والسلطان في خطر تجاه أمن الدولة، لأن خوارزمشاه كان له في بلاط

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار ص٢٨٤.

Bosworth: The Ghaznavids. P. 111.112.

السلطان معتمد– وهو بمثابة سفير في وقتنا الحاضر– علم بما ينوي السلطان وأبو سهل من التخطيط لقتل سيده، فكتب هذا الخبر مفصلاً في معماة إلى الخواجة أحمد عبد الصمد وكانت رموز هذه المعماة مصطلحة بينهما، وبوصول الخبر إلى بلاط التونتاش حصل فتور في العلاقة بين الطرفين لدرجة أن أحد الموالين للسلطان مسعود وهو القائد منجوق قتل بسبب غروره وتعاليه على خوارزمشاه وذلك بعد أن تلقى الأوامر من السلطان مسعود للتخطيط لقتل خوارزمشاه من خلال كتاب سري كتبه السلطان بنفسه[1].

ثم ازدادت الأحوال سوءاً بعد هذه الحادثة، ولكن تجنب الطرفان الصدام المسلح لحل هذه المشكلة، فرأى السلطان من الحكمة أن يقبض على أبي سهل الزوزني الذي كان السبب الرئيسي في إثارة هذا الموضوع، هذا بالإضافة إلى أنه قد سبب المتاعب والمشاكل الكثيرة تجاه الدولة في الفترة السابقة من توليه السلطة في البلاد، فأمر السلطان باعتقاله على أن يكون هذا التصرف من طرفه يرضى أيضاً الطرف الآخر، ويصفي الجو بين البلدين، وبالفعل رجعت العلاقات إلى حالتها الطبيعية، وقد بعث السلطان مسعود قوات إلى خوارزمشاه لمواجهة علي تكين في موقعة دبوسي التي على أثرها انهارت قوة علي تكين وقتل من جنده جمع كثير وأصيب خوارزمشاه بسهم ولقى حتفه متأثراً بجراحه[2].

ثم شغل أبو الفتح الرازي منصب صاحب ديوان العرض بعد إقالة أبي سهل الزوزني وذلك بعد أن وقع عليه الاختيار ليكون رئيساً لهذا الديوان، وقد كان أبو الفتح يرغب في تقلد هذا المنصب منذ أمد طويل، فحقق له السلطان ذلك على أن يكون على قدر من المسئولية في النهوض بأعباء هذا المنصب، وقد أوصاه ببعض النصائح وكذلك رأى أنه ليس من الحكمة أن ينقص من عدد الجنود بقصد توفير المال لأن هذا يخل بشؤون الدولة والناس، ثم خلع عليه خلعة رئيس ديوان العرض، وكان رجلاً قديراً كفئاً، وظل مستقيماً طوال حياة الرئيس أحمد بن الحسن الميمندي فلما مات الوزير خلا له الجو وبسط يده بالتوفير على حساب الجند، وظل يشغل هذا المنصب حتى انتهاء الدولة الغزنوية في خراسان عقب الهزيمة في معركة دندانقان[3].

وقد وصف محمد ناظم في كتابه حياة السلطان محمود الغزنوي وعصره واجبات

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص ٢٣٣–٢٤٨.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٥٠.

(٣) نفس المصدر، ص٢٥٦.

صاحب ديوان العرض في وقت الحرب فيقول "يعتبر صاحب ديوان العرض القائد العام للجيش في أوقات الحرب حيث أنه كان يسهل للجيش جميع المحطات التي يتوقفون بها، وهذه التسهيلات عبارة عن التدابير اللازمة لتأمين المواد التموينية لأفراد الجيش أو مراقبة الطريق لمعرفة أخبار تحركات العدو، وكذلك تزويد هذه المحطات بالعلف اللازم لحيواناتهم. كما تحدث عن الغنائم على أن توزع على الضباط والجنود بعد أن يؤخذ منها الخمس حسب الشريعة الإسلامية للسلطان من العبيد والحيوانات والغنائم الأخرى، وإذا لم يكن السلطان في هذا الموقع كان ينوب عنه من ديوان الإشراف شخص ليأخذ حقوقه، أما الأشياء الثمينة كالذهب والفضة والأحجار الكريمة والفيلة فكانت من نصيب السلطان، ثم توزع بقية الأخماس الأربعة المتبقية على أفراد الجيش كل حسب رتبته فكان نصيب الفارس ضعف نصيب الجندي المترجل، ثم كانت هناك مكافآت خاصة للذين بذلوا الجهد وأحسنوا البلاء في ميدان القتال وهذه الصلات عبارة عن ملابس أو رواتب تشجيعية أو رتبة عسكرية"[١].

أما عن رواتب الجند فقد أورد نظام الملك فصلاً يقول فيه: "لقد كان من عادة الملوك القدماء -وهنا يقصد السامانيين والغزنويين- ألا يقطعوا الجيش شيئاً بل يدفعوا لكل منهم، بحسب درجته، طمعه[٢] من الخزينة نقداً أربع مرات في السنة، فكان الجند في يسر ورخاء دائماً، أما عمال الخراج، فكانوا يجمعونه ويحملونه إلى خزينة الملك، ومنها تُصرف أطماع للغلمان وللجيش مرة كل ثلاثة أشهر وهو ما أطلقوا عليه "حساب العشرينية"[٣]. وهي المكافآت النقدية التي كانت تعطى للجند، لكي يستطيع الجنود تجهيز أنفسهم لحملة قادمة من المؤن وغيرها[٤]. ويشير ابن عقيلي إلى أن السامانيين كانوا يدفعون رواتب موظفيهم سواء المدنيين أو العسكريين كل ثلاثة شهور[٥]، إلا أن البيهقي له إشارات في كتابه نفهم منها أن مكافآت الموظفين المدنيين في المكاتب ومعاشات المقربين للسلطان كانت تدفع شهرياً، أما بالنسبة إلى رواتب الجيش فكان من الأفضل أن يتم دفعها للجنود على فترات متقطعة من السنة، وذلك

---

(١) Nazim: The life and the times p. 138.
Bosworth: The Ghaznavids. P. 126

(٢) أطماع: مفردها طمع وهو رزق الجند، وقيل أطماع الجند أوقات قبضها أيضاً (اللسان-طمع).

(٣) الاصطلاح الفارسي: "بيستكاني" و "بيست" في الفارسية عشرون وحساب العشرينية أربع أطماع في السنة (مفاتيح العلوم للخوارزمي ص٤٢).

(٤) نظام الملك: سياست نامة: ص١٣٩.

(٥) ابن عقيلي: آثار الوزراء، ص .

لأن أكثرهم كانوا في مهمات خارج الدولة. وكان في معظم الأوقات يتكفل والي كل إقليم بدفعها للجيش كما كان يفعل العميد سوري في خراسان فترة الحروب التي كنت دائرة بين الغزنويين والسلاجقة[1].

هذا وكان ديوان العرض يحتفظ بسجل يكتب فيه أسماء كل الجنود الضباط الذين يعملون في الجيش وكانت هذه السجلات تبين أسماء المقاتلين الذي ما زالوا في الجيش أو المحالين على المعاش أو المفقودين في الحروب أو سنوات خدمة كل منهم، وكذلك كانت تحفظ في هذا الديوان كشوف بالمصروفات التي صرفت في الحروب حسب تاريخ ومكان وقوعها، وكانت ترسل نسخة منها إلى ديوان الرسائل لتكون مرجعاً للدولة[2].

وكذلك كان من واجبات صاحب الديوان الإعداد للعرض السنوي للجيش والذي كان السلطان يحضره شخصياً، وقد صادف العرض السنوي سنة ٤٨٢هـ/١٠٣٧م عيد الفطر وكان السلطان قد أمر قبل أسبوع بإعداد العدة لهذا اليوم فعبأ الجيش حتى أقر كل الحضور بأنهم لا يذكرون في أي وقت قد عبأ الجيش بهذه الصورة، وكان الفرسان كثيرين في وادي شابهار وأخذ غلمان السراي يفدون على الميدان، حتى كان الميدان ووادي شابهار كله كحديقة الأزهار من كثرة ألوان ملابس الفرسان والغلمان والجند التي كانوا يلبسونها، وانتهى هذا العرض العسكري بوليمة بسطت فيها الموائد للسلطان والأمراء والوزير والسپهالار وأمراء الديلم وعظماء البلاط، بينما أنشد الشعراء الشعر وتلاهم المطربون والموسيقيون يقومون بتسلية الجمهور المحتشد في الوادي، وقضى الجميع يوم العيد في فرح وسرور[3].

قوة الجيش العتادية والعددية:-

لا شك أن الجيش الغزنوي في القرن الخامس الهجري كان من القوى الضارية في المنطقة من ناحية العدتوالعتاد والعدد، ويرجع هذا إلى أن الدولة قامت على اكتاف قادة عظام وغلبت عليها الصفة العسكرية منذ تأسيسها سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م وظلت هذه الصفة في طبعها إلى أن سقطت الدولة في خراسان على أيدي السلاجقة في معركة ندانقان سنة ٤٣١هـ/

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٩٢.

(٢) Nazim: The life and the times p. 138.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص٥٦٧، ٥٦٨.

١٠٣٩م.

بدأت الدولة الغزنوية بألفين وسبعمائة من غلمان العبيد عندما تمرد البتكين على الأمير السامانى منصور بن نوح واستطاع هذا القائد أن يجذب إلى غلمانه أعداداً كبيرة من المتطوعين عندما أراد الجهاد في سبيل الله لفتح بلاد الهند، ثم ازدادت هذه الأعداد في عهدي سبكتكين وابنه محمود اللذين أدخلا في الجيش فرقاً من الديلم والهنود والعرب والأكراد بعد دخول خراسان خوارزم والري وأصفهان في حوزة الغزنويين، وقد قدر محمد ناظم في كتابه حياة السلطان محمود الغزنوي وعصره في سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م. تعداد قوات الجيش الغزنوي عند انهيار الدولة السامانية بـ ٣٢,٠٠٠ جندي، على أن هذا الرقم ازداد حسب رأيه في سنة ٤٠٦هـ إلى ١٠٠,٠٠٠ من الفرسان والمشاة، وألف وسبعمائة فيل[١]. ويروي الكَرديزي سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣ أن السلطان محمود حين استعرض قواته في وادي شابهار مكان يبلغ ٥٤,٠٠٠ من الفرسان والمشاة، وألف وثلاثمائة من الفيلة، باستثناء قوات الأقاليم وقوات حرس الحدود التي كانت تحافظ على الثغور والحدود[٢].

ونرى من إحصائيات البيهقي لأفراد الجيش في فترة حكم السلطان مسعود أنها أكثر دقة من الكرديزي أثناء إبرازه للرقم الإجمالي عندما استعرض السلطان محمود الجيش في وادي شابهار، فقد كان البيهقي يبين دقته في هذا المجال عندما يذكر مكان الصراع والقوات التي ترسل إليه، فمثلاً عندما تمرد باكاليجار في جرجان اختار السلطان ألفاً وخمسمائة من الغلمان الأقوياء وثمانية الاف فارس، وعشرة فيلة ومعدات فتح الحصون وخمسمائة جمل تحمل الذخائر، وكذلك بعث السلطان إلى كرمان مع القائد أحمد على نوشتكين عندما هزم الجيش في مكران بقوة مكونة من أربعة الاف فارس وألفين من الهنود، وألف من الترك وألف بين الكرد والعرب وخمسمائة راجل، وقد تخاذل الهنود وولوا منهزمين، فانهارت الروح المعنوية في سائر الجند واضطر القائد أحمد نوشتكين إلى الجلاء[٣].

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع لدى البيهقي إذا ما أردنا تتبع الإحصائيات التي

---

(١) Nazim: The life and the times p. 139. 140.، بلغ سعر الفيل الواحد مائة ألف درهم، فقد أورد هذا السعر البيهقي في أحداث ٤٣٠هـ عندما سرق عدد من أفيال السلطان في نيسابور، وفرض على الحراس غرامة مائة ألف درهم ثمناً للفيل.

(٢) الكَرديزي: زين الأخبار، ص ص٢٠٠، ٢٠١.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٥٨، ٤٨٧.

أوردها وذلك لكثرة الفرق التي كانت تبعث في مأموريات في أنحاء الدولة وكانت على كل فرقة مهام حسب المرسوم لها حيث أن كلامنا في هذا الموضع عن إقليم خراسان فإنني سوف أبين بعض الفرق التي أرسلها السلطان إلى هذا الإقليم حسب تاريخ إيفادها إلى أن انتهت الدولة الغزنوية في معركة دندانقان سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م. فيقول البيهقي أنه في سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م مع بداية حملات القوات السلجوقية على خراسان، اهتمت الدولة بعد أن منيت القوات الغزنوية بالهزائم في نسا، فقد أرسل السلطان بقيادة الحاجب بكتغدي جيشاً قوامه خمسة عشر ألف فارس، وألفين من غلمان السراي، وعزز السلطان هذه القوات مع التطورات التي حدثت في خراسان نتيجة للهزائم بعد استشارة الوزير والعارض وكبار القادة في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٥-١٠٣٦م. بإرسال جيش قوي بقيادة سباشي كبير الحجاب مكوناً من عشرة آلاف فارس، وخمسة آلاف راجل إلى خراسان، بينما يرابط أخو أبي الحسن العراقي مع جيش العرب والكرد في هراة إلى أن تلحق به قوات أخرى بقيادة أبي الحسن العراقي على أن يمتثلوا جميعاً لأوامر كبير الحجاب ويعملوا حسب ما تسير به الظروف والأحوال وكلف سوري صاحب ديوان خراسان بإعداد نفقات الجند حتى لا يعوزهم شيء ويتسنى بذلك تطهير أرض خراسان من السلاجقة في أقرب وقت[1].

ويؤكد البيهقي في أحداث سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧-١٠٣٨م أن السلطان مسعود كان قادرا على إرسال خمسين ألف فارس وراجل، كلهم مجهزون بالخيول القوية والسلاح وعلى أتم استعداد في وادي شابهار، ولكن السلطان لم يضحِّ بهذه القوات في حربه ضد السلاجقة في خراسان في الفترة التي سبقت موقعه دندانقان بثمانية عشر شهراً، وفي سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩-١٠٤٠م ومع آخر المحاولات للسلطان لمواجهة السلاجقة، لم يذكر البيهقي حجم القوات التي رافقت السلطان إلى مرو، سوى أنه كان مع جيش جرار كامل العدة فيه فيلة القتال ورجال كثيرون وأحمال خفيفة،وجرت بعد ذلك موقعة دندانقان، وهزم جيش السلطان وعلت كلمة السلاجقة، وذلك لتخاذل جند السلطان وتراجعهم، بل انضم بعضهم إلى السلاجقة فكانت الهزيمة المحققة للغزنويين، والنصر الكبير للسلاجقة، وبذلك أعلن طغرل السلجوقي نفسه والياً على خراسان عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م[2].

(١) نفس المصدر، ص ص٥١٥-٥١٦،و ص ص٥٢٥-٥٢٦.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٦٣، ٦٩٤.

الباب الثالث

الحالة الاقتصادية في خراسان في العصر الغزنوي

الباب الثالث

الحالة الاقتصادية في خراسان في العصر الغزنوي

لا شك أن دخول خراسان في حوزة الإسلام كان له الأثر الفعال في تزويد الأقاليم الإسلامية الأخرى بمواردها الاقتصادية التي وهبها الله لها سواء أكانت زراعية أم صناعية، كما أن هذا الإقليم بموارده كان يمثل القوة الاقتصادية في الخلافة للعباسية في عصورها الزاهرة إذ اعتمدت على خراجه وخراج الإقاليم الأخرى حتى انتعش اقتصاديها وساد الرخاء جميع أرجاء الدولة، وأصبح العصر العباسي الثاني بسيطرة الأتراك على شؤون الدولة، وبدأ النفوذ التركي مع مجئ المعتصم إلى الخلافة، فوجد المعتصم أن التفاهم بين العرب والفرس في الحكومة والجيش، لم يعد ممكناً، بعد الحرب الأهلية بين أخويه الأمين والمأمون، لأن العرب نفروا من التعامل مع إرستقراطية الفرس التي سلبتهم امتيازاتهم، أما الفرس فقد صاروا يطمعون في إحياء مجدهم القديم، بعد أن خابت آمالهم في العباسيين، ويئسوا من دولتهم، على أثر نكبةالبرامكة في عهد هارون الرشيد وبطش المأمون ببني سهل، ثم خروجه من خراسان وعودته إلى بغداد[1].

وقد نتج عن ذلك كله انحلال سلطة الخلفاء، وانهيار المؤسسات القادرة على حكم الدولة المترامية الأطراف، لأن الخلفاء عجزوا عن تنظيم قوات عسكرية تضبط الأوضاع في أرجاء الخلافة، وبدأت السلطة المركزية تفقد سيطرتها على الولايات والأقاليم، مما سهل الطريق أمام الحكام المحليين وبعض الأسر الفارسية والتركية للوصول إلى الحكم في معظم مناطق الشرق الإسلامي والهند، والانفصال عن الدولة وتأسيس الدويلات المستقلة، ولم يهتم أصحاب

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ص٢٨٧-٢٩٩.

هذه الدويلات بكيفية الحصول على الاعتراف من الدولة العباسية، وإنما كان هدفها الوصول إلى الحكم والاستقلال عن العاصمة بغداد[1].

فأخذت هذه الدول المستقلة في المشرق على عاتقها المحافظة على ممتلكات الخلافة والمسلمين في تلك المناطق من المتمردين، لأن الحكومة المركزية كانت عاجزة عن مواجهة حركات الانفصال بقواتها العسكرية الخاصة، فمنحت السامانيين السلطة المباشرة في المناطق التي سيطروا عليها، مع مساعدات مالية من الخزينة مقابل قمع الاضطرابات وحركات التمرد في تلك المناطق، بينما أُعطي الصفاريون الصلاحيات ذاتها فاستقروا فيما ترقى من ممتلكات الطاهريين، كذلك منحت الخلافة الغزنويين حكم المناطق التي وقعت تحت سيطرتهم نتيجة انهيار الدولة السامانية في خراسان، وأيدت وباركت لهم فتوحاتهم في بلاد الهند[2].

وهكذا بانفصال هذا الجزء من العالم الإسلامي عن الخلافة العباسية، فقد العباسيون الثروات التي كانت ترد إليهم من هذه الأقاليم نتيجة وقوعها تحت نفوذ الأسر الحاكمة التي استقلت استقلالاً ذاتياً عنها، وبدأت كل دولة تكون لنفسها اقتصاداً منظماً في تلك المناطق، ذلك بعد وقوع أراضي الخلافة في حوزتها، واستغلال ثرواتها في صالح تلك المجتمعات الجديدة التي بدأت تظهر شخصيتها في ظل الدولة المستقلة عن الخلافة العباسية مع بداية القرن الثالث الهجري.

على أن الظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها الخلافة نتيجة هذه التغيرات فرضت عليها الاعتراف بالأمر الواقع من ناحية الاستقلال واتخاذ كل دولة نظامها الاقتصادي تجاه الأقاليم التي استولت عليها، ومع هذه التغيرات لم ترد أية إشارة إلى إدخال هذه الدول وخاصة الدولة الغزنوية تلك الأراضي التي استولوا عليها ملكاً لهم بحق الفتح، ويتضح هذا المفهوم للملكية من عضد الدولة البويهي الذي قال "إن ملكنا ناحية

---

(١) Noldeke: Sketches from Eastern, By J.S. Black, Edinburgn 1892 p. 146

(٢) الطبري: تاريخ الطبري، مج٩، ص١٤ه-٥١٩.
الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٧١-٢٧٢.

بالسيف بعد الحرب والمقارعة لم نصالح عليها"[1].

فعلى هذا بقيت أصناف الأراضي الرئيسية في هذه الدولة المستقلة وخاصة الدولة الغزنوية على ما كانت عليه في الخلافة العباسية، لكن شروط استغلالها أصابها التغيير، كما لحق التعديل بالخطوط التي تميز بين أنواعها، لارتباطها بمكانة الذين يستغلونها، واختلاف وظائفهم وهذا ما سنبينه في فصل نظام ملكية الأراضي في العصر الغزنوي[2].

أولاً:نظام ملكية الأراضي:-

(١) اراضي التاج والممتلكات الخاصة بالسلاطين:-

وهي ضياع السلاطين التي أطلقت عليها في تلك الفترة أسماء مختلفة، منها ضياع الخاصة التي كان يملكها السلطان نفسه، أو الضياع التي تخص الأمراء أو أفراد الأسرة الغزنوية، كما كانت تشمل أيضاً الممتلكات التي كانت تمنح لبعض الوزراء وكبار رجال الدولة.

وقد توسعت هذه الممتلكات نتيجة الشراء واستخلاص الأراضي من البطائح والمستنقعات أو مصادرة أملاك الوزراء والموظفين، وقد أنشئت إدارة خاصة لهذه الممتلكات وعرفت بديوان الوكالات وكان هذا الديوان يشرف على إدارة أراضي السلاطين والأمراء كما كان يشرف على الجانب المالي في إدارة البيت الملكي، ومن الذين تولوا هذا المنصب أبو سعيد سهل الذي عهد إليه السلطان محمود منصب إدارة شؤون ضياعه في غزنة، وقد كان هذا العمل من حيث أهميته يعادل عمل صاحب الديوان أو الوالي في غزنة، واستمر أبو سعيد يؤدي هذه المهمة مدة طويلة، إلى أن توفي السلطان محمود فأسند إليه السلطان مسعود منصب صاحب الديوان بالإضافة إلى عمله في مباشرة الضياع السلطانية، وقد ظل خمسة عشر عاماً في مراقبة هذه الشؤون إلى أن أمر السلطان يوماً بمحاسبته فحاسبه المستوفون فبلغت الأموال التي كانت عليه سبعة عشر ألف ألف درهم، فلم يكن لديه من هذه الأموال سوى ألف ألف درهم، فأخذ الجميع يتساءلون عما ستؤول إليه حال أبي سعيد مع ما في ذمته من هذا المال الكثير، إلا أن السلطان مسعود عفا عنه، ووهبه ذلك المال نظير الخدمات التي قدمها لأبيه طيلة خمسة عشر عاماً وكان يعاون أبا سهل في أداء هذه المهام

(١) مسكويه: ج٢، ص٣٨٤.

(٢) بارتولد: تركستان، ص٣٦٩.

عدد من المشرفين الذين كانوا يقومون بالإشراف على أراضي الأسرة الحاكمة والتي كانت تتركز معظمها في العاصمة غزنة، كما كان من المحتمل أن تنضم إلى أملاكهم الخاصة تلك الأراضي التابعة للأمراء السامانيين في إقليم خراسان والتي سبق أن امتلكها السيمجوريون في أواخر أيام حكم الأسرة السامانية لخراسان، وكان البتكين يعتبر من أكبر الملاك الغزنويين الأوائل في خراسان وما وراء النهر في العهد الساماني، وكان يملك خمسمائة ضيعة في كل من هذين الإقليمين، ولم تكن ثمة مدينة إلا وكان له فيها قصر وبساتين ومحطات قوافل وحمامات ومستغلات كثيرة[1].

(٢) الملكيات الخاصة:-

وكانت هذه الأراضي من أصول متنوعة، منها إقطاعات التمليك التي بقيت بيد أربابها، والأراضي التي تم إحيازها أو استخلاصها من المستقعات على امتداد العصور الإسلامية السابقة، وقد أعطيت لأصحابها الملكية التامة، وكذلك اقتنى أصحاب الثروات الضياع لأنها تعتبر ملكية مستقرة وموردا أكيداً رغم المصادرات الكثيرة التي لحقت بهم، وكان الوزراء الذين ارتفع شأنهم كثيراً في العهدين مثل الميمندي وأبي علي حسن بن محمد العياس المعروف بحسنك يقتنيان الضياع الواسعة، لأنهما أساساً من أصحاب العقارات والأملاك الكبيرة، وهذا ما كان يلاحظ عليهما، وعندما أعفى السلطان محمود الوزير الميمندي من الوزارة، وصودرت أمواله وجدوا عنده سبعين ونيف ألف ألف درهم، وكذلك عندما صدر حكم الإعدام على الوزير حسنك أمر السلطان مسعود أن يعقد مجلس بالطارم يحضره الوزير والقضاة والمزكون ليكتبوا على حسن الحجة بما يملك من الضياع والأموال باسم السلطان حيث أنه كان يملك الضياع الكثيرة والأموال الطائلة لأنه كان من أصحاب الثروات وكذلك لأنه استغل منصبه في الاستيلاء على أراضي الآخرين كما بينه البيهقي عندما أثار القاضي صاعد أمام السلطان مسعود هذه القضية واتهم الوزير حسنك بالتعدي على أراضي أبناء ميكائيل وكذلك أراضي الوقف التي أوقفتها الأسرة الميكائيلية[2].

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٣٦، ١٣٧.
نظام الملك: سياست نامة، ص١٥١.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ، العقيلي: آثار الوزراء، ص١٧٦.

(٣) أراض الوقف:-

ويدخل في هذا القسم مجموعة الأراضي التي خصصت للأغراض الدينية والمنافع العامة، ويكون الوقف خاصاً أو رسمياً، فالأوقاف الخاصة يوقفها بعض الأتقياء من الناس، لأعمال البر، كما فعلت الأسرة الميكائيلية التي أوقفت أراضي واسعة في نيسابور لكي يستفيد من خيراتها الفقراء والمساكين.

ومتى تم وقف الأراضي لم يعد بالإمكان بيعها أو مصادرتها، فلما أراد الوزير حسنك كما أسلفنا أن يتصرف في بعض أراضي الوقف، شكاه القاضي صاعد للسلطان الذي أمر بإعادة تلك الأراضي إلى الأوقاف لكي يستفيد من خيراتها جميع الفقراء والمساكين، والأوقاف كانت تشرف على المؤسسات الخيرية والدينية والتربوية في كل مدينة وكانت تدار بشكل مستقل عن بقية دواوين الدولة من قبل موظفين يدعون (أشراف الأوقاف) وكانت الأوقاف تشرف على الأموال الواردة إلى خزانتها من أوقاف الناس[١].

(٤) الأراضي الزراعية ونظم الري:-

وجه السلاطين الغزنويون عنايتهم إلى تنمية الثروة الزراعية في خراسان حتى يتيسر لهم بذلك تعزيز كيان دولتهم، فنشطوا في حفر الترع والقنوات وإقامة السدود والقناطر في معظم أرجاء هذا الإقليم، فكان نظام الري يختلف في منطقة عن الأخرى، وكان يوجد في مرو ديوان لتيسير سبل الري يسمى ديوان الماء ويشرف على هذا الديوان أحد كبار موظفي الدولة، تعلو مرتبته على مرتبة صاحب المعونة في هذه المدينة وكان يعاونه أكثر من عشرة آلاف عامل، وكان لهذا الديوان سجلات ودفاتر تدون فيها مقادير خراج الأراضي على حسب نوع ريها، وجعلت مقاسمات الملكيات الخاصة على العشر إذا سقيت طبيعيا، ونصف العشر إذا كان الري اصطناعياً تطبيقاً لقواعد الشريعة الإسلامية، كذلك أقيم في جنوب مرو سد كان يشرف عليه أربعمائة غواص ليلاً ونهاراً، وكانوا يطلون أنفسهم بالشمع في فصل الشتاء إذا احتاجوا دخول الماء لإصلاح أي عطب في السد[٢].

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٨.

(٢) أبو عبد الله محمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي: مفاتيح العلوم، الطبعة الثانية القاهرة ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص٤٥.

ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٥.

أما الأقاليم الواقعة شرق فارس البعيدة عن مجاري المياه الكبرى فقد كانت تروى بطريقة متقنة الصنع، فكان في تلك المناطق نهيرات وجداول صغيرة تنحدر من المرتفعات بعد سقوط الأمطار فيتجمع هذا الماء في تلك الأنهر والجداول لتجري في طريقها عبر قنوات معقودة عليها قناطر إلى كل من مدينتي طوس ونيسابور، وكان يبلغ طول إحدى هذه القنوات خمسين كيلوا متراً، كما بنيت بعض القنوات في أماكن متفرقة في خراسان لسحب المياه من الأنهار البعيدة وتوزيعها على المدن ومنها على الأهالي للشرب وري مزارعهم، واشتهرت نيسابور بقنواتها التي تجري تحت الأرض لتسقي ضياعها، وتدور في محلاتها وتمد أهلها بماء الشرب، وكان يظهر في قنوات مدينة نيسابور دقة العمل واهتمام الولاة بشؤون العامة والمحافظة على مصالح الفلاحين آنذاك[1].

هذا ويرجع الفضل في تنظيم هذه القنوات إلى عهد عبد الله بن طاهر حاكم خراسان الذي أدخل نظام توزيع المياه من خلال القنوات، وعمل ديواناً أسماه ديوان الماء، وعندما حدثت مشاكل حول عملية الإرواء بين الأهالي وخاصة في نيسابور، دعا فقهاء خراسان إلى وضع قوانين لنظام الري وفق الأسس الفقهية فصنفوا له كتاب "القنى" وكان يتناول الأحكام الفقهية والإدارية لحل المنازعات بين الفلاحين بسبب عدم عدالة توزيع المياه لهم. وظل هذا النظام معمولاً به إلى زمن الكرديزي الذي أشار إلى ذلك الكتاب والذي كان يضم الكثير من المعلومات عن وسائل الري والذي كان يمثل رمزاً لاهتمام الولاة بأمور الري والزراعة في خراسان[2].

أما الأنهار فكانت من أهم مصادر الري في خراسان وأكثرها إفادة للزراعة، فإقليم خراسان كان به عدد من الأنهار التي كانت تتفرع منها شبكة منظمة ودقيقة من الجداول والترع لسقي المزارع والبساتين القريبة من المدن أو القرى، وأهم الأنهار في خراسان:-

(١) نهر هراة: "هرى رود": وهو يسقي سهول ربع هراة برمته ومخرج هذا النهر من جبال الغور قرب رباط كروان ويجري في منبعه مسافة قصيرة نحو الغرب ويمر بمدينة هراة

---

(١) آدم متز -الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري- الجزء الثاني- نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة القاهرة ١٣٦٠هـ/١٩٤١م، ص٢٨٢، ٢٨٣. الاصطخري: المسالك والممالك ص١٤٨، ١٤٩.

(٢) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢١٨.

الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٥٠، ١٥١.

على سبعة أميال من باب الجنوبي قريباً من مدينة مالين ويجتاز هراة باتجاه بوشنج قرب خفقته الجنوبية ثم ينعطف شمالاً إلى سرخس، ويتفرع هذا النهر إلى عدة فروع، أما الفرع الرئيسي فيذهب إلى هراة فتستخدم مياهه لسقي البساتين والمزارع[1].

(٢) نهر مرو: ويسمى مرغاب وتفسيره مروآب أي ماء مرو، ومنهم من يزعم أن النهر منسوب إلى مكان يخرج منه الماء ويعرف بنهر مرغاب ومجرى هذا النهر على مرو الروذ وعليه ضياعه ومنابع هذا النهر من جبال الغور في شمال شرقي هراة من وراء الباميان، ويمر بمرو الروذ ويدور شمالاً إلى مرو الشاهجان حيث يتشعب منه جملة أنهار، ثم يفنى ماؤه في رمال مفازة الغز. وهو يسقي معظم المدن التابعة لكورة مرو، ثم يغذي هذا النهر أربعة أنهار فرعية وهي:-

(١) نهر هرمزفرة. (٢) نهر الماجان. (٣). نهر الرزيق. (٤) نهر أسعدى[2]

ونستخلص من نظام الري في إقليم خراسان أن الأمراء والولاة اهتموا اهتماماً بالغاً بتقسيم المياه إلى جميع المدن في خراسان ولكن نرى مقسم ماء مرو كان يبدأ من قرية زرق من عدة مقاسم للماء بحيث جعل لكل محلة وسكة من هذا النهر (نهر مرو) ساقية صغيرة عليها الواح خشب فيها ثقب مقدرة لا يترك أحد يزيد فيها ولا ينقص، ويأتي كل قوم من شربهم بمقدار إن زاد الماء دخلت عليهم الزيادة وإن نقص نقصوا بأجمعهم لا إيثار لقوم على أخر. ومتولي هذا الماء أمير قوي وتحت إمرته أكثر من عشرة الاف رجل يرتزقون على هذا الماء، ولكل رجل منهم عمل معين يؤديه خلال وظيفته، فمنهم مكلفون بقياس علو الماء وقت الفيضان وكذلك انخفاض منسوب الماء وقت الجفاف، ومنهم مكلفون بصيانة الألواح التي بدأت تتآكل نتيجة قدمها وكان نظام قياس الماء كما هو معروف في ذلك الوقت وأورده الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم هو "البَسْتُ" وكان هذا قياساً تصالح عليه أهل مرو وهو مخرج للماء من ثقب طوله شعيرة وعرضه شعيرة، وعلى ذلك فقد بنى الجغرافيون هذه النظرية وهي إذا بلغ طول علو الماء ستين شعيرة، فإن ذلك العام يكون عام خصب، وإذا -

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٧.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٣١.

الاصطخري: المسالك الممالك، ص١٤٨.

ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٥.

كانت ست شعيرات فإن ذلك يدل على أنها قحط، وأخيراً فإن هذا التقسيم الدقيق والفني لعملية الري في خراسان لدليل على رقي نظام الري في دول المشرق وعليه فقد أثر ذلك على تقدم الزراعة والاهتمام بها في هذا الإقليم[1].

ومن هذين النهرين الكبيرين -هراة ومرو- تكونت السهول الممتدة في عرض القسم الغربي من خراسان وإروائها، كما عرفت خراسان بأراضيها الخصبة وقراها الغنية العامرة بزروعها وبساتينها، وكذلك تميزت برساتيقها الواسعة الكبيرة الخصبة التي كانت تفي منتجاتها الزراعية باحتياجات المدن الكبرى.

أما المدن التي اشتهرت بالزراعة، فقد أشاد الجغرافيون بها، فكان صحيحة التربة والهواء، عامرة وعلى درجة كبيرة من الخصوبة، وعند ذكر مرو ونيسابور قيل عنهما "أحسن الأرض مستخرجة" وقيل أيضاً عن نيسابور أنها "أزكى أرض خراسان السقي"، وتقع نيسابور في سهل محاط شماله الغربي بمنطقة كوه جاه وبسلاسل جبال عالية في الشمال الشرقي تدعى جبال بنالوت الذي يفصل نيسابور عن طوس ومشهد وهذا الجبل شديد الانحدار على جانب مدينة نيسابور ويفوق ارتفاعه أكثر من ١١,٠٠٠ قدم وينحدر شرقاً إلى سهل واسع عريض يبلغ ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ قدم تنتشر فيه القرى والبساتين، وبهذا الموقع تعتبر مدينة نيسابور منطقة سياحية وتتمتع بجمال الطبيعة، وكان الأعيان يتخذون من مدنها وريفها مصيفاً للراحة والاستجمام وقد أقام الشيخ أبو سعيد في قرية بوشكان -التي كانت تعتبر مصيفاً للنيسابوريين- وليمة فخمة لألفي شخص من نيسابور وقد أنفق فيها أموالاً طائلة، ولذلك قال عنها الجغرافيون "ليس بخراسان مدينة أصح هواء ولا أكبر من نيسابور"[2].

هذا ولم تكن جميع الضياع عامرة بالزراعة، بل كانت إلى جانبها أراضٍ خربة غير معمورة نتيجة الإهمال أو الكوارث الطبيعية، فلذا كانت الأراضي الزراعية عندهم مرتفعة الأسعار، فنجد الأعيان يملكون أحسن الأراضي في الأرياف لأن المدينة كانت مرتبطة بها،

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٢٨١.
الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٤٦،٤٥.
الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٤٩،١٤٨.
ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٥.
(٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٤٦.
Bosworth: the Ghaznavids. p. 153

فكان لأبي نصر بن مشكان دار وحديقة في قرية محمد آباد التي كانت تابعة لشادياخ، وكانت أراضيها غالية الثمن فكان الجفت وار، الذي يسمى في نيسابور وأصفهان وكسرمان جريباً، من الأرض الغير مزروعة يباع بألف دهم، وإن كان عامراً بالشجر والزرع بيع بثلاث الاف درهم، على أن أبا سهل الزوزني اشترى في هذه القرية ثلاثين جفت وار لكي يشيد لنفسه قصراً وحديقة وقد دفع للجفت وار الواحد ومائتي درهم وكان ذلك في عام ٤٣٠هـ.

هذا وبعد معركة ىندانقان كانت الأراضي في قرية محمد آباد يباع منها الجفت وار بمد واحد من القمح ولا يجد من يشتريه، أما في العام السابق على هذه المعركة فكان الجفت وار من الأرض يباع بألف درهم ثم بعد ذلك بمائتين لكنه بعد معركة ىندانقان يباع بمد واحد من القمح ولا يجد البائع من يشتريه، هكذا كانت أسعار الأراضي في الحرب والسلم في انخفاض وارتقاع[1].

وكانت الأراضي الزراعية غنية بمحاصيلها، فيروي البلخي أن قفيز البذر كان يربح منه المالك مائة قفيز، أما الفلاح الذي يعمل في الأرض فكان يعين له راتب شهري نظير تلك الخدمات التي يقدمها للأرض، وكان عليه معرفة أوقات السقي والري، وكذلك يشترط أن يكون له خبرة بالفلاحة واللقاح والغرس والوصل والحصاد، لأن ذلك كان يتوقف عليه أخذ ضريبة الخراج في النيروز والمهرجان من كل سنة[2].

وكانت الزراعة تتعرض في بعض الأحيان للكوارث الطبيعية مثل البرد والثلوج وكذلك الجفاف نتيجة عدم سقوط الأمطار في موسمها، وهذه الظروف كانت تؤثر على القيمة الإنتاجية للأراضي الزراعية، مما كان يؤدي إلى النقص في المواد الغذائية في تلك المناطق، فكانت الدولة في هذه الحالات تتخذ الإجراءات اللازمة من إرسال الإمدادات الغذائية والمادية لتوزعها على المتضررين من الأهالي في جميع أرجاء الأراضي المنكوبة، وحدثت سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠-١٠١١م مجاعة في خراسان بسبب نزول الصقيع في وقت مبكر من تلك السنة، فأرسل السلطان محمود الإمدادات الغذائية وبذل أقصى جهده في تخفيف المعاناة عن

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١.

(٢) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية، ص٣١-٣٢، ٣٤١.

قحطان عبد الستار الحديثي -دراسات في التنظمات الاقتصادية لخراسان، من رسالة دكتوراة الموسومة خراسان في العهد السامانى -الباب الثالث- الفصل الأول ١٩٨٠، ص٦٣.

أهالي خراسان، وكذلك من المساعدات التي قدمتها الدولة للمنكوبين على هيئة قروض مالية ليتمكنوا من شراء البذور والماشية التي فقدوها وأيضاً أعادت إليهم خراج تلك السنة ليحلوا بها المشاكل التي نتجت عن الثلوج والجفاف، ويسددوا منها الديون التي تراكمت عليهم(١).

(٥) المحاصيل الزراعية:-

أولاً: الحبوب بانواعها:

كانت مدن خراسان تعتمد اعماداً كلياً على القرى والرساتيق في سد حاجاتها من المواد الغذية للاستهلاك اليومي كالخضروات والفواكه والحبوب.

فكانت مرو تشتهر بزراعة السمسم كما يكثر فيها الحنطة والشعير، ويقال أنها من أطيب بلاد خراسان أطعمة، وخبزها ليس بخراسان أنظف ألذ طعماً منه، أما نيسباور فيرتفع من رساتيقها أصناف الحبوب وخاصة من بست وكويان واستوا الذي يقوم بأكثر ميرة نيسابور، أيضاً كانت مدينة سرخس مشهورة بزراعة الحبوب كالحنطة والشعير والذرة بالرغم من أنها قليلة المياه، وقد قارن المقدسي كمية الحبوب المصدرة كل أسبوع من سرخس بكميات الحبوب المرسلة من القاهرة عن طريق قلزم إلى الحجاز، وهذا يدل على أن مدينة سرخس كانت بها صوامع لحفظ الحبوب وتصدر الكميات الكبيرة إلى المدن الأخرى في خراسان عند حاجتها إلى ذلك، والذي يؤكد لنا ذلك أن مدينة نيسابور وماكان يحيط بها من القرى والأرياف كانت تجد النقص في المواد الغذائية نظراً للكثافة السكانية فيها وكذلك لازدياد طلب المستوردين الكميات الكبيرة من المواد الغذائية وغيرها لإرسالها إلى الأقاليم الأخرى حسب طلب التجار فيها.

كانت أراضي خراسان تنتج الحاصيل الأخرى غير القمح والشعير والذرة، فمدينة بلخ كانت مشهورة بالسمسم والجوز واللوز والأرز، أما أسفراسيين فكانت مزارعها تشتهر بزراعة الأرز، وكذلك مدينة هراة بها مزارع الفستق والحنطة وكانت أيضاً موطناً لزراعة الأرز، ويصدر منها هذا المحصول إلى بقية الأقاليم الأخرى(٢).

---

(١) Bosworth: the Ghaznavids. p. 161

(٢) Bosworth: the Ghaznavids. p. 122

ثانيا: القطن:-

اشتهرت أغلب مدن خراسان بصناعة المنسوجات القطنية، لأنها من المناطق المشهورة بزراعة القطن وتميزت مرو ونيسابور وقوهستان بأراضيها الخصبة لزراعة القطن المعروف بجودته ولينه في جميع أرجاء الإقليم(1).

ثالثاً: الفواكه:-

اشتهرت خراسان بزراعة الفواكه في جميع أرجائها، وقد وصف الجغرافيون فواكهها وخاصة الكروم والبطيخ، وكانت مدينة مرو بلد البطيخ المعروف "بالبارنك" وهذا النوع كان يحمل إلى الآفاق وخاصة إلى العراق في قوالب من الرصاص معبأة بالثلج لرغبة المأمون والخلفاء من بعده، كما أن اليابس من فواكههاوخاصة الزبيب يفضل الأنواع في الأماكن الأخرى لامتيازه بالطعم والجوده، وكذلك عرفت خراسان بكثرة أعنابها(2).

وكذلك يذكر أن بطيخ خوارزم كان يقدد ويجفف في الشمس في القواصير ويحمل إلى بلاد الهند والصين، كما اشتهر هذا الإقليم بالعنب والرمان والزبيب والكمثرى، أما بلخ فكانت تشهتر بفواكهها مثل العنب والتين والرمان والبرتقال والزبيب، أما مرو الروذ فكانت تشتهر مدنها بالبساتين والكروم والفواكه الحسنة(3).

أما نيسابور فكانت تعرف بمدينة الفواكه الواسعة اللذيذة وبساتينها الكثيرة، فتشتهر أرياعها ورساتيقها بكثرة الكروم والأعناب الجيدة والريباس والمشمش والزيتون والتين والسفرجل والأجاص والرمان، ومدينة هراة وصفت بأنها "بستان خراسان ومعدن الأعناب الجيدة والفواكه النفيسة"، وكانت مشهورة بالزبيب "الطائفي" والكشمهاني وفي مدنها ورساتيقها يذكر مائة وعشرون صنفاً من الأعناب. وفيها صنفان لا يوجدان في جهة أخرى هما "البرينان" و"الكلنجري"(4).

---

(1) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٤٩.

(2) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢١.

عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام ص١٧٢.

(3) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢١.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٨.

الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٥١.

(٦) الثروة الحيوانية والرعي:-

كانت معظم أراضي خراسان صالحة للزراعة والمراعي وحيث أن أموداريا (نهر جيحون) يعتبر الحد الفاصل بين إيران وتوران وتجتاز أراضي خراسان والسهول والوديان الخصبة، كانت سرخس تقع في أرض سهلة والغالب على نواحيها الراعي، ومعظم حيواناتها الجمال التي تستخدم في حمولة البضائع للمدن الخراسانية المحيطة بها[١].

أما الجوزجان فهي ناحية من إقليم خراسان اشتهرت بمراعيها الجيدة ووديانها الواسعة الخصبة وكانت لها قرى وبيوت للأفراد وهم أصحاب أغنام وإبل، ويرتفع من ناحيتها الجلود التي تحمل إلى سائر خراسان، وأكثر السوائم بخراسان من الإبل بناحية سرخس وبلخ، فأما الغنم فإن أكثرها يجلب منها من بلاد الغزية، ومن الغور والخلج[٢].

كذلك اعتبرت الأراضي الواقعة في الشمال من بحر قزوين وبحر أرال من أخصب الأراضي للرعي حيث كانت مأوى لمجموعة من قبائل الأتراك المعروفة بالغز، والذي عرفوا فيما بعد بالتركمان (السلاجقة)، على أن هذه المساحات الكبيرة من الأراضي لم تستغل استغلالاً نافعاً في تربية المواشي بل استغلت في الإغارة ضد بعضهم البعض من أجل السيطرة والتوسع على حساب الدول التي تأسست في خراسان وما وراء النهر، فهناك إشارات تدل على أن الصراعات الدامية بين الغزنويين والسلاجقة حول خراسان في الفترة من عام ٤٢٦هـ إلى سقوط الدولة الغزنوية في معركة دندانقان عام ٤٣١هـ كان الهدف منها هو الحصول على أراضٍ رعوية صالحة لهم ولمواشيهم وكان هؤلاء السلاجقة قبائل بدو يغلب عليهم الترحال من أجل الكلا والعشب والماء[٣].

فلما ضاقت بالسلاجقة الأراضي الرعوية في بلاد ما وراء النهر نتيجة قيام الدولة القراخانية وظلم بعض حكام هذه الأقاليم عملت هذه الجماعة من التركمان على أن يجدوا مراعي لقطاعنهم وأن يضيفوا إلى ثرواتهم وذلك بالإغارة على قطعان الشعوب المستقرة، ولتحقيق هذا الهدف أرسلوا مجموعات صغيرة من فرسانهم في عمق الأراضي الغزنوية حيث وقعت في أيديهم مجموعة من حيواناتهم وتفادياً لهذه الغارات المتكررة التي كانت

---

(١) الاصطخري: المسالك والممالك، ص١٥٤.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٦.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٦٣،٦٦٥.

نتيجتها السلب والنهب لقطعان المواشي باع أبو نصر بن مشكان (١٠,٠٠٠ رأس من الأغنام في صيف ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م) كانت ملكاً له في جوزجان، وكان أبو نصر على حق من تخوفه على هذه الكمية الكبيرة من الأغنام، كما اتضحت له فيما بعد من التطورات الخطيرة في خراسان نتيجة الحروب واستيلاء السلاجقة على قطعان الأهالي وما كان يقع في أيديهم من الغنائم عندما كانت هدفاً لهجماتهم المتكررة على خراسان(١).

ويرجع تحرك هذه الجماعات من التركمان إلى إقليم خراسان عندما منحهم السلطان محمود أراضي لكي تكون لهم مأوى ومرعى لأنعامهم، وكانت هذه الأراضي في مدينة سرخس وفراوة وباورد.

كذلك تنوعت الثروة الحيوانية في الدولة الغزنوية فكثرت في بلخ الجمال ذات السنامين وهي المسماة بالجمال البخاتي، وكذلك النوق السمرقندية والخيول التي تسمى الشهاري البخارية، وكذلك الخيول العربية التي كانت تربى في روابي إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، وقد أبدى أبو الحسن عبد الجليل أحد زعماء العرب عند ذهابه إلى غزنة السلطان مسعود استعداده لجلب الإبل والخيول للمشاركة في حربه ضد السلاجقة(٢).

كذلك شاركت هذه الثروة الحيوانية في تسهيل مهمة الفلاح في حرث الأرض وزراعتها، كما استخدمت الخيول السريعة في حمل البريد بين الأقاليم، وكانت أيضاً أداة فعالة في جيوش خراسان وقوافلها التي كانت تحمل البضائع والسلع من إقليم إلى آخر، هكذا شكلت الثروة الحيوانية مصدر دخل آخر من اقتصاد خراسان وكانت تدر على هذا الإقليم منتجاتها من الألبان التي كانت تشكل مادة غذائية لا يستغنى عنها، إضافة إلى الكميات الكبيرة من لحومها لإطعام سكانه، كما أن انتاجها من الأصواف والوبر والفرو والجلود ما يستعمل في الصناعات المختلفة مما صير خراسان مركزاً هاماً للصناعات الجلدية لبلدان الخلافة الشرقية(٣).

---

(١) Bosworth: the Ghaznavids. p. 182

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٥٤.

(٣) قحطان عبد الستار الحديثي: "دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان (أولاً الزراعة)، من رسالة دكتوراة الموسومة

ثانيا النشاط الحرفي (الصناعات):-

ازدهرت الصناعة في الدولة الغزنوية، ولم يأل السلاطين الغزنويون جهداً في سبيل العمل على تقدمها، وكان إقليم خراسان من أكبر المراكز والمؤسسات الصناعية في الدولة مما جعل الحكام الغزنويون يحافظون عليها ويعملون على نموها وتطورها، ويرجع ازدهار الصناعة إلى وجود الثروة الطبيعية لمعظم المعاد،، وكذلك مهارة الصناع ووفرة رؤوس الأموال التي أقامت هذه المصانع بالإضافة إلى وجود السوق الكبيرة التي كانت تستهلك هذه الصناعات الكثيرة في جميع أرجاء العالم الإسلامي سواء من الصناعات المعدنية أو المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية وغيرها من الصناعات الأخرى التي سوف نتكلم عنها بالتفصيل.

(١) الصناعات التي قامت على المعادن:-

كانت خراسان مصدراً رئيسياً لمعظم المعادن التي ساعدت على قيام الصناعات، وكانت فيها عدة مناجم في جبالها ووديانها، فاهتمت الدولة الغزنوية باستغلال هذه الموارد كالحديد والذهب والفضة، وكان يوجد في كابل ونيسابور وفرغانة كميات كبيرة من الحديد، مما أتاح لأهالي هذه المدن أن يظهروا براعة فائقة في المصنوعات الحديدية مثل السيوف ورؤوس الرماح والسكاكين، في ناحيتي مينك ومرسمندة وهما من أعمال فرغانة بإنتاج أحسن أنواع الحديد التي كان يجهز منها إلى العراق[١].

وكذلك كان الحرفيون في نيسابور ينتجون أشياء كثيرة من معدن الحديد كالأسلاك الحديدية والإبر والسكاكين، كما كانت جبال خراسان الشمالية تحتوي على النحاس والرصاص والإنتيمون والحديد والفضة والذهب -ولكن الذهب لم يستغل بكميات كبيرة- فلذا لم يرد عند الجغرافيين إشارة حول هذا المعدن وأماكن وجوده في إقليم خراسان[٢]. إلا أن

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٤١٦.

قحطان عبد الستار الحديثي: التنظيمات الاقتصادية في خراسان في القرن الرابع للهجرة (ثانياً الصناعة) من رسالة الدكتوراة الموسومة (خراسان في العهد السامانى) ص١١٥.

(٢) ابن خردانبة: المسالك والممالك، ص١٧٩.

ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني: كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، حيدر آباد -الركن ١٩٥٨، ص٢٢٢، ٢٢٣.

ابن خردانبة بين لنا كيف كان يستخرج معدن الذهب من مجاري الأنهار والوديان، ووصف قرية اسمها وخد فذكر أنها كانت تقع على نهر باخشوار وهي أحد أفرع نهر جيحون -وكيف يستخدم أهالي تلك القرية مسوك المعز والأوتاد في استخراجه، وأيضاً ذكر أن ذهب بلخ كان من أجود الأصناف وأحمرها وأصفاها وأن الذهب النيسابوري كان من أردأ أنواع الذهب وذلك لوجود بعض الشوائب من البلور وأنه لم يكن صافياً كالذهب البلخي.

والذهب من المعادن المستحبة منذ القدم لا سيما في صناعة الحلي التي تتزين بها النساء وكذلك استخدم في صناعة الأواني وأدوات الزينة للقصور، وأيضاً دخل في صناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب، وأخيراً استخدم في ضرب النقود كدنانير ليكون القوة الاقتصادية التي تنافس بها الدراهم الفضية في الدولة[1].

أما الفضة فكانت مدينة بنجهير بنواحي بلخ من أهم مواطن الفضة في الدولة، ويحدثنا ياقوت عن هذه المدينة بقوله: "والدراهم بها واسعة كثيرة، لا يكاد أحدهم يشتري شيئاً بأقل من درهم صحيح، والفضة في أعلى جبل مشرف على البلدة، والسوق والجبل كالغربال من كثرة الحفر والبحث عن الفضة". كما كانت الفضة توجد في سمرقند ونيسابور وفرغانة وزابلستان، أما في باذغيس فقد تعطل العمل في مناجمها وذلك بسبب فناء الحطب الذي يساعد على استخراجه وسبكه[2].

ومن الصناعات التي اشتهرت بها مدن خراسان الأواني وكيزان الماء وطاسات غسل الثياب المصنوعة من الصفر وهو "الأسفيذروي" أي النحاس الأبيض، وكذلك كان يكثر فيها النحاس الأصفر في كل مدن الباميان ونيسابور وزابلستان ومرو، هذا واشتهر إقليم خراسان بالمعادن مثل الرصاص والزاج والآنك والجراغ سنك وهي الأحجار التي تسمى "العموم الأسود"، وكذلك اللازورد والبلور والزئبق وغيرها[3] كذلك كانت الأحجار النفيسة من بين موارد الثروة الطبيعية التي اعتنت باستغلالها الدولة الغزنوية، فاشتهرت نيسابور بالفيروزج

---

(١) ابن خردانبة: المسالك والممالك، ص١٧٩.

Bosworth: the Ghaznavids. p. 150

(٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٢٧١.

ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٥.

(٣) ابو الريحان محمد بن أحمد البيروني: الجماهر، حيدر آباد -الركن ١٩٥٨، ص٢٦٤.

ابن حوقل: صور الأرض، ص٣٧٥.

الأزرق، كما اشتهرت مدينتا اطوس وفرغانة بالفيروزج الإيلاقي بجودته. ومن الأحجار النفيسة التي عرفت في هذا العصر الياقوت والزمرد واللؤلؤ، ويعتبر أفضل أنواع اللؤلؤ ما كان يستورد من الصين، وهناك الجمست وهو حجر منقوش يشبه الياقوت وكان يوجد في مرو الروذ، وأيضاً ذكر البيروني وجود الماس في الجانب الشرقي من خوارزم على جهة مرو وبخارى في هضاب المنطقة، وكان يوجد أيضاً في خراسان بعض أنواع المعادن مثل المغناطيس والكبريت والزرنيخ والمومياي[1].

(٢) الصناعات ومراكزها:

أ- المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية:-

اشتهرت خراسان بتعدد صناعاتها ودقتها، وذلك لوجود المواد الخام التي ساعدت في قيام هذه الصناعات، ويدل على ذلك رواج تجارتها واتساعها لتشمل الكثير من الأصناف، وقد اعتمدت هذه الصناعة على العمال المهرة والصناع المتخصصين في جميع مجالات الصناعة.

ومن أهم الصناعات التي ازدهرت بها خراسان في العصر الغزنوي المنسوجات على اختلاف أنواعها، وكانت أكبر مراكز صناعة القطن في شرق فارس، وهذه المراكز هي مرو ونيسابور وبم شرق كرمان) وقد اشتهرت هذه المدينة -بم- بثياب القطن الفاخرة، وعلى الأخص الطيالس، وكانت تحمل منها وتباع في بقية مدن خراسان والعراق ومصر، وهناك أيضاً مراكز خاصة لنسيج الكتان، وقد اشتهرت مدينة كازرون بصناعة الكتان، حيث نقلت إليها هذه الصناعة من مصر عن طريق فارس حتى سميت مدينة كازرون "دمياط الأعاجم" والكتان من المنسوجات التي تحتاج في البداية إلى أن يبل في البرك، ثم يفصل بعضه عن بعض ويغزل ثم تفل خيوطه في ماء نهر الرهبان الذي له خاصية تبييض خيوط الكتان[2].

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٤، ٣٢٥.
البيروني: الجماهر، ص٩٥.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٤٣٢-٤٣٤.
آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبور ريده، القاهرة ١٣٦٠هـ-١٩٤١م- الجزء الثاني ص٢٩٨.

ومن المدن التي اشتهرت بقطنها مدينة مرو، وهذا القطن تصنع منه أفخر الثياب وخاصة الملاحم، وكان العرب يسمون كل ثوب صفيق بالمروي وكل ثوب رقيق بالشاهجهاني، وإلى مرو ينسب القطن اللين والثياب التي تجهز إلى سائر الأقاليم الإسلامية وكانت من ألبسة الطبقة الارستقراطية.

أما مدينة نيسابور فلم تكن أقل شهرة من بقية مدن خراسان فقد تميزت بالمنسوجات القطنية والصوفية حتى وصفها ابن حوقل بقوله: "وبها فاخر ثياب القطن والقز ما ينقل إلى سائر بلدان الإسلام وبعض بلدان الشرك لكثرته وجودته" وأنتجت أيضاً بعض المنسوجات مثل الموسلين والعتابي والديمسق التي كانت لها الشهرة الفائقة في ذلك الوقت حتى انتقلت هذه المصطلحات إلى اللغات الأوروبية في صناعة الأقمشة القطنية والحريرية، وكذلك أنتجت مصانع نيسابور أقمشة لكل طبقات المجتمع وبمختلف الجودة فمنها الأقطان واللباد التي كانت لباس عامة الشعب، ومن الأنواع والأصناف الرخيصة الثمن والميسور شراؤها لجميع أفراد الطبقة الدنيا[1].

كذلك اشتهرت خراسان في العصر الغزنوي بصناعة الحرير، ويرجع بعض الجغرافيين ذلك إلى وجود دودة القز في بعض المدن الخراسانية، فكانت نيسابور من المدن الشهيرة بتربية دودة القز وصناعة الملابس الحريرية مثل العتبي والسقلاطوني التي كانت تضاهي ديباج بغداد وأصفهان. أما الحرير الخام فكان مصدره بساتين وحدائق التوت الواقعة في الأراضي الشرقية من بحر قزوين، وقد كان بعض مدن خراسان ليتسورد منه لتصنيعه، بالرغم من أن مرو كانت مركزاً لصناعة الحرير والأبريسم لوجود القز الكثير فيها هذا إذا ما قارنا بصناعة الحرير في مدينة نيسابور التي كانت تتصدر المبيعات في خراسان، نظراً للطلب المتزايد عليها من البلاط السلطاني وفي المناسبات والاحتفالات والتشريفات الرسمية الخاصة بالدولة، وكذلك لسد احتياجات القصر من الملابس الحريرية التي كانت لباساً للنساء[2].

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٣.
Bosworth: the Ghaznavids. p. 151.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٤، ٣٢٥.
Bosworth: the Ghaznavids. p. 151.

ب- السجاد وأنواعه:

رأينا كيف اشتهرت خراسان بالصناعات المختلفة نتيجة لوجود الثروات الطبيعية التي ساعدت على قيامها، وهذا أيضاً ما جعل أسواقها مصدراً لجميع متطلبات الحياة التي كان يحتاجها جميع أفراد الشعب، ومما هو جدير بالذكر أيضاً أن خراسان والأقاليم الأخرى في المشرق كانت من أكبر المراكز لصناعة السجاد التي وما زلنا نعرف عنها أنها تنتج أجود أنواع السجاد منذ العصور القديمة إلى عصرنا الحاضر.

ويرجع سبب ازدهار هذه الصناعة إلى تشجيع الملوك والأمراء ورجالات الدولة لها، بالإضافة إلى إنفاقهم الأموال الطائلة من أجل إبراز الأبهة والخبرة في تطوير إنتاج أحسن الفرش والأبسطة وأفخرها على أيدي أحسن الصناع الذين كانوا يشتغلون ويكرسون جهودهم شهوراً طويلة لصنع أحسن أنواع السجاد ليزوبوا بها قصور السلاطين وبيوتهم وكذلك طبقات الشعب المختلفة، وكانت أهم مراكز هذه الصناعات هي مدينة تون الذي ذكرها ناصر خسرو وكان بها ٤٠٠ مصنع للسجاد في زمانه وكذلك مدينة بخارى التي كانت تشتهر بصناعة البسط والمصليات والخيام، هذا واشتهرت بعض المدن الأخرى مثل طالقان باللبود الطالقانية. الشهيرة وغرج الشار باللبود والبسط الحسان، وقوهستان بالبسط والمصليات[1].

جـ- الصناعات الجلدية:

دخلت صناعة الجلود في خراسان كإحدى الصناعات التقليدية نظراً لوجود الكميات الكبيرة من الحيوانات التي كانت تربى في مراعيها الخصبة وذلك للاستفادة من لحومها وجلودها، ولقد اشتهرت مدينة بلخ بدباغة الجلود وصناعتها، وكانت خوارزم مصدراً للفراء وسائر أنواع الوبر من السمور والفنك والوشق والسنجاب والثعالب، على أن مدينة مرو اشتهرت بالركب المروزية الشهيرة الأحذية والسراجة الكاعب والجعاب والمداسات التي اشتهرت بها عائلة الداغوني واختصوا بها، أما مدينة نيسابور فكانت تشتهر بصناعة السيور

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص، ٣٢٤.
زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، القاهرة ١٩٤٠، ص١٤٠.

الجلدية والسراجة[1].

د- الصناعات الخشبية:

اعتمدت هذه الصناعة على جذوع الأشجار وأغصانها، وذكر الجغرافيون أن خراسان كانت توجد بها غابات كثيفة من الأشجار في القرون الأولى إبّان الفتح الإسلامي، ولما كان الاستهلاك الكثير منها سواء في الصناعة أو استخدامها كوقود للتدفئة، فقد استوردت خراسان خشب الساج الهندي وكان هذا النوع يعد أحسن ما يستعمل في بناء البيوت، أما أثاث المنازل، فكان يصنع في القرن الرابع من أخشاب غابات مازندران التي تتميز ببياض لونها المائل إلى الحمرة، ومع هذا كله فقد تفنن الصناع في خراسان بصناعة الزخرفة الخشبية المحفورة والمنقوشة في عمل التحف والأدوات والأواني المنزلية، وأيضاً استخدم الخشب في صناعات مختلفة، ولقد اشتهرت بلخ بصناعة الرماح، وخوارزم بصناعة النشاب والقوس والقسي وصناعة السيوف، ونيسابور بصناعة الصناديق والطرائف والتحف الخشبية[2].

أما سمر قند فقد اشتهرت بصناعة الورق المعروفة في ذلك الوقت "بكاغد سمر قند" وكانت هذه المدينة تعد من أشهر مدن خراسان وما وراء النهر بهذه الصناعة، فكانت الكواغد المصنوعة في معاملها من أنعم وأحسن الورق، حتى كانت تضاهي الورق المصنع في مصر من حيث الجودة والنعومة والكثرة، ومن أشهر الكواغد هي السليماني نسبة إلى سليمان بن رشد ناظر بيت المال بخراسان في عهد هارون الرشيد، والطلحي نسبة إلى طلحة بن طاهر بن الحسين والنوحي نسبة إلى الأمير نوح الأول من بني سامان[3].

صناعات أخرى:

اشتهرت خراسان وبلاد وما وراء النهر بصناعة الخزف والزجاج منذ زمن بعيد، وذلك

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٠.
المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٥.

(٢) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، القاهرة ١٩٦٥. ص ١٤٠.

(٣) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٨٥.
المقدسي: أحسن التقاسيم، ص، ٢٢٦.

لوجود المواد الطينية التي كانت تصلح لعجينة صنع الأواني الخزفية، التي استطاع الفنان تشكيلها وحفرها كما يريد لتكون في النهاية تحفة جميلة في متناول الجميع وتوجد هذه الأواني على أشكال مختلفة على هيئة كيزان وأدوات لحفظ الأطعمة والماء[1].

أما الزجاج فقد ازدهرت أيضاً صناعته في العصر الغزنوي ومنه كانت تصنع التحف المختلفة كالقوارير والزهريات وأكواب للاستعمال المنزلي أو لحفظ الزيوت والعطور، وقد اشتهرت طوس بصناعة الزجاج والأقداح والكيزان، كما تميزت مرو بهذه الصناعة وخاصة النوع الذي عرف بالمري، أما نيسابور فكانت من أهم المراكز لصناعة الفخار ذي الزخارف والنقوش، كما كانت سرخس معروفة بصناعة الأواني الخزفية والزجاجية[2].

وأخيراً اشتهر بعض مدن خراسان مثل بلخ ونيسابور وخوارزم وكش وولوالج بصناعة الأبخرة والأدوية والعقاقير والصباغة والعطور، فالنرشخي يذكر صناعة "القصارة" التي كانت تستخدم في غسل الثياب وتبييضها، والصباغة لإعطاء الألوان الزاهية للمنسوجات، ويبدو أن عمال الصباغة والقصارة كانت لهم سوق خاصة بهم، وكانوا يجيدون صناعتهم ويعد الأصناف المصبوغة فيها من إبداعهم، كما كان لبعض الصناعات دور خاصة ومؤسسات صناعية تضم معداتها وآلاتها ويعمل عمال متخصصون في مختلف المجالات، فمثلاً مصانع النسيج كانت لها دار تسمى "دار الطراز" أو "دار الصناعة"، وعلى هذا الغرار يمكننا القول في بقية المصانع الكثيرة كمعامل الصناعات الجلدية التي تحتاج إلى التجفيف والتقطيع والدباغة، والصناعات المعدنية والصابون والسجاد والسفن وغيرها من الصناعات التي تتبعنا دراستها في فصل الصناعات[3].

ثالثاً: النشاط التجاري

كان لموقع خراسان الاستراتيجي بين الأقاليم الإسلامية الأثر القوي في الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي في المنطقة وذلك في الفترة الممتدة بين القرن الثالث إلى السابع الهجري/ القرن التاسع إلى الثالث عشر الميلادي، ولما كانت خراسان تقع على طرق

---

(١) Bosworth: the Ghaznavids. p. 149.

(٢) قحطان عبد الستار الحديثي: دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان، ص١٣٢.

(٣) النرشخي: تاريخ بخارى، ص٣٧.

القوافل ومحطاتها التي تربط العراق وبغداد بالمراكز الرئيسية للاستهلاك في الشرق الأدنى ووسط آسيا وما يليها، فقد استفادت خراسان من هذه التجارة العابرة، وازدهرت مدنها بالبضائع والسلع التي كانت ترد إليها من جميع الأقاليم، حتى أصبح إقليم خراسان مستودعاً وسوقاً للتجارة بمختلف أنواعها.

(١) النشاط التجاري في المشرق:-

وكانت خوارزم تقع في شمال خراسان التي تفد إليها من مناطق السهول والغابات السيبيرية والمنطقة الوسطى من نهر الفولجا بعض المواد التجارية كانت منها بضائع فاخرة مثل الفرو ولكن بعضها الآخر كان عادياً مثل الجلود والشمع والشحوم والعسل، وهذه المنتجات كانت تأتي إلى خراسان ومن ثم توزع في مناطق بلاد الإسلام وأهم هذه البضائع تجارة الرقيق التي تبدأ من بلاد ما وراء النهر.

وكذلك كانت منتجات الشرق الأقصى تتكون من البضائع الفاخرة في طبيعتها وكانت هذه البضائع تأتي من اسيا عن طريق القوافل التي تعاني المسافات الطويلة حتى تصل إلى أسواق خراسان، وقد كانت هذه الأنواع عظيمة القيمة لما فيها من البضائع ما خف وزنه وغلا ثمنه مثل اللؤلؤ والأحجار النفيسة والفرو والعنبر والعود وغيرها، وقد جمع بول كاله قدراً كبيراً من المعلومات عن الإنتاج وأهمية هذه البضائع بالنسبة للبلاد الإسلامية، ومنها سهولة الحياة في بغداد والمراكز المدنية الأخرى خلال العصر العباسي مما يشجع على تلبية طلب المتاجر الفاخرة، وترفع من قيمة المتعهدين الذين كانوا يعدون هذه المتاجر ويتولون تنظيم القوافل التي تقطع مسافات طويلة وتتبع نظاماً دقيقاً في التوزيع[١].

وفي أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي كان تجار نيسابور شركاء لتجار تمتد مناطقهم إلى بلاد البلغار في الحوض الأوسط لنهر الفولجا، ولا شك في أن هذه الاتصالات التجارية الوثيقة جعلت ملك البلغار أبا إسحاق إبراهيم ابن محمد التبر في سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م يقدم على إرسال مقدار كبير من المال لإصلاح المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة في سبزاور وخسر ووجود في واحات بيهق، ومن هنا فإن النهضة الاقتصادية والثقافية في خراسان كانت جزئية وانعكاساً لرخاء بلاد الخلافة عامة.

---

(١) Bosworth: the Ghaznavids. p. 149.

وبالإضافة إلى هذا المحور لتجارة الشرق والغرب مع فروعه التي تمتد إلى خوارزم كان هناك طريق ثان لتجارة تسير من خراسان إلى كرمان وفارس والخليج العربي، وكان للكرمانيين في نيسابور سوق خاص بهم مركزه بلد كرمان أو جيرفت وكانت هذه السوق مركزاً للاتصال وخاصة في العصر السلجوقي في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل الثاني عشر عندما سكنت هناك جماعات من البيزنطيين والهنود(١).

وبهذه الطريقة اتسع نطاق التأثير التجاري والاقتصادي لخراسان في منطقة الخليج العربي كلها وقد لاحظ المقدسي العلاقات التجارية بين خراسان وبلاد العرب وقال: "إن بلدة قاين كانت مشهورة في عمان"(٢).

وفي أوائل القرن العاشر كانت عملة خراسان تعتبر عملة رخيصة في العراق وبلاد الغرب (مصر والمغرب) ولكنها كانت ذات قيمة كبيرة في رخاء خراسان في عصور الدول المستقلة هذا ومع ازدياد تطبيق النظام الاقتصادي بقدوم القرن الحادي عشر، ارتفعت سمعة عملة نيسابور واتسع ميدان استعمالها.

ولذا عندما أراد الخليفة القائم أن يوجه ضربة للقوة الاقتصادية في الدولة الفاطمية، أمر أن توقف العلاقات التجارية بين الدولة العباسية وبلاد المغرب، وبهذا الإجراء لم تعد دنانير نيسابورية تصل إلى هناك، وكذلك ليس للتجار القاشانيين والنيسابوريين والوسطاء من التجار وغيرهم الحق في العمل هناك، إلا أن ناصر خسرو لاحظ وهو عائد إلى وطنه من الحج سنة ٤٤٣هـ/ ١٠١٥م. عن طريق الفلج واليمامة، أن الصفقات التجارية كانت تتم بواسطةالدنانير النيسابورية في تلك المناطق، هذا ويصف الجغرافيون نيسابور في النصف الثاني من القرن العاشر بأنها كانت مركزاً تجارياً عالمياً، ومقصد التجار من العراق ومصر، وأيضاً كانت محطة للتجارة مع خوارزم والري وجرجان وفرضة التجارة لفارس والسند وكرمان وكان سكانها أغنى سكان خراسان(٣)

وهذا يعني أن التجارة الإسلامية قد ازدهرت بازدهار إقليم خراسان ومدنها حتى بدت

---

(١) Bosworth: the Ghaznavids. p. 150

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢١.

(٣) Bosworth: the Ghaznavids. p. 150.

ناصر خسرو: سفرنامة، ص١٣٩-١٤٠.

بهذه الصورة التي تحدثنا عنها في منتصف القرن الخامس الهجري وشهد بذلك الجغرافي ناصر خسرو الذي كان يعمل فترة من الزمن في الإدارة الغزنوية ثم انتقل بعد ذلك مع سقوط خراسان في العمل مع السلاجقة.

(٢) التجارة الداخلية:

وكان من سمات التجارة الخراسانية تلك الأسوق المحلية المتناثرة في جميع أنحاء خراسان، فقد قام كل طائفة من التجار في قسم معين من هذه الأسواق، فكانت توزع كل احتياجات الناس اليومية من المواد الغذائية الضرورية لهم، وقد ارتبطت هذه الأسواق ارتباطاً وثيقاً بالرساتيق والقرى. لما كانت تقدم الخدمات للمدن من توفير السلع والبضائع، لأن خراسان كانت تتمتع بصفات ممزوجة من الحياة المدنية والريفية فكانت الوحدة الرئيسية فيها هو الرستاق الذي كانت الممول الرئيسي للمدينة من المواد الغذائية المتمثلة في الخضروات والفاكهة واللحوم وغيرها، وكان يعد الجغرافيون خراسان أربعة أقاليم وثلاثة عشر رستقاً، وكل رستاق كان يعتبر كياناً في حد ذاته وله لهجته الخاصة، ويحتوي على سوق مركزي ليس من الضرورة أن تكون كبيرة جداً، كما كان للرستاق الأوزان والمقاييس الخاصة به[1].

وبالرغم من اختلاف وجهات النظر حول فكرة المعيشة كما رأينا في كل من المدينة أو الرستاق إلا أن هناك تكاملاً وترابطاً وثيقاً بين المدينة والرستاق في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام، بحيث لا تستغني الواحدة عن الأخرى لأغراض الازدهار والرفاهية.

ومن المدن التي اشتهرت بأسواقها مدينة "بلخ" وكانت أسواقها تحف بمسجد جامعها وهو معمور بالناس على مر الأوقات وتعاقب الأيام والساعات، كما اشتهرت بسوق الجمال التي كانت ذات شهرة بالنوق المتقدمة على سائر ما في جنسها بصحة مراعيها وخلوص نتاجها، والبخاتي أشهر هذه النوق غير أن بخت سمرقند أصلب وأشد وأبدن من نوق بلخ ولا نظير لها في جميع الأقاليم الأخرى[2].

ومن أحسن الأسواق نيسابور فهي خارج المدينة، وخير أسواقها سوقان: أحداهما

---

(١) Bosworth: the Ghaznavids. p. 151.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٢.

تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة، وحولها الخانبارات والفنادق التي يسكنها التجار بتجاراتهم التي كان يتم فيها فيما بينهم الصفقات التجارية، وكانت هذه الخانبارات والفنادق مبنية على نظام دورين، الدور العلوي لسكن التجار والدور السفلي كان كمخازن وخانات القوافل وكذلك يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصناع، كالقلانسيين والأساكفة والخرازين والحبالين إلى غير ذلك من أرباب الحرف الأخرى التي كان يخصص لها مكان في هذه الفنادق المملوءة بذوي الصنائع منهم، أما فنادق البزازين هم الأكثر ثروة ومركز من المهن الأخرى، فكانت ساحات سوقهم ومخازنهم تستضيف تجاراً من كل البلاد الإسلامية وخاصة من مصر والعراق، الذين كان له وتعهدون في مدينة نيسابور على مدار السنة[1].

وقد مدح المقدسي نيسابور بقوله "هي خزانة المشرقين، متجر الخافقين، بضائعها تحمل إلى الآفاق، ولبزة نور وإشراق، يتجمل به أهل مصر والعراق، يجبى إليه الثمرات، ويرحل إليه في العلم والتجارات، فهي فرضة فارس والسند وكرمان، ومطرح خوارزم والري وجرجان[2].

إلا أن المقدسي كان له أيضاً انتقادات كثيرة على هذه المدينة، وإلا لكان قد تأثر برخائها، فقد وصفها قائلاً "شوارعها قذرة، وخانات شعثة، وحمامات وضرة، وحوانيت منكرة، وجدارات وعرة قد عاندها البلاء، وخالطها الغلاء"[3].

وكانت البضائع -كما ذكرنا آنفاً- تباع في أسواق مخصصة، فلكل بضاعة السوق الخاص بها، يقصدها من الناس، ولكل طائفة من التجار تعمل في صنف معين -كالجلود أو التوابل أو الأقمشة- نقابة وتجمع النقابات كلها نقابة كبيرة تسمى "نقابة التجار"، يرأسها تاجر عظيم ذو مال كثير يعرف باسم "الشاهبندر" وهذا الرجل كان دائما ذا مكانة مرموقة عند أهل الحكم والناس، فقد كان يتولى تزويد أهل الحكم بما يحتاجون إليه من البضائع وخاصة الغالية منها، وكان في الوقت نفسه يقوم بخدمة النقابة بالوساطة عند أهل الحكم لرفع الظلم وتخفيف وطأة رجال الإدارة، وكان يساعد "الشاهبندر" عدد من التجار يتولون معه تصريف الأمور الخاصة بطائفة التجار، وهؤلاء هم الذين كان الناس يلجأون إليهم

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٦٢،٣٦٣.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢١٥.

(٣) نفس المصدر: ص٢١٥.

السؤال عن التجار الأجانب ومراكزهم وقدراتهم المالية ومستواهم الخلقي في المعاملة وما إلى ذلك. وكان هذا النظام موجوداً في العالم الإسلامي، وبفضله نشطت التجارة وتشجع التجار على البيع والشراء، وكذلك كف الحكام أيديهم عن التجار، نظراً للفوائد التي كانت تعود عليهم من وراء اكتساب ثقة التجار وحسن ظنهم، ولم يكن يمد يده إلى أموال التجار إلا حاكم قصير النظر. وكانت نقابات التجار هذه تبدو على أوضح صورها في الخانبارات كما رأينا، حيث كانت النقابة قد جعلت من مهمة هذا المركز إنشاء المخازن للبضائع وإقامة الحراس عليها، وتوفير السكن والإقامة للتجار التي كانت تسهل لهم الصفقات التجارية فيما بينهم(١).

وكان إقليم خراسان إقليماً منتجاً وافر النشاط، وشاهدت مدنها رخاء كبير في تنظيم التجارة وجنبها للتجار من كل الآفاق، ولو أن النظم الإدارية منه كانت أصلح مما كانت لتضاعف إنتاجه واتسع نطاق الصناعة والتجارة فيه، وقد أنتج الصناع الخراسانيون في كل ميدان تقريباً، ولم يقصر التجار ما بين صغار وكبار في توسيع مدى معاملاتهم التجارية، وعرفوا كيف ينظمون أمورهم المالية فيما بينهم دون حاجة إلى تدخل السلطات، فتعاملوا بالبيع نقداً ومؤجلاً، وعرفوا "السفاتج" وهي التي نسميها اليوم "الكمبيالات"، و "الصكوك" التي نعرفها اليوم باسم "الشيكات". بل أن لفظ (Chek). الإفرنجي محرف عن لفظ "صك" العربي، وعرفوا خطابات الضمان والحسابات المفتوحة وغير ذلك من صور التعامل المالي، وإن لم يعرفوا المصارف أي البنوك، لأن المصارف لا يمكن أن تقوم إلا برعاية الدولة وضمانها، وكانت ثقة التجار في دولهم قليلة. لأن رجال الدولة كانوا طامعين في أموال التجار دائما، جديرٌ بالذكر أن المصارف في البلاد الأوروبية كانت مؤسسات فردية، ولم تكن تقوم بعمليات واسعة النطاق، وإنما كان يقام في كل سوق منضدة كبيرة يجلس حولها الصرافون القيام بالعمليات المالية، وهذه المنضدة هي أصل البنوك الحالية، لأن الراغب في المعاملة مع الصرافين كان يجلس على كرس طويل أمام المنضدة عرف باسم (Bank). وهذا هو أصل البنوك والمصارف، ولم تكن عمليات الصرف في الأسواق الإسلامية تختلف كثيراً عن ذلك، ولكنها تطورت في الغرب تبعاً لتطور الظروف السياسية العامة، في حين أنها لم تتطور في بلاد المسلمين لوقوف الأنظمة السياسية عن التطور(٢).

---

(١) حسين مؤنس: عالم الإسلام، القاهرة، ١٩٧٣، ص٢٣١،٢٣٢.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ص٣١١، ٣١٢.

وكان التجار ينظمون أمور التعامل فيما بينهم، فيضمن بعضهم بعضاً في بضاعة أو قرض أو دفع مؤجل وما إلى ذلك، وتتولى النقابات تقديم الضمان اللازم إذا كان التجار من ذوي الأمانة المعروفة، وفي أحيان كثيرة كان التجار يعقدون معاملات مالية ذات حجم كبير، وكل منهم يعيش في بلده بعيداً عن الآخر، ومع أن الجغرافيين يذكرون أمثلة على ذلك وأنه أمر غير عادي، فإنه في الحقيقة كان شيئاً عادياً بين كبار التجار، فإنهم كانوا يرسلون البضائع الكثيرة لتباع على ذمة التجار في البلاد البعيدة، ويحتفظ لهم بالثمن عند أصحابهم من التجار حتى يستطيعوا التصرف فيه، وعن طريق التعاون والائتمان هذا استطاع تجار المسلمين أن يقوموا بعمليات واسعة النطاق دون حاجة إلى نقل الذهب والفضة من مكان إلى مكان[1].

(٣) التجارة الداخلية طرقها ومراكزها:-

وعلى ضوء هذا الازدهار التجاري في العصر الغزنوي نجد أن خراسان كانت مركز الطرق الرئيسية التي كانت تعبر منها القوافل في حمل البضائع بينها وبين الدول المجاورة وهي الطرق الرئيسية التي روجت منها تجارة الدولة ومن أشهر هذه الطرق:-

أولاً: الطريق التجاري من شمال روسيا إلى الشرق عن طريق بحر قزوين ومنه تنقل التجارة إلى مرو فبلخ وبخارى وسمر قند ببلاد ما وراء النهر ومنها إلى الصين، ويحمل التجار المسيحيون الذين يستعملون هذه الطريق جلود الخز وجلود الثعالب والسيوف والشمع والعسل والشحوم، وقد ازدادت أهمية هذا الطريق منذ أن دخل أهل البلغار إلى الإسلام في أوائل القرن الرابع الهجري، وعقدوا مع الولايات الإسلامية وخاصة خراسان تلك التجارات العظيمة حتى أرسل ملكهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التبر معونة مالية لإصلاح المساجد في واحات بيهق كما أسلفنا، وكذلك يرجع ازدهار هذه الطرق إلى العهود السابقة والجهود التي بذلها السامانيون في خراسان وما وراء النهر للمحافظة على الأمن والنظام في هذه البلاد، ومع دخول خراسان في حوزة الغزنويين والفتوحات التي حققها السلطان محمود وخلفاؤه في الهند أصبح هذا الطريق أهم شريان تجاري بين العالم الإسلامي وبلاد الهند[2].

(١) حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٢٣٠.

(٢) محمد جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، ص١٤٩.

ثانياً: الطريق التجاري الذي يسير من المنطقة الواقعة عند مصب نهر السند متجهاً داخل فارس ماراً بولاية سجستان وإلى الشمال من هذا الطريق كانت قوافل البنجاب تنقل مقادير كبيرة من البضائع عبر هضاب أفغانستان، وتوصلها إلى كابل وغزنة وغيرهما. ومن هناك كانت القوافل تسير نحو خراسان غرباً وبخارى شمالاً. وكان ملوك الهند يحسنون معاملة التجار العرب، وانتشرت الجاليات العربية في بعض مدن الهند. لذلك نشطت الحركة التجارية في الملتان والديبل وكانت الملتان والديبل من أهم مراكز التجارة في الدولة الغزنوية فكان العرب في الديبل يتبادلون البضائع مع التجار الهنود الذين يجلبون سلعهم من داخل الهند أو من المدن المجاورة، وكانت الملتان مركزاً هاماً للتجارة مع الأقاليم الداخلية في الهند لأن فيها معبداً يقصده حجاج الهنود من داخل البلاد[1].

ثالثاً: الطريق البري من أوربا إلى المشرق، ويبدأ من الأندلس ويمر ببلاد المغرب حتى مصر، ثم يتجه إلى بلاد الشام، ومنها إلى العراق ففارس ماراً بالأهواز ثم إلى كرمان والهند والصين.

رابعاً: الطريق البحري من أوربا إلى الشرق عن طريق مصر، ويقوم به في كثير من الأحيان تجار من اليهود، وكان لهم مدينة بالجوزجان وكانت تسمى اليهودية وكانت مقتدرة جامعة للصنائع والتجارة وهؤلاء اليهود يأتون من مقاطعة بروفانس، ومن أكبر المنافسين للتجار المسلمين بفارس، وكانوا يتكلمون عدة لغات مثل العربية والفارسية والرومية والفرنسية والصقلبية، ويجلبون من غرب أوربا الجواري والغلمان والديباج وجلود الخز[2] والفراء والسيوف، وكانت رحلاتهم تبدأ من بروفانس، وترسو سفنهم عند الفرما، ويحملونها على الدواب إلى القلزم، ومنها تنقل عبر البحر الأحمر إلى السند والهند والصين ويعود التجار من رحلتهم محملين ببضائع المشرق مثل المسك والعود والكافور إلى القلزم، ومنها إلى الفرما أو الإسكندرية ثم إلى بروفانس، ويقصد بعضهم أحياناً القسطنطينية[3].

---

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٧٥.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٧٨.

(٢) ابن الفقيه الهمذاني: البلدان، ص٢٧٠.

(٣) محمد جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص١٤٩.

وثمة عامل آخر كان له وزنه في انتشار الإسلام بين الأتراك الشرقيين، ونقصد به التجارة وقد لعبت التجارة في هذا الميدان دوراً بارزاً إذ المعروف أن الاحتكاك التجاري بين مناطق البدو وأماكن الاستقرار احتكاك طبيعي، فالبدو الترك كان ينظرون إلى البلاد المستقرة المزدهرة نظرة إكبار، وهي موردهم الطبيعي للمنسوجات أو غيرها من المنوعات التي لا تتوافر في البيئات البدوية، ومناطق الاستقرار بدورها تتطلع إلى مناطق البداوة على أنها مورد طبيعي المادة الخام والثروة الحيوانية(١).

وقد بدأ هؤلاء البدو أول الأمر يقبلون على أسواق المسلمين في خراسان وبلاد ما وراء النهر ويألفون البضائع الإسلامية ويعتمدن عليها وتزداد حاجاتهم إليها باستمرار، وكان هؤلاء البدو يقودون قطعانهم إلى المدن الواقعة على الحدود دون انتظار رحيل التجار منها وكانت تسترعي انتباههم الأعشاب الطويلة على ضفاف الأنهار يأوون إليها زمن الشتاء.(٢)

وهذا القول يصدق على خانات الأتراك الشرقيين وطريقة دخولهم في الإسلام، فقد أعجبوا أول الأمر بأحوال المسملين وحاصلاتهم وصناعاتهم وأتبعوا ذلك بالإعجاب بدينهم، ويبدو أن التجار المسلمين مع الصلات التجارية المتبادلة معهم، قاموا بدعوتهم إلى الإسلام، فاهتدى بعضهم بالدخول إلى الإسلام، وليس من شك في أن الدعوة إلى الإسلام والعلاقات الإنسانية بين المسلمين وهؤلاء الأتراك كانت تمضي جنباً إلى جنب وتعمل على ازدهار حركة النشاط التجاري في تلك المناطق(٣).

كان التجار المسلمون من الأتراك يحملون المنتجات الإسلامية إلى اتجاهات متعددة عبر المسالك التي فتحها الصغد قبل، وكانت أهم هذه الطرق تلك المؤدية إلى بلاد الصين ومنها تفرعت شمالاً إلى ديار الأتراك الشرقيين، وكانت المسافة بين طالاس وديار الكيماك مسيرة أحدى وثمانين يوماً.

---

(١) المستشرق الروسي و. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان مراجعة إبراهيم صبري، القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨. ص١٢-١٧.
حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، القاهرة، ١٩٧٢، ص١٧٤.

(٢) Barthold: Four studies on the history of cental Asia VoI. 1. PP. 17-18.

(٣) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص١٧٥.

وكان هنالك طريق آخر من إقليم ترخان حتي القرغيز وإلى حوض نهر نيس الأعلى، وتحفل المصادر الإسلامية بالمعلومات عن الطريق المؤدي إلى القرغيز، وتتفق هذه المعلومات إلى حد كبير مع ما ورد في النوقش الصينية ونقوش أرخون، ويبدو أن العرب اهتموا بهذا الطريق البري اهتماماً عظيماً ولهذا أفاض الجغرافيون العرب في وصفه والإشارة إليه[1].

وقد وضحت سيطرة المسلمين على هذه الطرق التجارية منذ تمكن العباسيون من هزيمة الصين، وتشير الوثائق الصينية إلى أنه في القرن الرابع الهجري، نفذ التجار شرقاً حتى منغوليا، وكان في إمكانهم أيضاً الوصول إلى بلاد الكيماك على طريق آخر من المجرى الأدنى لنهر سيحون، وكان هذه المناطق خارج نفوذ السامانيين ولكن المهاجرين من الأقاليم الإسلامية، أقاموا بها المراكز الصناعية، وكان هؤلاء المهاجرين من خوارزم الذين جنوا أرباحاً طائلة عن طريق التجارة مع هؤلاء البدو، وإذا كان هؤلاء التجار المسلمون قد استطاعوا أن يرفعوا المستوى الحضاري لدى الأتراك الشرقيين فإنهم أثاروا إعجاب هؤلاء البدو بالعقيدة الإسلامية[2].

ومع نجاح الدعوة الإسلامية بين الأتراك الشرقيين يجب ألا نغل عامل الهجرة فقد كانت الهجرات تتجه باستمرار من أقليم ما وراء النهر إلى مناطق البداوة وطن الأتراك الشرقيين وكان هؤلاء المهاجرون أكثرهم من عنصر الصغد الذي عرفوا بهذا النشاط، ولم يقطع الإسلام هذه الصلات بل استمرت هجرات الصغد بعد إسلامهم، وأخذوا يجتازون حدود ما وراء النهر باستمرار، وكانوا يؤسسون مدناً أو مراكز سكنية خاصة بهم تنتشر خارج الأقاليم للقيام بعمليات المبادلة التجارية[3].

وكان الأتراك كثيراً ما يحتكون بهذه التجمعات السكنية التي انتشرت على حدودهم، وكانت الدولة في بعض الأحيان تجيز لبعض القبائل التركية عبور مناطق الحدود، وقد سمحت لبعض قبائل الأوغور بالمرابطة في مناطق الرعي من إقليم ما وراء النهر في مقابل التعهد بحماية الحدود، كما سمحت لفريق التركمان بزعامة سلجوق بن دقاق بالإقامة عند الأطراف

---

(١) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص٢١-٢٩،٢٤-٤١.

(٢) Barthold: Four studies VoI. 1. PP. 17-18.

حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص١٧٥.

(٣) بارثولد: تركستان، ص٢٥٤.

الشمالية لنهر سيحون، ثم انحدروا إلي الحدود الخراسانية في عهد السلطان محمود وطلبوا منه الإقامة في الأراضي الواقعة بين نساوابيورد وفراوة لوجود المراعي الخصبة هناك.

وكانت نتيجة هذا الاحتكاك التقارب الكبير بين سكان المجتمعات من المهاجرين وبين الأتراك الشرقيين الذي دخلوا الإسلام وقبلوا الدعوة الإسلامية من هؤلاء التجار الذين سعوا إلى تقريب الإسلام إلى هؤلاء بمعاملتهم الحسنة وعلاقتهم الطيبة، وليس من قبيل المصادفات أن تكثر هذه المدن وهذه المجتمعات خارج بلاد ما وراء النهر في العصر الساماني، فهو العصر الذي تدفقت فيه التجارات وتبودلت فيه البضائع بين تلك المناطق والدولة الغزنوية بعد العلاقات الطيبة بينها وبين القراخانيين وهم من الأتراك الشرقيين[1].

ويبدو أن السامانيين والغزنويين كانوا قد وصلوا بالحياة الاقتصادية في خراسان وما وراء النهر في القرنين الرابع والخامس الهجريين إلى درجة من الازدهار لم تشهده المنطقة من قبل، وقد أشار المقدسي بدوره في عرض الصادرات والواردات لكل الأقاليم المحيطة بخراسان وهي تلك التجارات التي كانت كل البلدان في حاجة إليها، وقد صرح المقدسي عن هذه التجارات بقوله: وأما المتجرات فترتفع من نيسابور ثياب البيض الخفيفة والبيباف والعمائم الشهجانية الحفية، والملاحم بالقز والصمت والعتابي والسيعيدي والطرائفي والمشطئ والحلل وثياب الشعر والغزل المرتفع والحديد وغير ذلك، ومن نساوابيورد القز وثيابه والسمسم ودهنه وثياب الزنبفت ومن نسا ثياب البنبوزية وفرى الثعالب والبزاة ومن طوس البرام الفائقة والحصر والحبوب ومن هراة البزالكثير وديباج والزبيب الطائفي والعنجد الأخضر والأحمر والفستق من مرو الملاحم ومقانع القز والإبريسم والقطن والبقر والجبن والبزر والنحاس ومن سرخس الحبوب والجمال ومن سجستان التمور والزنابيل والحبال من الليف والحصر ومن بلخ الصابون والسمسم والأرز والجوز واللوز والزبيب والعنجد والسمن والعسل والتين ولب الرمان والزاج والرصاص والزرنيخ والأبخرة[2].

أما واردات خراسان فهي: من ترمذ الصابون والحلتيث، ومن ولوالج السمسم ودهنه والجوز واللوز والفستق والأرز والحمص والسمن والقرون وجلود الثعالب، ومن بخارى الثياب الرخوة والمصليات والبسط وثياب الفرش الفندقية وصفر المناير والطبرى وحزم الخيل تنسج

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام في آسيا الوسطى، ص١٧٦، ١٧٧..

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٣.

في المحابس، وثياب أشموني والشحم وجلود الضأن ودهن الرأس، ومن كرمينية المناديل ومن دبوسية ووذار ثياب الوذارية وهي ثياب على لون المصمت وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان، ومن ربنجن أزر الشتاء من اللبود الحمر ومصليات وطاسات اسبيدوري والجلود ومرير القنب والكبريت، ومن خوارزم السمور والسنجاب وقاقون وفنك ودله والثعالب وخزيوست وخركوش ملون وبزيوست والشمع والنشاب والتوز والقلانس وغرا السمك وأسنان السمك وخزميان وكهروا والكيمخت والعسل والبندق وأبوز والسيوف والدرع والخلنج والرقيق من الصقالبة والأغنام والبقر كل هذا من بلغار، ويرتفع منها عناب وزبيب كثير وملاين وسمسم وبرود وفروش وثياب اللحف وديباج بيشكش وقانع ملحم وأقفال وثياب أرنج ويحمل من سمر قند ثياب سيمكون والسمرقندية والقدور العظيمة من النحاس والقماقم الجياد والأخبية والركب والحكمات وسيور، ومن دزك اللبود والجياد والأقبية منها، ومن بناكث ثياب تركستان، ومن الشاش سروج اليمخت الرقيعة والجعاب والأخبية وجلود تجلب من الترك وتدبغ والأرز والمصليات والبنيقات والبرز والقسي الجيدة وأبر والقطن يحمل إلى الترك والمقاريض ومن سمر قند أيضاً ديباج يحمل إلى الترك وثياب حمر تسمى ممرجل وسينيزي وقز كثير وثياب والبندق والجوز...، ومن فرغانة وأسبيجاب الرقيق من الأتراك مع الثياب البيض والات السلاح والسيوف والنحاس والحديد، ومن طراز بزيوست ومن شلجى الفضة ومن تركستان إلى هذه المواضع تخرج الخيل والبغال وكذلك من الختل...، وبطيخ مرو الكبير، ولا نظير للحمان بخارى وجنس بطيخ لهم يسمى الساف ولا لقسي خوارزم وغضائر وكاغد سمرقند"[1].

(د) المعاملات التجارية:-

كان أساس المعاملات المالية في خراسان الدينار الذهبي والدرهم الفضي، والوزن الأساسي للدينار مثقال من الذهب الخالص، أي ٤,٢٥ جرامات، وكان وزن الدرهم مثقالاً أيضاً ولكن من الفضة، والنسبة بين قيمة الدينار وقيمة الدرهم هي النسبة بين قيمتي الذهب والفضة، وكان من الطبيعي أن تختلف هذه النسبة بحسب ما كان في كل من الدرهم والدينار من الفضة والذهب الخالصين، فأما الدنانير فما كان الناس يقبلون في عيارها الذهبي أي نقص، فإذا نقص وزن الدينار حبه واحدة عدوه زيفاً وأخذه الصيارفة بنسبة ما فيه من

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٣-٣٢٤.

الذهب ولم يقبلوه على أنه دينار أصلاً ،و وكان أولئك الصيارفة يعرفون الذهب وعياره بنظرة واحدة أو بحكة بمبرد دقيق، ولم يكن الناس يشترون الدنانير للتعامل بها للإدخال، فيما عدا الخلفاء والسلاطين وكبار رجال الدولة، ولهذا لم تكن الدنانير جارية في الأوسواق للتعامل وإن كانت أساس النظام النقدي(١)

أما المعاملة الجارية فكانت بدراهم الفضة، والفضة لا تحتمل التداول في الأيدي إلا إذا خلط بها معدن آخر كالنحاس أو البرونز، ولهذا فقد كان المفروض أن الدراهم -حتى أعلاها عياراً- ليست صافية، وكان العرف أن الفضة لا بد أن تمثل١٠/٧ من الوزن الصافي للدرهم، ولهذا فلم تكن نسبة قيمة الدرهم إلى الدينار هي نسبة قيمة المعدنين النفيسين أحدهما إلى الآخر، بل اختلفت بحسب ما في الدرهم من الفضة وفي أول الأمر قدروا الدينار الصحيح بأربعة عشر درهما صحيحاً، ثم نقصت قيمة الدراهم الجارية في المعاملات حتى وصلت نسبة الدرهم إلى الدينار إلى ١: ٢٤. وكان هذا هو العرف الجاري إلى أواخر القرن الرابع الهجري، ثم انفرط العقد وهبطت النسبة إلى ١:٤٠، وربما أكثر، وأخذت الفضة الصحيحة تختفي من التعامل،ولم تبق إلا الزيوف(٢).

وفي عهد الغزنويين الأوائل وجريا على النظم والأعراف المتبعة في الدول التي قامت في خراسان وبلاد ما وراء النهر سك السلطان محمود عندما كان قائداً عسكرياً في نيسابور الدنانير الذهبية والدراهم الفضية باسمه، وقد اعتبر توماس الدراهم السامانية ٥٠-٥٥ حبة، حيث كان وزن الدراهم السامانية ٤٥ حبة، أما الدنانير الغزنوية فتبدو أنها كانت على نمط العملات الموجودة في المنطقة ولم تطرأ عليها أي زيادة أو نقصان في الوزن المتفق عليه حسب الأنظمة والأعراف المتبعة في تلك الدول المحيطة بالدولة الغزنوية(٣).

هذا وقد عرف المسلمون في خراسان وبلاد ما وراء النهر كل صور التعامل المالي التي ظهرت في العصور الحديثة ولكن في صورة بدائية وغير منظمة تنظيماً تاماً، فكان الصراف في السوق يقوم بالكثير من أعمال البنوك الحالية، إذ يقوم بتغيير العملة سواء كانت محلية أم

---

(١) أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي الشهير بالبلاذري، النقود العربية وعلم النميات عنى بنشره الأب أنستاس ماري الكرملي البغدادي، القاهرة ١٩٣٩، ص٢٥،١٠٧.

(٢) حسين مؤنس، عالم الإسلام، ص٢٣٧.

(٣) Bosworth: the Ghaznavids. p. 43. نقلاً عن توماس.

أجنبية ، ذهبية أم فضية، وكان العادة أن التاجر إذا دخل السوق أودع ما معه من المال لدى زحد الصرافين واخذ بدلها رقاعاً أو أوراقاً عليها طابع (ختم) الصراف يسجل منها الحد الأقصى الذي يستطيع التاجر أن يتعامل به، وبهذه الرقاع يشتري ما يريد ويعطي البائع منها ما يساوي قيمتها. ويذهب الناس بهذه الرقاع إلى الصراف ليأخذوا قيمتها النقدية، وكان الناس يفعلون ذلك تفادياً لحمل مقادير كبيرة من العملة في أثناء وجودهم في السوق وتعرضهم للصوص في الزحمة، وكذلك ليوفروا الوقت الذي يضيع في فحص العملة للتأكد من سلامتها في كل حالة الشراء، وفي أخر مدة السوق يعمل التاجر حسابه مع الصراف ويأخذ المتبقي له أو يدفع الزائد عليه وهذه أشبه بعمليات "خطابات الضمان"[1].

وكان "الجهابذة" -جمع جهبذ[2]- أوسع ثروة وأقدر من الصرافين على القيام بالعمليات المالية الكبيرة المعقدة، وكان بعض التجار يودعون لدى الجهبذ عشرات الألوف من الدنانير ويأخذون عنها رقاعا يتعاملون بها على مدى طويل، وفي بلاد شتى، وكان الجهبذ يقوم بعملياته في بيته أو دكانه، حيث يعمل في خدمته كتبه وحاسبون، وتوجد عنده خزائن، أما الصراف فكان يجلس على منضدة في السوق، ومعنى ذلك أن "الصراف" كان أدنى مرتبة من "الجهبذ". ومن الممكن اعتبار الجهبذ مؤسسة مالية تقوم بعمليات واسعة المدى وترتبط بمؤسسات مماثلة في بلاد أخرى، ويقوم بين هذه الموسسات نظام متعارف عليه في الصرف والدفع، فكان التاجر يشتري في نيسابور مثلاً ويدفع الثمن في البصرة أو القاهرة عن طريق "الجهابذة".

وكان الجهابذة يقومون في بعض الأحيان بالعمليات المالية للأمراء وكبار الحكام والأغنياء، ممن كان من العسير عليهم أن ينقلوا مبالغ مالية كبيرة من مكان إلى مكان أو يحتفظوا بأموالهم في بيوتهم خوفاً من اللصوص أو رجال السلطة، فكانوا يكتبون "رقاعاً" (أي أوامر صرف) بأي مبلغ، فيقبض الناس قيمتها من "الجهبذ" في المكان الذي يحدد في الرقعة ثم يسوي الرجل حسابه مع الجهبذ فيما بعد، وكان الجهابذة يقومون بمهمة الوكلاء

---

(١) حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص٢٤٠،٢٤١..

(٢) جهبذ: كلمة معربة، أصلها الفارسي جهبذ، والجهبذ الناقد العارف بتميز الجيد من الردئ، وتأتي أيضاً بمعنى الصراف الماهر، وكانت مهمته الإشراف على المسكوكات في الدولة ودور الضرب بها.

(انظر أدى شير: الألفاظ الفارسية المعربة، ص٤٦ . فرهنك وأثره هاي فارس درزبان عربي، جمع محمد على إمام شوشتري، ص١٨٤ ، تهران ١٣٤٧هـ.ش.

الماليين لكبار التجار والولاة، فكان التاجر إذا أراد السفر أخذ معه "سفتجة" (أي خطاب ضمان) يبين فيها المبلغ الذي يستطيع التاجر التعامل في حدوده. وبهذه "السفتجة" وفي حدود مبلغها، يستطيع التاجر أن يشتري ما يشاء على أوراق بقيم ما يشتري، ويتولى التجار تسوية الحساب مع الجهبذ فيما بعد، وكان ذلك كله يتم بضمان من نقباء التجار في كل بلد، وقد اعتمد الرحالة الفارسي ناصر خسرو (ت حوالي ٤٥٢هـ) في رحلاته على خطابات ضمان كتبها تجار من أصدقائه إلى وكلائهم في بلاد بعيدة ليدفعوا له ما يحتاج إليه من المال[١].

المكاييل والأوزان:-

من الألفاظ التي استعملت في ديوان الضياع والنفقات واستخدمت في قياس المسافات هي الأشل: وهو ستون ذراعاً طولا. ثم الجريب وهو أشل في أشل ومعناها ستون ذراعاً طولاً في مثلها عرضها يكون تكسيرها ثلاثة الاف وستمائة ذراع مكسرة، والذراع المكسرة أن يكون مقدار طولها ذراعا وعرضها ذراعا[٢].

الجريب:-

من المكاييل التي استخدمت في خراسان الجريب، وكان يختلف عياره من مدينة إلى أخرى وهو عشرة أقفزة، فأما قفيز قصبة نيسابور فهو سبعون منا حنطة، وقفيز أريافها منوان ونصف والجريب على هذا خمسة وعشرون مناً، وفي بعض رساتيقها القفيز كان منا والجريب خمسة عشر مّناً.

وكذلك الجريب في بعض المدن الخراسانية كان يسمى جفت وار، كما أورده البيهقي عند حديثه عن أملاك أستاذه أبي نصر بن مشكان، وقد كان ثمن الجفت وار من الأرض في

---

(١) الدكتور حسين مؤنس: عالم الإسلام، ص ٣٤٢،٣٤١.
الدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف: دراسات في النقود الإسلامية – العدد الثاني عشر (١٩٦٤–١٩٦٥) المجلة التاريخية المصرية –١٠٦.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي: مفاتيح العلوم، الطبعة الثانية – القاهرة ١٤٠١هـ–١٩٨١م.
حسن أنوري: اصطلاحات إيراني دوره غزنوي وسلجوقي – تهران – مهرماه ١٣٥٥ هجري شمس ص ٢٧٠.

قرية محد آباد ألف درهم للأرض غير المزروعة، أما إذا كانت عامرة بالشجر والزرع فالجفت وار بثلاثة آلف درهم، ثم تدهورت هذه الأسعار أثناء الحروب التي اندلعت في خراسان مع قدوم السلاجقة الى أن وصل سعر الجفت وار إلى مائتي درهم، ثم احتاج صاحبها مع التدهور الاقتصادية في خراسان إلى بيعها بمَن من القمح فلا يجد من يشتريه[1].

القفيز:-

فهو عشر الجريب وهو ثلاثمائة وستون ذراعاً مكسرة والعشير عشر القفيز وهو ست وثلاثون ذراعاً مكسرة، والفقير في الأقطار الإسلامية كان يختلف باختلاف البلدان، فالقفيز هو مكيال يسع ثمانية مكاليك والقفيز الحجازي هو الصاع، وقيل إن عمر بن الخطاب قد صغر الدرهم وكبر القفيز، وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند، وترزق عليه الذرية طلباً للإحسان إلى الرعية.

أما مكيال أهل خوارزم وطخارستان فكان السمخ، وعياره أربعة وعشرة مناً وهو قفيزان، ولأهل نسف مكيال يسمى أيضاً الغار وهو مائة قفيز والقفيز عندهم عياره تسعة أمنان ونصف[2].

ومن الأوزان التي وردت في ديوان الخزانة ما يأتي:-

الدانق:-

أربعة طهاسيج والدينار أربعة وعشرون طسوجاً والطسوج ثلث ثمن مثقال.

الحبة:

هي سدس سدس مثقال وإن شئت قلت ربع تسع مثقال، والدينار ست وثلاثون حبة، أما الشعيرة فهي ثلث الحبة والدينار مائة وثمان شعيرات والشعيرة ثلث ربع التسع مثقال.

---

(١) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٤٤.
البيهقي: تاريخ البيقي، ص٦٦٩، ٦٧٠.
حسن أنوري: اصطلاحات ديواني دورة غزنوي وسلجوقي ص٢٧١، ٢٧٢.

(٢) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٤٤، ٤٥.
محمد ضياء الريس، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية –دار الأنصار– القاهرة – الطبعة الرابعة– ١٩٧٧، ص٣٠٨.

مثقال:-

المثقال يوازي درهماً ودانقين ونصف، والدانق ٢٤ قراط[1].

الرطل:-

وهذه الكلمة مأخوذة من الكلمة Litre اليونانية ويقابلها Libra في اللاتينية، وقد اختلف وزنه باختلاف الأماكن والمواضع في العالم الإسلامي. والرطل كما هو معروف إثنتا عشرة أوقية، والأوقية أربعون درهماً، فإذا ضربنا ١٢×٤٠ نجد أن سعر الرطل بالدراهم يكن أربعمائة وثمانون درهماً[2].

المن:-

المن من الأوزان التي استخدمت في العصر الغزنوي، وقد جاء عند الخوارزمي "الرطل نصف المن، والمن وزنه مائتان وسبعة وخمسون درهماً وسبعة دراهم، وبالمثاقيل مائة وثمانون مثقالاً، وبالإوقيات أربع وعشرون أوقية.

أما المن واستخدامه في الحياة العامة فقد ورد عند بعض العلماء مثل الغزالي الذي وجد أن كل أربعة أرغفة من الخبز كانت تزن مناً، وكذلك لاحظنا في السنوات الأخرية من الحكم الغزنوي في خراسان أن ثمن المن من الخبز قد وصل إلى ثلاثة عشر درهماً، على أن المواد الغذائية كانت في غاية الأهمية وأغلى من الأرض كما رأينا أن سعر جفت وار من الأرض وصل إلى سعر المن من القمح ولكن لا يجد من يشتريه[3].

وهذا وهناك مقاييس أخرى استعملت في الأطوال والأبعاد مثل الميل والفرسخ والبريد والمنزل، واستخدمت هذه المسافات في الطرق التجارية بين كل مدينة وأخرى ورأينا ونحن نتكلم عن النشاط التجاري أن نلقي الضوء على بعض منها:-

---

(١) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٤١، ٤٢.
حسن أنوري: اصطلاحات ديواني، ص٢٧٢.

(٢) أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي -دار الجيل- بيروت- ١٩٨١، ص١٩٥.
حسن أنوري: اصطلاحات ديواني، ص٢٧٢.

(٣) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص١١.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١.

البريد:-

كملة فارسية وأصلها بريدة أي مقطوع الذنب، فعربت الكلمة وخففت بعد ذلك حتى أصبحت: بريد. ويذكر ياقوت: حكاية تفسر كيف سميت خيل البريد بهذا الاسم تقول "بعض ملوك الفرس تعوق عنه رسل بعض جبهات مملكته، فلما جاءته الرسل سألها عن سبب بطئها، فشكوا مما مروا به من الولاة، وأنهم لم يحسنوا معونتهم، فأحضرهم الملك وأراد عقوبتهم، فاحتجوا بأنهم لم يعلموا أنهم رسل الملك، فأمر أن تكون أذناب خيل الرسل وأعرافها مقطوعة لتكون علامة لمن يمرون به، ليزيحوا عللهم في سيرهم فقيل: بريد أي قطع، فعرب فقيل خيل البريد.

وقيل البريد الرسول، وإبراده إرساله، كما قيل لدابة البريد، لسيرها في البريد قال الشاعر:

وإني أنص العيش، حتى كأنني، عليها بأجواز الفلاة، بريد

وكان يقدر مسافة البريد في البادية باثني عشر ميلاً، وبالشام وخراسان بستة أميال[1].

الفرسخ:-

اختلف الجغرافيون في أصل الكلمة، فقال قوم: هو فارسي معرب وأصله فرسنك، وقال اللغويون: الفرسخ عربي محض. فلذا يقال: انتظرتك فرسخاً من النهار أي طويلاً.

والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذارع، الفرسخ إثنتا عشر ألف ذراع، والذراع أربعة وعشرون إصبعاً والإصبع ست حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض[2].

الميل:-

الميل ثلاثة الاف ذراع بذراع الملك، والذراع ثلاثة أشبار، والشبر ستة وثلاثون إصبعاً،

---

(١) الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص٤٢.
ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١ ، ص٣٥.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١ ، ص٣٥، ٣٦

والميل جزء من ثلاثة أجزاء من الفرسخ، وأما أهل اللغة فالميل عندهم مدى البصر ومنتهاه، فسمي الميل ميلاً لأنهم كانوا ينصبون على الطريق أميالاً، لأنها بنيت على مقادير مدى البصر من الميل إلى الميل، وهذه البنية كانت على ارتفاع عشرة أذرع أو قريباً من ذلك لتكون واضحة للمرئي من بعيد[1].

---

(١) نفس المصدر، مج١، ص٣٦.

الدكتور أحمد الشرباصي: المعجم الاقتصادي الإسلامي – ص٣٢٨.

الباب الرابع

الحياة الاجتماعية في خراسان في العصر الغزنوي

أولاً: عناصر السكان ودور كل عنصر في الحياة الاجتماعية

ثانياً: طبقات المجتمع

ثالثاً: المناسبات الاجتماعية والأعياد

رابعاً: نظام الأسرة.

الباب الرابع

الحياة الاجتماعية في خراسان في العصر الغزنوي

مقدمة: أثر الجو السياسي والاقتصادي العام في الحياة الاجتماعية:

في العصور الإسلامية الأولى امتزجت الحياة الاجتماعية بالحياة السياسية والاقتصادية، حتى أصبح من العسير الفصل بين كل جانب منها، إذ امتزجت هذه العوامل كلها وتفاعلت وأثرت الواحدة منها في الجوانب الأخرى.

ولا شك أن السياسة الداخلية من أبرز العوامل التي تؤثر في حياة جميع المجتمعات قديماً وحديثاً، إذ أن استتباب الأمن، واستقرار الأوضاع السياسية يؤدي إلى انصراف الحكومة إلى الإصلاحات الاجتماعية والعناية بالمرافق العامة، وتحقيق رفاهية الشعب من الناحية الاقتصادية كما أن الصراع السياسي غالباً ما يؤدي إلي صراع اجتماعي يفتت الوحدة الاجتماعية ويبعثر جهود أبناء المجتمع الواحد.

ولقد مرت خراسان في العصر الغنزوي باضطرابات وعدم الاستقرار من الناحية السياسية وذلك من قبل السلاجقة في فترة العشر سنوات الأخيرة من حكم الغزنويين، ولعل أصدق وصف يمكن أن يوصف به المجتمع الخراساني في تلك الفترة بأنه مجتمع حرب وفساد بكل شروره وآثامه.

ففي هذه الرقة من العالم الإسلامي التي كثرت فيها الدول والإمارات، كان السلام فيها أبعد ما يمكن تحقيقه، فالحروب بين هذه الدول لا تنقطع بسبب أو لآخر، فإذا انقطعت فلن تخلو من الاضطرابات أو الكوارث الطبيعية التي كانت تسبب بعض المشاكل الاجتماعية التي

يعانيها الإنسان العادي بكل موارده وطاقته، كذلك تعرضت خراسان خلال السنوات الست الأخيرة من حكم الغزنويين لهجمات السلاجقة ونهبهم إلى أن وقعت البلاد في أيديهم على أثر معركة دندانقان الشهيرة عام ٤٣١ هـ، وهذه السنوات الست من الحرب خلفت وراءها آثار الدمار في مدن خراسان بالإضافة إلى أنها خلقت في الناس موجه من الرعب والخوف وعدم الاستقرار في جميع أنحاء هذا الإقليم.

وكذلك نتج عن هذه الحروب الطويلة إهمال الزراعة وترك الأرض بوراً على فترات متقطعة من السنة نتية هرب السكان إلى مناطق أمنة وخالية من المصادمات المسلحة بين الجيش الغزنوي وقوات السلاجقة، وقد شهدت خراسان في عام ٤٣١/١٠٣٩-١٠٤٠م موجة من القحط لم تشهدها في فترات سابقة من الزمن، فكانت العائلات وأبناؤها يموتون من الجوع لسوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، فمنهم من هدم بيته، ومنهم من فقد أرضه ومزرعته، ومنهم من بدأ ينزع سقف بيته ليبيعه ويعيش من ثمنه[١].

هكذا تدهورت الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وضاقت الحياة بالناس، وساءت أحوال المعيشة في معظم المدن الخراسانية، فارتفعت أسعار السلع والمواد الغذائية إلى حد أن بيع المن من الخبز بثلاثة دراهم إلى ثلاثة عشر درهما، أما الشعير فلميراه أحد بعينه[٢].

إذا كانت الحروب والكوارث قد خلفت بعض المشاكل الاجتماعية وعدم الاستقرار في خراسان فإن الحكام والأمراء كانوا يسلكون سبيلاً من الوحشية للاحتفاظ بممتلكاتهم أو توسيعها على حساب الآخرين، ولعل من أغرب الأمثلة على ذلك ما قرأناه عن خلف بن أحمد الصفار ملك سجستان الذي قتل ابنه بيده ثم غسله وكفنه وصلى عليه، وذلك لأنه فشل في تحقيق طمع والده في الاستيلاء على إحدي الإمارات.

ثم ما كان من أمر عضد الدولة حين قتل ابن عمه بختيار بن معز الدولة واستولى على ملكه في بغداد، استشرافاً إلى العظمة بتولي الملك في حاضرة الخلافة[٣].

وفي العهد الغزنوي العديد من الأمثلة لما كان يحصل من القتل ومصادرة الأموال بين الأخوة حول الحكم، ولعل الخلافات التي وجدت بين السلطان محمود وبين أخيه اسماعيل

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٦٩.

(٢) نفس المصدر، ص٦٦٩، ٦٧٤.

(٣) ابن الأثير:الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٩.

بعدوفاة الأمير سبكتكين أصدق دليل على ذلك، لأن السلطان محمود لم يرض بحكم أبيه وبما أوصى به لأخيه من بعده، فأشهر سيفه على أخيه وأجبره على التنازل عن الحكم، وتكررت نفس المأساة في عهد السلطان محمود نفسه حين سلم لابنه الأصغر الأمير محمد، ولم يعمل أي اعتبار لابنه الأكبر الأمير مسعود الذي كان ولياً للعهد، وأدى هذا الخلاف إلى انقسام الدولة فريقين -من يؤيد الأمير محمد كحاكم شرعي للدولة، ومنهم من يؤيد الأمير مسعود كولي للعهد والحاكم الفعلي للبلاد- وكانت الحرب أن تحسم الموقف لأحد الطرفين، إلا أن هذا الصراع حسم لصالح الأمير مسعود بعد تراجع مجلس أمناء الدولة عن تأييدهم للأمير محمد، وقبض الأمير مسعود على أخيه وأودعه السجن في أحدى قلاع غزنة، وسمل عينيه وصادر أمواله وفرق أسرته، إلا أن أحد أبناء الأمير محمد انتقم من عمه بعد هزيمته في معركة دندانقان، فسلط عليه غلمانه فقتلوه وبذلك انتقل الحكم إلى الأمير محمد فترة من الزمن، فاستطاع السلطان مودود أن يعيد الحكم إلى أسرته مرة أخرى بعد أن انتقم لأبيه من عمه وأبنائه[1].

إذا كان الملوك قد استباحوا لأنفسهم قتل الأب والابن والأخ ليصلوا إلى الحكم ضاربين عرض الحائط بتلك القواعد والقيم الإنسانية متناسين أواصر القرابة والدم فما بالك بطريقة معاملتهم لمن لا يربطهم بة هذه الصلة من رعاياه وحاشيته

كذلك حفل هذا العصر أيضاً بكثير من حوادث الحبس والمصادرة والقتل للوزراء والعمال، فالوزير أحمد بن الحسن الميمندي الذي شهد له عصره بإخلاصه وتفانيه للسلطان محمود، تعرض لمصادرة أمواله وأملاكه بعد وشاية من الحاقدين عليه، ولم يعط فرصة الدفاع عن نفسه، وكان جزاء إخلاصه السجن والاختفاء عن خدمة هذه الدولة فترة من الزمن، حتى أعاده السلطان مسعود ثانية ليستفيد من خبرته وكفاءته في مجال السياسة والإدارة إلى أن توفي سنة ٤٢٤[2].

أما الوزير حسنك الذي كان يعتبره السلطان محمود بمثابة أحد أبنائه، ودافع عنه أمام الخليفة القادر حين اتهمه بأنه قرمطي بعد عودته من الحج ومقابلته الفاطميين، يأتي السلطان

---

(١) Nazim: The life and the Times P. 38, 39, 40, 41.

(٢) العقيلي: آثار الوزراء، ص
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٤.

مسعود ليطبق عليه حكم الإعدام بنفس التهمة إرضاء للخلافة العباسية وحرصاً على ممتلكاته الكثيرة من الضياع والأموال[1].

كذلك تعرض الوزير الفضل بن أحمد الإسفراييني في عهد السلطان محمود للعزل والسلب، وسبب ذلك أن السلطان محمود كان شغوفاً جداً بشراء الغلمان لخدمته، وأخذ هذا الوزير يسير على هذا المنوال عملاً بالقول القائل "الناس على دين ملوكهم" وعلم الفضل بن أحمد ذات مرة بوجود أحد الغلمان -وكان غاية في الجمال- في إحدى الولايات التركية، فبعث بأحد رجاله إلى تلك الولاية لشراء ذلك الغلام الجميل، وجاء به رسول إلى غزنة عن طريق الحريم، وعلم السلطان بهذه الحادثة، وبعث بغلام يطلب ذلك الفتى الجميل من الوزير، ولكن الوزير أنكر بشدة ما حدث، فنهض السلطان محمود وذهب إلى منزل الوزير ليتأكد بنفسه من ذلك، فاستقبله الوزير استقبالاً رائعاً، وأدى له جميع مراسم الضيافة، وفي تلك الأثناء دخل على السلطان غلام حوري الطلعةوبدأ في الغناء والطرب، فأمر السلطان بالقبض على الوزير وسلب ونهب منزله، وخلال هذه الظروف توجه السلطان إلى الهند، فقام بعض الأمراء الأشرار بتعذيب أبي العباس الفضل بن أحمد إلى أن فارق الحياة[2].

والسلطان محمود الغزنوي رغم ما وصف به من عدالة وبر، ورغم ما غنمه في غزواته في بلاد الهند من غنائم كثيرة لا تعد ولا تحصى، كان في حاجة إلى المال لمواصلة الحرب ضد الكفار والأعداء المحدقين به من كل الأنحاء، ولهذا نراه يتوصل إلى أخذ المال بكل سبيل،و قد بلغه أن رجلاً بنيسابور واسع الغنى فأرسل إليه وقال: بلغنا أنك قرمطي. فقال الرجل: لست بقرمطي، ولي مال يؤخذ منه ما يراد وأعفى من هذا الاسم، فأخذ منه مالاً وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده[3].

ولم يكتف سلاطين الغزنويين بجلب الأموال بالطرق السابقة، وإنما عينوا عمالاً وجباة للضرائب على خراسان، وكان هدفهم جلب الأموال وإرسال الهدايا إليهم في المناسبات والأعياد، فأخذ هؤلاء العمال يظلمون الناس ويضربونهم لكي يحصلوا على الأموال المتكفلين

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٨٩.

(٢) غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج٣، القاهرة ١٩٨٧، ص٩٦.

بدفعها نهاية كل عام، وفي فترة حكم السلطان مسعود تعرض سكان خراسان لظلم العميد سوري بن المعز الذي أطلق يده في هذا الإقليم، ولجأ إلى كافة أساليب القهر والهوان في سبيل الاستحواذ على الأموال الكثيرة والهدايا الثمنية لإرسالها إلى غزنة في إحدى المناسبات والأعياد. وكان السلطان سعيداً جداً بهذه الأموال والهدايا وتمنى أن يكون له خادمان أو ثلاثة مثل هذا الخادم الأمين حتى يحصل على فوائد عظيمة[1]. وياليت هذه الأموال التي أخذت من الناس قهراً وظلماً تكفي هؤلاء السلاطين أو تروي ظمأ المتعطشين إلى جمعها من عمالهم وولاتهم. بل كان الأمر يزداد بهم سوءاً في الاستغلال والإسراف، فقد كانوا ينغمسون في أنواع الترف والنعمة، وفي ألوان المتعة والراحة، ولدينا من الأمثلة الكثير على إسراف الملوك في بناء قصورهم وشراء الجواري والقيان ومجالس اللهو التي كانوا يعقدونها بحضور الوزراء والندماء وغيرهم من خاصة الناس.

هكذا مرت خراسان في العهد الغزنوي بمشاكل لا حصر نتيجة لسوء إدارتها والمطامع التي كانت لا تنقطع عنها من الولاة أو الدولة أو الغزاة السلاجقة الذين قضوا على خيرات هذا الإقليم وموارده، من أجل الصراعات والحروب التي دارت بينهم وبين الغزنويين، وهذا بطبيعة الحال انعكس على الحياة الاجتماعية بصورة مباشرة في ظل الحكم الغزنوي لخراسان.

أولاً:عناصر السكان ودور كل عنصر في الحياة الاجتماعية:

(١) الترك :

يجمع المؤرخون على أن ظهور العنصر التركي في الحياة العامة في المجتمع الإسلامي كان مع بداية حكم الخليفة المعتصم سنة ٢١٨هـ، عندما استقدمهم من بلاد الترك ليحلوا محل جنود بغداد من الأبناء الذين بدأوا يثيرون القلق والشغب في قلب الدولة بعد وفاة الخليفة المأمون، وخاصة عندما تعصبوا للعباس ابن أخيه ونادوا به خليفة للمسلمين، فعول المعتصم على تأليف جيش من الأتراك لما اتصفوا به من شدة البأس[2].

ويرجع تاريخ هؤلاء الأتراك إلى أجناس عاشت في الشرق الأقصى، وكان يطلق عليهم

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ١٩٦٥، ص٢٢.

التورانيون، وكانوا من البدو الرحل، وقد تناول الفردوسي في الشاهنامة وصف الصراع بينهم وبين الإيرانيين.

ومن المعلوم أن الحدود السياسية بين إيران وتوران كانت عرضة لتغييرات على مر العصور التاريخية ولم تكن الحدود شديدة الوضوح، فكان من المناطق ما يدخل تارة في حوزة إيران وطوراً في حوزة توران، وفي فترات السلم بين الإيرانيين والتورانيين كان بعضهم يصهر إلى بعض أما إذا ضاق أمير ذرعاً بأحد القومين بالمقام في أرضه، فكثير ما كان يغير ويحتل أرض جيرانه[1]

وكان الترك على صلة بفارس وبيزنطة والصين، فقد تاجروا في حرير الصين مع بيزنطة بعد أن أمر ملك الفرس بإحراق الحرير الذي كانت تحمله قافلة تركية، وهذه الحادثة جعلت الترك يتفقون مع البيزنطيين على احتكار تجارة الحرير شريطة ألا يمروا في الأراضي الفارسية[2].

وظهر الترك في تاريخ إيران منذ أوائل القرن الخامس الميلادي، ففي شمال شرق إيران سماهم الإيرانيون هفتال، وفي الشمال الغربي وراء جبال القوقاز عرفوا عند الإيرانيين على الدوام بالخزر[3].

وأطلق العرب على المنطقة المتحضرة الواقعة في حوض نهري أمور دريا (جيحون) ونهر سردريا (سيحون) بلاد ما وراء النهر، ولم تكن هذه المنطقه وفقاً لمفهوم الجغرافيين المسلمين تدخل ضمن تركستان، لأن هذا الاسم الأخير إنما كان يقصد به بلاد الترك عامة، أي الأصقاع المترامية الأطراف التي تمتد بين بلاد الإسلام ومملكة الصين والتي كان يسكنها الرحل من الترك والمغول.

وفي العصور الإسلامية، كانت جميع بلاد ما وراء النهر جزءاً لا يتجزء من الشرق الأقصى، ولكن مع بداية القرن العاشر الميلادي: الرابع الهجري، وقعت المنطقة نهائياً تحت سيطرة شعوب اسيا الوسطى، بالرغم من وجود معاهدات صلح بين حكام إيران وتوران التي

---

(١) حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك (دراسة تاريخية وأدبية). القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٧٧.

(٢) فامبري: تاريخ بخارى، ص٤٩.

(٣) سعيد نفيسي: تاريخ اجتماعي وسياسي إيران، تهران، ١٣٣٥، ص٦.

كانت تنص في معظم الأحوال على أن أموردريا هو الحد الفاصل بين محيط نفوذ كل من الطرفين، وفي العهد الغزنوي نجد الدولتين التركيتين الدولة الغزنوية والدولة القراخانية – تقتسمان أملاك الدولة السامانية وتجعلان من شمالي نهر جيحون الحد الفاصل بين الدولتين[1].

وتميز أتراك بلاد ما وراء النهر بالصفات الأصلية للبدو وهي حب الحرب والفروسية والتعلق بالنظام القبلي، على أن مجاورتهم للفرس الذين وصلوا إلى درجة كبيرة من الحضارة أثرت في طباعهم وشجعتهم على مجاراتهم في سبيل التحضر، ولكنهم مع ذلك احتفظوا بصفات البدو[2].

وقد تدرج العنصر التركي في الظهور بالدولة الإسلامية، فظهر الأتراك في أواخر العهد الأموي في بيوت سادات العرب على شكل خدم، وصار أمراء العرب يجلبون من ما وراء النهر الغلمان والجواري. ومما شجعهم على ذلك ما عرفوه عنهم من الشجاعة والفروسية وحسن التكوين، ثم أخذ عنصر الأتراك في الظهور في البلاط العباسي، فوجد في بلاطهم أبي جعفر المنصور نواة بسيطة من الترك واقتنى المأمون عدداً قليلاً منهم. وكان هؤلاء الأتراك يجلبون إلى الدولة الإسلامية عن طريق الأسر في الحروب التي وقعت بين العرب والترك على الحدود الشرقية، وأيضاً بطريق الشراء. ومنهم من كان يرسل إلى الخلفاء العاسيين مع الهدايا التي يبعث بها الولاة من بلاد ما وراء النهر[3].

ثم أخذ الإسلام ينتشر بين الترك حين بسطت الدولة السامانية نفوذها في أواسط أسيا، ففي القرنين الثالث والرابع الهجريين، التاسع والعاشر الميلاديين، كانت معظم المناطق التي سميت ببلاد ما وراء النهر قد وقعت في قبضتها، ومن المحتمل أن يكون بعض الأسرات التركية قد حكم بعض المناطق هناك. ويرجع دخول الترك في الإسلام إلى التعامل الإنساني الذي عامل به المسلمون هؤلاء الرحل في مناطقهم النائية التي كانت في حاجة إلى حاصلات

---

(١) بارتولد: تركستان، ص١٤٢.
حسين مجيب المصري: الصلات بين العرب والفرس والترك، ص٣٢٧.

(٢) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص٢١.

(٣) و. بارتولد:تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، مراجعة إبراهيم صبري، القاهرة، ١٩٥٨، ص٣٧، ٣٨.
محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢١.

البلاد المتحضرة وإلى الملابس بخاصة، فقد لوحظ ذلك في البلاد التي بينها وبين البدو تجارات (الصين والبلاد الإسلامية)، وإن البدو يحرصون دائما على استيراد المنسوجات وكانت التجارة مع البدو مفيدة أيضاً للبلاد المتحضرة لأنها كانت تستورد منهم اللحوم والمنتجات الحيوانية بأثمان منخفضة، بينما هؤلاء البدوكانوا يألفون البضائع الإسلامية ويتأثرون بطراز حياة المسلمين بوجه عام، كما تأثروا بالإسلام لا من الناحية الدينية فحسب بل من الناحية الحضارية والمدنية بوجه خاص[1].

وبدخول هؤلاء الترك الإسلام لم تنقطع الحروب القبلية التي كانت تقع بين القبائل المتفرقة والقاطنة على شوطئ نهر جيحون وسيحون، فموسس مملكة غزنة البتكين قد بيع كعبد للأمير أحمد بن إسماعيل الساماني، نتيجة هذه الحروب التي كانت متواصلة بين هذه القبائل التركية، فقد خضع في فترة وجوده في البلاط السامانيين إلى أن تدرج في سلك المناصب الكبيرة في الدولة، وكان منها منصب كبير الحجاب في عهد نوح بن نصر الساماني الذي بدأ يظهر نفوذه في الدولة، وعندما توفي الأمير عبد الملك في شوال ٣٥٠هـ/ نوفمبر ٩٦١م اتخذ من الصراع على الحكم في البيت الساماني، موقفاً يمكن له تمرده على الدولة، ثم ساق غلمانه نحو غزنة، وأسس هناك مملكة سميت بمملكة غزنة، ونصب نفسه ملكاً عليها، وكانت هذه أول دولة تركية تقام على الحدود الإيرانية طبقاً لمعاهدات الصلح بين حكام إيران وتوران كما ذكرنا.

ثم ظهر على الساحة عدد من القادة الغلمان لحكم هذه المملكة، إلى أن استقر الرأي لسبكتكين[2]. بتوليه الحكم لهذه البلاد التي بدأت تتوسع في عهده بعد ضمه كلاً من بست وقصدا وبعض الأراضي الهندية، وهذا ما جعل المؤرخين ينسبون إليه تأسيس الدولة الغزنوية، وسبكتكين من الغلمان الذين بيعوا لنصر الحاجي في نخشب، ثم اشتراه البتكين كبير الحجاب قي بلاط الأمير عبد الملك، وكان ميالاً إليه، فرقاه إلى مراتب عالية دون أن

---

(١) بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص٥٧، ٥٨، ٥٩.

(٢) كان والده جق أو جوق كما يذكر الجوزجاني في كتابه طبقات ناصري وينسبه إلى يزدجر بن شهريار ملك العجم، وكان يشغل رئيساً لولاية صغيرة في تركستان، وله ثلاثة أبناء أحدهم كان سبكتكين الذي وقع أسيراً في إحدى الحروب التي دارب بين قبيلته وقبيلة مجاورة لها.
الجوزجاني: طبقات ناصري، ص٢٦٧.

Nazim: The life and the Times P. 38.

يجتاز التدرج المعتاد وفقاً لترتيب غلمان السراي حسب الخدمة المعهودة لهم[1]

ولما اتسعت الدولة الغزنوية ودخلت في حوزتها خراسان ومعظم الأقاليم المجاورة للعاصمة غزنة، ازداد نفوذ العنصر التركي في الدولة، وكان لزاماً على سلاطين الغزنويين أن يقضوا حاجات غلمانهم الأتراك الذين كانوا قوام جيشهم، فأعدوا هؤلاء إعداداً جيداً حتى اكتسبوا قوة جسدية وخشونة في الطبع وحماساً وقدرة على قيادة الجيوش فمنهم من أصبح من القادة العظماء، ودافع عن سلامة وأمن الدولة من الأعداء ومنهم من تمرد على الدولة وحالف القوى المضادة لها، ومنهم من تحمس لمذهب الدولة –المذهب السني– وأخذ يناهض المذهب الشيعي والمذاهب التي تميل إلى الفلسفة والجدل مثل المعتزلة، تلبية لرغبة السلطان محمود الذي حمل على عاتقه محاربة هؤلاء، فقد نكلوا بالشيعة والمعتزلة، وأحرقوا كتبهم، ولاحقوهم في كل مكان، ولما تولى الحكم السلطان مسعود أمر بإعدام الوزير حسنك أحد كبار رجال دولته بسبب ما نسب إليه من اعتناقه مذهب القرامطة[2].

(٢) الفرس:

يمثل هذا العنصر غالبية سكان خراسان، وقد استعان بهم العباسيون في أواخر العهد الأموي لانتزاع الحكم من الأمويين، وكان أهل خراسان ككتلة عسكرية وسياسية من أهم الكتل في المجتمع العباسي، وقد حافظ العباسيون على وحدة الفرقة الخراسانية منذ الأيام الأولى لقيام دولتهم، فسجلوهم في سجلات خاصة بهم حسب قراهم ومدنهم لا حسب قبائلهم، وهذا يؤكد حرص العباسيين على تماسك أهل خاسان ووحدتهم في الداخل، وبعدم السماح للعصبيات القبلية بتفكيك هذه الوحدة.

وقداهتم الخليفة المنصور بهذا العنصر فبادر بتعيين بعض منهم في مناصب إدارية، كما استغاث بهم في عدة مجالات قائلاً لهم:–

"يا أهل خراسان أنتم شيعتنا وأنصارنا وأهل دعوتنا"[3].

كما أوصى بني هاشم وأهل خراسان حين حضرته الوفاة بأن يتحدوا وراء المهدي فقال

---

(١) نظام الملك: سياست نامة: ص١٤٤، ١٤٥.

(٢) عصام الدين عبد الرؤوف· تاريخ الإسلام: ص٥٨.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٩، ص١٢٩.

لهم:- "وأسأل الله أن لا يفتنكم بعدي، ولا يبددكم شيعاً، ولا ينيق بعضم بأس بعض يا بني هاشم ويا أهل خراسان، ثم أخذ في وصيتهم بالمهدي... وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعهده"[1].

ثم شارك أهل خراسان العباسيين في إقامة دولتهم، ولقد أفسح لهم العباسيون كل مجال فغصت قاعدة الخلافة بهم، ووكلوا أمور الملك إليهم، وكان منهم الوزراء والأمراء والحجاب والجباة والندماء وأهل المشورة وأهل الأدب.

وعندما زادت سلطتهم في عهد الرشيد، نكل بهم، وكان لقتل البرامكة أثر أي أثر في إسقاط الفرس وإضعاف شأنهم بعد اتساع سلطتهم وعزة جانبهم، غير أنهم نهضوا من كبوتهم حين نشب النزاع على الخلافة بين الأمين والمأمون، فلقد كان للمأمون ميل ظاهر إلى أهل خراسان يبلغ أن يكون تعصباً، ومصداق ذلك أن رجلاً من أهل الشام اعترض طريقه فقال له: أكثرت علي والله ما أنزلت قيساً عن ظهور خيولها إلا وأنا أرى أنه في بيت مالي درهم واحد، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبتني قط، وأما قضاعة فساداتها تنتظر السفياني حتى تكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على ربها مذ بعث الله نبيه من مضر ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شارياً أعرف فعل الله بك[2]

ولما تولى المعتصم الخلافة عام ٢١٨هـ. أوجس من الفرس خيفة، وساءه أن يهيمنوا على دولته ويشركوه، الأمر الذي يحدّ من سلطته فاصطنع الأتراك عوضاً عنهم وهكذا كان شأن الفرس بعد أن بلغوا المدى في تسلطهم على الخلافة والخلفاء في بغداد[3].

ولكن الفرس بمساعدة أهل خراسان لم يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء ضعف نفوذهم واستبداد الأتراك بالسلطة والنفوذ دونهم، بل عملوا على استرداد مكانتهم، فحاولوا الاستقلال ببعض بلدان الدولة العباسية، فأقاموا دولاً مستقلة عن الدولة الأم وهذه الدول - الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠هـ/٨٦٧-٩٠٣م) ثم الدولة السامانية في خراسان وبلاد ما وراء النهر (٢٦١-٣٨٩هـ/ ٨٧٤-٩٩٩م).

وقد مهد الطاهريون لهذه الدول الاستقلال عن الخلافة العباسية بعد أن مكنهم الخليفة

(١) فاروق عمر: التاريخ الإسلامي، ١٩٨٥، ص١٣١.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص١٤٦.

(٣) حسين مجيب المصري: صلات بين العرب والفرس والترك، ص٧٥.

المأمون من حكم خراسان، واستطاع طاهر بن الحسين أن يؤسس أول دولة شبه مستقلة من الخلافة العباسية سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م[١].

ورغم أن هذه الدول الفارسية لم تحقق انتصاراً على المسرح السياسي، فإنها اقتصرت على التفوق في ميدان الحياتين العقلية والاجتماعية، وفي بلاط السامانيين ظهر رجال من عباقرة في العلوم والأدب والفنون مثل الفيلسوف الشهير أبي علي ابن سيناء ومثل الشاعرين الكبيرين الرودكي والدقيقي اللذين تنسب إليهما نشأة الشعر الحماسي فأحيا ذلك روح الوطنية الإيرانية[٢]

ولما استولى الأتراك على خراسان وبلاد ما وراء النهر شكلوا دولتين أحداهما الدولة الغزنوية التي قامت في خراسان وبلاد الأفغان وأجزاء من الهند، والثانية الدولة القراخانية التي قامت في بلاد ما وراء النهر، فساهم الفرس في كلتا الدولتين بدورهم في إدارة دفة هذه البلاد والعباد والجدير بالذكر أن الحضارة الإسلامية قد ازدهرت على أكتافهم في العهود السابقة وخاصة في العهد الساماني الذي ازدهرت فيه الحضارة حتى كانت بخارى وسمر قند وبلخ ونيسابور في ظل حكمهم مناراً للعلوم والآداب والطب يفد إليها الطلاب والعلماء من كل أنحاء العالم الإسلامي.

(٣) العرب:

وهو العنصر الذي قامت على أكتافه الدولة العربية الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ في المدينة، وبعد انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، حمل القادة المتطوعون منهم لواء الإسلام إلى البلدن المجاورة، ففتحوا العراق وبلاد الشام، وفارس وخراسان، وكان انتشارهم فيها تبعاً للضرورات العسكرية والسياسية، وخراسان لم تكن بينها وبين الجزيرة العربية صلة مباشرة، أو حركة دائمة، وإذا نظرنا إلى ملامح خراسان فإننا نلاحظ أن مجموعات القبائل العربية أرسلت في فترات متعددة للمشاركة في حملات التوسع، أو للعون في المعارك الدائمة مع شعوب أواسط آسيا، ونرى الاتجاه العام للمقاتلة نحو الاستقرار في ضواحي المدن، أو

---

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص ص ١٦ إلى ٢١.
(٢) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢١٨، ٢١٩.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٣٠، ٣١.

في القرى المحيطة بها، كجاليات عسكرية، لأن حروب الثغور والحدود باتجاه بحر قزوين، أو فيما وراء النهر كانت دائمة طوال العصر الأموي[1].

ومع ذلك فقد اختلط البعض بأهل البلاد وصاهروهم وتعلموا لغتهم، وتأثروا بهم ثقافياً، وكان لهم موال منهم، ولكن ضرورات المعركة بقيت أساسية، ومن هنا كان الاتجاه دوماً نحو إرسال مجموعات عربية من القبائل، وخاصة من العراق، لتعزيز القوة العسكرية.

وقد جاءت إحصائية للقوات العربية التي دخلت خراسان عند الطبري في سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م كما يلي:-

تسعة آلاف من القبائل الحجازية، وسبعة آلاف من بكر بن وائل، وعشرة آلاف من تميم وأربعة آلاف من عبد القيس وعشرة آلاف من الأزد وسبعة آلاف من عرب أهل الكوفة[2].

واستوطن المقاتلة العرب مدينة بلخ التي فتحت في ولاية عبد الله بن عامر وبقيت قاعدة ثابتة للقوات العربية التي كانت تقوم بفتح أقاليم ما وراء النهر، وقد سكنت هذه القوات في بداية فتحهم لمدينة بلخ في منطقة البردقان وهي تبعد عن بلخ، التي كانت في ذلك الوقت خراباً، إلى أن نقل أسد بن عبدالله القسري في سنة ١٠٧هـ/ ٧٢٥م من كان معه من المقاتلين العرب إلى بلخ، وبنى لهم مساكن على مستوى مساكن أخوانهم من المقاتلين الذين استوطنوا قبلهم، ولم يتبع في إسكانهم نظام الأخماس[3]. الذي كان متبعاً في البصرة، إنما خالط بين أفراد القبائل في السكن خوفاً من التعصب مع بعضهم البعض[4].

ومع أن هذا الوالي -أسد بن عبدالله القسري- قد وضع حساباته أو تخيلاته للمستقبل حول ما سوف يحدث في هذه الأقاليم من العصبيات القبلية، إلا أن هذه القبائل العربية قد حولت هذه العصبية من مفهومها التقليدي إلى مفهوم جديد أقرب إلى الحزبية، وإلى مفهوم

---

(١) حسين عطوان: الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، ص٨٨.

(٢) الطبري: تاريخ الطبري: ج٧، ص١٢٢.

(٣) سميت بالأخماس: لأنها كانت تضم كل خمس قبائل متقاربة في النسب، والقبائل العربية التي خضعت لنظام الأخماس في البصرة هي: تميم وبكر بن وائل، وأهل العالية وهي قبائل من نجد والحجاز ومن ضمنها قريش، والأزد وعبد القيس.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ٤١.
ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٥، ص١٣٨.

التنافس على السلطة وما يتبع ذلك من ميزات، وهي مع ذلك عصبية تحدها مؤثرات جديدة، منها أن المعارك المتصلة مع الترك، كما كان يسميها العرب، أبرزت فكرة الجهاد، والدفاع عن كيان العرب، كما ساعدت على ظهور نزعة خراسانية، واتجاه مستقل عن القبائل العراقية، وهذا يعني تأكيداً للروابط المشتركة أمام الخطر الخارجي، إضافة إلى تأكيد أوضح للروح الإسلامية، وإذا كانت السلطة تتمثل في القبائل أو في بعضها، فلا ينتظر اجتماعها ضد السلطان، ولا يعدو الأمر في العادة إطار التنافس على النفوذ، ولذلك فشلت المحاولتان اللتان قامتا ضد الأمويين، وهي خروج عبدالله بن حازم على عبد الملك بن مروان، وخروج قتيبة بن مسلم على سليمان بن عبد الملك، بل قاومتهما قبائل الثائرين أنفسهم، وبقيت خراسان بعيدة عن أثر الحزبية. ومع ذلك تأثر الوضع في الفترة الأموية الأخيرة بانتشار مفاهيم إسلامية جديدة[1]. وبالتمزق الداخلي في الأسرة الأموية، وبانهيار الأسس السياسية والفكرية التي استند إليها الكيان الأموي، وظهر ذلك كله حين دعا العلماء إلى العودة إلى الكتاب والسنة، وكذلك حين حاول الدعاة العباسيون استغلال تذمر اليمانية من بقاء الإمارة طويلاً بيد المضرية ممثلة في نصر بن سيار وكل ذلك أدى في النهاية إلى الفتنة في خراسان ممثلة في صراع دموي بين المضرية واليمانية.

ولما آل حكم خراسان إلى العباسيين، أخذ العنصر العربي، يفقد كثيراً من امتيازاته في هذا الإقليم، ويرجع ذلك إلى أن دعاة العباسيين الذين قادوا الثورة ضد الأمويين قد نجحوا في استقطاب العناصر الفارسية من الفلاحين والموالي في القرى والأرياف لمناصرتهم على الحكم الأموي، ومع أنهم لم يستغنوا عن العنصر العربي نهائياً في ثورتهم، إلا أن مشاركتهم كانت محدودة ورمزية ضمن الفرقة الخراسانية التي ساهمت في سقوط الدولة الأموية، وقد أشرنا عند الحديث عن العنصر الفارسي إلى أن الخليفة المنصور قد أولى اهتمامه بالفرقة الخراسانية وأمر أن يسجل أفرادها في سجلات خاصة وذلك حسب قراهم ومدنهم لا حسب قبائلهم، حرصاً منه على تماسك ووحدة خراسان[2].

---

(١) من قبيل ذلك أن الجزية كانت مفروضة على المسلمين من أهل البلاد المحليين، وهذا كان ينافي المفاهيم الإسلامية ويربك معنى الولاء في صلة العربي بمواليهم في خراسان، ومن هنا نجد بعض العرب يتبنى فكرة إعفاء المسلمين الجدد من الجزية ويتخذ ضمن برنامج ثورة، كما فعل الحارث بن سريج المرجئ.

حسين عطوان: الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، الطبعة الأولى، بيروت، بدون تاريخ، ص٩٠.

(٢) محمد عبد الحي شعبان: الثورة العباسية، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، أبو ظبي ١٩٧٧، ص٢٤٧.

ويلاحظ أن مجموعة المقاتلين كانت قد دخلت خراسان مع أسرها، ولكن نظام العطاء أو التسجيل في الديوان، لم يكن يبيح تسجيل جميع أبنائهم ضمن قوائم هذا الديوان، بل كان يقتصر عادة على ابن واحد، وهذا يعني وجود آخرين دون عطاء هذه الحالة جعلت المقاتلين يبحثون عن مورد آخر للعيش كالتجارة واستغلال الأرض، فاشتغلوا بالزراعة والرعي، فكسبوا منها أموالاً كثيرة، ويذكر المؤرخون أن العرب الذي سكنوا في ضواحي سمرقند أصبحوا من كبار الأثرياء لاشتغالهم بتربية الجمال وبالصناعات اليدوية[1].

ويكشف البيهقي في تاريخه عن دور العرب في الدولة الغزنوية، ومدى اهتمام السلاطين بهم كقادة لجيوشهم، أو طلب العون والمساعدة في حروبهم ضد السلاجقة، فقد شارك القائد محمد إبراهيم الطائي مع قوات عربية السلطان محمود في حروبه ضد القراخانيين، كما ساهم أبو الحسن عبد الجليل بالمشورة مع السلطان مسعود في حربه ضد السلاجقة، واجتمع معه فقال له: "نحن العرب لدينا إبل وخيول كثيرة والسلطان في حاجة إلى المزيد منها للجيش الذي يعده، وكل ما لدينا هو من نعمه ومن دولته، فيجب إعداد سجل وأن يفرض على كل منا شيء منها"[2].

وكان أبو الحسن عبد الجليل يطمع في منصب رياسة ديوان الرسائل بعد وفاة ابي نصر بن مشكان، كما كان من ندماء السلطان، وقد قاد الفرقة العربية والكردية في حروب كثيرة للمحافظة على أمن الدولة الغزنوية، وكان آخرها معركة دندانقان، التي أبلى فيها غلمان العرب أحسن البلاء[3].

ثانياً: طبقات المجتمع:

(١) الطبقة الحاكمة والأمراء والوزراء والأعيان:

وهي الطبقة الخاصة التي تشمل السلطان والأمراء والوزراء وأفراد البيت الغزنوي وكبار القواد، وتمثل أعلى طبقة في الدولة لأنها تحيا حياة مرفهة بالقياس إلى غيرها من

---

(١) حسين عطوان: الشعر العربي بخراسان ص٨.

(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢ ، ص٢٥٦.

البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٥٤.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي: ص٦٨٩، ٦٩٦.

الطبقات الأخرى في المجتمع.

وقد استفادت هذه الطبقة من مكانتها الممتازة في الدولة وعاشت في ثراء وجمعت ثروة طائلة مستغلة نفوذها وسلطتها، فالبتكين استخدم سلطته فترة الخمسين عاماً من حكمه لخراسان وقربه من أمراء السامانيين حتى أصبح من أكبر أثرياء الأسرة الغزنوية وكانت حصيلة هذه السنوات خمسمائة ضيعة في خراسان وما وراء النهر، ومن الأموال التي لا تعد ولا تحصى، وإنه لم تكن ثمة مدينة إلا وكان له فيها قصر وبساتين ومحطات قوافل وحمامات ومستغلات، فضلاً عن مائة ألف رأس غنم ومائة ألف حصان وبغل وجمل[1].

إذا كانت هذه أموال الغزنويين قبل وصولهم إلى الحكم، فما نقول عن الأموال التي غنمها السلطان محمود من حروبه في الهند، وما كان يجمعه من الأقاليم التي خضعت لحكمه، وحكم ابنه السلطان مسعود في خراسان وخوارزم، ولقد شيدت القصور الفخمة التي امتلأت بالذهب والفضة والجواهر وفاخر الأثاث، كما امتلأت بالجواري والغلمان، وكانت تعقد في هذه القصور حفلات متعددة في مناسبات كثيرة تمد الموائد والأسمطة وينثر فيها الذهب والدنانير.

وفي عرس السلطان مسعود على مهد بنت باكاليجار أمير جرجان، صرفت مئات الآلاف من الأموال، فالبيهقي وصف هذا العرس ومظاهر البهجة التي أقيمت في هذا الحفل فذكر أنه لم يرد على نيسابور أفضل من هذه الاحتفالات على مدى السنوات السابقة، ومن مظاهر البذخ في هذا الاحتفال، أن العروس زفت على سرير كأنه بستان أرضيته كانت من نسيج الفضة المزخرفة، وقد اجتمعت عليها ثلاث أشجار من الذهب، وأوراقها من الفيروز والزمرد، وثمارها من أنواع اليواقيت..."[2].

وهناك مظاهر أخرى، تدل على الترف والبذخ، فيصف الكرديزي الهدايا والطرائف والأمتعة والأسلحة والأموال التي تبادلها كل من السلطان محمود وقدر خان بأنها كانت من الأنواع النادرة والغالية الثمن وتبهر الغني والفقير، وكانت هذه الهدايا" على الأواني الذهبية والفضية، والجواهر النفيسة، والطرائف البغدادية، والثياب الجميلة، والأسلحة القيمة، والجياد

---

(١) نظام الملك/ سياست نامة، ص١٥١.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤١٨ إلى ٤٢٤.

الغالية بسروجها الذهبية وعصيها المرصعة بالجواهر...»[1].

والوزراء لم يكونوا أقل مالاً من السلاطين، فالوزير أحمد الحسن الميمندي كان يملك الضياع والأموال الكثيرة، وجاء في آثار الوزراء عندما غضب عليه السلطان محمود بعد وشاية الأمراء والندماء له، قد بلغت أمواله عند عزله من الوزارة سبعين ونيف ألف ألف درهم، واستطاع أن ينقذ بماله الخاص حياة كل من أبي الحسين العقيلي وحسن الميكالي بأربعة ألف ألف درهم من بطش السلطان محمود بسبب سوء تصرفهما في العمل[2].

كذلك شيد الوزير حسنك من أمواله الخاصة، القصور والبيوت التي صودرت بعد إعدامه، وأصبحت بعد ذلك من البيوت التي كانت مقر ضيافة الوفود والأمراء الوافدين على الدولة وقصوراً للاحتفالات في المناسبات والأعياد ومنها حفلة زواج السلطان مسعود على بنت باكاليجار أمير جرجان، ومما لا شك فيه أن حسنك كان شأنه شأن المسئولين الآخرين فلم يتردد في ملء جيبه بالنقود كسائر الوزراء والأعيان، ومن المعروف أن حسنك كانت له أملاك كثيرة في نيسابور مسقط رأسه، ومن جملتها قصر شادياخ الذي صادره السلطان مسعود بعد وفاة حسنك لاستعماله لسكن الضيوف الوافدين على الدولة، وإقامة الحفلات والمناسبات والأعياد فيه، لقد عاش هذا الوزير حياة مترفة تمثلت في حاشيته الضخمة إذ بلغ عدد غلمانه والذين يقومون بخدمته بين خمسمائة وستمائة غلام، هذا وقد استفاد بعض أفراد أسرته من نفوذه الواسع في الدولة، فأعفى أحد أعيان بيهق كانت أمه ميكالية من دفع ضريبة الخراج على أملاكه في قرية زميج[3].

مع أنه استغل نفوذه في الدولة إلا أن المصادر لا تشير إلى ابتزازه أموال الناس كما فعل الوزير الإسفراييني والعميد سوري، إذ وجهت لهما التهمة وبالسرقة وغير ذلك أثناء وجودهما في الحكومة المركزية، ولقد كان حسنك غنياً عند توليه الوزارة وإن وجهة النظر

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص ٣٠٤، ٣٠٥، وتحدث أيضاً عن قدرخان حين أمر الخازن أن يفتح أبواب الخزائن ويرسل إلى السلطان محمود من الهدايا والأمتعة التي توجد في تركستان وكانت من هذه الهدايا، والجياد وأدوات زينة ذهبية، غلمان، وفراء السمور والسنجاب والثعالب والصقور وغيرها من الطرائف والأسلحة، نفس المصدر، ص٣٠٥.

(٢) سيف الدين حاجي بن نظام عقيلي: آثار الوزراء، ص١٥٧، ١٧٦.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي: ص٤١٨، ٤١٩.

Bosworth. The Gazanvaids. P. 183.

المتعاطفة معه أثناء إعدامه جعلت عامة الناس تتعاطف معه وتشير إليه بالاستحسان وترفع عنه كل التهم الموجهة إليه نظراً لما اتصف به من الصفات الحميدة منها غنى النفس والبعد عن ظلم الناس وأخذ حقوقهم، هذا ما جعل العامة ينهالون باللعن وعدم الرضا على أحد أفراد الأسرة الميكالية عندما أخذ يسب ويلعن الوزير حسنك ويتهمه بالخيانة وهو في طريقه إلى الإعدام[١].

ويشير العتبي إلى الأعمال الخيرية التي قام بها حسنك أثناء رئاسته لمدينة نيسابور ومنها أنه قام بتغطية الشوارع والأسواق والمخازن المكشوفة، وذلك لحفظ المواد الغذائية من الغبار وتأثير الرياح والثلوج على مدار السنة، وكان هذا العمل الخيري الأول من نوعه يقوم به شخص لمصلحة العامة، وقد أنفق على ذلك مبلغ مائة ألف دينار من حسابه الخاص[٢].

هذا وكانت الأسرة الميكالية من الأسر العريقة التي حكمت خراسان، وكان لها نفوذ وامتيازات منذ الحكم الساماني فلذا حكم الميكاليون سيطرتهم على منصب الكتخدائية (الرئاسة المحلية للمدينة). في نيسابور معظم فترة الحكم الغزنوي، وكان هذا المنصب الإداري مهماً جداً في المدن الخراسانية، وذلك لأن السلالات الحاكمة لخراسان والأقاليم الأخرى كانت لها عواصم إدارية، وهذه العواصم كانت ذات أهمية بالنسبة إلى هذه الأسر فمثلاً في الحكم الساماني برزت مدينة بخارى وعائلات مثل البلعمي والعتبي، وفي الحكم الغزنوي لخراسان برزت مدينة نيسابور وعائلات مثل الميكالية والتبانية، وهذا يعنى أن هذه العائلات كانت تتمتع بقدر كبير من السيطرة والاستقلال المحلي لحكم هذه المدن في ظل الحكومة المركزية[٣].

وكان يشترط على الكتخدا أن يكون ذا مركز اجتماعي مرموق وذا ثروة كبيرة وكان المتوقع منه أن يكون قائداً في تنظيم الأعمال العامة والأعمال الخيرية، وكان عليه أن يناصر العلماء ويفتح داراً للمسافرين والمحتاجين ومن البديهي أن يكون شخصاً محبوباً ومقبولاً من الجميع، لأن منصبه كان عن طريق الإقناع وليس عن طريق فرض نفوذه، لذا كان من الواضح أن يتم اختياره من بين طبقة الأعيان في المدينة.فالميكاليون كانوا يحققون هذه

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٩٨.

(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢ ص٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩.

(٣) Bosworth: The Gazanvaids. P. 184.

الشروط المتعددة في مدينة نيسابور وذلك لامتلاكهم الثروة والعقارات الكثيرة، وكان مصدر دخلهم الرئيسي التجارة، وتلك الأرباح العائدة على مصانع المنسوجات في نيسابور لقد خدم الكثيرون من هذه العائلة عدة سلالات متعاقبة من السامانيين والغزنويين، كما قام أحدهم بخدمة السلاجقة بعد استيلائهم على خراسان، على العموم فإن الميكاليين يعتبرون المثل الأخاذ في الصفات الحميدة التي اتصفت بها طبيعة وأخلاق الخراسانيين وحياتهم[1].

(٢) طبقة العلماء والأدباء:

اتصفت هذه الطبقة بأنها طبقة خاصة نظراً لارتباطها بالطبقة الحاكمة والأمراء والوزراء، وكان من مآثر هذا العصر تشجيع العلم والعلماء والنهوض بالعلم وتكريم العلماء في كافة المحافل، لذلك عاش العلماء في رغد من العيش وتقلدوا المناصب القضائية والعلمية في الدولة، فمنهم القضاة والخطباء في المساجد، ومنهم أصحاب الطرق والمذاهب الدينية، ومنهم الشعراء والأدباء والكتاب، وهم بذلك كانوا يمثلون أعلى طبقة من المفكرين والمثقفين في الدولة.

وكان للعلماء تأثيرهم في المجتمع، وقام بعضهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووقف بعضهم أيضاً ضد الطوائف الدينية المنحرفة، وحاربوا القرامطة والزنادقة والإسماعيلية والباطنية ووقفوا أمام زحف مذاهبهم الهدامة إلى بلدان الخلافة الشرقية.

عاشت خراسان في العصر الغزنوي صراعاً دينياً بين علماء الدين حول المذاهب التي كانت تدين بها الدولة والطرق الدينية الأخرى المتعارف عليها في ذلك الوقت مثل الحنفية والشافعية والصوفية والكرامية، وكانت هذه الصراعات واضحة بين هذه الطوائف كذلك كلفت أسر هذه الطوائف بالقيام بأعمال في الأمامة والقضاء والمناصب الدينية الأخرى، وكان لكل من هذه الطوائف دوره في إرساء قواعد الدين الحنيف لبناء مجتمع إسلامي بعيداً عن المبادئ والقيم الهدامة في تلك البلاد[2].

وفي نيسابور كان يترأس المذهب الحنفي أسرتان مشهورتان الأولى عائلة القاضي أبي العلا صاعد بن محمد استوائي والثانية عائلة التبانية، وقد استفادت هاتان العائلتان من

---

(١) Bosworth: The Gazanvaids. P. 185.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢١٣،٢١٤،٢١٥.

رعاية السلطان محمود والسلطان مسعود طيلة حكمهما، فقد شغل كل من الأسرتين مناصب قضائية في معظم مدن خراسان، كما أوفد السلاطين منهم سفارات إلى الدول المجاورة لإبرام العهود والمواثيق بقصد توطيد دعائم الصداقة والمصاهرة بينها وبينهم. كما كان في سفارة القاضي أبي طاهر بن أحمد التباني مع أبي القاسم إبراهيم بن عبد الله الحصيري إلى تركستان لتدعيم الصداقة بين الخان وكذلك لخطبة كريمتي الخان للسلطان مسعود وابنه مودود، وقد أعطى السلطان مسعود توكيلاً للقاضي أبي طاهر لإتمام العقدين وإنجاز كل ما من شأنه أن يتفق وأحكام الشرع وفرائضه، على أن يكون صداق وديعته خمسين ألف دينار هروي، وصداق وديعة ابنه ثلاثين ألف دينار هروي[1].

وتجدر الإشارة هنا أن نذكر لمحة تاريخية عن الأسرة المعروفة في بلاد خراسان وهي أسرة التبانيين الذين ينتمون إلى أبي العباس التباني والذي تتلمذ في بغداد في عهد هارون الرشيد على القاضي أبي يوسف يعقوب بن أيوب الأنصاري تلميذ أبي حنفية، وقد عين السلطان محمود إبّان وجوده بنيسابور في فترة السپهالارية لحكم السامانيين القاضي أبا صالح وأرسله إلى غزنة ليكون فيها إماماً على مذهب الإمام أبي حنيفة، وكان ذلك في عام ٣٨٥هـ/٩٩٤م، وكانت منزلة أبي صالح هذا لدى السلطان محمود من الرفعة بحيث قال عند وفاته سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م لوزيره الخواجة أبي العباس الإسفراييني:- "اذهب إلى مدرسة هذا الإمام لإقامة مأتمه إذ ليس له ولد يقوم بذلك، وكنت قد اعتزمت القيام بنفسي بهذا الواجب استجابة لضميري ولكن نظراً لأن الناس قد يلومونني أو يرون في هذا عيباً رأيت أن تقوم بذلك، وليس بين خدامنا من هو أجل وأعظم منك شأناً لأنك وزيرنا وخليفتنا"[2].

واستمر التبانيون في المناصب القضائية الهامة في الدولة الغزنوية نظراً لتمسك السلطان بهم بعد وفاة القاضي أبي صالح التباني، وقد ظهر على المسرح قاضيا كل من أبي صادق وأبي طاهر التباني، فعندما أوفد السلطان علي الميكال إلى جرجان سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م. نصحه بالمرور من نيسابور ليقابل التبانيين ويقوم برعايتهم ويستقدم منهم إلى بلاطه، ولكن الخواجه علي شملهم بالعناية ووعدهم بكل خير لدى السلطان، وبذلك لم يستطع تحقيق رغبة السلطان لإقناع أحد التبانيين بالذهاب إلى غزنة، إلا أن الوزير حسنك بعد

---

(١) نفس المصدر، ص٢٢٨ إلى ٢٣٢.

(٢) نفس المصدر، ص ص٢١٣، ٢١٤.

عودته من الحج سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م. استطاع إقناع أبي صادق وعدد من العلماء من نيسابور واصطحبهم إلى السلطان في بلخ وكان أبو صادق هذا آية في العلم والكمال وذا فضائل كثيرة بالإضافة إلى معرفته بالقانون والفقه الإسلامي، وقد عينه السلطان قاضي القضاة في ختال، كما عين أبا طاهر قاضياً على طوس ونسا، واستمر السلطان مسعود بعد توليه السلطة بمواصلة ما قام به والده تجاه أبي طاهر حيث أبقاه في منصبه بل وعده بمناصب أخرى عند عودته من سفارته إلى تركستان كما ذكرنا سابقاً[1].

كذلك حظيت خراسان في فترة حكم الغزنويين بأسرة القاضي أبي العلا صاعد بن محمد الاستوائي الذي كان رئيساً للمذهب الحنفي في نيسابور، وأخذ شهرة في بلاد فارس، وكان يدعى القاضي دون ذكر اسمه لشهرته.

وخلال حكم السلطان محمود أخذ القاضي أبو العلا صاعد مكاناً مرموقاً في المجتمع نظراً لانتمائه إلى عائلة معروفة في نيسابور، وكان جميل الصورة، ويدعوه السلطان بالقمر النيسابوري، وعينه أستاذاً لابنه مسعود ومحمد. كان للقاضي صاعد علاقات وثيقة مع عائلة الميكالية ذات النفوذ والسلطة الواسعة في بلاد خراسان، وقد استفاد القاضي من رعاية الميكاليين عندما كان في عنفوان شبابه، ونشأ في ظل نعمتهم، فلما تعرض بعض أفراد هذه العائلة لظلم وجور الوزير حسنك، استطاع في فترة حكم السلطان مسعود في نيسابور سنة ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م، إعادة حق كل من الأخوين أبي الفضل وأبي إبراهيم الميكالي من حسنك وإنهاء خلافاتهما حول الإرث، وهذا يرجع بطبيعة الحال إلى جهود هذا القاضي العادل، وتأثيره على تلميذه السلطان مسعود الذي كان يكن له كل الاحترام، وتكريماً له ولعائلته عين السلطان ابنه أبا الحسن قاضياً على الري[2].

هذا وفي فترة الصراعات السياسية والعسكرية حول خراسان بين الغزنويين والسلاجقة، استطاع القاضي صاعد إقناع السلاجقة بعدم إباحة مدينة نيسابور وتركها لسلب ونهب الجنود وكذلك استشاره القائد الغزنوي سباشي سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م في بعض

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٢٨.

الأمور الدفاعية والمواضيع الاستراتيجية للمدينة لكي يدافع عنها من غارات أتراك الغز[1].

وثمة صراع حول الحياة القضائية والفقهية قد ظهر في المجتمع الخراساني أيام القاضي صاعد، وكان طرف هذا الصراع جماعة أطلق عليهم الكرامية، نسبة إلى محمد بن كرام المتوفى سنة ٣٥٥، وهذه الجماعة شملهم سلاطين الغزنويين بالحب والرعاية نتيجة ارتباطهم بهم من بداية حكمهم لخراسان، ويبدو أن السلطان محمود قد ورث من أبيه نظرة العاطفة تجاه الكراميين وأيدهم في بداية حكمه واعتبرهم قوة محافظة وسلاحاً ماضياً ضد التطرف الديني عند المعتزلة والإسماعيلية[2].

أصبح للطائفة الكرامية في زمن السلطان محمود نفوذ وهيمنة على الوجهاء وبعض الطبقات الدينية في نيسابور بقيادة أبي بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد الذي تولى زعامة هذه الطائفة بعد وفاة أبيه في خراسان عام ٣٨٨هـ/٩٩٧م، ولكنه مع الحروب التي دارت بين الغزنويين والقراخانيين وقع أسيراً عام ٣٩٧هـ/١٠٠٦م، حتى عده السلطان محمود من الموتى لكثرة القتلى في هذه الحرب، إلا أنه استطاع الهرب من أيدي القراخانيين عندما رجحت كفة الغلبة السلطان محمود في هذه المعركة، وبعدها أصبح أبو بكر من المقربين لديه، وأعطاه صلاحية محاربة الباطنية والشيعة في إقليم خراسان، وبدأ يقتلع جذور هذه الفرق الدينية في نيسابور حتى قيل عنه أنه كان متشدداً في اكتشاف هذه العناصر في أوكارها ومتعطشاً لقتلهم ومصادرة أموالهم وهدم دورهم وأماكن عبادتهم، وكذلك لعب دوراً هاماً في المحاكمة وتنفيذ الأحكام على الرسول الفاطمي "التاهرتي" سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢-١٠١٣م، الذي قدم على رأس وفد إلى السلطان محمود مبعوثاً من قبل الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وقد تم القبض عليه فور وصوله إلى مدينة هراة، وأرسل إلى أبي بكر في نيسابور فقام بالتحقيق معه، ووصف مبادئه ومبادئ الخلفاء الفاطميين بأنها خطيرة وهدامة ولا أساس لها من مبادئ

---

(١) Bosworth: The Gazanvaids. P. 175.176.
I bid:P. 176.

(٢) يذكر العتبي: "كان أبو بكر مرموقاً بعين النباهة في صدر الدولة الغزنوية، لمكانة أبيه من الزهادة ومداومته على العبادة واقتفائه نهج أبيه الذي على مذهب الكرامية، وكان الأمير ناصر الدين أبو منصور سبكتكين يرى من عصابته في التزهد والتعفف والترهب والتقشف بقل وجود مثله في كثير من فقهاء الدين وأعيان المتعبدين فطى ذلك بقلبه كما حلى بعينه "العتبي - الفتح الوهبي ج٢، ص٣١٠.

وقيم الإسلام[1].

واستمر الكراميون في السلطة والهيمنة على حكم مدينة نيسابور، إلى أن قصد القاضي صاعد بن محمد الحج سنة ٤٠٢هـ/١٠١١-١٠١٢م. وفي طريق عودته إلى خراسان حمله الخليفة القادر بالله رسالة إلى السلطان محمود، فبينما كان في مجلسه إذ ورد ذكر الكرامية، فصارحه القاضي ببعض آرائهم في الاعتزال والتجسيم في الصفات البشرية على الله، فغضب السلطان على هذه الطائفة، وعقد لرئيسهم محكمة في غزنة حضرها كبار الفقهاء ورجال الدين وعلى رأسهم القاضي صاعد بن محمد، وفي أثناء المحاكمة تبادل كل من القاضي وأبي بكر الاتهام حول مذهب المعتزلة، ولكن الأمير نصر بن سبكتيكن والي خراسان الذي كان يحضر هذه الجلسة برأ القاضي صاعد من هذه الادعاءات الباطلة وأكد للجميع أن القاضي ما يزال رائداً للمذهب الحنفي في نيسابور، بل في كل أنحاء خراسان، ولكن أبا بكر عندما وجد نفسه متورطاً أنكر جميع الادعاءات المنسوبة إليه وبذلك أنقذ حياته من غضب السلطان، إلا أن السلطان طرده من منصب الكتخدائية لمدينة نيسابور وعين بدلاً منه حسنك الميكالي ليعود هذا المنصب الإداري إلى عائلة الميكالية مرة أخرى[2].

وقد اتخذ حسنك تدابير شديدة قاسية، وبناء على رأي العتبي فإن هذه التدابير والإجراءات فاقت تدابير زياد بن أبيه ضد الكرامية في نيسابور، وقد تم سجن الطغاة في القلاع الحصون وتم استرجاع ما نهبه أبو بكر من الناس، ثم حذر حسنك الطوائف الدينية الأخرى بأن مناصبهم الدينية والاحترام الممنوح لهم كلها تعتمد كلية على إطاعتهم للسلطة الدنيوية. وهم بدورهم يعتزمون بأن السلطان هو ظل الله في الأرض ولا شيء ينفعهم سوى الخضوع والحذر[3].

هذه هي قصة الكرامية في خراسان، فهي لا تزيد عن كونها حركة ظهرت في فترة من الزمن بنيسابور، وكان أفرادها يكتمون آراءهم ويتظاهرون بالزهد حتى خفي أمرهم على السلطان محمود نفسه، ومما يدل على ذلك أن أبا الفتح البستي قد هجا معتقداتهم وكفر القائل بها، فهو يقول:

---

(١) Bosworth: The Gazanvaids. P. 196

(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٣١٣، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢١.

(٣) نفس المصدر: ج٢، ص ص٣٢٢، ٣٢٥.

أشـــهـــد أن الله ذو قـــدرة تحـيط بالأصـــغـــر والأكـــبـــر
ولا تصـــفـــه أنه جـــوهـر فـــــــإنه مـن أنكـر المنكـر
من أبدع الجـوهر عن قـدرة فـــإنه أعلى من الجـــوهـر[١]

وكذلك من الفرق الدينية التي انتشرت في القرنين الثالث الرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين جماعة الصوفية، وقد انتشر في جميع أنحاء العالم الإسلامي وأخذ رجالها ينظمون أنفسهم في جماعات وفرق لها طرقها الخاصة وشيوخها وسالكوها، وكانت هناك مدارس كثيرة للتصوف في هذه الفترة، لكل منها طابع معين، ونسبت كل واحدة منها إلى شيخ من شيوخ القرنين الثالث والرابع الهجريين.

والصوفية في هذه الفترة قد وصلت إلى مرحلة النضج، وأخذت المسائل الصوفية التي ظهرت أول الأمر غامضة سانجة تتضح وتدق، ذلك أن العناصر الغريبة التي بدأت تتسرب إلى الإسلام منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. أخذت تنفذ إلي التصوف وتتفاعل معه وكان من نتيجة هذا التفاعل أن تطور مفهوم التصوف وأصبح شيئاً جديداً لا يقف عند حد الرياضة والمجاهدة، ولا يقنع فيه الإنسان بالمشاهدة، وإنما تجاوز هذا كله إلى غاية أسمى هي فناء الإنسان عن نفسه، وبقاؤه بربه، واتحاده به[٢].

ومن الموضوعات التي تطرقت إلى التصوف في هذه الفترة أن روح أحكام الشريعة وباطنها أهم من شكلها وصورتها الظاهرية، وأن النية مقدمة على العمل، وأن السنّة خير من الفرض، وان الطاعة خير من العبادة، وقد أثارت هذه الأقوال انتباه الناس في ذلك الوقت واسترعت أنظارهم، وخصوصاً طبقة الفقهاء الذين عدّوا هذه الأقوال خطراً على المجتمع الإسلامي، واتهموا الصوفية باختلاق البدع تارة، وبالكفر والإلحاد تارة، كما جرّت عليهم أقوالهم في المحبة والاتحاد والحلول سخط الفرق الإسلامية الأخرى[٣].

وكان من الطبيعي أن يقع الصدام بن الطائفتين لاختلاف وجهتي نظرهما ومالبث

---

(١) محمد مرسي الخولي: أبو الفتح البستي حياته وشعره، بيروت، دار الأندلس، الطبعة الأولى ١٩٨٠، ص٥٦.

(٢) إسعاد عبد الهادي قنديل: "كشف المحجوب للهجويري" دراسة وترجمة وتعليق مراجع الترجمة دكتور أمين عبد المجيد بدوي، ج١، القاهرة، ١٣٩٤هـ: ١٩٧٤م ص٢٨، ٢٩.

(٣) نفس المرجع، ص٢٩.

الفقهاء أن أعلنوا عن عدائهم للصوفية، فتصدوا لبعضهم بالمعارضة، واتهموا الآخر بالكفر والزندقة. وقد حفظت لنا الكتب المتقدمة أخبار سلسلة من الاضطهادات التي لاقاها الصوفية على أيدي الفقهاء، حتى أن مجموعات كبيرة من شيوخ الصوفية سيقوا إلى المحاكمات وحكم عليهم بالموت، واستطاع بعضهم أن يفلت من العقوبة وراح البعض الآخر ضحية لهذا التعصب[1].

ومع هذه التضحيات التي قدمها الصوفية في الصراع مع الطوائف الدينية الأخرى، أخذ كبار الصوفية يتشبثون أكثر من ذي قبل بالقرآن والحديث والأدلة العقلية، واشتغلوا بالتأليف والتصنيف، ونهضوا للدفاع عن أنفسهم بسلاح الكتاب حتى مجيء القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي الذي ظهرت فيه جماعة من كبار شيوخ الصوفية في العالم الإسلامي عامة، وفي إيران خاصة، فكان هناك في النصف الأول من القرن الخامس الهجري أمثال السلمي والخرقاني وأبي سعيد أبي الخير وغيرهم ممن يرجع إليهم الفضل في تربية جيل من التلاميذ والمريدين الذين صاروا أعلاماً في تاريخ الحياة الروحية في القرون التالية[2].

أما بالنسبة لمذهب أبي سعيد بن أبي الخير الميهني فقد كان من أوائل المروجين لوحدة الوجود، ورغم أن مذهبه الذي يقوم على الفناء ووحدة الوجود لم يكن جديداً، فقد سبقه إليه الصوفي الفارسي بايزيد البسطامي وخليفته أبو الحسن الخرقاني، إلا أن أبا سعيد كان يعتبر من ناحية التطور التاريخي للصوفية مشرعاً مبرزاً فقد حدد معالم الطريق ووضع الشروط التي ينبغي توفرها في الشيخ والمريد، كما شرع القواعد والرسوم لحياة الخانقاه حتى أنه ليعد بحق المؤسس الأول لنظام الخانقاهات في الإسلام.

(٣) طبقة التجار والصناع والمزارعين:

مثل التجار ارستقراطية المال في الدولة بعد ازدهار اقتصادها، وتعامل الأثرياء منهم في السلع القيمة وفي بضائع الشرق الغالية، وارتبط بعضهم بقصر السلطان والأمراء ورجال الدولة ارتباطاً مباشراً، لذلك مالوا إلى الثراء والترف، وكان أغلب التجار من أهل نيسابور منهم باعة السلع الثمينة والمجوهرات، وكانوا على اتصال دائم بالقصرومتطلباته من هذه

---

(١) أسعاد عبد الهادي قنديل، كشف المحجوب الهجويري، ص٣٠.

(٢) نفس المرجع، ص٣٣.

البضائع والسلع الفاخرة، كما زادوا من اتصالاتهم التجارية مع المدن الكبرى سواء في إقليم خراسان مثل بلخ وهراة أو عواصم الدول المجاورة مثل بخارى وسمرقند، ليكون على مقربة من الأسواق الرئيسية وبضائعها المتنوعة.

أما النوع الثاني من التجار، فهم صغار التجار، ويتعاطون بيع المواد الاستهلاكية لسد حاجات الناس اليومية، ومن ثم أصبحت لهم علاقة بالأسواق.

اتسع نفوذ التجار، وبخاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين نتيجة ازدياد الترف والبذخ بين رجال الدولة وعلى رأسهم السلطان، ومع أنهم كانوا على اتصال دائم معهم إلا أنهم لم يصبحوا يوماً في مصافهم اجتماعياً، وإنما كان يعتبرون غالباً من الطبقة التي تلي العلماء والأدباء، هذا ومما يدل على اهتمام الدولة بهذه الطبقة، إن الدولة اهتمت بإقامة الأسواق في مدينة نيسابور وبقية المدن الخراسانية، وكان التجار والباعة يجتمعون بها، ويتعاونون فيما بينهم، لشعورهم بالرابطة المهنية التي تربطهم ببعضهم بعضاً وكثيراً ما كانوا يشتركون في صد هجمات العيارين، والشطار والعامة، على متاجرهم، وكان التجار يتعرضون في بعض الأحيان للمصادرة من الدولة والحبس والقتل، كما أن السلاطين كانوا يقترضون من التجار، وقد بين لنا نظام الملك في كتابه، أن تاجراً أتى بلاط السلطان محمود وتظلم إليه، من ابنه مسعود في حسرة وتوجع، وقال: "مضت علي مدة هنا أرغب في العودة إلى مدينتي، لكنني لا أستطيع، لأن الأمير مسعود اشترى مني بضاعة وأقمشة بستين ألف دينار دون أن يدفع ثمنها، أريد أن ترسلني والأمير مسعوداً إلى القاضي

ليقضي بيننا بالحق[1].

أما عن مستوى معيشة التجار فكان مرتفعاً، حتى بالنسبة إلى بعض التجار الصغار، الذين كانوا ينعمون غالباً بكل ضروريات الحياة، كما أنه كان لبعض التجار، ثقافة عالياة استمدوها من اختلاطهم بالعلماءوبخاصة في القرن الرابع الهجري[2].

أما الصناع وأرباب الحرف، فكان العرب المسلمون ينظرون إليهم نظرة امتهان حتى القرن الثالث الهجري، ثم تغيرت هذه النظرة، فأصبح ينظر إليها، وإلى القائمين بها نظرة تقدير وأكد ذلك بعض الكتاب -كالغزالي- الذين قالوا أن الصناعات أصبحت من ضرورات ومستلزماتالحياة الاجتماعية، وذلك لتنوعها وتعددها والتفنن فيها[3].

وكان أرباب الحرف والصناع والمزارعين، في القرنين الرابع والخامس الهجريين، على الرغم من اختلاف أجناسهم وعناصرهم ومذاهبهم، يتكتلون للدفاع عن المشتغلين بمهنتهم كذلك كانوا يستغلون التدهور الاقتصادي في الدولة أو حدوث اضطرابات سياسية، كا حدث في نيسابور عندما نشبت الحروب بين الغزنويين والسلاجقة فقد ترك المزارعون الأرض، وهاجروا إلى المدن الأخرى هرباً من السلب والنهب اللذين كانوا يتعرضون لهما[4].

---

(١) بعث السلطان برسالة شديدة اللهجة إلى الأمير مسعود، أمره فيها بأن يقضي له حقه، وإلا فعليه أن يمثل أمام القضاء، لتطبق عليكما أحكام الشريعة، ومضى التاجر إلى مجلس القاضي، في حين قصد الرسول مسعوداً وأدى الرسالة. وأسقط بيد مسعود، فقال لوكل الخزانة: "انظر ما في الخزانة من الذهب نقداً" فذهب ونظر وعاد، فقال: "ليس ثمة أكثر من عشرين ألف دينار" قال مسعود: "خذها، وامضِ بها إلى التاجر، واستمهله ثلاثة أيام لباقي المبلغ"، ثم قال: لرسول السلطان "قل للسلطان إنني لأقف الآن مرتدياً قبائي، منتعلاً موزجي في انتظار ما يأمر به السلطان، فذهب الرسول، لكنه عاد إلى مسعود مرة أخرى، وقال: "يقول السلطان: أما أن تتوجه إلى مجلس القضاء، وأما أن تدفع مال التاجر إليه، واعلم أنك لن ترى لي وجهاً ما لم تؤد حق الرجل إليه كاملاً". ولم يجرؤ مسعود على أن يضيف إلى كلامه السابق حرفاً، وأرسل رسلاً إلى مختلف النواحي يطلب قرضاً، فما أن أزف وقت صلاة العصر، حتى وصل إلى التاجر الستون ألف دينار، ولما تناهى هذا الخبر إلى أطراف العالم، أخذ التجار ينهالون على غزنين من الصين ومصر، وعدن، يحملون إليها ما في العالم من تحف ونفائس".

نظام الملك، سياست نامة،، ص٢٩٦.

(٢) مليحة رحمه الله: الحالة الاجتماعيةفي اعراق، بغداد، ١٩٧٠، ص٥٠.

(٣) أبو حامد محمدبن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، أربعة أجزاء، القاهرة، ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ج١، ص٢٣٠.

صالح العلي: التنظيمات الاجتماعية في القرن الثاني الهجري في البصرة، بغداد، ١٩٥٣، ص٢٧١.

(٤) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٦٩.

كان للتقدم الحضاري الذي أصاب المجتمع الخراساني، أثر في ازدهار الصناعة فقد تطلب هذا التقدم، صناعات متعددة متنوعة متقنة، فكانت نتيجة ذلك ازدياد عدد الصنائع، والاهتمام بجودتها، وتركز التخصص فيها، كما جذبت الحواضر الغزنوية الكثير من الأيدي العامة، لتوفر فرص العمل والكسب فيها، وحاجة المدن إلى وسائل الترف، فانتقل حذاق أهل الصناعات إليها. يضاف إلى ذلك أن الدولة الغزنوية أباحت الهجرة إلى المدن، فقد سمح مثلاً لأهل مرو وخورازم وبخارى بالسكن في مدينة نيسابور[1].

ولا شك أن هذه التجمعات قد أدت إلى خلق تكتلات عمالية واسعة في هذه المدن، وقد استلزم ذلك إنشاء مناطق يتجمع فيها أصحاب الحرف والمهن، فيذكر ابن حوقل أن مدينة نيسابور كانت بها سوقان: أحداهما تعرف بالمربعة الكبيرة والأخرى بالمربعة الصغيرة، وفي هاتين السوقين خانات وفنادق يسكنها التجار بالتجارات، أما الخانات فكانت يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالصناع، كالقلانسيين الأساكفة والبزازين والخرازين والحبالين إلى غير ذلك من ذوي الصنائع منهم[2]

وأخيراً يلاحظ على هذه التجمعات والتكتلات من الصناع والحرفيين عدم وجود نقابات، منظمة بالشكل الذي نتصوره في وقتنا الحاضر، فالمصادر والمراجع لا تشير إلى جانب التنظيم المهني، ما يوحي لنا بروح التكتل الجماعي البسيط والمتقارب لأصحاب المهنة الواحدة والمتجانسة، ويبدو أن سياسة الدولة الغزنوية الخاصة مع أصحاب المهن كانت تقتصر على الإشراف على أعمالهم وصنائعم عن طريق المحتسب، وهذا الإشراف لا يدل على الاضطهاد، بقدر ما يوحي لنا بمنع أصحاب المهن والحرف من الغش والتدليس في سائر المعاملات التجارية والصناعية[3].

أما عن مستوى معيشة العمال، فكان دون مستوى التجار بكثير، ذلك أن مواردهم، كانت محدودة، يقول الدمشقي: "إن الصانع كان ليس بالفقير، ولا بالغني، لشراء ضيعة، وكان متوسط أجر العامل، في القرن الثالث الهجري درهماً ونصف درهم، في اليوم لصانع

(١) Bosworth: The Gaznavaids. P. 151.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ص٣٦٢، ٣٦٣.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ص ٢٧١، ٢٧٢، ٣١١، ٣١٢.

النرشخي: تاريخ بخارى، ص٣٧، ٤٥.

الزجاج، وازداد الراتب في القرن الرابع الهجري، درهماً، وكان أصحاب الحوانيت، لا يتعدى إيرادهم ٣٠٠ درهم في الشهر(١).

(٤) أهل الذمة:-

تمتع أهل الذمة بكثير من ضروب التسامح الديني في البلاد الإسلامية، فأقاموا الشعائر الدينية في أمن ودعة، وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة، وفي ممارسة المهن الحرة كالتجارة والصناعة، ويقول بارتولد: "إن النصارى الذين عاشوا في ظل المسلمين في بلاد المشرق، لم يصبهم قط ما أصاب المسلمين في إسبانيا من الظلم والعدوان "فقويت الروابط بين المسلمين وأهل الذمة، لمشاركتهم جميعاً في نواحي الحياة العلمية والأدبية، فمن أهل الذمة من كان طبيباً، ومهندساً، وتاجراً وصراماً، وبزازاً، لم ينفصلوا عن بعضهم البعض إلا في ممارسة الطقوس الدينية ومناطق السكن(٢).

أما اليهود، فوجدوا في بغداد بكثرة، فكانت لهم في عهد المعتضد مراكز مهمة، ظلت مزدهرة حتى القرن السادس الهجري، حيث زارها الرحالة بنيامين، فوجد في بغداد عشرة مدارس وثمان وعشرون كنيسة، منها واحدة مزينة بالذهب والفضة(٣).

لم يلعب الذميون دوراً كبيراً في خراسان خلال فترة الدويلات المستقلة وخاصة الدولة

---

(١) أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، دمشق ١٣١٨، ص٤٣.

مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، بغداد، ١٩٧٠، ص٥١.

(٢) وفي بغداد أقام النصارى بمحلة الشماسية كنيسة تعرف باسم دار الروم، وفي مدينة تكريت فقد سكنه النصارى في حصن ذا مساكن ومحال، وهذا الحصن كانت قديمة أزلية وتجمع سائر فرق النصارى، وبها من البيع والأديرة القديمة التي تقارب عهد عيسى عليه السلام وأيام الحواريين، ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٠٥.

المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٢١.

أبو إسحاق روفائيل: أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق بغداد، ١٩٦٠.

بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، نقله من التركية إلى العربية حمزة طاهر -مطبعة دار المعارف- بغداد، ١٩٤٢.

(٣) بنيامين بن يونه التطيلي النباري الأندلسي٥٦٩هـ: رحلة بنيامين، ترجمها عن الأصل العبري وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد، المطبعة الشرقية بغداد ١٣٦٤هـ/ ١٩٥٤م.

الغزنوية بالمقارنة لدورهم في العراق وغرب إيران، ويصف المقدسي هذا الإقليم باحتوائه على العديد من اليهود والقليل من النصارى، وبعض من الطبقات الأخرى مثل الزرادشتية والبوذية[1]. فكانت الأطراف الشمالية من خراسان مركزاً للبوذيين، وكان البوذية تعتبر الدين الرئيسي والحضاري قبل الإسلام لهذه المناطق، وبذلك تركت العديد من المعابد والآثار على المواقع الجغرافية الإسلامية في المنطقة ومن أشهر هذه الاثار منطقة نوبهار في مدينة بلخ، كما كان للزرادشتين معبد بالقرب من مدينة نيسابور، أما الأجزاء الجبلية في إقليم خراسان فكانت ملاجئ للزاردشتين الذين أقاموا فيها لفترة طويلة بسبب الحروب التي وقعت هناك، ويذكر ابن فندق شجرتين قديمتين مقدستين في واحات بيهق كانتا موضع توقير وتبجيل للزرادشتيين، وقد أمر الخليفة المتوكل قطع إحداهما وبقيت الشجرة الثانية حية إلى حلول سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢-١١٤٣م[2].

وفي الفترة الساسانية، كان المسيحيون قد انتشروا بشكل واسع في الإمبراطورية الفارسية وكان تكتلهم في معظم المدن الرئيسية في خراسان وسجستان، بينما كان عددهم قليلاً في كل من بلاد ما وراء النهر وخوارزم، وفي نهاية الدولة الساسانية ازداد عدد جالياتهم في هذه البلاد وكانت تمارس طقوسها الدينية مع القساوسة والأساقفة الذين كانوا يشرفون على الكنائس في هذه المدن، هذا ما جعل تلك الجاليات تتمتع في شرق إيران بحرية واسعة ببعدين عن الرقابة المباشرة للأباطرة والسلطات في العاصمة الفارسية الغربية، على أن مدينة مرو كانت من أهم مناطق المسيحيين في العهود الإسلامية حتى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في شرق إيران، وإنهم لم يشكلوا تجمعات كبيرة، بل إن عددهم قل على مر العصور في خراسان[3].

ثم بدأ ذكر الجاليات اليهودية في مدن خراسان مثل مرو وبلخ في العهود الإسلامية مع أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وما بعدها، عندما كانت لهم مساهمات مالية

(١) حسب الإحصاءات التي أوردها المقدسي في خراسان والأقاليم الأخرى كالآتي:-
في أصفهان بلغ عددهم خمسة عشر ألفاً، وفي شيراز عشرة آلاف، وفي غزنة ثمانين ألف، وقال كلما تقدمنا نحو الشرق يكثر عدد اليهود إلا أنه لم يصلنا إلى إحصائية عن اليهود في خراسان سوى أنهم كثيرون ولهم مدينة سميت باسمهم (اليهودية) وكذلك كانت لهم مدينة أخرى شرقي مرو.

(٢) Bosworth: The Gaznavaids. P. 200.

(٣) Bosworth: The Gaznavaids. P. 201.

في مساندة مجمع علمي في بلاد العراق، فطورت هذه الجاليات طقوسها وقوانينها الدينية التي كانت تميزها عن إخوانهم في الدين في تلك المناطق، حتى أصبحت عددها أكثر من المسيحيين في بعض المدن الفارسية، فعرفت مستوطناتهم باسمهم، فكانت "اليهودية" في أصفهان، وأخرى في إقليم جرجان، وأيضاً عرفت لهم مدينة باسم ميمنة وهي بين باميان والغور(١).

كذلك كانت القوى الفكرية والدينية لدى الذميين في شرق بلاد فارس ضعيفة بحلول القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وذلك لأنهم لم يساهموا مساهمات علمية في الحياة الثقافية، إذا ما قارنا ذلك بمساهماتهم العلمية والثقافية داخل المجتمعات العراقية والسورية أو المصرية، وربما يعزى ذلك لبعدهم عن مراكز الحياة الروحية والحماسية في الغرب، لذا قام المسيحيون النسطوريون ببذل قصارى جهدهم في محاولات التبشير الديني في أواسط آسيا والشرق الأقصى، ولكن انحلال الحياة الكنسية وضعف العقيدة لدى جماعة المصلين في شرق إيران كان ظاهراً بوجود الأسباب المتعددة والفضائح المتفشية بين الأساقفة، ويرجع ذلك إلى إشراق وسمو الثقافة الإسلامية في خراسان في هذه الفترة، وهذه الأمور جعلت العديد من الذميين يتخلون عن دينهم الخاص ويعتنقون الإسلام(٢).

ويذكر الشيخ أبو سعيد في سيرته بعض المراجع المتعلقة بوجود المجتمعات غير الإسلامية في نيسابور في فترة حياته، وأظهر أبو سعيد في مختلف المناسبات استعداد هؤلاء الذميين في تقبل الإسلام، وبالفعل فقد وصف دخول أربعين نصرانياً في الإسلام بمدينة نيسابور، هذا وكان الذميون يزاولون المهن الطبية في العصور الإسلامية واستمروا في مزاولتها في الشرق الإسلامي خلال الحكم الغزنوي، وكان الشيخ أبو سعيد في فترة مرضه يتلقى العناية الطبية على أيدي طبيب زرادشتي ونتيجة لذلك فقد اهتدى هذا الطبيب واعتنق الإسلام محوطاً ببركات الشيخ أبي سعيد، وأيضاً استعان سلاطين الغزنويين بالأطباء الذميين فقد كان للسلطان مسعود طبيب يهودي اسمه يعقوب دانيال، وكان من أشهر ثلاثة أطباء في بلاطه، وكان يستعين بخبراته الطبية والعلمية، كما كان لبهرامشاه طبيب مسيحي

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٤٥، ٤٥٢.

(٢) Bosworth: The Gaznavaids. P. 202.

اسمه أبو سعد موصلي[1].

(٥) طبقة العامة:

كانوا يمثلون غالبية الشعب، ولم يكن لهذه الطبقة مكانة خاصة في المجتمع فقد وصفهم البعض بالجهل في الأمور الدينيةوفي النواحي الثقافية، أطلق عليهم المؤرخون، اسماء مختلفة، منها السفلة والغوغاء، والسقاط والجماهير الدهماء والأوباش والحرافيش إلى غير ذلك من النعوت وتألفت من هذه الجماعة جماعة العيارين والشطار الذين تميزوا بالطابع الثوري ضد الحكومة وكانت لهذه الجماعات التنظيمات المدنية والعسكرية، وكانت تشارك في الثورات وتسبب في الاضطرابات والفوضى في البلاد، وكانت الدولة تتملقهم في بعض الأحيان وتنعم عليهم ببعض الإنعامات اتقاءً لشرهم[2].

وكانت تشكل العامة، من مختلف الأجناس، الموجودة آنذاك في المجتمع الخراساني، فكان من بينهم العربي، والديلمي، والتركي، والفارسي، والكردي، وغيرهم من الأجناس الأخرى وكان أغلبهم من المسلمين، وقليل منهم من أهل الذمة.

أما عن دور العامة، فلم تنل عناية المؤرخين والأدباء، مثل عنايتهم بذكر قصور السلاطين والوزراء والأمراء، لذلك قل أن يعثر الباحث في التاريخ الإسلامي على وصف تفصيلي لبيوت عامة الناس، وكانت هذه الدور إما يسكنها مالكها، أو أن يؤجرها لغيره، ولم يكن إيجار البيوت أمراً ميسوراً بالنسبة لفقراء العامة، بل كان تثقل كواهلهم، لهذا كان بعض الفقراء يؤجرون غرفة واحدة في إحدى الدور ويسكنون فيها، مع أهلها أو مع مؤجرين آخرين يسكنون في غرفة أخرى في نفس الدار، وكانت بيوت العامة تبنى في الغالب من طابق واحد، أو طابقين في بعض الأحيان، وكان ينام بعضهم في المساجد والربط.

ولم يكن للعامة لباس خاص، تتميز به عن الطبقات الأخرى، فمن الملابس التي اعتادوا

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٥٦.
Bosworth: The Gaznavaids. P. 202.

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوازي: المنظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٨، ص٤٨.
مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص٥٢.
فهمي عبد الرزاق سعد: العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت ١٩٨٣، ص٦٦.

اتخاذها، لباس الرأس، وهو يتكون من العمامة الملونة والمدرعة المصنوعة من الصوف عادة، والسراويل البيضاء المذيلة، والإزار والفوط وهي خاصة بالخدم منهم[1].

وكان لباس الفلاحين، مصنوعاً من القطن الغليظ، ويعرف بالأسمال، والخلقان والخف والنعال.

وكان طعام العامة، وأغلبهم من الفقراء يتكون من خبز الشعير والدبس والخل مع قليل من التمر، وكان يتصدق عليهم في مناسبات الأفراح والأعياد، ويدفع لهم الصدقات السلطان وكبار رجالات الدولة[2].

أما فيما يتعلق بعامة الناس الكادحين في القرى والمدن، فإن نجاح الدولة الغزنوية من الناحية العسكرية، وخاصة تلك المعارك الحربية في عهد السلطان محمود، ليس أنها لم تحسن وضعهم فقط، بل صعبت معيشتهم أيضاً، ومهما كان حجم الغنائم التي غنموها من المعارك الحربية كبيراً جداً، فإنها لم تكن مطلقاً تفي بالتكاليف الباهظة للجند والبلاط والقادة العسكريين والإقطاعيين[3].

ولا شك أن الحمل الثقيل للخراج المتزايد الذي كان يؤخذ من الرعايا لا يفي بالنفقات الباهظة اللازمة لمواصلة المعارك الحربية في الهند، وتتضح هذه الحقيقة في تسجيل كتاب البلاط للوقائع المعاصرة لتلك الفترة، والذين ذكروا أن عمال السلطان محمود كانوا يجبرون الرعايا على دفع الضرائب ويشقون عليهم يعاملونهم كالخراف التي تسلخ جلودها.

كذلك يسجل المؤرخون أن كثيراً من القرى والمناطق قد خلت من السكان، وخربت الترع والقنوات اللازمة للري، وصارت مهجورة، ويمكن معرفة هذه الحقيقة من اختلال ميزان الخراج وسوء الاستفادة منه، والحصول على الرشاوي، والقسوة التي كان يتصف بها جباة

---

(١) مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص٥٢.
فهمي عبد الرازق سعد: العامة في بغداد، ص٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص١٦٢.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٩٩.

(٣) تاريخ إيران "ازدوران باستان تاپايان سدة هيجدهم ميلادي، تأليف ن. ويتكولوسكايا، أ. يو. ياكوبوسكي، أي. ب. بطروشفسكي آم. بلنيتسكي، لو. استروبوا، ترجمة كريم تشاورز تهران ١٣٥٤، هـ.ش. ص ٢٦٢.

الخراج وتسابقهم في سبيل الحصول على مبالغ طائلة[1].

(٦) الغلمان والرقيق وأثرهم في الحياة الاجتماعية:

لعب غلمان الأتراك دوراً هاماً في بنية الحياة الاجتماعية للدولة الغزنوية وذلك لعدة عوامل من أهمها، ارتفاع شأنهم في الدولة لانتماء الغزنويين فيها، بالإضافة إلى ما وقع على كاهل هذا العنصر من أعباء الحكم والسيادة، فقامت الدولة الغزنوية على أكتاف قوة الغلمان العظام -أمثال ألبتكين وسبكتكين وأحفادهم- الذين خدموا الجيش والدولة السامانية في كل من خراسان وما وراء النهر حتى قيام دولتهم ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م.

وهؤلاء الغلمان قد خضعوا لنظام صعب من التدريب والأعمال الشاقة في ظل السامانيين حتى رفعوا من رتبة الغلام تدريجياً وفقاً لخدماتهم وكفايتهم ثم لقيادة الجيش في الدولة، كان ألبتكين مولى للسامانيين، ولي قيادة جيش خراسان العليا في الخامسة والثلاثين من عمره، كان صادق العهد وفياً شجاعاً وكان تركيا محبوباً لدى الناس، محباً لجيشه، جواداً معطاء، يخاف الله ويتقيه، ولقد جمع كل خصال السامانيين وسيرهم الحميدة، وكانت أموال خراسان والعراق تحت تصرفه، كما كان له ألف وسبعمائة عبد وغلام تركي[2].

ثم تولى هؤلاء الغلمان حكم مملكة غزنة إلى أن أسس سبكتكين دولته، واستمد قوته منهم، فأصبحوا قوة لا يستهان بها في الدولة، فتولى بعضهم قيادة الجيوش في كل من خراسان والهند، ومنهم من كان في سلك الأشراف -وهو الديوان الخاص الذي يشرف على أمن الدولة ومصالحها- ومنهم من أحاطه السلطان برعايته وكان يصاحبه في رحلاته ويشاركه في مجالس شرابه، ويستخدمه في حراسة قصره.

ثم توالى على بلاط الغزنويين الكثير من الغلمان والرقيق والجواري من بلاد ما وراء النهر سواء كهدايا أو عن طريق أسواق سمرقند التي اشتهرت بتجارة الرقيق، وكان لدى

---

(١) تاريخ إيران: "ازدوران باتان تاپايان سدة هيجدهم ميلادي" تأليف مجموعة روسيان، ص٢٦٢.

(٢) نظام الملك: سياست نامة، ص١٤٤، ١٤٥.

السلطان محمود العديد من الغلمان إلا إنه كان يعتز بأحدهم وهو أياز بن أويماق[1]-الذي يقال أنه كان في غاية الجمال ومحبوباً منه- وكان يخدمه ويحضر مجلس شربه ويجالس ندماءه، إلا أن الشعراء قد استغلوا هذه العلاقة البريئة وجعلوا منها قصصاً وخيالاً حتى تحولت إلى حب رومانسي مثير[2].

ومع ذلك فؤلاء الغلمان أصبحوا قادة عظاماً وسجلوا للدولة الغزنوية انتصارات كبيرة في ميدان المعارك الحربية في كل من خراسان والهندوقد اشتهر بعضهم في الجبهة الخراسانية، فكان القائدان بكتغدي وشباسي اللذان وقفا ضد الزحف السلجوقي فتراة ست سنوات على خراسان، كما اشتهر القائد أحمد ينالتكين في الجبهة الهندية وسجل انتصارات عسكرية للدولة الغزنوية هناك، هذا وشكلت طبقة الغلمان عنصراً هاماً في الدولة، واستطاعوا أن يحرزوا نصراً مؤزراً، ويفتحوا مناطق واسعة، ويحققوا لأنفسهم السلطة القيادية وأحياناً السلطة السياسية للمناطق التي كانت تقع تحت سيطرتهم[3].

أما طبقة الرقيق فكان الرقيق الصقلبي يفضل التركي، ويقول المؤرخون "كان يستخدم التركي عند غيبة الصقلبي" لما تصفوا به، من خلق، وطاعة، وهيئة وكانت سمرقند أكبر سوق لتدريب الرقيق، واشتهر رقيق ما وراء النهر بالجمال والذكاء[4].

وكان يقوم هؤلاء الرقيق بأعمال وخدمات مختلفة في بيوت الأمراء، والأغنياء ورجال الدولة وكان لدى السلاطين الكثير منهم، ما بين التركي والصقلبي، ومنهم من يقوم بحراسة النساء وخدمتهم، ويعرفون بالخصيان ومنهم من يقوم بحراسة القصور، ويطلق عليهم

---

(١) كان اياز أحد الذين انتهزوا فرصة غياب الأمير مسعود عن قصر الحكم ودعوا الأمير أبا أحمد محمد من بلده جوزجان على مقربة من العاصمة غزنة، ليتولى عرش والده إلا أنه هرب، وانضم إلى مؤيدي السلطان الجديد مسعود، الذي جعله والياً على مكران وقصدار، وتوفي سنة ٤٩٩هـ.
عنصر المعالي كيكاووس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير بن زيار -قابوس نامة- به اهتمام وتصحيح دكتر غلام حسين يوسفي- تهران ١٣٤٥هـ-ش، ص٣٢١.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١، ٨٣، ٢٩١.

(٢) Nazim: The life and the times. P. 153.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص ٤٢٤ إلى ٤٣٠، ٥١٥، ٥٥٦، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٦.

(٤) آدم متز- الحضارة الإسلامية، ج١، ص٢٨٢.
ابن حوقل: صورة الأرض، ص٣٨٧.

الفراشيون يتخذون من بينهم رئيساً عليهم. وكان ديوان الوكلات أو مراقبة نفقات الأسرة الحاكمة. يديره رجل ذو سمعة طيبة، لأن هذا المنصب كان حساساً للغاية نظراً لما كان على عاتق شاغله من المسئولية في خدمة القصر، ومع عدم وضوح مهام هذا المسئول على القصر إلا أنه كان يقوم بالإشراف على المطبخ الملكي والاصطبلات وعلى مواقع التسلية، كما أن هذا الوكيل كان مسئولاً أيضاً عن الخزانة الملكية الخاصة وتوزيع التموين والرواتب على الموظفين الذين كانوا يعملون في قصر السلطان[1].

ثالثاً: المناسبات الاجتماعية والأعياد:-

(١) الأعياد الدينية (عيد الفطر والأضحى):-

كان المسلمون في خراسان كسائر المسلمين في الأقاليم الأخرى يحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينية الكثيرة منها الاحتفال بحلول شهر رمضان وعيد الفطروالأضحى كما كانوا يحتفلون بالأعياد الفارسية القديمة مثل النوروز والمهرجان والسدق.

وكانت المدن الخراسانية تستقبل هلال شهر رمضان بالتكبير والتهليل، وكان المسلمون يقيمون الزينات والأنوار الخاصة بهذه المناسبة ابتهاجاً وفرحة بليالي رمضان المباركة، فكان السلطان يعد نفسه لهذا الشهر الفضيل فيلغي كل ارتباطاته الخارجية، ويستعد لاستقبال المهنئين من شتى طبقات الشعب، كما كان من المعتاد في أول أيام رمضان أن يتناول طعام الإفطار مع الأمراء والأعيان في قصرة ويحضر هذه المأدبة كبار القادة والفرسان والنقباء وغيرهم من كبار رجال الدولة[2].

كما كان السلطان في هذه المناسبة الكريمة يأمر المسئولين في بداية شهر رمضان بأن تكتب قوائم بأسماء المسجونين في سجون غزنة ونواحيها ومن في القلاع لكي تعرض عليه، ويصدر به مرسوماً سلطانياً للإفراج عنهم، وكان السلطان يأمر بتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين وقد وزع في عام ٤٢٢هـ/١٠٣١م، ألف ألف درهم على الفقراء والمحتاجين

---

(١) Nazim: The life and the times. P. 147.

عبد العزيز الدوري: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ص٦٣.

(٢) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٤٥٢.

بغزنة ونواحيها، أما على مستوى الدولة فكان السلطان يبعث مع بداية كل رمضان الكتب والرسائل إلى كافة الأقاليم لتخليق المساجد وإقامة المجالس للذكر وقراءة القران[1].

وصادفت سنوات الحكم الغزنوي لخراسان بعض المصادمات الدموية بين الغزنويين والسلاجقة وفي شهر رمضان من سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م، كانت مدينة نسا قد وقعت تحت سيطرة السلاجقة الذين قاموا بنهب هذه المدينة بما فيها من الالات والنعم والدواب والذهب والفضة والألبسة والسلاح لدرجة أنهم لم يصدقوا هزيمة هذا الجيش الغزنوي القوي بعدته وعتاده في ذلك الوقت، ومع ذلك فقد خيم الخوف على السلاجقة من مغبة لجوء الغزنويين إلى الانتقام منهم، فلذا عقدوا مجلساً وجلس الأعيان والمقدمون والشيوخ حتى يتشاوروا فيما بينهم، واستقر الرأي على أن يبعثوا رسولاً إلى السلطان مسعود، ويجددوا ولاءهم له ويلتمسوا العذر لما حصل منهم في هذه المدينة من السلب والنهب على أيديهم، فقبل السلطان ذلك العذر وتفاوض مع رسولهم، ونظر في شكواهم من والي خراسان، فأرسل وفداً مع رسولهم إلى هذه المناطق للتحقيق فيما أصابهم من ظلم وجور ذلك الوالي، ورأى أن يعطي المقدمين الثلاثة -داود وطغرل وبيغو- حكم المدن -نساو فراوة ودهستان- ترضية لهم وحقنا للدماء بين الطرفين[2].

إلا أن هؤلاء القادة لم يرضوا بما عرضه عليهم، وعاشت خراسان في حروب مستمرة حتى هل شهر رمضان عام ٤٣١هـ/١١٠٤م، وكان السلطان مسعود يريد أن يضع حدا لهذه المهاترات وينهي الحرب لصالحه، ودخل خراسان بكل ثقة من العتاد والأسلحة وجيش قوى إلا أن الهزيمة كانت تلاحقة في كل مكان، ولم يستطع السلطان تحقيق رغبة وأماني الخراسانيين وهي إنقاذ بعض مدنهم من فساد هولاء الأتراك الذين نهبوا وسلبوا بيوتهم وهدموا دورهم وجعلوا تلك المناطق في وضع اقتصادي سيء للغاية[3].

عيد الفطر:-

أما بالنسبة إلى عيد الفطر المبارك، فكان الناس يحتلفون برؤية هلال شهر شوال وهي من المناسبات التي تسر النفوس حيث تقام فيها الزينات والأنوار في جميع أنحاء الإقليم

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٩٩.
(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٢٨.
(٣) نفس المصدر: ص٦٦٣، ٦٦٤.

ابتهاجاً بهذه المناسبة السعيدة، وفي الصباح يخرج الناس لصلاة العيد، ثم يتبادلون التهاني فرحين بإتمامهم شهر رمضان، ثم يخرجون أفواجاً أفواجاً من المصلى إلى بيوت الأصدقاء لتبادل الزيارات وإتناول بعض الأطعمة التي أعدت خصيصاً لمثل هذا اليوم من الحلوى والأكلات الشعبية وغيرها.

أما على مستوى الدولة، فكان السلطان يجلس في يوم العيد في أحد بساتين القصر لتقبل التهاني من المهنئين بالعيد، وكانت تقام لهذه المناسبة الموائد السلطانية من جميع أنواع الأطعمة وكان السلطان يتناول طعام العيد مع قادة الجند وكبار رجال الدولة من وزراء ويدعى أيضاً كبير الحجاب وغيره.

ويصف البيهقي عيد الفطر في مدينة هراة، وهي أحدى المدن الخراسانية التي كان السلطان يتخذها منتجعاً له في بعض فترات السنة، فيقول: صادف وصول السلطان إلى هراة ليومين باقيين من رمضان، فنزل الجوسق المبارك حيث أقيمت مراسم عيد الفطر، وزينت مباني القصر والحديقة بحيث شهد الجميع بأنهم لم يروا الملك عيداً مثله، فقد مد سماط للسلطان في المبنى الجديد الذي أنشيء في الحديقة العدنانية، كما أعدوا موائد أخرى في البساتين للقادة ومقدمي الفرسان، بينما كان الشعراء ينشدون الأشعار[١].

كذلك كان السلطان يحتفل بالعيد بين الجنود والقادة في أحد المعسكرات كما حدث في عام ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م، وقد أعدت العدة للاحتفال بيوم العيد في معسكر شابهار، وبعد أن أدى السلطان صلاة العيد مع كبار القادة والوزراء ورجال الدولة، حضر استعراض الجيش بجميع قواته، ثم جلس إلى المائدة ومعه الأمراء والوزراء والقادة وأمراء الديلم وعظماء البلاط، وجلس الآخرون على موائد أخرى، ثم أنشد الشعراء الأشعار وتلاهم المطربون بالغناء، ودارت الكؤوس بحيث انصرفوا من على الموائد وهم سكارى[٢].

عيد الأضحى:-

وهو من الأعياد الإسلامية التي كانت لها منزلة خاصة لدى المسلمين في خراسان وكان يبدأ الاحتفال به ليلة التاسع من ذي الحجة بالوقوف على عرفة، يوم العيد يؤم أحد العلماء

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٧، ٤٨.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٦٧، ٥٦٨.

الناس لصلاة العيد، ويلقي عليهم خطبة في فضائل العيد، وما يجب على المسلمين مراعاته للمحافظة على شعائره ولا عجب فقد كانت مظاهر الإسلام تتجلى في الاحتفال بعيد الأضحى في البلاد الإسلامية وخراسان، وخاصة في نيسابور وهراة وبلخ.

وكانت بعثة الحج في الدولة الغزنوية يرأسها أحد الأعيان أو قاضي القضاة، وكانت البعثة تعبر طريقها في أراضي الخلافة العباسية للذهاب إلى الأراضي المقدسة فيعتبر المؤرخون أن موسم الحج كان من أعظم المناسبات في بغداد، حيث كان يهرع الناس فيه إلى الفرجة لقدوم ضيوف الرحمن وتستمر هذه المظاهر عدة أيام نظراً لقدوم مجموعات جديدة من الحجاج، فيخرج البغداديون للترحيب بهم ومعظم هؤلاء الحجاج من مناطق خراسان الذين ينزلون في بغداد ويجعلونها محطة لهم، ثم يتحركون من باب الكناسة في مواكب تضم حامل الأعلام والطبول متوجهين نحو أراضي الحجاز[1].

وكانت هذه المجموعات من الحجاج تسير على نظام القوافل ويحرسها عدد من المسلمين، إلا أنها كانت تتعرض لغارات الأعراب والقرامطة، وفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي هاجم أبو طاهر القرمطي قافلة الحجاج ونهب وسلب بعضهم ومات أكثرهم عطشاً وجوعاً، وفي عهد الخليفة الراضي تم الاتفاق مع القرامطة على خفارة الحج فكان يفرض على الجمل خمسة دنانير وعلى المحمل سبعة دنانير، وكان مبلغ ما دفعته الدولة على بذرقة الحج خمسين ألف دينار، ومع ذلك فإن الاضطرابات عادت في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي وبطل الحج من العراق، فتوقف فيها الحجاج الخراسانيون (٤٠٢هـ/ ١٠١٢م) –لفساد الطريق، وفي سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م هلك الحجاج بسبب المياه وفسادها فوصل إلى بغداد ستة آلاف من أصل عشرين ألفاً، وذكر ابن الجوزي أن الحج تأخر واضطرب لأن السلطة في بغداد لم تتفق مع الأعراب على تأمين الحجاج[2].

والحج حسب المتعارف عليه زيارة وتجارة، فكان التجار الخراسانيون يتخذون من بغداد مركزاً تجارياً هاماً، يحملون بضائع المشرق إلى بغداد، ومن ثم يحملون البضائع البغدادية إلى الحجاز، وذكر المقدسي أن الحجاج كانوا يدفعون مكسا في بغداد عند عودتهم

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٢، ج٧، ص٢٦٢، ٢٧٦.

(٢) مؤلف مجهول: الحدائق والعيون، ج٤، ص ٢٥٧.

ابن الجوزي: المنتظم، ج٦، ص٢٩٦، ج٧، ص٢٦٢–٢٦٣و ٢٧٦.

من الحج للمحمل ستين درهما، وكان الخليفة يتشاور مع الوفود ورؤسها في أمور بلادهم، وأحيانا كان يتلو عليهم أوامره الإدارية، كما تلا المعتضد على مسامع حجاج خراسان ٢٨٥هـ أمره بتولية عمر بن الليث الصفار بلاد ما وراء النهر وعزل الأمير الساماني منها، وكذلك كان الخلفاء يحملون رؤساء الوفود رسائل إلى السلاطين والأمراء كما رأينا في وفد القاضي الصاعد عندما اجتمع به الخليفة وحمله رسالة إلى السلطان محمود بعد عودته من الحج(١).

أما الاحتفال بعيد الأضحى على مستوى الدولة فيذكر البيهقي في أحداث عام ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨- ١٠٣٩م أن السلطان مسعود قد أمر رجاله في مدينة هراة بالاحتفال بعيد الأضحي بشيء من الأبهة والعظمة نظراً لما حققه الجيش الغزنوي من بعض الانتصارات على السلاجقة في عدة مواقع، فخرج إلى الميدان كثير من الفرسان والرجالة بكامل أسلحتهم، ثم أقيمت الموائد وقدم الشراب، وبعد ذلك استعرض السلطان الجيش في صحراء خداهان، وقد أقر كل من رأى هذا الاستعراض أن يشيد بقوة الجيش وسلامة ما كان يقال عنه من حيث عدم استطاعته الصمود أمام السلاجقة لصد هجماتهم وعدوانهم على البلاد والعباد، وهذا ما جعل السلطان يخوض معارك ضارية ضد السلاجقة طوال العام. وعندما أقبل عيد الأضحى عام ٤٣١هـ/١٠٤٠م كان السلاجقة قد أنهكوا الدولة الغزنوية، وألحقوا بها عدة هزائم فادحة وأدى ذلك إلى الغاء الاحتفال بالعيد، واختصر السلطان مراسم العيد بالصلاة، ونحر الأضحية، وكان العيد هادئاً وحزيناً، وعاد المهنئون إلى بيوتهم متشائمين(٢).

(٢) الأعياد الفارسية القديمة (النوروز -المهرجان- السدق):-

ورثت الدولة الغزنوية حضارة الفرس، وتأثرت بحضارة العرب وأساليب اللهو في هذه الأمم، كما تأثرت بالأمم التي اتصلت بها من ترك وهنود وصينيين، وتجمعت الأموال في أيدي سلاطينها وأمرائها وجباة الخراج فيها، فكثر المترفون المنعمون، فللقوم في الاحتفال بأعيادهم آداب وفنون من الترف.

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٣١٣و ٣١٤و٣١٨و ٣٢١.
محلية رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص١١٧، ١١٨.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٤٨و ٧١٦.

فالنوروز[1]. كان أعظم أعياد الفرس وأجلها، يتميز على المهرجان[2]. بأنه استقبال السنة، وافتتاح جباية الخراج، وزمن تولية العمال واستبدالهم وضرب الدراهم والدنانير، وتذكية بيوت النيران، ورش الناس بعضهم بعضاً بالماء، وتقريب القربان وتشييد البنيان، وما أشبه ذلك[3].

وفي عيد النوروز كان الناس يغتنمون الفرصة، ويلتمسون الراحة من عناء الأعمال التي كابدوها طوال العام، ويشعرون بأن لأبدانهم حقاً عليهم، فيأخذون نصيبهم من المتعة، ويشعرون بالسعادة والطمأنينة، ويتسلخون لفترة من حياة الهموم والعناء، ويخلدون الراحة والاستجمام حتى يعود للجسم بناؤه، وللفكر نشاطه، وللعقل قوته، لأن متابعة العمل من غير راحة، ولو لفترات متباعدة يورث الجسم الكلل، والنفس الملل، وذلك أخطر شيء على حياة

---

(١) النوروز: كلمة فارسية مركبة من لفظين: أولهما "نو" بفتح النون أي "الجديد" وثانيهما – "روز" أي "اليوم". إذن فكلمة "نوروز" في اللغة تأتي بمعنى "اليوم الجديد".

وأما في الاصطلاح فتطلق على عيد رأس السنة الفارسية الذي يقع في اليوم الأول من شهر فروردين الموافق ٢١ مارس إلى أول فصل الربيع.

ويعتقد الفرس بأن النوروز هو أول يوم من الزمان، وبه يبدأ الفلك في الدوران –يقول زكريا القزويني: "زعموا أن الله تعالى في هذا اليوم أدار الأفلاك، وسير الشمس والقمر وسائر الكواكب، واسم هذا اليوم هرمز، وهو– إسم من أسماء الله تعالى قالوا في هذا اليوم قسم الله السعادات لأهل الأرض– من ذاق صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكر، وتدهن بالزيت، رفع عنه البلاء في عامة سنته، ويتفاءلون بما وقع لهم في هذا اليوم.

زكريا بن محمد بن محمود القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات نشر مكتبة محمود توفيق القاهرة بدون تاريخ، ص٧٣.

فؤاد عبد المعطي الصياد (دكتور): النوروز وأثره في الأدب العربي، بيروت، ١٩٧٢، ص١٣، ٢٥.

(٢) "المهرجان" كلمة فارسية معربة أصلها "مهركان"، كان من الأعياد الفارسية الهامة. وليس أدل على ذلك من أن كلمة "مهرجان" صارت تطلق في العربية على كل احتفال هام أو اجتماع عظيم. وهذا العيد في الحقيقة يلي في الشهرة عيد النوروز. وكان الإيرانيون يحتفلون بهذا العيد أيضاً منذ أقدم العصور، وذلك في اليوم السادس عشر من شهر مهر.

فؤاد الصياد: النوروز، ص٢٥.

(٣) أبو عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب التاج، تحقيق أحمد زكي، طبعة المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، ص ١٤٦.

أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزج، ١٩٢٣، ص٢١٥.

الإنسان وسعادته[1].

وكان من بين العادات المستحبة التي صاحبت عيد النوروز، تقديم الهدايا كرمز لتأليف القلوب بين الناس، وكوسيلة لتجديد الروابط المعنوية بينهم وبين حكامهم، وكان العميد سوري والي خراسان يغتنم هذه المناسبات لإرسال الهدايا القيمة، حتى يكتسب سمعة طيبة لدى السلطان لأن الهدية على حد تعبير الجاحظ تجلب المودة، وتزرع المحبة، وتغنى الضغينة، وتصير البعيد قريباً، والعدو صديقاً، والبغيض ولياً، والثقيل خفيفاً[2]

ويذكر البيهقي أن السلطان مسعود عندما عزم على السفر إلى خراسان على أثر وفاة أبيه أرسل رسولاً إلى علاء الدولة أبي جعفر كاكو -حاكم أصفهان- لمفاوضته في إبرام معاهدة ود وصداقة، وبعد مفاوضات استمرت ثلاثة أيام، استقر الرأي على أن يكون خليفة الأمير مسعود في أصفهان أثناء تغيبه عنها، وأن يؤدي عن كل عام مائتي ألف دينار هروي، وعشرة آلاف ثوب من منسوجات تلك البلاد، ومن الخيول العربية والبغال المسرجة،ومن كل نوع من معدات السفر، وذلك فضلاً عن أنوا ع الهدايا في النوروز والمهرجان[3].

أما في سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م فقد جلس السلطان مسعود للاحتفال بالنوروز. وكما أعطى المحتفلون هذا اليوم حقه من الاهتمام، وقدم الموالي الهدايا، فبادلهم السلطان إياها اتباعاً للرسم، ودار الشراب واشتغل الطرب، فوق ما يتصور، لأن السلطان لم يكن يتناول الخمر منذ توبة جيلم[4] حتى هذا الوقت[5].

وفي سنة ٤٣١هـ/ ١٠٤١م جلس السلطان للاحتفال بالنوروز، وقدمت إليه هدايا كثيرة، وأقيمت زينات بهيجة، واستمع للشعراء، فقد كان منشرحاً مسروراً إذ خلت هذه الفترة من الأحداث،وفي هذا العيد أمر بالصلات للحاضرين، وكذلك للمطربين، كما شفعوا

---

(١) فؤاد الصياد (دكتور): النوروز، ص٣٦.

(٢) أبو عمرو بن بحر الجاحظ: المحاسن والأضداد، نشر المكتبة التجارية القاهرة، ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م، ص٢٧٩.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٥، ١٦.

(٤) جليم نهر كبير بين بشاور ولاهور ويقطع ولاية كشمير وهو أحد أنهار البنجاب الخمسة الكبيرة. البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٧٩.

(٥) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٨١.

للشاعر مسعود الرازي في هذا اليوم، فأمر السلطان له بثلاثمائة دينار مع كتاب منه يتقاضى ألف دينار شهرياً من معاملات جيلم[1].

أما بالنسبة لعيد المهرجان، فكان الإيرانيون يحتفلون بهذا العيد منذ أقدم العصور وذلك في السادس عشر من شهر "مهر"، والمهرجان هو دخول الشتاء وفصل البرد، على عكس النوروز هو ابتداء فصل الربيع إذن بدخول الحر.

والقلقشندي يفسر كلمة "مهرجان" بقوله إن "مهر" بالفارسية معناها "حفاظ" و "جان" معناها الروح، وفي ذلك يقول عبيد اله بن عبد الله بن طاهر:

إذا ما تحقق بالمهرجا ... ن من ليس يعرف معناها غاظا

ومعناه أن غلب الفرس فيه ... فسموه الروح فيه حفاظا

على أن البيروني[2] يعطيني تفصيلاً أكثر دقة بالنسبة لعيد المهرجان فيروي في كتابه "الآثار الباقية": "إن اليوم السادس عشر من شهر مهر عيد كبير يعرف بعيد المهرجان وفيه يلتقي إسم اليوم مع اسم الشهر، قيل أن مهر اسم الشمس –وأن– الشمس ظهرت للناس في هذا اليوم، وهو لهذا ينسب إليها، وفي عهد الملوك الساسانيين كانوا يضعون على رؤوسهم في هذا العيد تاجاً شبيهاً بالشمس، كما أنهم كانوا يقيمون أسواقاً واحتفالات كبيرة بهذه المناسبة السعيدة. وقد جرت العادة على أن يحتفل الإيرانيون بهذا متبعين في ذلك رسوماً وعادات كثيرة تشبه تقريباً ما كانوا يسيرون عليه في الاحتفالات بعيد النوروز فهذا العيد مثل عيد النوروز قسمان: أحدهما يقال له مهرجان العامة ويقع في السادس عشر من شهر مهر، والآخر مهرجان الخاصة، ويقع في اليوم الحادي والعشرين من هذا الشهر وكان مذهب الفرس في المهرجان أن يدهن ملكهم بدهن البان تبركا، وأن يلبس القصب والوشي، ويتوج بتاج عليه صورةالشمس، ويكون أول من يدخل إليه الموبذان بطبق فيه أترجة وقطعة سكر ونبق وسفرجل وعناب وتفاح، وعنقود عنب أبيض وسبع طاقات آس ثم تدخل الناس على طبقاتهم لتهنئته بالعيد وتقديم الهدايا ثم يعم الفرح والسرور الجميع.

وقد تجلت روعة الاحتفال بهذا اليوم في العهد الغزنوي، إذ أبدى السلطان مسعود

---

(١) نفس المصدر: ص٦٧٣.

(٢) أبو الريحان البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص٢٢٣، ٢٢٤.

اهتماماً كبيراً بعيد المهرجان، فكان يجلس السلطان للمعايدة ولتقبل التهاني والهدايا من الوزراء والأمراء والولاة، ولذلك يروي البيهقي احتفالاتهم بهذا اليوم بقوله: "وفيه يأكلون الدجاج المشوي على السفور والخصى والبيض المسلوق وما يلزم في المهرجان من المحمرات والسميط، وجلس أعيان الدولة والندماء في المجلس وبادروا جميعاً إلى اللهو والطرب، وكانوا يتناولون الطعام على طريقة الاستلات (أي بأصابعهم)، ثم دارت أقداح الشراب، كما عزفت القيثارة وآلات الطرب وأخذ المطربون في الغناء، فكان يوماً عظيماً يليق بملك مثل السلطان مسعود"[1].

ومن الأعياد الفارسية التي كانت تحتفل بها خراسان عيد السدق أو سده[2]، فكان يحتفل به في اليوم العاشر من شهر بهمن[3]. وستتهم فيه إيقاد النيران، وجاء في بعض المصادر أن سبب تسمية هذا العيد "بالسدق" أو "سدة" يرجع إلى أنه لما كانت المدة بين هذا العيد وبين النوروز خمسين يوماً وخمسين ليلة، أطلقوا عليه هذا الاسم.

أما عن الرسوم والعادات المتبعة في هذا العيد، فإن الأمر الذي لا شك فيه أن هذا العيد في مختلف العصور كانت له بهجة وروعة، فمن خلال الروايات العديدة والأشعار الكثيرة نستطيع أن نتبين أن السدق من حيث الأهمية والعظمة يضارع النوروز والمهرجان، وكانت تشعل فيه النيران بكثرة هائلة حتى كان يرى لهيبها على بعد فراسخ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى وقوعه في فصل الشتاء واشتداد البرد. وفي هذا العيد كان الناس يلهون ويمرحون ويأكلون اللوز والجوز ويعكفون على الشراب فرحين مستبشرين، ويبادر الملوك والأمراء والناس على اختلاف طبقاتهم بتهيئة جميع وسائل الوقود ووضعها في الميادين العامة وعلى أسطح المنازل وقمم الجبال وفوق التلال، والأماكن المرتفعة ثم تشعل فيها النيران فتنطلق

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٤١،٥٤٠،١٦.

(٢) ولفظة "سدة: مركبة من جزأين الأل سد أي صد بمعنى مائة والثاني الهاء التي تفيد النسبة والاتصاف. فمعنى الكلمة إذن المنسوب إلى العدد مائة، وترد هذه الكلمة في المعاجم الفارسية بمعنى النار المشتعلة المتأججة التي كانت توقد قديماً بمناسبة الاحتفال بهذا العيد، وربما جاء هذا المعنى المجازي لكلمة "سدة" بسبب النيران التي جرت عادة الفرس على أن يشعلوها في هذا اليوم.
حسن مجيب المصري: المعجم الفارسي العربي الجامع، القاهرة ١٩٨٤، ص٥٠٢.
محمد التونجي: المعجم الذهبي، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٢٨.

(٣) الذي يصادف ليلة الحادي عشر من شهر بهمن من شهور الفرس (يناير -فبراير).

ألسنتها إلى عنان السماء، بحيث أن لهيبها يرى على بعد عدة فراسخ، وذلك مثل عيد السدق الذي احتلف به السلطان مسعود في ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م، إذ يروي البيهقي روعة الاحتفال بهذه الليلة فيصور لنا لهيب النيران المتوهجة بأنها كانت ترى على بعد عشرة فراسخ. وإن هذا العيد كان من أهم أعياد النار، وإن الفرس في مسائه كانوا يتبخرون لطرد السوء حتى صار في كل رسوم الملوك، كما كان من عاداتهم إبقاء النيران في ليلته، وإرسال الوحوش فيها وتطيير الطيور في لهيبها والشراب والتلهي حولها.

كذلك يصف البيهقي هذا العيد فيقول: " وكان عيد سده قد اقترب فساقوا إلى الصحراء جمال السلطان، وكل جمال الجيش، وأخذوا في جمع حطب الطرفاء ليوم سده، ثم ساروا وأحضروا عيدان الحطب، وألقوها في صحراء بها نهر كبير مملوء بالثلج فتراكمت وأصبحت كالقلعة، وأقاموا عرائس من الخشب وملأوها بالطرفاء، ثم جمعوا أكواماً أخرى كثيرة حتى صارت كالجبل ارتفاعاً، وأتوا بكثير من المعدات والطيور وما يلزم ليلة هذا العيد من الحاجيات.ولما حل العيد جلس السلطان في الليلة الأولى في مخيم أعد له على شاطئ النهر، وجاء الندماء والمطربون، وأشعلوا النار، وأطلقوا الطيور المبللة بالنفط، وأطلقوا الوحوش التي أحاط بها الثلج فكانت تجري وقد علقت بها النار[1].

(٣) العادات والتقاليد:-

هناك بعض المظاهر الخاصة لحياة الغزنويين لم يتحدث عنها أغلب المؤرخين بشئ من الدقة والتفصيل إلا أن البيهقي مؤرخ عهد السلطان مسعود قام بوصف هذه المظاهر الاجتماعية لنا سواء على الصعيدين الرسمي والشعبي، فوصف المراسم والعادات والتقاليد والمواكب في العصر الغزنوي، وخاصة ما يختص بعصر السلطان مسعود.

وكان الخراسانيون يهتمون بإقامة حفلات كبرى لاستقبال مقدم السلطان أو الوفود التي كانت تفد إلى الدولة من الخلافة العباسية أو من الدول المجاورة، فحينما توجه السلطان إلى خراسان لتولي مهام الحكم في غزنة، خرج أهل نيسابور بجمع طبقاتهم لاستقباله وألسنتهم تلهج بالدعاء له، فكان القراء يرتلون آيات الذكر الحكيم، بينما ازدانت الأبنية والعمارات بأبهى معالم الزينة، وفرشت بالفرش الثمينة التي أعدها الوزير حسنك خصيصاً

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٦، ١٧، ٤٧٠، ٤٧١، ٥٣٨.

لمثل هذه المناسبات[1].

كذلك لم يقتصر استعداد الجند على التعبئة والسير لرؤية السلطان، بل ارتفعت أصوات الطبول وعلا نفير الأبواق وشقت نداءات الرجال عنان السماء تحية له، ثم بدأت الجنائب تسير بكامل أسلحتها ودروعها والغلمان المجهزون بالعلامات والمطارد وخيل الخاصة بكثير من الفرسان والرجالة، وفي اليوم التالي اعتلى السلطان العرش، فاستقبل القضاة والفقهاء والعلماء وتكلموا في التهاني والتعازي ثم وعد الجميع بالعدل والإحسان بين الناس والنظر في المظالم يومين في الأسبوع على أن تفتح أبواب الولاية دون تفريق بين الشريف والوضيع، فيعرض كل صاحب مظلمة ظلامته، فينظر القاضي فيها ويحكم بالعدل، دون أن يتجشم أي عناء[2].

ومن مراسم المجاملة التي حرص عليها الخراسانيون في العصر الغزنوي، استقبال الوفود ومنها وفد الخلافة العباسية، فعندما تولى السلطان مسعود مقاليد الحكم في خراسان، جاءت الأخبار بوصول رسول الخليفة القادر بالله قرب بيهق، حاملاً التهنئة والصلات للسلطان بهذه المناسبة، فسعد السلطان مسعود بتلك الأخبار، وأمر رئيس مدينة نيسابور بإقامة أقواس النصر ومراسم الابتهاج، حتى أصبحت المدينة في أبهى الحلى من الزينة، كما أقيمت المهرجانات وسرادقات الأنس والطرب من أبواب المدينة إلى مبنى مسجد الجمعة الذي أعد خصيصاً لنزول الرسول، وعندما قدم استقبل في موكب عظيم وأبهة فائقة، وكان الناس ينثرون على الموكب الدراهم والدنانير والسكر وغيرها، في حين أن أهل الطرب والمجون يبدون العجائب من فنونهم، بينما مدت السماط وكان فيه ما تشتهيه الأنفس ومما لذ وطاب، وبعد أن فرغوا من الطعام، جيء بما لا يحصى من النزل مع عشرين الف درهم من الفضة برسم هدية الحمام، مما أدهش الرسول لكثرة تلك الهدايا وأثنى السلطان على أهل نيسابور لنبلهم وكرم ضيافتهم لهذا الوفد[3]. ثم بدأ حفل تنصيب السلطان مسعود للسلطنة، فتلا رسول الخليفة المنشور والرسالة ثم فتحوا الصناديق وأخرجوا الخلع منها، وارتدى

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٣٢١.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٦، ٣٧.

(٢) نفس المصدر، ص٣٦.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ص ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٣٩٢.

مسعود الخلعة وصلى ركعتين حمداً لله على توريث الخليفة إياه ملك أبيه بتمامه(١).

كذلك كان لتنصيب الوزراء في الدولة الغزنوية مراسم خاصة لتعيينهم، فعندما أسند السلطان مسعود الوزارة للخواجه أحمد بن الحسن الميمندي، استقبله في القصر، وتقدم الوزير نحو الحضرة يتبعه الوجوه والأعيان والمقدمون والموالي والحشم وأدوا جميعاً فروض الطاعة، ثم أقسم الوزير اليمين أمام السلطان قائلاً: "بسم الله الرحمن الرحيم" إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم". أقسم بالله العظيم الذي يعلم السر والعلانية، بأن أكون صادقاً مع السلطان العظيم أبي سعيد مسعود بن محمود -أطال الله بقاءه- في القلب والنية وأن أصادق أصدقاءه وأعادي أعداءه وأن أبذل سعيي وجهدي لكل ما يعود لصالحه وصالح أولاده والأمراء والحشم الخاص به، وأن أكون مخلصاً لجيشه وماله وملكه، ولا أتساهل مع العابثين والمرتشين والمخالفين، وإذا خالفت هذا اليمين يجب علي الحج ثلاث مرات، ويكون كل مالي وأملاكي ملكاً للسلطان والدولة(٢).

ومن العادات الاجتماعية ارتداء البياض في مناسبات الحداد، ويذكر البيهقي أن الأمير مسعود جلس للعزاء في وفاة أبيه مرتدياً قباء ورداء وعمامه بيضاء، وحضر كل الأعيان ورؤساء الجند للعزاء مرتدين البياض، أما في أوقات العمل والمناسبات الخاصة والعامة. فكان الغزنويون يرتدون الملابس الفاخرة، فعندما وفد إلى السلطان مسعود رسول من الخلافة العباسية كان يحمل معه الهدايا والخلع الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، وكانت من ضمن هذه الخلع الملابس من الديباج الأسود المطرزة بالذهب وألبسة بغداد الثمينة، وتيجان مرصعة بالجواهر والفيروز، وكان من عادة سلاطين الغزنويين أنهم لا يضعون على رؤوسهم التيجان إلا في الحفلات الخاصة كحفلة تنصيب أحدهم للحكم، أما في الأيام العادية فإنهم كانوا يضعون على رؤوسهم العمامة، فمن هنا نجد أن الخليفة القائم بأمر الله قد بعث ضمن

---

(١) وكان المنشور ينطق بأن ما كان في حوزة أبيه، يمين الدولة وأمين الملة، قد فوض أمير المؤمنين أمرها إليك، وأن يكون لك كل ما فتحته من الري والجبال وأصفهان وطارم والنواحي الأخرى، وكذلك كل ما تفتح بعد ذلك من ممالك المغرب والمشرق وحمل الرسل هذه الرسائل، وأقيمت الخطب في كافة البلاد باسم السلطان مسعود.

البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٧.

(٢) العقيلي: آثار الوزراء، ص١٨٥، ١٨٦.

الهدايا والخلع عمامة قد لفها بنفسه ليضعها على رأسه بعد التاج، ثم أمره بأن يسل سيفه على الزنادقة والقرامطة، وأن يحافظ بهذه السيرة على البلاد والعباد، كما كان والده يمين الدولة يحارب به أعداء الدولة العباسية وأعداء الدين[1].

أما عن ملابس الأمراء فيذكر البيهقي أن الأمير مردانشاه لبس في حفلة زواجه قباء من الحرير الأسود الموشى باللؤلؤ، وقلنسوة ذات أربعة أركان محلاة بالذهب ومرصعة بالجواهر، كما كان الوزراء يمنحون الملابس والخلع عندما تسند إليهم الوزارة، وكان البياض هو اللون الخاص بهم، وقد منح السلطان مسعود وزيره، أحمد بن الحسن الميمندي قباء سقلاطونياً بغدادياً ناصع البياض عليه نقوش دقيقة[2]. أما السواد فكان اللون الرسمي لملابس الحجاب، وقد أورد البيهقي عدة إشارات في كتابه عن الخلع والملابس التي كانت تمنح للحجاب فيقول: "عندما استقر رأي السلطان مسعود على منح منكيتراك منصب الحجابة، أمر بأن يلبسوه السواد ويخلعوا عليه خلعة فاخرة"[3].

أما خلعة العسكريين والولاة، فكانت تحتوي على عدة أشياء، فقد أهدى السلطان مسعود لقائده أحمد ينالتكين خلعة فاخرة من بينها حزام ذهبي وقبعة ذات ركنين مصاغة بألف مثقال، أما خلعة الولاة فكانت عبارة عن قلنسوة ذات ركنين ولواء وحلة مطرزة وجواد وسرج وكمر من ذهب[4].

كذلك كان الندماء يحضرون مجالس السلاطين والوزراء، ويلبسون الأثواب الزاهية المصقولة، أما الأعيان والفقهاء والقضاة، فكانوا يلبسون المبطنة، والطيلسان الأسود والدراعة السوداء، والقلانس المستديرة الضخمة، حتى منتصف القرن الرابع الهجري، ثم أبدلت بالعمائم السود المصقولة، إلا أن علماء مدينة مرو ظلوا يحملون الطيالس على حد الكتفين، أما أهل خراسان بصفة عامة فكانوا يلبسون الملابس الثقيلة والخفيفة حسب فصول السنة وكان من عادتهم لبس الميازر لدخول الحمامات[5].

---

(١) البيهقي:تاريخ البيهقي، ص٤٦، ٣٩٢.
(٢) البهيقي: تاريخ البيهقي، ص١٦٥، ٥٧٠.
(٣) نفس المصدر ص ٤٦.
(٤) نفس المصدر، ص٣٩٥، ٥٢٨.
(٥) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٢ ص٣٥٢.

عادات الغزنويين في حفلات الزواج:-

كان الغزنويون يبالغون في حفلاتهم عند زواج السلاطين والأمراء، فحينما وافق السلطان محمود على تزويج ابنته لوالي جرجان -منوچهر بن قابوس- بالغ كل من السلطان ووالي جرجان في الاحتفال بهذه المعاهدة، حيث سار موكب العروس بما يشبه المظاهرة من غزنة ماراً بأملاك الغزنويين، يتقدم هذا الموكب البهيج كبار رجال الدولة الغزنوية أمثال الخواجه علي ميكائيل وأميرك البيهقي وغيرهما من المقربين للسلطان لتوصيل العروس مكرمة إلى مقر زوجها في جرجان[1].

كذلك بالغ السلاطين والأمراء في شأن الصداق، فيذكر ابن الجوزي، أن أحد الغزنويين دفع في إحدى بنات أمراء السلاجقة أربعمائة ألف دينار، ويتجلى الترف والبذخ أيضاً خلال حفلات الزواج، فقد ذكر البيهقي: أن جهاز ابنة باكاليجار -والي طبرستان وجرجان- عندما زفت إلى السلطان مسعود فاق حد الوصف بما ضمه من تحف ونفيس الجواهر، فقد زفت العروس على سرير كأنه البستان، وكان ضمن جهازها أرضية من نسيج الفضة المزخرفة، وقد اجتمعت عليها ثلاث أشجار من الذهب، أوراقها من الفيروز والزمرد، وثمارها من أنواع اليواقيت، ويحيط بهذه الأشجار الثلاث عشرون من آنية النرجس وأصناف الورود والرياحين، كلها من الذهب والفضة وأصناف الجواهر، ومن حول هذه الآنية طبق من الذهب مملوء بالعنبر والكافور[2].

ومن عادات الغزنويين أنهم كانوا يزوجون أبناءهم في سن مبكرة، فأورد البيهقي أن السلطان محمود خطب ابنتي أخيه يوسف من سبكتكين لوليه محمد ومسعود، وكانت أحداهما قد بلغت سن الرشد، والأخرى لم تزل صغيرة، ولما توفيت خطيبة الأمير محمد، اختار السلطان محمود الصغرى لتكون زوجة له بدلاً من أخيه مسعود، وكانت هذه الفتاة في ذلك الوقت قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها، وكذلك تزوج الأمير مردانشاه بن مسعود من ابنة القائد بكتغدي سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦-١٠٣٧م، وكان حدثاً لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وقد عقد قرانه عليها في ذلك العام، ثم زفت إليه بعد أقل من عامين في أوائل سنة

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٢٥.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٩، ص٢.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤١٨، ٢١٩.

٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م[١].

أما عن حفلات الزواج، فكان الغزنويون يقيمون الزينات وأقواس النصر لاستقبال العروس، وقد بلغت هذه الاحتفالات ذروتها في مدينة نيسابور عندما استقبلت عروس السلطان مسعود وهي ابنة باكاليجار والي جرجان -فخرجت زوجات ونساء كبار رجال الدولة لاستقبال مهد بنت باكاليجار، فنثرن النقود عليها وأكرمن وفادتها، وكانت المدينة في أبهى حليها فقد زينت السراي وبيوت حسنك بالزينة حتى بلغت حداً من الجمال لا مثيل له، كما أضيئت الشموع والمشاعل، حتى بدت المدينة كأنها في طلعة النهار[٢].

وكذلك لم يكن الاحتفال بزواج الأمير مردانشاه من ابنة الحاجب بكتغدي أقل من حيث المراسم والفخامة من زواج السلطان نفسه، فعندما تم عقد قرانه، نثرت الدنانير والدراهم على الناس، ولم يبق أحد سيداً كان أو خادماً، وضيعاً أو شريفاً، قائداً أو حاجباً إلا ونال صلة السالار بكتغدي كما أصدر السلطان مسعود أوامره بالعناية الفائقة بهذا العرس، ليس كما يذكر البيهقي[٣]. لحب السلطان لابنه مردانشاه أو لتلبية رغبة زوجته والدة الأمير، وإنما رغبة في تكريم بكتغدي وإعطائه وزنه السياسي وسط رجال الدولة وقادتها[٤].

وخلاصة القول أن حفلات الزواج أو الأعياد والمناسبات الأخرى كانت تقام بشيء من الأبهة والعظمة لما كانت تتمتع به الدولة الغزنوية من الرفاهية والازدهار في عهدها الأول من حكم السلطان محمود سواء في إقليم خراسان أو في الأقاليم الأخرى، إلا أن هذه الاحتفالات بدأ يقل نشاطها وفعالياتها من إحياء الزينة وإقامة المهرجانات العامة في السنوات الأخيرة من حكم السلطان مسعود لخراسان، نظراً للتطورات الخطيرة التي طرأت على الوضع السياسي والعسكري، وكذلك الهزائم التي توالت على الجيش الغزنوي من قبل السلاجقة.

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٧٢، ٥٧٠.

(٢) نفس المصدر: ص٤١٨، ٤١٩.

(٣) نفس المصدر: ص٥٧٠.

(٤) فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٦، ص١٠٦.

هذا وهناك عادات وتقاليد أخرى في حياة الغزنويين منها:-

(١) هبة الأسنان (مزددندان):-

كان من عادة الخراسانيين عند استضافتهم ضيوف السلطان الطعام بأن يقدموا هبة أو هدية "مزدندان" أي تعب الأسنان، وقد قدم أهل بلخ سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠- ١٠٣١م عندما كان رسول الخليفة القادر بالله في ضيافتهم هذه الهدية، فقد أعدوا له مأدبة فاخرة فأكلوا، ثم قدموا له مالاً طائلاً لقاء "تعب الأسنان" مما صار له وقع حسن لدى السلطان[١].

كذلك قدم عبد الرزاق بن أحمد بن الحسن الميمندي هذه الهدية للسلطان مسعود عندما استضافه في ميمند، وقد أبدى من الخدمة والضيافة بما يليق بمقامه، كا قدم له الهدايا الكثيرة باسم منحة الأسنان، وقدم وكلاؤه منحاً كثيرة لما كانوا بصحبة السلطان[٢].

(٢) حفلة الختان:-

يذكر البيهقي في أحداث سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٣٦م أن السلطان مسعود عندما أقام في الجوسق الجديد الذي شيده بمعرفته وكانت له البصمات الطويلة في رسم تخطيطه وإتمام هندسته بيديه الكريمتين، احتفل بحفلة ختان بعض الأمراء الأنجال يوم الإثنين التاسع من شعبان من نفس السنة، وكان يوماً مشهوداً، وامتد الحفل والشراب بهذه المناسبة سبعة أيام بلياليها، وكان السلطان سعيداً ويتنزه في هذا القصر ورياضه ويشرب طرباً بهذه الأفراح[٣].

(٣) الهدايا والنثار في المناسبات والأعياد:-

كان الغزنويون يحرصون على تقديم الهدايا والنثار في المناسبات والأعياد وكان النثار أموالاً لا تحصى من ذهب وفضة وملابس غير مخيطة، وخيولاً. نجائب غالية، ويذكر الكرديزي أن السلطان محمود قد أمر رجاله بأن يقدموا من الهدايا والنثار عند التقائه بقدر خان من الأواني الذهبية والفضية، والجواهر النفيسة، والطرائف البغدادية، والثياب الجميلة والأسلحة

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٢٠.

(٢) نفس المصدر، ص٥٦١، ٥٦٢.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٢٧، ٥٢٨.

القيمة، والجياد الغالية بسروجها الذهبية وعصيها المرصعة بالجواهر وغيرها من الهدايا القيمة والكثيرة[1].

وعندما أقيمت الخطبة باسم الخليفة القائم بأمر الله في يوم الجمعة بأحد مساجد بلخ، جلس السلطان ومعه رسول الخليفة بعد الصلاة، فوضع عمال خزنة السلطان تحت المنبر عشرة آلاف دينار في خمسة أكياس من الحرير نثاراً للخليفة ثم أخذت الأموال بعد ذلك تنهال من الأمراء وكبار رجال الدولة، وكان الموكلون باستلام الهدايا والنثار يضعون كل هدية في مكان معد له، وكان ينادي المنادي باسم مهديها. وبهذه الطريقة جمعوا مقادير كبيرة من الذهب والفضة، وحملت هذه الهدايا والنثار إلى الخزانة عن طريق السوق، فبدأ التجار يقدمون الكثير من الأموال والطرائف المختلفة حتى المساء، ثم ضم هذا كله إلى هدايا السلطان والأمراء وكبار رجال الدولة فيبعث بها إلى الخليفة، كذلك كان الوزير يبعث إلى السلطان بجميع ما يهديه إليه الأفراد حين يلي الوزارة[2].

(٤) الاحتفال بختم القرآن:-

هناك إشارات لدى البيهقي تدل على وجود شخصيات قاموا بتعليم الناس القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن، ومن ذلك يبدو أن الأمراء الثلاثة محمد ومسعود ابنا السلطان محمود ويوسف بن سبكتكين قد تعلموا على جدة عبد الغفار الشخص الذي وكل إليه السلطان محمود تربية أولاده وأخيه، فكانت هذه الجدة تستطيع القراءة والكتابة وتحفظ القرآن، وكان الأمراء الثلاثة يجتمعون بها دائماً فتقص عليهم السير والأخبار والحكايات المسلية وتحفظهم القرآن الكريم، فإذا كان السلاطين يهتمون بتحفيظ أبنائهم القرآن، فإن عامة الشعب كانوا يلجأون إلى المدارس الخاصة التي تقوم بتحفيظ القرآن والعلوم الدينية في المدن والقرى والطالب الذي يختم القرآن ويحفظه، تقوم المدرسة بعمل احتفال خاص له وللذين ختموا القرآن من قبله، ويخرج التلاميذ في موكب خاص مع أفراد المجتمع إلى مقبرة البلد، وهناك يتلو الطالب عند قبر أحد أقربائه آيات القرآن، ويقرأ دعاء ختم القران ويُدعى الجميع

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٣٠٤.
(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٢، ٣٢٩.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٨٨، ١٨٩.

إلى بيت المحتفى به ليتناولوا بعض المشروبات والأطعمة الخاصة بهذه المناسبة[1]

(٤) المجالس الاجتماعية:-

(١) مجالس الطرب والغناء:-

كانت مجالس الطرب والغناء تعقد في قصور السلطلاين والوزراء ورجال الدولة وقد انتشرت هذه المجالس في عصر السلطان مسعود لشغفه وميله الشديد لها، وكان يحضرها المغنون، والمغنيات، والندماء وتقام هذه المجالس أحياناً في مناسبات معينة منها الاحتفال بتولية أمير جديد، فيغني المغنون في هذا الاحتفال، ولعل أول مرة سمح السلطان مسعود بهذه المناسبة بعد مرور خمسة شهور على وفاة والده فأمر بإعداد موائد الشراب والطرب، وأخذ المطربون في الغناء والتوقيع، وبلغ الطرب غايته، وعم السرور الحاضرين جميعا[2].

كذلك كانت تقام مجالس الطرب والغناء في الأعياد والمواسم، كعيد الأضحى والنوروز والمهرجان فيذكر البيهقي أن السلطان مسعود أمر بإعداد حفل كبير بمناسبة عيد الأضحى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٥م فأعدوا الموائد الفخمة بما يليق بمقام السلطان وضيوفه من كبار رجال الدولة والموالي والحشم، ولما جلسوا حول المائدة، أنشد الشعراء الشعر، وأخذ المطربون في الطرب والغناء، ودارت كؤوس الشراب فأصبحوا سكارى، وكان السلطان والندماء يتبادلون أطراف الحديث والشراب معاً، ولما أراد مواصلة السهر والطرب معهم، أمر للشعراء بالصلات وللمطربين بخمسين ألف درهم، وقال لهم: "أشبعونا طربا ولهواً"[3].

وهنا مناسبات أخرى كعيد النوروز والمهرجان، وكان يجلس السلطان ليستمع للشعراء والطرب، وأجاز في عيد المهرجان للجميع الاحتفال به، فاجتمع أعيان الدولة والندماء في مجلس واحد وبادروا إلى اللهو والشراب، فعزفت القيثارة وآلات الطرب. وأخذ المطربون في

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١١٥، ١١٦.
تاج الدين ابو النصر عبد الوهاب المعروف بالسبكي :طبقات الشافعية لكبرى ألطبعة الثانية،ألقاهرة،١٣٢٤هـ،ج٣،ص١١٣ .
بدر عبد الرحمن محمد: رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية، الطبعة الأولى ١٩٨٧، ص١٤٥.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٨.

(٣) نفس المصدر، ص٦٠٦، ٦٠٧.

الغناء، فكان يوماً عظيماً سعد به الجميع[1].

وكانت تقام مجالس الطرب والغناء في النزهات والرحلات الخاصة، فأقام السلطان مسعود مجلساً للطرب في رحلة على ضفاف نهر جيحون سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م واستقل سفينة وركب الخدم والغلمان والندماء والمطربون السفن الأخرى، وبعد أن تناول السلطان ومن كان بمعيته طعام الغذاء، دارت كؤوس الشراب بينهم، وعلت أصوات المطربين من السفن، بينما كان على الشاطئ أكثر من ثلاثمائة شخص من نساء ومطربي ترمذ يغنون ويرقصون ويضربون الدفوف ابتهاجاً بوجود السلطان مسعود بينهم.

سعد السلطان بهذا الاستقبال الرائع من العاملين وعامة الناس، وأمر رئيس ترمذ وعاملها بتوزيع خمسين ألف درهم على المطربين والراقصات، كما أمر بالصلات لعامة الناس ورجال القلعة الذين شاركوا في استقباله[2].

وكانت هذه المجالس الغنائية تقام في أغلب الأحيان للتسلية والترفيه، وفي هذه المجالس، يجتمع المغنون، والموسيقيون، والندماء والشعراء، وكان غناء أهل خراسان وما والاها بالشنج[3]. وعليه سبعة أوتار، وإيقاعه يشبه إيقاع الصنج[4].

ويذكر البيهقي أنهم كانوا ينشدون الدوبيت ويأتي المطربون فيعزفون على العود والبربط [5]. وكان الملوك ينامون على الغناء ليسري السرور في عروقهم، ولقد كانت عادة ملوك العجم وسلاطينها ألا يناموا إلا على غناء مطرب أو سهر لذيذة، أما المرأة العربية فكانت لا تنوم ولدها وهو يبكي، خوف أن يسري الهم في جسده ويدب في عروقه، ولكنها تناغيه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور فينمو جسده ويصفو لونه ودمه ويشف عقله[6].

---

(١) نفس المصدر، ص٥٤١.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٦١، ٢٦٢.

(٣) والشنج: ضرب من الجنك، ومنه الآلة المعروفة قديماً باسم (جنكلة) وهي من ذوات الأوتار أقرب إلى الرباب.

(٤) أبو طالب المفضل بن سلمة النحوي اللغوي: كتاب الملاهي وأسمائها من قبل الموسيقى، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة – القاهرة، ١٩٨٥، ص٢٨.

(٥) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٠٧.

(٦) أبو طالب المفضل كتاب الملاهي وأسمائها، ص٤٤.

(٢) الندماء:-

كان سلاطين الغزنويين يتخذون الندماء الأكفاء في مجالسهم، ذلك أن مجالسة هذه الفئة الملوك والكبراء وحكام الأطراف وقادة الجيش كثيراً ما تؤثر في هيبتهم وعظمتهم وتقديرهم وتزيد من جسارة أولئك معهم، ولهذا يشترط نظام الملك في النديم أن يكن كريم المعدن فاضلاً، وسيماً، نقي المذهب، حافظاً للسر، نظيف الملبس، عارفا -بكثرة- الأسمار والقصص والنوادر هزلها وجدها، حسن الرواية يعرف لكل مقام مقاله، جيداً للعب النرد والشطرنج، وجيداً لو أنه يجيد الغناء والضرب على الآلات الموسيقية، وينبغي أن يكون موافقاً للملوك دائماً، يردد "بخ وأحسنت" ما أن ينطق الملك شيئاً أو يفعله وألا ينصب من نفسه معلماً يقول "إفعل هذا". و "لا تفعل ذلك" و"لماذا فعلت ذلك؟" و "يجب ألا تفعل هذا". فهذه أمور يصعب على الملوك قبولها وتحملها، وهي تجر إلى الكراهية[1].

وكان لكل نديم رتبة ومقام، إذ خصصت أماكن لجلوس بعضهم وأماكن لوقوف بعضهم الآخر، فيما كانت العادة قديماً، في مجالس الملوك والخلفاء. وما زال هذا الرسم سارياً في الأسرات العريقة إلى اليوم، فللخليفة والسلطان من الندماء ما كان لآبائه من قبل[2].

أما السلطان الغزنوي، فكان له عشرون نديماً، عشرة جلوس، وعشرة قيام وقد حذا حذو السامانيين في هذا، فكان الندماء يحضرون مجالس الشراب والطرب، ويشاركون السلطان لهوه ومرحه، فلا تتم تلك المجالس إلا بهم، واختلفت درجات هؤلاء الندماء من وزراء وكتاب وشعراء ومغنين ومغنيات، ويقوم بتقديم الشراب عادة غلمان من الترك ويفضل السلطان أن يكونوا على درجة من الجمال، وربما فتن أحد الندماء بجمال أحد الغلمان، لكن ذلك يظهر في نوع من الحشمة تقديراً لهيبة المجلس، وذلك يعكس مجالس الأدباء والأعيان إذا كان الشاعر يكشف قناع الحياء عندما تأخذه النشوة[3].

وكان الفقيه أبو بكر الحصيري من أشهر الندماء، فقد اهتم السلطان مسعود به، فأمر

---

(١) نظام الملك الطوسي: سياست نامة، ص١٢٦، ١٢٧.

(٢) نظام الملك الطوسي: سياست نامة، ص١٢٧، ١٢٨.

البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٧٦.

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص٥٦٣-٥٦٦.

الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٤، ص٤٣٦.

أن يخلعوا عليه خلعة فاخرة مما ينعم به على الندماء، ثم قدموه للسلطان فشمله بعطفه قائلا: "لقد احتملت من أجلنا في عهد أبينا كثيراً من المتاعب والهوان، فوجب الآن إداء حقك علينا لقاء ما أديت لنا من خدمات، وهذه الخلعة هي باكورة الإنعامات التي سنشملك بها مستقبلاً.

وكذلك كان أبو نصر الطيب من جملة ندماء الأمير محمد بن محمود، كذلك كان أبو القسم خكيلك نديما للأمير يوسف بن سبكتكين، وفي سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥- ١٠٣٦م، عين السلطان مسعود الفقيه "نوح" والخواجه محمد بن منصور مشكان لمنادمة ابنه الأمير مودود[1].

(٣) مجالس الوعاظ:-

كان الوعظ يقوم مقام المدرس، ويحضر حلقته جميع أفراد المجتمع دون تمييز فيشرح لهم المسائل الشرعية ويجيب على الأسئلة التي توجه إليه، وقد حافظت مجالس الوعظ العامة، على سمعتها الطيبة طيلة القرنين الأول والثاني بعد الهجرة لأن عامة الناس كانت لا تزال، متمسكة بأهداب الدين، كما أن الوعاظ كانوا مثقفين ولهم إلمام كبير بأمور الشرع الإسلامي، مما يؤهلهم لإرشاد الناس إلى طريق الدين السليم.

هناك مجالس أخرى تعرف بالمجالس الخاصة، يحضرها الواعظ مع نفر قليل من الناس، وقد لعبت دوراً كبير في توجيههم نحو الخير والرشاد، على أن مجالس الوعاظ، لم تحتفظ بمكانتها في القرن الثالث والرابع الهجريين، إذ تعرض الوعاظ للجهال من العوام والنساء كما يقول ابن الجوزي[2]، فانصرفوا عن الانشغال بالعلم، واهتموا بالكسب المادي، وظهرت البدع على اختلاف أنواعها، وانتشرت الخرافات على ألسنة الوعاظ، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أن بعض الوعاظ، لم يكونوا على درجة كبيرة من الثقافة، كما أن فريقاً منهم، لبس الثياب الفاخرة، وخلع ثياب الزهد، وخير مثال أن السلطان محمود عندما توجه بطلب من الأمير نوح بن منصور الساماني إلى خراسان لقتال أبي علي سيمجور قال له رجاله عند وصولهم إلى منطقة من المناطق التي يمرون عليها: ويوجد بالقرب من هنا درويش يتصف

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٧٢، ٢٧٩، ٥٤٣.

(٢) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: تلبيس إبليس، بيروت، ١٤٠٢هـ ص١٢٠، ١٢١.

بالزهد والتعبد، وبإظهار الكرامات والخوارق، وهو زاهد يتخذ لباسه من جلد الغزال". ونظراً لأن السلطان كان لديه اعتقاد قوي في الصوفية والدراويش. أبدى رغبته في لقاء هذا الزاهد وقال لحسنك -أبي علي حسن بن محمد ميكال- الذي لم يكن يعتقد كثيراً في هذه الطائفة: "رغم أني أعلم أنك لا تألف اللقاء بالصوفية وأهل الطريق، فإنني أريد أن توافق على مرافقتي لزيادة الزاهد فوافق حسنك وسار في صحبة السلطان، وبكل خشوع واحترام التقى السلطان بالزاهد وأخذ الزاهد يبين له أسرار المعرفة فازداد اعتقاد السلطان بالصوفية بسماع ذلك الكلام، وقال للزاهد: "لقد أمرت الخزنة أن يعطوك كل ما تريده من النقود والمتاع!" فرفع الزاهد يديه في الهواء وملأ قبضتيه بالذهب المسكوك وضعه في يد السلطان وقال له: "كل من يستطيع الحصول على هذه الأموال من خزانة الغيب، أي حاجة له بمال المخلوق؟! فسلم السلطان تلك النقود الذهبية إلى حسنك، ولما نظر فيها حسنك وجدها جميعاً من النقود المسكوك باسم على سيمجور، وفي الطريق قال السلطان لحسنك: "لا يمكن إنكار مثل هذه الكرامات"، فرد عليه حسنك قائلا له: "حقاً فكل ما جرى على لسان الزاهد هو عين الصدق والصواب، ولا يليق بك أن تتوجه لحرب شخص يضربون النقود باسمه في عالم الغيب"، فاستفسر منه السلطان عن حقيقة هذا الكلام، فاطلعه حسنك على تلك النقود المسكوكة، فتحير السلطان وتأثر[1].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا،أن بعض الوعاظ في ذلك العهد، نظروا إلى الوعظ على أنه مهنة للمكسب أكثر منه مهنة للإرشاد، ومن ثم ضعفت القيمة الثقافية للوعظ، واتخذ الوعاظ مجالسهم، في أماكن متعددة بديلاً عن المساجد، منها المقابر وبعض المحال العامة وفضلاً عما تقدم، فإن الوعاظ أصبحوا خطراً يهدد سلامة المجتمع بإثارتهم الفتن، أو إذاعتها، وبخاصة بين أهل السنة والشيعة أو بين المذاهب السنية، كما حدث بين الحنابلة والشافعية في نيسابور، وكثيراً ما أدت هذه الفتن، إلى مقتل كثير من أنصار الفريقين[2].

(٤) الألعاب والرياضات العامة:-

يذكر البيهقي أن السلطان مسعود قد مارس أيام صباه وصدر شبابه، أنواع

---

(١) غيات الدين ميرخواند: دستور الوزراء ص٢٣٨.

(٢) أبو الفداء -مختصر تاريخ أخبار البشر، ج٢، ص٧٤.

مليحة رحمة الله: الحالة الاجتماعية في العراق، ص١٠١.

الرياضات المختلفة كالمصارعة وحمل الأحجار الثقيلة والمبارزة، وبهذا يؤكد أن البيت الغزنوي قد اهتم بهذه الرياضات حتى يتعود الأمراء على مثل هذه الأمور الشاقة وحتى لا يعجز المرء منهم إذا قابلته مهام صعاب أو ساعات شداد، كذلك كان من الرياضات الصعبة التي مارسها السلطان مسعود الصيد في أيام الثلج والبرد حتى أنه كان يترجل ويسير على الأرض، ويتحمل من هذه المتاعب ما لا يتحمله غير الحجر الصلد، لأن صيد الأسود كان يحتاج إلى شجاعة فائقة وقوة القلب ورباطة الجأش بحيث إذا ضرب أسداً ضربة واحدة أرداه قتيلا[1].

وجدير بالذكر أن السلطان مسعود كان يبارز الأسود وحده، ولا يأذن لأحد بمساعدته في ذلك من غلمانه إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك في وقت الضرورة، ويصف عبد الغفار صيده للأسود ومغالبته لها بيديه ومصارعته إياها، وهو على ظهر الفيل ويروي قصة قتله لثمانية أسود دفعة واحدة الأمر الذي دعا أبا سهل الزوزني لأن يكتب القصيدة التي يقول فيها:

السيف والرمح والنشاب والوتر	غنيت عنها وحاكي رأيك القدر
ما أن نهضت لأمر غير مطلبه	إلا انثنيت وفي أظفارك الظفر
من كان يصطاد في ركض ثمانية	من الضراغم هانت عنده البشر
إذا طلعت فلا شمس ولا قمر	وإن سمحت فلا بحر ولا مطر[2]

ويبدو أن الصيد كان من الهوايات المحببة لدى سلاطين الغزنويين من أجل الرياضة والنزهة، وكان الصيد يتم أحياناً بواسطة الفهود والكلاب والطيور الجارحة وتكون هذه الحيوانات قد تم تدريبها على الصيد، حتى إذا اصطاد ثلاث مرات، لم يأكل ما يصطاده، أما الطيور الجارحة فكانت مدربة بحيث أن المدرب إذا نادى عليها في وقت الصيد، فإنها تعود وتلبي النداء دون أن تأكل من الصيد[3].

وفي أحداث سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦-١٠٣٧، أورد البيهقي أنه في جوسق دشت لنكان

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٣١.

(٢) نفس المصدر: ص١٣٢.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٤٧.

الراوندي: راحة الصدور، ص٥٩٦.

على مسيرة فرسخ بست، وقرب صلاة الظهر أحاط الجند بساحة القصر لحشر حيوانات الصيد التي تجمع بها عدد كبير منه -وكانت هذه المنطقة تتوفر فيها حيوانات الصيد بشكل كبير حتى كان من السهل على الصياد اصطيادها- وبعد أن صافت الساحة اندفع الصيد كله إلى داخل الحديقة أمام القصر. وكانت الحيوانات أكثر من خمسمائة أو ستمائة وكانوا قد اصطادوا كثيراً منها في الصحراء بواسطة الفهود والكلاب(١).

وكانت التسلية المفضلة عند الغزنويين ركوب سفن بعض الأنهار للنزهة وكانوا يصطحبون فيها الندماء والغلمان والمطربين وتنفخ الأبواق وتدق الطبول بينما الناس يرقصون ويطربون ويلعبون بالعصي والسلاح، وقد لفت انتباه السلطان مسعود ورأى أن يجعل للرياضةموظفٌ يقوم بالإشراف على أدواتها مثل الصولجان والسلاح والحراب ورمي السهام والرياضات الأخرى.

وكذلك اهتم سلاطين الغزنويين برياضة سباق الخيل والرماية، لأنها كانت من الرياضات المحببة لدى عامة الشعب، فكانوا يحضرون ميدان السباق يشجعون المتسابقين لبلوغ أهدافهم وهم بهذا كانوا يشجعون رياضة أوصى بها الإسلام على لسان الرسول ﷺ علموا أبنائكم السباحة والرماية وركوب الخيل" فكذلك عمل المسلمون بهذه الوصية الكريمة فازداد حبهم واهتمامهم بتعليم الأبناء الرماية والفروسية حتى يستطيع الفارس منهم الدفاع عن أراضي المسلمين والدخول في الجهاد ضد الكفار الذين كانوا يقفون بالمرصاد للإسلام في تلك الأطراف.

أما الشطرنج والنرد فهما من الألعاب الفارسية القديمة التي أخذت من أصلها الهندي والشطرنج هو لعبة الحكماء وأرباب الفهم وذوي الخواطر السريعة فينبغي فيها الجهد لكي يتقنها اللاعب، لأن من يلعب رديئاً ليس له عذر قط إلا العجز والإقرار بأنه لعب رديئا.

وقد عرف المسلمون الشطرنج في عهد الرشيد، وأخذ الخليفة المأمون بعد قدومه من خراسان إلى بغداد ميلا إليه، فاستحضر كبار لاعبيه وكانوا يتوفرون بين يديه حتى ضاق

---

(١) ويذكر أيضاً أن السلطان محمود أمضى يوماً في الصيد في هذا المكان نفسه من بست حيث صاد حمار وحش فقيدوه بالحبال وأمر السلطان بأن يوسم باسمه، فوسموه وأطلقوه لأن أصحاب سير الملوك كانوا قد ذكروا له أن بهرام كور كان قد فعل مثل هذا.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٤٣و ٥٤٤.

بذلك، وقال "إن اشطرنج لا يلعب مع الهيبة. قولوا ما يقولون إذا خلوتم" كذلك رووا عنه أنه قال: "إذا لعبت النرد وخسرت فإنني أقول إن الحظ لم يكن مواتياً أما إذا لعبت الشطرنج وخسرت فما عساي أن أقول غير أني عجزت عن أن ألعب جيداً فلعبت رديئاً" وكان الشطرنج يلعب على ورقة مربعة حمراء. أما النرد فيلعب على ورقة بها إثنا عشر وأربعة وعشرين منزلاً. وقد شبه بعض الحكماء رقعة النرد بالأرض المهدةلسكانها، ومنازل الرقعة وهي أربعة وعشرون بساعات الليل والنهار[1].

رابعاً: نظام الأسرة

دخلت معظم الأسر التركية الواقعة في منطقة الشرق الأقصى في الإسلام في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكانت الأسرة الغزنوية من الأسر التي دخلت الإسلام مع دخولها في خدمةبني سامان كغلمان وأسرى حرب، ولما استطاعت هذه الأسرة استيعاب الإسلام وحضارته كونت دولة لنفسها في المشرق الإسلامي عاصمتها غزنة، ثم اندمجت مع المجتمعات الإسلامية في تلك الأطراف، وكان المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت قد اتسم بأنه مجتمع العقيدة الراسخة على مبادئ وقيم ومفاهيم لأرقى المجتمعات في تلك المنطقة.

ثم بدأت الأسرة الغزنوية في بداية عهدها بالتعاون والانضباط بروح الدولة القوية في ظل الإسلام ومبادئه، فخضع لها معظم الأقاليم الإسلامية في الشرق، بل دخلت في حروب مع الكفار، وكان الفتح العظيم لبلاد الهند، ودخول جماعات جديدة من هذه البلاد في الإسلام ودينه الحنيف، جعلت كل هذه الإنجازات الدولة الغزنوية تفرض احترامها على الدول المجاورة التي صارت تهاب قوتها وتخشى بطشها فسارع بعضها إلى توطيد العلاقات المتينة معها، وبعضها الآخر لجأ إلى المصاهرة مع أفرادها أو إلى عقد معاهدات وعهود تقضي بعدم إحياء الحرب فيما بينهم، لكي تتفرغ تلك المنطقة ومجتمعاتها التقدم والرقي والبناء في ظل الحضارة الإسلامية المزدهرة في ذلك الوقت.

وبعد أن استقرت هذه الأسرة ونالت كل مقومات الدولة القوية، بدأت الخلافات الشخصية تسري بين أفراد الأسرة الواحدة حول الحكم، فنجد أن هذه الخلافات تشتد في

---

(١) الراوندي: راحة الصدور، ص٥٧٦.

محمد جمال الدين سرور: الحضارة الإسلامية، ص١٩٧.

بعض الأحيان وتتفاقم لتصل إلى المقاتلة فيما بينهم أو إلى قتل فرد من أفرادها ليصل الآخر إلى الحكم، وهذه الخلافات أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على كيان الدولة ومصالحها مما كان سبباً في إيجاد مشاكل كثيرة طرأت على النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية في كل من خراسان والأقاليم الأخرى، هذا ما سوف نفصل في الخطوات الآتية.

(١) النزاع حول الحكم في البيت الغزنوي:-

من البديهي أن الأسر الحاكمة في العهود الإسلامية المختلفة كانت لا تخلو من المنازعات حول الحكم. فلقد ظهر بين سلاطين الغزنويين نزاع حول أحقية بعض أفرادها في الحكم وهذه بطبيعة الحال هي سنة الحياة، فلعل أول خلاف ظهر حول الحكم في الدولة الغزنوية كان بين الأخوين إسماعيل ومحمود -فالأول كان حفيد البتكين مؤسس مملكة غزنة، والثاني أمه من حرائر زابلستان- ويرجع بعض المؤرخين سبب هذا النزاع إلى الأب سبكتكين الذي غير رأيه في أن يتولى ابنه الأكبر محمود حكم البلاد، فعين ابنه الأصغر اسماعيل كخليفة له في مقاطعات غزنة وبلخ، وعقد اجتماعاً مع كافة أعيان الدولة وقادة الجيش وبقية الحشم ورجال الدولة، وجعلهم يقسمون يمين الولاء له ليكون الحاكم الفعلي للبلاد من بعده.

فأراد الأمير إسماعيل أن يكسب ود الجيش في بداية عهد، فأنفق خزائن دفائن أبيه على طبقاتهم وعلى الرغم من كل ما أنفقه على الجنود، تطاولوا عليه طمعاً في المزيد، ولم يستطع أن يكفي طمعهم وطلباتهم حتى وصل بهم الأمر إلى حد مضايقته، وبذلك فقد السيطرة عليهم، وكادت أن تقع الكارثة له ولدولته، لولا تأييد الأمير منصور بن نوح السامانيه وانقاذه من هذه الورطة فاستطاع الوقوف في صراعه مع أخيه محمود الذي قدم بجيش من خراسان بعد ذلك لمطالبته بالحكم[1]. كذلك أراد الإمير إسماعيل أن يفرض نفسه على الدولة، والذي يوحي لنا أنه لم يكن القائد المحنك أو السياسي البارع حتى يمسك زمام أمور الدولة، إنه لم يكن له خبرة كافية بقيادة الجيوش على العكس من أخيه محمود الذي رزق هذه الخبرة

---

(١) مير محمد بن سيد برهان الدين خوانشاه الشهير بمير خواند: روضة الصفاء جلد جهارم، ص٩٣.
ويضيف العتبي أن الأمير سبكتكين قد عهد إلى ولده اسماعيل واستخلفه على أعماله، وأوصى إليه بأمور أولاده وعياله، وجمع وجوه قواده وحجابه على طاعته ومتابعته، والرضا بإيالته وولايته.
العتبي: تاريخ اليميني، ج١، ص٢٦٥.

لأنه خاض مع أبيه الحروب الكثيرة في الهند وخراسان، كما تعلم منه أسلوب السياسة، بالإضافة إلى أنه كسب أثناء فترة حكمه لخراسان تأييد الأمراء وحكام الأقاليم المجاورة للدولة كما كان مؤهلاً لأن يكون أميراً للدولة أكثر من أخيه اسماعيل الذي بدأ ضعيفاً في تسيير دفة البلاد[1]. ومع ذلك فإن الأمير محمد لم يتخذ في بداية الأمر القوة كحل للموقف وإنما اتبع مع أخيه اسماعيل أسلوب المصالحة والمراسلة، فقد بعث مع أبي الحسن الحمولي بكتاب التعزية وتذكيره بحق الكبر وما يجب له بحكم الزعامة على أهل بيته وتعريفه أنه منه بمنزلة العين الباصرة واليد الباطشة، وأنه إذا أراد أن يبلي في أمره فيفعل ما يرضاه ويهواه، ثم شرح له الأوضاع قبل موت أبيه قائلاً له: إن الأمير سبكتكين إنما أفرد له بالوصية لأن المنية عاجلته فلم يجد أمامه غيره فبذلك وضع الإمارة في موضع الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف المشقة. ثم اقترح عليه مقاسمة ملك أبيه فيما بينهم على أن يكون له غزنة العاصمة، على أن يحفظ عليه في بلخ وما يليها أو ينقله إلى نيسابور على ما كان يدبره من أعمالها ونواحيها[2].

لم يرض الأمير اسماعيل بما جاء في خطاب أخيه محمود من الاقتراحات والمطالب حول مقاسمة الحكم فيها بينهما، كذلك لجأ الأمير محمود إلى حل آخر تبناه حموه والي الجوزجان أبو الحارث الفريغوني وهو التوسط بينهما حتى يسكن نابض الخلاف، ويقف بهما على نقطة العدل والإنصاف، ولكن الأمير اسماعيل لم يقبل ذلك الوسيط ظناً منه أنه يعمل لصالح أخيه ولم يبق إلا أن يشهر الأخوان السلاح في وجه الآخر حتى يحق الحق بينهما فما كان من الأمير محمود إلا أن دعا عمه بغراجق وأخاه أبا المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين إلى مساعدته ومرافقته اشباع مصلحة البيت الغزنوي لما كان يرى أنه على صواب فأوجب نفسه ذلك المطلب منها[3].

لم يجد الأمير محمود حلاً غير الحرب بينه وبين أخيه لإنه وجد كل الأبواب مسدودة

---

(١) Nazim: The life and times p. 38.

ويضيف العتبي أيضاً إلى جانب أنه بدأ ضعيفاً، كان حديث السن وطري الغض لم يحتمل صعاب الحياة.

العتبي: تاريخ اليميني، ج١، ص٢٧٢.

(٢) نفس المصدر: ج١، ص٢٧٤.

محمد خواند، روضة الصفا، ج٤، ص٩٣،٩٤.

(٣) العتبي: تاريخ اليميني" ج١ ص٢٧٥ إلى ٢٧٨.

أمامه، فلذا لم تستمر المواجهة العسكرية طويلاً لأنه كان الأقوى في هذه المعارك، فلم يجد الأمير اسماعيل بدأً سوى الفرار والتحصن في قلعة غزنة، ولكن الأمير محمود برغم انتصاره في هذه المعركة، عفا عن أخيه وأنزله من القلعة بالعهود المواثيق وأخذ منه مفاتيح الخزائن واستولى على ذخائر ودفائن القلعة، وتدارك الوهن الذي حدث، وعين العمال والولاة على الأعمال، وأعاد والي غزنة إلى العاصمة، وجعل إسماعيل تحت حمايته ورعايته[1].

تاريخ السلطان محمود حافل بالأعمال الجليلة والفتوحات الكثيرة في بلاد الهند، وقد أمضى السلطان محمود أغلب مدة حكمه البالغ –اثنتين وثلاثين عاماً– في قيادة الجيوش، وكان الهدف الأصلي من وراء ذلك فتح الجهات الواقعة في شمال الهند، وكانت تتخذ حملاته سمة الجهاد ضد الهنود الوثنيين لنشر الإسلام وقد اتجه بجيوشه إلى تلك المناطق سبع عشرة مرة، ووسع بذلك الحدود الأولى لدولته، وكانت هذه الحروب والغارات التي لا نظير لها، والتي كانت تشن على هذه المناطق حتى الاستيلاء عليها متلازمة مع حمل الثروات إلى العاصمة "غزنة" وكذلك انتقال مئات الآلاف إلى هناك.

ولا شك أن أغلب انتصارات السلطان محمود إنما ترجع إلى حسن تنظيم قواته الحربية التي كانت تضم الغلمان والترك مثلما كان الحال في عهد الخلفاء العباسيين والأمراء السامانيين، فهؤلاء كانوا يكونون العماد الأساسي لقواته الحربية، ولكن محمود على خلاف العهد الماضي، استطاع أن يوجد نظاماً محكماً وإدارة حازمة لحكم هؤلاء، كما استطاع بمساعدة هولاء الجنود الغلمان أن يحرز نصراً مؤزراً، ويفتح مناطق واسعة. وفي الوقت نفسه نجح في الاحتفاظ بالكتل البشرية من سكان بلاده الواسعة الممتدة الأطراف، وأن يدخلهم في طاعته[2].

على عكس فترة حكم ابنه مسعود الذي لم يهتم بهذه البلاد الواسعة، وكان همه الوحيد الانغماس في اللهو والملذات، أما السلطان محمود فقد وقف للأعداء بالمرصاد في أي مكان، فعندما جاءت الأخبار عن تحرك السلاجقة نحو خراسان لم يهدأ له بال حتى حاربهم وقلص

---

(١) نفس المصدر: ج١، ص٢٨٢.
ميرخواند: روضة الصفا، ج٤، ص٩٤.

(٢) تاريخ إيران ازدوران باستان تاپايان سدة هيجدهم ميلادي، تأليف مجموعة مؤرخي الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص٢٦١.

من قوتهم هناك، وساد جميع البلاد والعباد الأمن والأمان، وبهذه الحقائق يجب أن نقول أن الحياة السياسية لذلك العصر قد برهنت على أن محوداً من حيث القوة والصفات الممتازة كان -بلا شك- قائداً محنكاً وحاكماً جديداً ولائقاً وممتازاً وكانت بلاده الواسعة تجتذب قوافل التجار من جميع النواحي وكان الصناع المهرة يزاولون هناك صناعاتهم وفنونهم ولا مفر من الاعتراف أيضاً بأنه في عهد حكم السلطان محمود، نالت الحضارة والثقافة تقدماً ملحوظاً ويجب أن نعترف بأن ذلك كان أوج قوة الدولة وسيطرتها.[1].

هذا وكان السلطان محمود سبعة أبناء، أكبرهم مسعود، وكان أبوه يعتمد عليه في خروجه وفي إدارة مملكته، أما محمد وهو الأصغر فكان أقل كفاءة من مسعود ولكنه كان حظياً عند أبيه، وقد وقع محمود في السقطة التي وقع فيها أبوه فعين ابنه الأصغر ليكون خلفاً له، وتجاهل الابن الأكبر الذي كان أعظم شأناً وأعلى همة، وقد فسر مسعود موقف أبيه منه بقوله" إن والدنا قد رغب عنا في أواخر أيامه، وأساء الظن بنا، ولم تكن هذه الظاهرة خاصة به، بل هي تظهر عند أكثر الملوك في أواخر أيامهم بالنسبة إلى ولاة العهود إذ يحسون أن هؤلاء سيحلون محلهم[2]

وهكذا فإن مسعود كان يرى أن الغيرة هي السبب في انصراف أبيه عنه، ولكن التاريخ يتجه اتجاهات أخرى في هذه القضية فينكر أن الصلة بين محمود وبين مسعود لم تكن طيبة، وإن الوشايات ظهرت بينهما فأعرض عنه أبوه: كما أن مسعود عرف عنه نوع من المجون جعل أباه يعرض عنه ويراه غير كفء لهذه المكانة[3].

وكذلك يرى بعض المؤرخين أن الحقد قد ملأ قلب السلطان بعد توليه الحكم وبدأ ينتقم من بعض أفراد أسرته فقتل عمه يوسف بن سبكتكين، كذلك قتل بعض الإداريين الذين عملوا في خدمة أبيه أمثال الوزير حسنك والأمير علي قريب الذي كان من أقرباء السلطان محمود وكان يحبه حباً جما، ولم يكتف بهذه الإجراءات بل سجن أخاه محمد وسمل عينيه هناك[4]

---

(١) تاريخ إيران ازدوران باستان تاپايان سدة هيجدهم ميلادي، تأليف مجموعة مؤرخي الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص٢٦١.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٨٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٩، ص١٤٩.

(٤) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٦.

بهذه الإجراءات ونتيجة للنزاع بين السلطان مسعود وبين أخيه محمد تولى حكم الدولة بعد وفاة أبيه، خلص له التاج والعرش، وصار مديناً بعرشه لطائفة من قواد الجيش ورجال الحاشية الذين قدموا له يد المساعدة في سبيل الوصول إلى العرش.

والمعروف عن السلطان مسعود أنه قد أمضى فترة شبابه في التمتع بأسباب اللهو واللذة، وقد استمر على هذه الحياة الصاخبة، وزاد اتصاله بالنساء وعكوفه على الشراب وقلما كان يعنى بتصريف شئون الدولة. وبناء على هذا صار الحل والعقد بالفعل في العاصمة والمدن بيد معاونيه من الموظفين والأعوان الذين حرموا الكفاءة واللياقة. ولم يمضِ وقت طويل حتى ظهر في جهاز الإدارة والحكم المرتشون والمعرضون، الذين يؤثرون مصالحهم الشخصية على مصالح الدولة، فصاروا يعيثون في الأرض فساداً، وكان من الطبيعي أن تجر هذه السياسة الدولة الغزنوية إلى هوة الانحطاط بل الانقراض والإفلاس.

ونحن إذا أردنا أن نحصل على معيار دقيق من الأنانية المفرطة، وقول للزور والخروج من القانون إلى آخر تلك الصفات التي كانت من خصائص عهد مسعود، فإنه يمكننا أن نلقي نظرة على حقيقة الأوضاع في خراسان التي كانت تعد أهم إقليم في الدولة الغزنوية، ففي ذلك الوقت كان حاكم ذلك الإقليم رجلاً يدعى "أبا الفضل سوري"[1].

ويتحدث أبو الفضل البيهقي عن الخصائص الأخلاقية لهذا الحاكم وعواقب تصرفاته الوضيعة فيقول: "إن سورى كان رجلاً مشهوراً بالظلم، فإنه حين أطلقت يده في خراسان استأصل شأفة أعيانها ورؤسائها واستحوذ على أموال لا تحصى، وامتد ظلمه إلى الضعفاء، وكان يقاسم السلطان، يعطيه خمسة من كل عشرة دراهم يغتصبها. أما الأعيان فقد تقطعت بهم الأسباب فكتبوا الرسائل إلى ما وراء النهر وأوفدوا رسلهم شاكين لأمراء الترك كي يغزوا التركمان بالغزنويين، وأما الضعفاء فإنهم بثوا الله آلامهم، ولم تجرؤ عيون السلطان على أن ينهوا إليه حقيقة ظلم سورى للناس، وكان السلطان، لا يصغي إلى أحد بشأن سورى، إنما كان ينظر السلطان إلى تلك الهدايا التي يقدمها له في إسراف، إلى أن ضاعت خراسان بسبب ظلمه وعدوانه[2]. ونحن لا نملك دليلاً على أن الوضع في سائر الأقاليم الأخرى في

---

(١) تاريخ إيران ازدوران باستان تابان سدة هيجدهم ميلادي، تاليف مجموعة مؤرخي الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص٢٦٢.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٤٣٧و ٤٣٨.

دولة الغزنويين، كان في حالة أفضل. هكذا بدأت الدولة تضعف نتيجة النزاع الأسري في معظم أنحاء الدولة ، فنرى تمرداً في بلاد الهند بقيادة أحمد ينالتكين، بالإضافة إلى الصراع الدموي بين السلاجقة والغزنويين حول إقليم خراسان، الذي لم ينته إلا حين تمرد بعض الجنود على السلطان مسعود في معركة دندانقان لكثرة ما خاضوا من حروب، ونادى بعضهم بإعادة الأمير محمد بن محمود للسلطة، وكان مسعود قد سمل عينيه وسجنه، فأخرجوه من السجن وسلموه الحكم، وقد أراد مسعود الاحتفاظ بأملاك دولته في الهند، وعقد العزم على ذلك إلا أن أبناء أخيه محمد سلطوا عليه غلمانهم فقتلوه انتقاماً لعزل أبيهم وسمل عينيه، ولكن الأمير مودود بن مسعود لم يغفر لهؤلاء فعلتهم، بل انتقم لأبيه من أبناء عمه شر انتقام، وأراد استرجاع ما فقده الغزنويين من أملاكهم دون جدوى، لأن الدولة اتجهت إلى الضعف فاستولى السلاجقة في الفترة بين ٤٢٨-٤٣٧ على ما كان في قبضة الغزنويين من المناطق الإيرانية ومناطق ما وراء النهر ابتداء من بلخ وخوارزم إلى الري وأصفهان، ثم استولى الغوريون على غزنة سنة ٥٥٣، فنقل الغزنويون عاصمتهم إلى ما تبقى لهم الهند واتخذوا "لاهور عاصمة لهم، ولكن سرعان ما وقع "تاج الدولة خسرو" آخر حكام الغزنويين أسيراً في يد الغوريين، فسيق إلى غزنة وهناك أعدم، وآلت أملاك الغزنويين في غزنة وفي الهند إلى الغوريين[1].

(٢) علاقة السلطان بأفراد أسرته:-

يبدو أن العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الغزنوية لم تكن جيده إلى حد ما، وهذا ما جعلنا نستنتج من خلال دراسة العنصر السابق -النزاع حول الحكم في البيت الغزنوي- فقد كان الأب ينشيء أبناءه نشأة عسكرية جيدة دون الاهتمام بتعليمهم وتثقيفهم لمواجهة الحياة والمجتمع أثناء توليهم الحكم من بعده، فنجد سبكتين في بداية عهده قد كرس حياته لتنشئه ابنائه عسكريا لكي يكونوا عوناً له ضد الاعداء على حين أهمل تعليمهم واعدادهم كإداريين في الاقاليم التي كانوا يسيطرون عليها، بالرغم من من أن هناك إشارات تدل على أن السلطان محمود قد اكتسب من أبيه خبرة إدارية في ولايته لخراسان أثناء وجوده كقائد

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦.

للجيوش السامانية في نيسابور فترة الصراعات من أجل الحكم بين السامانيين والسيمجوريين، ولكن الحقيقة اتضحت بعد ذلك وهي تثبت أن الضعف الاجتماعي لأسلوب الإدارة في الدولة التي أسسها السلطان محمد قد ظهر بسرعة بعد موته في عهد ابنه مسعود الذي استمر في الحكم (من ٤٢١ حتى ٤٣٢هـ/ ١٠٣٠حتى١٠٣١م[1].

ومع ذلك فإن سبكتكين كان محباً لأسرته ويواظب على لم شمل أفرادها، إذ دعا أمه وإخوته وأخواته إلى العاصمة غزنة بعد توليه الحكم سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م، كما كان يحب الأطفال ويقال أن إثنين من أولاده، توفيا صغيرين، بينما عاش أبناؤه محمود وإسماعيل ونصر ويوسف طيلة حياته، ويذكر المؤرخون أن سمة بكتكتين العسكرية وفوتحاته في بلاد الهند قد اكسبته مكركزاً قوياً بين أفراد وحكام الأقاليم المجاور، وتقديراً لهذه المكانة الاجتماعية استطاع بعض الأعيان ورجال الدولة أن يوفقوا بين مصاهرة بين البيت الغزنوي والبيت الغريغوني، وكان نتيجة ذلك زواج السلطان محمود من ابنة أبي الحارث الغريغوني والي جرجان الذي كان يربط أسرته أيضاً بالسامانيين برباط المصاهرة

كذلك كان السلطان محمود رحيماً بإخوانه وأقاربه بعد وفاة أبيه سبكتكين فأخوه إسماعيل ومنافسه على العرش، بالرغم من ما حصل منه من إنكار حقه في الحكم، عفا عنه السلطان محمود وجعله يتمتع بكل حقوقه في الدولة، ولكنه مع ذلك خضع للمرة الثانية لمؤامرة غادرة ضد السلطان إلا أن محموداً لم يتخذ ضده أي قرار سوى إبعاده عن العاصمة غزنة، وإرساله إلى ولاية جوزجان ليقضي حياته هناك في طمأنينة وسلام. أما أخوه أبو المظفر نصر بن سبكتكين فإنه كان من الذين انضموا إلى سلك أولياء دولة محمود عندما دعاه عمه بغراحق لطاعته في فترة المحنة التي قامت بين الأخوين محمود وإسماعيل، وكان قرار أبي المظفر أن توجه إلى محمود موالياً مخلصاً تحت رايته، وتقديراً لإخلاصه على ذلك العمل عينه قائداً لقيادة الجيوش الغزنوية في خراسان حتى توفي سنة ٤١٢هـ/ ١٠٢١ -١٠٢٢م[2].

أما أبو يعقوب يوسف بن سبكتكين فكان يافعاً أثناء وفاة أبيه، فلذا تولى السلطان محمود تربيته مع مسعود ومحمد فأسند إلي أبي الريحان تعليمهم القراءة والكتابة وتحفيظهم

---

(١) تاريخ إيران ازنوران باستان تايان سدة هيجدهم ميلادي، تأليف مجموعة مؤرخي الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص٢٦٣.

(٢) Nazim: The life and times p. 152.

القرآن الكريم، وعندما كبر كان نديماً للسلطان محمود وقلده عدة مناصب في الدولة وكان آخرها منصب قيادة الجيوش في خراسان بعد وفاة أخيه أبي المظفر نصر بن سبكتكين، كما منحه الخليفة القادر بالله لقب عضد الدولة ومؤيد الملة سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦، وعندما توفي السلطان محمود كان أحد أعضاء أمناء الملك وكبار رجال الدولةالذين كانوا قد كلفوا بأن يدعو الأمير أبا أحمد محمد، نجل السلطان محمود الأصغر إلى العاصمة غزنة، وأن يجلسوه على عرش والده(١).

وكان للسلطان محمود سبعة أبناء أبو سعيد مسعود، وأبو أحمد محمد، وأبو داود سليمان وإسماعيل، ونصر وإبراهيم، وأبو منصور عبد الرشيد، كما كان له ثلاث بنات، وقد تزوجت إحداهن الأمير الزياري عنصر المعالي كيكاووس بن إسكندر ابن قابوس صاحب كتاب قاموس نامة والثانية تزوجت حفيد قادر خان حاكم كاشغر، أما الثالثة فتزوجت حاكم طبرستان وكان يدعى منوجهر(٢). وقد حكم من أولاد السلطان محمود الدولة بعده، الأمير محمد الذي تولى الحكم بناء على وصيته، ثم السلطان مسعود الذي استطاع الاستيلاء على العرش بمساعدة طائفة من قواد الجيش ورجال الحاشية أما بقية أولاده فلم ترد عنهم أخبار في كتب التاريخ لعل ذلك يرجع إلى أنهم لم يعملوا مع والدهم أو مع الأميرين محمود ومسعود أثناء حكمهما الذي امتد أحد عشر عاماً(٣).

هذا وكان السلطان محمود أبا حنوناً على أبنائه، كما كان أخاً عطوفاً على إخوانه، فلذا أسند تربية ابنائه إلى نخبة من العلماء والأستاتذة، ومع ذلك كان يلاحظ تصرفاتهم وأعمالهم حتى لا يقعوا في الهفوات والزلات، وعندما كان يجد أحدهم قد أخطأ يعاقبه أشد العقاب ويذكر البيهقي أن السلطان محمود عزم ذات مرة على أن يسجن ابنه مسعود لوشاية كان قد دبرها الأمير محمد مع أناس يعملون معه خفية ويقومون بالتحري والتحقيق في أعمال أخيه وكانوا يعملون دائماً على إساءة سمعة الأمير مسعود لدى والده، ونتيجة لذلك كادت أن تحدث فتنة بين الأب والإبن إذا ما قصدوا الأمير بسوء لأن عدداً كبيراً من غلمانه

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١، ١١٥. Nazim: The life and times p. 152.

(٢) عنصر المعالي ليكاووس بن قابوس، قابوس نامة، ص١٢.

Nazim: The life and times p. 152.

(٣) تاريخ إيران ازدوران باستان تايان سدة هيجدهم ميلادي، تأليف مجموعة مؤرخي الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص١٣٩، ١٤٠.

قد التحقوا به حين سمعوا بالخبر، وكانوا رهن إشارته إذا طلب منهم التدخل لفك حصاره[1].

ولكن هذا الإجراء لم يمنع السلطان محمود من أن يمدح ابنه مسعوداً في كافة المحافل العسكرية ويطري شجاعته وجرأته في ميدان الحرب ويحدثنا البيهقي عن هذه الشجاعة في أحداث سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م، بقوله: "زحف السلطان محمود من مدينة بست إلى خوابين وهي ناحية من بلاد الغور تتصل بأراضي بست وداور، حيث كان الكفار أعظم قوة خبثاً إذ كانت لهم المعاقل القوية والحصون العديدة، وقد صحب معه إلى تلك المواقع الأمير مسعود الذي أبدى خلال الزحف بالغ الجرأة وعظيم الشجاعة على مشهد من أبيه فكان يقلع الفرسان من فوق الجياد، ولما لاذ جمع من الأعداء بالمعاقل والحصون، شوهد أحد قادتهم فوق برج حصن يستهزئ بالمسلمين بما يؤلم شعورهم فسدد نحوه سهماً أصابه في حلقه فسقط عن الحصن ومات لساعته فانكسرت قلوب أصحابه وسلموا الحصن، وكل ذلك بفضل ضربة الأمير النادرة وبعد أن فرغ السلطان محمود من الحرب وعاد إلى الخيمة، أنزل ذلك الشبل فيها فتناول معه الطعام وشمله بعطفه وحنانه البالغ، وقد كانت هذه المأثرة وأمثالها من أهم ما دعا السلطان لأن يختصه بولايته العهد صبياً، إذ كان لا يعرف أحداً يستطيع النهوض بأعباء ذلك الملك الواسع العظيم من بعده غير هذا الأمير . فلذا اتخذ السلطان محمود بعد ذلك ترتيب مجلسه على هذا النحو: يجلس الأمير مسعود في صدر المجلس ثم يحضرون الأمير محمد ويجلسونه إلى يمينه ويأتون بالأمير يوسف يجلسونه خارج الصدر إلى اليسار، وعندما يأخذون جلستهم يشاهدون ألعاب الصولجان، كان الأميران محمد ويوسف يقومان بخدمة مسعود، ومعهم الحاجب الخاص بالمجلس[2].

وكان السلطان محمود قد عهد إلى ريحان الخادم بتربية الأمراء الثلاثة، فكان يصرخ فيهم ويحذرهم من عقاب أبيهم إذا لاحظ عليهم ما لا يليق بهم، وقد اعتاد هذا الخادم أن يأخذ الأمراء إلى الريف للتنزه مرتين في الأسبوع، لكي يتمتعوا بجمال الطبيعة ويسعدوا بهواء الريف النقي وكان يهيئ لهم في كل مرة الجو المناسب ليتمتعوا بأوقاتهم سواء أكانت

---

(١) البهيقي: تاريخ البيهقي، ص١٣٩و ١٤٠.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١١٦، ١١٨.

في ركوب الخيل والتدريب عليه أم في تهيئة المأكولات اللذيذة لهم[1].

ويبقى أن نقول: إنه مهما حصل من خلاف وجفاء بين السلطان محمود وابنه مسعود فإن ذلك كان مآله إلى الزوال ويكفي أن نردد ما قاله السطان مسعود عن والده عندما أراد الحاقدون أن يشوهوا سمعته إذ صرح غاضباً: "ما هذا الكلام، إنه إذا جفانا في آخر حياته لغاية في نفسه فينبغي أن ننظر إلى آلاف من النعم أحاطنا بها وإلى زلات كثيرة لنا تجاوز عنها، تغمده الله برحمته ورضوانه، فقد عقمت النساء أن يلدن مثل محمود..."[2].

أما عن فترة حكم السلطان مسعود فقد ركز البيهقي حديثه على حياته وأسلوب حكمه وما جرى للأمير محمد بعد النزاع القصير حول الحكم، ولكن المهم هنا أن مسعوداً بعد أن وصل إلى الحكم لم يحترم حرمة لأخيه الأمير محمد بل زج به في السجن بقلعة كسوهتين، ووضع عليه حراسة مشددة، وظل هكذا في رعب وخوف فما وجد تهدئة لروعه سوى الشواب بغير انقطاع، هكذا كان حاله إلى أن صدر أمر بإيداعه في قلعة منديش[3]. فسار هذا الأمير وفي حراسته ثلاثمائة فارس راجل مدججين بالسلاح وأركبوا النساء الهوادج وأركبوا الحاشية والخدم البغال والحمير، ولم يراعوا حرمة الأمير في تفتيش رحله عند سفره، وهذا ما سبب لوم الناس واستياءهم، لأنه مهما يكن من شيء فإنه ابن محمود[4].

كذلك أولى السلطان مسعود اهتمامه بعد توليه العرش. الانتقام من أعوان أبيه من الوزراء والإداريين، واسترداد ما منح للناس من أموال البيعة والصلات إبّان الفترة القصيرة التي حكمها الأمير محمد، واعتقال عمه عضد الدولة يوسف بن سبكتكين ثم قتله، ويرجع سبب اتخاذ السلطان هذا القرار إلى عدة أسباب منها اشتراكه في لجنة أمناء الملك لتسليم عرش الدولة لأخيه -الأمير محمد- ثم تزويج ابنته الصغرى التي كانت خطيبته بعد وفاة ابنته الكبرى لأخيه، وآخرها غرور القيادة الذي اتهمه به بعض الحاقدين والواشين من قواد الجيش ورجال الحاشية للوصول إلى مركز مرموق في الدولة، بعد أن اتجه الجيش إليه[5].

---

(١) نفس المصدر: ص١١٦.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٤.

(٣) منديش إسم ولاية في غور وكانت هذه القلعة بها.

(٤) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٧٣، ٧٤.

(٥) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٨-٦٩.

هذا وكان السلطان متحاملاً على عمه لما لقيه منه في السنوات السابقة، فأراد التخلص منه، فأرسله إلى ولاية قصدار لتحصيل الضرائب المتراكمة على الناس منذ سنتين، وكانت تلك حجة ليبعد بها عمه عن وجهه وعن أعين الجند، فيظل في تلك المدينة كالمحدد إقامته، يراقبه فيها أولئك المقدمون الذين رافقوه أثناء إسناد المهمة إليه، كما خدعوا سراً حاجبه طغرل الذي كان يعزه كأحد أبنائه بأن يكون عيناً على سيده، وينهي إلى السلطان كل ما يجري، حتى ينال ثمرات هذا بمنصب رفيع، وقد تبادل هذا الحاجب مع السلطان رسائل بكل صغيرة وكبيرة إلى أن بلغت به الوقاحة وكتب إلى السلطان هذه الرسالة يخبر "أن يوسف أخذ يدبر ليلقى بنفسه في تركستان وهو يكاتب الخانيين "فكانت هذه الرسالة هي بمثابة إشارة ونهاية لهذا الأمير، ويصور لنا البيهقي هذه المأساة بقوله: "رأيت الأمير يوسف ينهض، وكان ما يزال بقلنسوته وحذائه ومنطقته، فاحتضن ابنه وبكى ثم حل منطقته ورماها جانباً وتوجه إلى طغرل وقال له: لتهنأ أيها الكافر هل ربيتك لهذا؟ لقد كنت أعزك أكثر من ابني هذا فكان جزائي أن تدبر بخداعك لي هذه المكيدة؟ فليكن جزاؤك ما تستحق، ثم ركب وسيق إلى قلعة سكاوند ولم أره بعد ذلك أبداً"[1].

(٣) علاقة السلاطين بالوزراء والولاة والعامة:-

كان السلطان محمود ينظر إلى الوزراء على أنهم أعداء الملوك، وإذا لم يكونوا كذلك فإنهم سرعان ما يتعرضون للحسد والشك اللذين يظهرهما الملك تجاه الوزير الطموح، فلذا نلاحظ أن العلاقة التي قامت بين السلطان والوزير كانت تنحصر في أن يكون هذا الوزير ذا عقلية خصبة، وله القدرة والخبرة في حل المشكلة بمجرد ظهورها، بالإضافة إلى أن يكون له نفوذ وعمال مخلصون في جمع الأموال الكثيرة لإرضاء السلطان وحاشيته، والأمثلة في هذا المجال كثيرة، فالوزير أبو العباس الفضل بن أحمد الاسفراييني كان من الذين استخدموا السياط والعنف ضد العامة في جلب الأموال لسيده، وعندما طلب السلطان منه المزيد، أدعى الإفلاس، ولم يستطع الإيفاء بالتزاماته تجاه الدولة، ولكن خصومه نصبوا له فخاً وبينوا للسلطان فساد واقعه، فغضب الوزير لذلك فذهب إلى السجن بمحض إرادته، ومات هناك

(١) نفس المصدر: ص٢٧٠-٢٧٥.

دون أن يعرف الناس ما كان بينه وبين السلطان، ودفن سره معه[1].

أما الوزير أحمد بن الحسن الميمندي فكان أخا للسلطان محمود في الرضاعة وقد تعلما معاً في المدرسة، وكان هذا الوزير منذ صباه موضع كرم وسخاء السلطان وقد قلده كثيراً من الوظائف الإدارية، وكان آخرها اختياره كوزير له في الدولة، ويعتبر الأستاذ الرئيس كما يسمونه إماماً لفضلاء عصره ومحبوباً لدى العظماء -بفضل جمال خطه ووفور فضله وكمال فصاحته وكثرة كياسته- شمله السلطان بعين عنايته فأسند إليه مع الوزارة الشئون المالية وديوان العرض، وقد أبدى هذا الوزير مهارة فائقة في إدارة شئون البلاد بحماس منقطع النظير، وأدى خدمات جليلة لا تعد ولا تحصى، وكان قوي الشخصية لا يهاب أحداً، وهذا ما سبب له العداء من الأمراء والولاة في فترة وزارته، ويروي نظام الملك خلافه مع التونتاش حول المسائل المالية لإقليم خوارزم بعد أن ندب السلطان محمود هذا الحاجب حاكماً لخوارزم، وكان معدل دخل حاصلات خوارزم ستين ألف دينار، في حين كانت رواتب جيش التونتاش ضعف هذا المبلغ، وعندما ذهب إلى خوارزم، وبعد سنة على وجوده فيها أرسل إليه من يطلب مالاً، فأرسل معتمديه إلى غزنة يلتمس: "اجعلوا ستين الألف دينار هذه (وهي أحمال خوارزم) رواتب الجند بدلاً عما يدفع لي، فرفض الوزير ذلك وبعث إليه برسالة شديدة اللهجة وحذره فيها من مغبة نيته، وأمره بإرسال ما تعهد به من أموال دون أن يتمادى في تضييع الوقت، فخضع الحاجب لأمر الوزير، وأرسل مع أحد رؤساء الحرس وغلمانه الأحمال التي كانت تساوي ستين ألف دينار، ووزنت وأودعت في خزانة السلطان محمود وبذلك حفظ للملوك سلطتهم على الأقاليم البعيدة، بعد أن تسربت فيها الفوضى من الناحيتين المالية والإدارية، فالوزير بذلك قطع دابر الأطماع في أموال السلطان والرعية[2].

ولكن بعد أن ظل هذا الوزير مدة ثمانية عشر عاماً، يقوم بتدبير أمور الملك والمال في الدولة، قامت فئة من الأمراء العظام مثل التونتاش الحاجب والأمير علي قريب بالدس لذلك الوزير الماهر فتقولا عليه زوراً وبهتاناً في مجلس السلطان، ووجد هذا الكلام المهلهل مكاناً

---

(١) العقيلي: آثار الوزراء، ص١٥٠.

Nazim: The life and times p. 134.

(٢) نظام الملك الطوسي: سياست نامة، ص٢٩٣، ٢٩٤.

غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٣٦، ٢٣٧.

العقيلي: آثار الوزراء، ص١٥٢، ١٥٣.

في قلب السلطان، فأصدر أمره بعزل هذا الوزير الكفء، وسجنه في إحدى قلاع الهند، ولما توفي السلطان محمود وتمكن ابنه السلطان مسعود من اعتلاء عرش السلطنة في غزنة، أخرج الوزير أحمد بن الحسن الميمندي من تلك القلعة، وأسند إليه مرة ثانية منصب الوزارة، وظل يديرها فترة ثلاث سنوات إلى أن توفي عام ٤٢٤هـ/ ١٠٣٢- ١٠٣٣م[1].

أما الوزير حسنك فكان يلازم السلطان محمود منذ بداية نشأته وأوائل صباه، ثم توطدت العلاقة بينهما عندما كان السلطان محمود قائداً للقوات السامانية في خراسان، فقد وصف السلطان محمود بحلاوة الحديث، وحسن التصريف، كذلك كان حسنك يتصف بحدة الطبع، وثراء الذهن، ولكن لم يكن صاحب مهارة في فن الكتابة والإنشاء، أو علم السياق والاستيفاء، وكان ينتمي إلى أسرة عريقة في نيسابور، وقد شاركت أسرته -الميكالية- الدول السابقة في إدارة إقليم خراسان واكتسبت أفرادها الخبرة في مجال السياسة والمال لأنهم كانوا من أثرياء وتجار وملاكي خراسان[2].

وفي الفترة التي عزل فيها الوزير أحمد بن الحسن الميمندي من منصب الوزارة، أسند السلطان هذا المنصب إلى أبي علي حسن بن محمد ميكال المعروف بحسنك، وبعد أن كانت اختياره من بين أكابر القوم ورجال حاشيته، وكان حسنك يتفوق عليهم جميعاً بعلو النسب وكمال الحسب والوقوف على دقائق الأمور، ولكن السلطان محمود ندم على هذا الاختيار بعد فترة قصيرة، وقد أسر هذه المعلومة إلى أبي نصر بن مشكان[3]. إلا أن حسنك ظل يقوم بأعمال ذلك المنصب حتى آخر أيام حياة السلطان، ولما توفي السلطان، استطاع هذا الوزير أن يجلس الأمير محمد على عرش السلطنة ويقوم بخدمته عدة أشهر، وفي تلك الفترة تعود حسنك إرضاء الأمير محمد وأن يتقول بأقوال غير مهذبة على السلطان مسعود الذي كان بأصفهان وقتها- وذلك مثل قوله ذات مرة أمام موظفي الديوان: "حينما يصبح مسعود سلطاناً، وعليه أن يتخذ حسنك شقيقاً له". دارت الأيام على هذا الوزير، ولما تولى السلطان

(١) غياث الدين خواندمير: (دستور الوزراء)، ص٢٢٧.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٨٩.

(٢) غياث الدين خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٢٧.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٨٩.

(٣) العقيلي: آثار الوزراء، ص١٩١، ١٩٢،
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٨٩.

مسعود عرش السلطنة، كانت نهايته على يده إذ شنقه بحجة أنه لبس خلعة الفاطميين وأنه من القرامطة[1].

يعتبر المؤرخون عصر السلطان مسعود عصر تدهور العلاقات بين كبار الشخصيات في الدولة مع السلطان وقد لعب أبو سهل الزوزني دوراً كبيراً في التخلص من رجال السلطان محمود الذي اعتبرهم سبباً في تولية الأمير محمد السلطنة -ومنهم الوزير السابق حسنك الذي تحدثنا من شنقه آنفاً- ويرجع علاقة أبي سهل الزوزني بالسلطان مسعود إلى أنه وقف إلى جانبه في فترة انتقال السلطة من السلطان محمود إلى ابنه الأمير محمد، فلما تولى الحكم كافأه بأن عينه عارضاً، وجعله في مقام الوزير الأول في الدولة قبل أن يخرج الوزير أحمد الميمندي من السجن ويعينه في الوزارة، فلذا نجد أن الزوزني قد اغتنم الفرصة ووضع نصب عينيه أن يقضي على أنصار السلطان السابق وأن ينكل بكل من يستطيع منهم دون رحمة، بل إنه تمادى في حقده على أقرانه فأساء إليهم عدا الوزير أحمد الميمندي الذي كان يخشى بأسة ويهاب غضبه، وكان له الدور في اتهام واعتقال كبير الحجاب علي قريب[2]. وأخيه منكيتراك وكذلك في محاولة القبض على التونتاش حاكم خوارزم[3].

وقد أدرك هؤلاء الرجال موقف السلطان في بداية حكمه وعلم كل منهم بما ينوي السلطان له، وكان علي قريب يعرف مصيره بعد استدعائه إلى هراة وقد قال لأبي نصر بن مشكان: يجب أن تعلم أن الأمور قد تحولت إلى وجهة أخرى، فإنك عند بلوغك هراة سوف تعتريك الحيرة بمجريات الأحداث ومتغيراتها وستشاهد رجالاً حديثي النعمة والعهد قد آلت إليهم حتى أصبح أصحاب محمود في حكمْ الخونة والغرباء، ولا غرو فإن أبا سهل قد أصبح المرجع في كل أمر، فتحكم في الرقاب وملك ناصية الأمور، وستسير الأحوال مع السلطان مسعود على هذا المنوال، مالم يستح ذلك السلطان فأنتم على شفا حفرة يقع فيها كل واحد

---

(1) غياث الدين خواندمير: "دستور الوزراء، ص٣٠٩".

(2) وكان يسميه السلطان محمود علي خويشاوند -ويعني القريب- وكان يعمل كبير الحجاب في عهده وعندما توفي شكل أمناء الملك من كبار رجال الدولة، وذلك ليجلسوا ابنه الأمير محمد على العرش، على أن يتولى كبير الحجاب الأمير علي قريب تدبير شئون الملك في خدمته.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١.

(3) البيهقي تاريخ البيهقي، ص٢٥، ٣٦.

متكم دون أن يعرف ما التهمة الموجهة إليه في مثل هذه القضايا العامة والاتهامات الغادرة[1]

وحين التقى الأمير علي قريب كبير الحجاب بالسلطان مسعود وكان التونتاش في حضرته، أراد (التونتاش) هذا أن يسدي النصح بعدما أحس بما يدبر له ولأصحابه من أنصار السلطان محمود من الغدر، فقال السلطان: "... إن في الخدمة كثيرين من حديثي العهد الجديرين بالثقة، وسيلحق بهم آخرون، إلا أنه في الحضرة الآن كذلك نفر من المعمرين الذين شاخوا في خدمة السلطان محمد فإذا شاء الرأي العالي بقاءهم في الخدمة فذلك أمر حكيم، لكيلا يتشفى فيهم أعداؤهم، فإن الشيوخ زينة الملك، ولس أقول هذا مستعطفاً لنفسي، فواضح أن أجلي قريب، ولكنها نصيحة أسديها، وأنا أعرف أن ملكنا أعظم من أن يحتاج إلى نصح العبيد، بيد أني أرى من الواجب عليّ أن أعرض أمثال هذه النصائح ما حييت"[2].

ولكن لم يكد التونتاش يخرج من الحضرة، حتى قبضوا على علي قريب ثم على أخيه منكيتراك، ولم يقدم السلطان على هذه الخطوة في قوة صراحة ولكنه استخدم المكر والغدر، وكان السلطان يتلذذ بهذا الأسلوب الخادع في معاملة رجال أبيه ورجاله، يروي البيهقي أن منكيتراك سأل السلطان مستئذناً في أن يقوم بواجب الضيافة تجاه أخيه فهش السلطان إلى سؤاله بكلمات تعني عدم الرضا لما طلبه، وخرج منكيتراك ليرى أخاه مصفداً بالأغلال وليرى نفسه وقد أخذوه فغلوه وساروا بهما إلى حيث لا يعرف أحد[3].

أم خوارزمشاه (التونتاش) الذي كان يحمي الدولة بحدودها الشمالية من الأعداء، فإنه لم ينج أيضاً من المؤامرة الدنيئة التي دبرها له أبو سهل الزوزني، فعندما أدرك من البداية أن أحوال الدولة والمؤامرات على رجالها لا تبشر بالخير، عقد العزم على أن يبادر بالسفر إلى خوارزم ليكون في مأمن من الغدر الذي حل بعلي قريب وأخيه، وقد أسر هذا القائد برأيه لرئيس ديوان الرسائل –أبي نصر مشكان– قائلا: إن السلطان رجل عظيم ولكن الذين أحاطوا به يعد كل واحد منهم منهم نفسه وزيراً، وهو يسمع لهم ويعمل بقولهم فيزينون له الباطل ويصدونه عن الحق، وإنهم يهدمون بدسائسهم هذا الصرح المشيد، وتوسط أبو نصر

(١) نفس المصدر، ص٥٢، ٥٣.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٥٥، ٥٦ .

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٦، ٢٧ .

في توضيح السياسة التي يجب أن تتبع واستمع إليه السلطان وقال له إنهم لا يريدون أن تسير الأمور في مجراها السليم بوشاياتهم وأمر السلطان بكتابة رسالة إلى التونتاش حتى يعود، ولكن هذا أدرك ما انطوت عليه نفس مسعود من الغدر فلم يذعن لطلبه ويسير كي يبقى آمناً في خوارزم ويتعهد له بألا يخرج عليه، وبأن يمده بمن يشاء من الجند، وأن ينفر للقتال حيثما يوجهه، ولم تقف دسائس الزوزني عند هذا الحد بالنسبة لالتونتاش بل وجه إلى منجوق[1] كتاباً بإمضاء السلطان لقتل التونتاش، فامتلأ منجوق غروراً وتطاول على التونتاش ولكن وزيره أحمد عبد الصمد فطن إلى القصد من هذا التطاول فأمر بإقصائه ووكل رجاله حتى قضوا عليه وافتضح أمر كتاب السلطان، ولولا حرص الوزيرين، الميمندي وزير السلطان مسعود وعبد الصمد، وزير التونتاش، وهما أعظم رجلين في العد الغزنوي، لخرج التونتاش على الدولة ولفقدت الدولة بخروجه أخلص الرجال لها، ويبين الميمندي الوزير السلطان سوء النصح الذي لقيه من الزوزني ومدى ما ترتب عليه من الحرج ولكن السلطان أسرع بالاعتذار بأنه كان مخموراً حين وقع الكتاب لمنجوق: ومع ذلك لم يتعظ من سياسة السير وراء الزوزني في التخلص من الساسة والقادة العظام أمثال أريارق والغازي[2].

أما فيما يتعلق بعامة الناس الكادحين في القرى والمدن، فإن نجاح معارك محمود الحربية، وروعة بلاطه ليس أنها لم تحسن وضعهم فقط. بل صعبت معيشتهم أيضاً.

---

(١) كان من المتبع في ذلك الوقت أن الدولة يمثلها في كل إقليم رجل يسمى بأمير للجيوش بالإضافة إلى الوالي، وكان منجوق يشغل منصب أمير جيوش الغزنويين في بلاط خوارزمشاه، بينما كان السفير محمد مسعدي يمثل سيده خوارزمشاه في بلاط السلطان مسعود، وقد كان هذا التمثيل المتبادل بين الطرفين في ذلك الوقت لحل المشاكل التي تحدث بين الطرفين في حينها، والمصارحة في وضع القضايا التي تهم الدولة وهذا الإقليم على الطبيعة دون اللجوء لاستخدام المكيدة والدسيسة ضد الوالي ورجاله المخلصين، وكان يستخدم كل منهما في السر مشرفاً على الآخر لمعرفة الأسرار والخبايا وقد نمى إلى هذا الوكيل أن هناك مؤامرة قد دست ضد ولي نعمته خوارزمشاه، فلم يستطع هذه المرة أن يجد حلا غير أن يحذر سيده مجريات هذه المؤامرة، وكان مضمون هذه المؤامرة أن السلطان مسعود قد أمر بإيعاز من سهل الزوزني قتل خوارزمشاه وذلك عن طريق خطاب وجهه إلى القائد منجوق بخط يده يأمره بالتنفيذ والنفاذ وبعد أن انكشف هذا السر كاد أن يؤدي هذا العمل إلى كارثة في الدولة، وإلى خروج هذا الوالي عن طاعة السلطان، فلذا تدارك السلطان الموقف وأصلح هذه الجفوة بإرضاء خوارزمشاه وتطييب خاطره، وذلك بالقبض على أبي سهل الزوزني وإيداعه السجن، ومعاقبة أبي الفتح الحاتمي بجلده خسمائة جلدة وعزله عن منصب الإشراف الذي كان يشغله في مدينة بلخ.

البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٣٣٢–٣٣٧.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٧، ٢٨.

ومهما كان حجم الغنائم التي غنموها من هذه المعارك الحربية كبيراً جداً فإنها لم تكن تستطيع مطلقاً أن تقي بالتكاليف الباهظة للجند والبلاط. وأن تلبي الحاجات المتزايدة يومياً للبلاط والقادة العسكريين وكبار رجال الدولة.

وكذلك تحمل الناس الضرائب الكثيرة التي كانت تؤخذ منهم وذلك للإيفاد بالنفقات المتزايدة لمواصلة المعارك الحربية في خراسان ضد السلاجقة، وتتضح هذه الحقيقة في تسجيل كتاب البلاط للخسائر التي منيت بها القوات الغزنوية في هذا الإقليم، وما ذكروه من أن عمال السلطان مسعود وعلى رأسهم العميد سوري كانوا يجبرون الرعايا على دفع الضرائب، حتى انتشرت هذه الظاهرة الخطيرة في كل النواحي الهامة للبلاد مما أدى إلى انخفاض أسعار الأرض إلى أقصى حد، ونادراً ما ترى هذه الظاهرة في الأراضي التي تكون فيها الزراعة متقدمة، وهناك ظاهرة أخرى تتضح في سنوات الجفاف المتتابعة، والتي أدت إلى أن السكان كانوا يموتون جوعى في المدن والقرى[1]

وقد ذكر بارتولد أن السلطان محمود كان يبذل قصارى ما في جهده على أن يكون أصل الإقطاع ممثلاً في كبار الفلاحين والمدنيين المرتبطين بموضوع الخراج وكان يعمل على تحقيق هذا الأمر[2].

يقول أبو الفضل البيهقي أن سكان بلخ كان نصيبهم التجريح من السلطان محمود على مقاومتهم للقراخانيين، فقد قال لهم: "ما للرعية والقتال! لا جرم قد هلكت مدينتكم وأحرق من أملاكي بلد يغلّ عليّ أموالاً طائلة، وإني أحملكم غرامة هذه الخسارة، ولكني أعفو عنكم فانظروا واحذروا أن يتكرر هذا فإن كل ملك يتسلط عليكم ويلزمكم بالخراج ويؤمنكم، عليكم أن تدفعوا له الخراج وتحافظوا على أنفسكم[3].. وبهذه الطريقة كانوا ينظرون إلى الناس على أنهم قوة ينبغي أن يدفعوا الخراج.

---

(١) تاريخ إيران ازدوران باستان تاپايان سدة هيجدهم ميلادي، تأليف مجموعة مؤرخي الروس، ترجمة كريم كشاورز، ص٢٦٢.

(٢) بارتولد: تركستان، ص٢٣٤.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٠١.

(٤) وضع المراة ودورها في الحياة الاجتماعية:-

لا شك أن المرأة في المجتمعات السابقة الإسلام كان ينظر إليها نظرة احتقار وازدراء، لدرجة أن أهل الحضارات منهم قد وصلوا إلى المجد والرقي، ولكنهم عاملوا المرأة معاملة سقط المتاع، تباع وتشترى، وعلى أنها ليست مؤهلة العمل سوى خدمة البيت، ولكن الإسلام نظر إلى المرأة على أنها جزء مكمل للرجل، وتشاركه حياته، وتقف إلى جانبه في مواجهة المحن والعقبات التي تقع عليهما في المجتمع، فالناظر إلى وضع المرأة بعد الإسلام لا يجد صعوبة في استنتاج ما وصلت إليه من مكانة سامية في العقيدة الإسلامية التي بنيت عليها حضارة المجتمع الإسلامي لأنها وجدت نفسها مع الرجل متساوية في الحقوق والواجبات، ولها حرية المشاركة مع الرجل في العمل والتعلم كما جاء على لسان رسولنا الكريم ﷺ "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" وهذا ما جعل منها بعد ذلك عنصراً فعالاً في المجتمع، وسقطت عنها المقولة السابقة بأنها لا تصلح إلا لخدمة البيت، وبدأت تغير حياتها العملية والتطبيقية، ولم تبخل بجهدها كإنسان في داخل المجتمع الإسلامي عن المشاركة في المجالات السياسية والحربية بالإضافة إلى أوجه الحياة الحضارية الأخرى سواء كانت ثقافية أو اجتماعية أو غيرها[١].

واستمرت هذه المكانة للمرأة في تطور ملحوظ فلم تتراجع إلى الوراء، بل تقدمت ودافعت عن حقوقها وحقوق أبنائها في معظم الأحيان من فترات العصور الإسلامية ممثلة في العصر الأموي وعصري الدولة العباسية: الأولى والثانية، ولقد اعتبرت فترة حكم الغزنويين استمراراً لتطور المشاركة النسائية في المجالات المختلفة، فلذا ساعدت بجهدها وإمكانياتها في سبيل نصرة أسرتها أو رجال دولتها التي تنتمي إليها.

وكانت المرأة في العصر الغزنوي تتمتع بقسط وافر من الحرية، فقد تدخل بعض النساء في شئون الدولة، كحرة الختلية عمة السلطان مسعود التي كانت تساند ابن أخيها قبل أن يصبح سلطاناً للبلاد، فيذكر البيهقي أن هذه الأميرة انحازت إلى ابن أخيها مسعود في عدة مناسبات، ويبدو أن انحيازها قد أخذ صبغة سرية، ومن ثم كانت عيناً على أخيها لصالح

---

(١) أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، الطبعة السادسة القاهرة ١٤٠٤/ ١٩٨٤، ص٢٧٢. وفتحي أبو سيف (دكتور): المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي – الطبعة الأولى– القاهرة، ١٩٨٦، ص٨.

ابنه، ولما نمى إلى علم السلطان محمود أن ابنه مسعود -وكان ولياً للعهد- يقيم مجلساً للطرب في مدينة هراة، ويأتي إلى هذا المجلس خفية المطربون والمطربات، أرسل السلطان محمود فارساً لكي يتحقق من ذلك وينهي إليه أعمال ابنه مسعود، وهنا قامت هذه الأميرة بإرسال من يحذر ابن أخيها مما ينويه والده، فاستطاع الإبن أن يخفي آثار ذلك المجلس، ومن ثم ينكر السلطان محمود على الحاقدين والواشين تلك الأكاذيب المنسوبة إلى ابنه، ويكف بعد ذلك عن النظر أو البحث في أمثال هذه الأمور[1]

كذلك تدخلت هذه المرأة في أمور الدولة بعد وفاة السلطان محمود، فرأت أن ابن أخيها الأمير مسعود أجدر للحكم من الأمير محمد، فكتبت رسالة مطولة إلى مسعود تبلغه في بداية الأمر ما حصل في فترة غيابه عندما توفي والده كذلك تبلغه أنه يجب عليه أن يتحرك لإنقاذ الدولة من هؤلاء القادة والأمراء الذين لا يرون مصلحة في بقاء الدولة، وأن لأسرتهم أعداء كثيرين فلا يستطيعون الدفاع عنها مع حاكم مثل الأمير محمد الضعيف، فالواجب عليه أن لا يشغل بما استولى عليه من البلاد وبما يمكن الاستيلاء عليه، وأن ينهض للأمر كله لأنه ولي عهد أبيه، وبهذا برهنت هذه السيدة على وعيها السياسي عندما أكدت لابن أخيها خطورة الفساد الداخلي على الدولة ولا يغنيها آنذاك تلك الانتصارات الخارجية، فقد وضعت أمامه سياسة جديدة تجاه الدولة كما ورد في رسالتها: "... يجب أن تعلم أن غزنة هي الأصل ومن ثم خراسان وبقية البلاد..."[2].

وشاركت المرأة أيضاً سائر طبقات المجتمع فرحتها سواء في مدن خراسان أو في العاصمة، بعودة السلطان مسعود من بلاد الري وأصفهان، ليتولى إدارة البلاد، فقد اشتركن في المواكب والاحتفالات الشعبية مثلهن مثل الرجال، فوصف البيهقي هذه الصور بقوله: "إن السلطان مسعود حين دخل حاضرة ملكه في موكب عظيم حافل، خرج أهل المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً لاستقباله في حماس وسرور". مما يدل على تفاعل المرأة مع هذه المناسبات الحماسية التي كان يعدها المجتمع في استقبال السلاطين والأمراء والضيوف وغيرهم[3].

وظلت المرأة في العصر الغزنوي تمارس دورها في الحياة السياسية والاجتماعية

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢٧- ١٣٠.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٢، ١٣.

(٣) نفس المصدر، ص٢٧٩.

وتدافع عن مصالح أسرتها بكل الوسائل الممكنة، وقد حدثت فتنة في عصر السلطان عبد الرشيد بن مسعود (٤٤١هـ/ ١٠٤٩-١٠٥٢م)، وانتهت باغتياله على يد أحد قادته ويدعى طغرل وكان قد تزوج إحدى بنات السلطان مسعود في عهد أخيه مودود -فاستغل هذا القائد منصبه كحاجب للدولة وزوج لإحدى بنات الأسرة الغزنوية للقيام بهذا العمل والتمرد والعصيان ولقتل السلطان والاستيلاء على حكم البلاد وعاصمتها غزنة، ولكن الأميرة زوجة (طرغل) نهضت تدافع عن كيان أسرتها، وقادت بنفسها حركة معارضة لزوجها، وأجرت اتصالات مع كبار القادة وحكام الولايات، وحثتهم على مساعدتها لوقف أطماع طغرل هذا الذي اتضحت نواياه وأطماعه في الاستيلاء على حقوق أسرتها وبني أبيها واستطاعت هذه الأميرة الغزنوية بفضل ثبات أنصار أسرتها وبعض الحاقدين من القادة والأمراء أن تقف في وجه هذا الخائن وتنتقم لأخيها، ثم تعيد الحكم مرة أخرى إلى أسرتها[1]

ومن هنا نلمس مدى ما تمتعت به هذه السيدة الغزنوية من إدراك وسعة أفق في نظرتها للموقف المتدهور الذي كاد يؤدي إلى كارثة لأسرة آبائها وأجدادها ما لم تقدم على قتل زوجها الطامع، وبالقضاء على طغرل هذا استطاع فرخزاد بن مسعود ولاية عرش السلطنة الغزنوية سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م[2]

واستطاعت أم الوزير حسن بصبرها وجلدها بعد قتل ابنها، أن تكسب ود وعطف الناس وأن تؤثر بشجاعتها على الوضع السياسي في الدولة الغزنوية، فكان ابنها وزيراً للسلطان محمود وأحد أعمدة الدولة في عهده، ومهما يكن من الاتهام الموجه إليه فإنه لا يستحق تلك الفعلة الشنيعة، بأن تعلق جثته على المشنقة فترة طويلة[3]. فلما علمت الأم بذلك لم تجزع كعادة النساء في مثل هذه المواقف، بل راحت تكشف للناس مقاصد ونوايا هؤلاء الأمراء والقادة السيئة تجاه أهداف الدولة، وأخذت تدافع عن ابنها في موته بقولها: "يالولدي من رجل عظيم، يمنحه ملك كالسلطان محمود عالم الدنيا، فيمنحه ملك آخر كالسلطان مسعود عالم الآخرة". فأعجبت تلك الكلمات كل عاقل سمعها وراحوا يرددون ما تقوله هذه

---

(١) ميرخواند: روضة الصفا، ص١٢٤، ١٢٥.

(٢) فتحي أبو سيف: المصاهرات السياسية في العصرين الغزنوي والسلجوقي، ص٣٥، ٣٦.

(٣) يقال أن جثة حسنك بقيت معلقة ما يقرب من سبع سنوات حتى يبست وصارت أشلاء قديمة وتناثرت فلم يبق منها أثر.

البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٠١.

السيدة عن أخطاء رجال الدولة في عهد السلطان مسعود، كما استطاعت أن تؤثر فيهم بهذه الكلمات فأقاموا لابنها مأتماً عظيماً لتتقبل فيه العزاء من جديد[1].

هذا ولم يخل المجتمع من السيدات المتعلمات اللائي كن يساهمن بثقافتهن في تعلم الأبناء شتى أنواع العلوم والآداب ليواكبوا تلك الحضارة المتقدمة في ذلك العصر، فعندما عهد السلطان محمود بتعليم أولاده إلى الكاتب عبد الغفار، كان لهذا الخادم جدة تسكن في أرض داور من بلاد بست، وكانت هذه السيدة على قدر كبير من الورع والتقوى، وتستطيع القراءة والكتابة وتحفظ القرآن وتفسيره، وعلى دراية بالعلوم الإنسانية، وكان الأمراء يجتمعون بها دائما فتقص عليهم السير والأخبار والحكايات المسلية، مما زاد ذلك في ألفة الأمراء لها، ويحكى البيهقي بشيء من التفصيل عن هذا الموضوع فيقول: "كنت إذ ذاك قد بلغت سن الرشد، أذهب إلى المدرسة وأتعلم القرآن وأؤدي ما يستطيع الصبية أداءه من الخدمات وأعود، وكان استاذي المدعو "سالي: يأتي معي إليهم أحياناً. وقال الأمير مسعود ذات مرة: ينبغي أن يحفظ عبد الغفار شيئاً من الشعر فعلمني أستاذي هذا عدة قصائد عن شعر المتنبي وأبيات من قفانبك، فازددت بقراءة تلك الأشعار عليهم جرأة في الكلام"[2].

وأخيراً فإن المرأة شاركت المجتمع كأم وربة بيت تهيئ للرجل كافة أسباب الراحة فكانت تقوم بتأمين خدمات البيت والإشراف على إنجازها، فتهتم بإعداد الطعام وتوفير الجو المناسب لراحة الرجل بعد العودة من العمل، وكانت تضطر أحياناً إلى الخروج لشراء حاجاتها، وبيع بعض الأعمال التي أعدتها من خلال الغزل والنسيج داخل البيت، كذلك اهتمت المرأة بزينتها فأقبلت على التزين وسهل لها ذلك وجود أسواق لبيع العطور ووسائل التطيب. ويبدو أن استخدام وسائل الزينة بدأ بالقصر وتمثل نساء الأغنياء بما يجري في القصر، فلما رأت نساء العامة أخذن يقلدن تلك الزينة، ويتحدث البيهقي عن تأثر الناس بالأميرات ونساء كبار رجال الدولة عندما ظهرن في أبهى الحلى في حفلة زواج السلطان مسعود من ابنة أبي باكاليجار، فخرجن لمشاهدة هذه الحفلة ولبسن أحلى الثياب وتزين بالذهب والماس[3].

ويلاحظ أيضاً في المجتمع الخراساني تعدد الزوجات، وقد كان الرجل يجمع في بيته

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢٠١، ٢٠٢.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١١٥، ١١٦.

(٣) نفس المصدر، ص٤١٨، ٤١٩.

زوجتين وربما ثلاث زوجات، ولما كان المجتمع يعج بالجواري الحسان، وكان باستطاعة الرجل الحصول عليهن، كثر طلاق النساء الحرائر، وكان ذلك لعدة أسباب، منها التحلل من قيود الزوجية والتمتع باللهو والمجون، أو عدم وجود الجمال الكافي بالنسبة للزوجة والاستعاضة عنها بجارية حسناء، والشرع كما هو معروف قد أحل للشخص أن يمتلك الإماء والجواري ما شاء، وكانوا يفضلون الجواري على الحرائر لأنهن كن من أجناس مختلفة، وربما كان الحجاب دخل في ذلك فقد كانوا لا يرون من يريدون الاقتران بهن من الحرائر، أما الجواري فكن معروضات بدور النخاسة تحت أعينهم، وأما الحرائر، فإنما يستشار في جمالها النساء، وتعرف المرأة ظاهر الصفة، وأما الخصائص التي تقع في نفوس الرجال فلا تعرفها[1].

كذلك دخلت في المجتمع أفكار جديدة من الأفكار الفارسية مثل آراء الزنادقة، وما يرتبط بمركز المرأة في المجتمع، فقد ظهر آراء مزدك التي تدعو إلى شيوعية المال والنساء فيقول الشهرستاني (أحل النساء، وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ)[2]. إلا أن هذه الآراء والأفكار رغم خطورتها وسعة انتشارها تضاءلت في العصر الغزنوي نتيجة تكاتف السلاطين وعامة الناس من أجل القضاء على روح الزندقة، واحتفظت المرأة بتدينها وعفافها وبمركزها الممتاز في المجتمع الإسلامي.

---

(١) آدم متز: الحضارة، ص١٧٤.

(٢) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم المعروف بالشهر ستاني: الملل والنحل، القاهرة، ١٣٦٨هـ-١٩٤٨، مج١، ص١٢٩.

الباب الخامس

الحياة الثقافية في خراسان في العصر الغزنوي

أولاً: المراكز الثقافية في خراسان

ثانياً: الحياة الدينية والفرق والمذاهب

ثالثاً: العلوم والآداب

رابعاً: إزدهار العلوم و دورالعلماء في هذا المجال

الباب الخامس

الحياة الثقافية في خراسان في العصر الغزنوي

مقدمة: السمات العامة للحياة الثقافية في خراسان في العصر الغزنوي:-

يمكننا أن نعتبر عصر الغنزنويين بوجه عام وعصري السلطان محمود وابنه مسعود بوجه خاص ضمن العصور التي ازدهرت فيها الحضارة الإسلاميةفي خراسان وإن كان ذلك العصر لم يدم إلا فترة قصيرة.

فقد رأينا كيف اتسعت رقعة هذه الدولة في عهد السلطان محمود حتى شملت أصفهان والري وهمذان وما يليها من البلاد كما ملك طبرستان وجرجان وخوارزم والسند وغزنة وبلاد الغور والبنجاب وبذلك لمع نجم السلطان محمود وابنه مسعود في حكم هذه المناطق الواسعة من القسم الشرقي لبلاد إيران وأفغانستان الحالية والجزء الأوسط من بلاد الهند، وتمكنا في فترة وجيزة من أن يصيرا من أقوى الحكام في إيران.

عمل الغزنويين على النهوض بالحركة الثقافية في خراسان والأجزاء الواقعة تحت حكمهم على حد سواء ليواكبوا تلك النهضة الثقافية التي ازدهرت في المنطقة بعد أن توالت عليها حكومات الدول المستقلة على مدى قرن ونصف من الزمن وكان آخرها دولة بني سامان، وربما ساعدهم على مواصلة هذه الحركة الثقافية بعد توليهم حكم تلك البلاد ومن ضمنها خراسان، فجذبوا إلى عاصمتهم غزنة كثيراً من الشعراء والعلماء، فصارت الدولة الغزنوية من أعظم الدول، نظاماً، وأدباً، وعلماً.

هذا ومع أن الدولة اتجهت في بداية عهدها إلى التوسع في بلاد الهند من أجل تدعيم قوة الإسلام في تلك المناطق، وحماية أراضي المسلمين من هذه القوة الكافرة، إلا أن بعض

المؤرخين[1]. قد ادعى أن سلاطين الغزنويين قد اتجهوا إلى هذه البلاد من أجل المال والاستيلاء على ما فيها من كنوز ونفائس لا من أجل الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الإسلام.

ولكن مهما يقال عن الدافع الذي كان يدفع السلطان محمود نفسه إلى غزو الهند تلك المرات العديدة، فإن الأمر الذي لا شك فيه أن هذا السلطان صار بطلاً من أبطال الإسلام اعترف له التاريخ بأنه أول شخص كان حرباً عواناً على الكفر في تلك الأقطار الشاسعة، إذ نشر الإسلام فيها وأعلى رايته وإذا كان يغير على المعابد والاستيلاء على ما فيها من كنوز ونفائس فإن هذا لا يمكن أن ينقص من قدر السلطان محمود شيئاً لإنه إذا كان يحطم شيئاً فإنما يحطم أصنام الضلال والكفر ويفتح ميادين جديدة يشع فيها نور الإسلام ويحرر بذلك عقولاً طالما خيم عليها الجهل واستبدت بها تلك العقائد البالية العتيقة التي ورثها الأبناء عن الآباء والأجداد.

ثم كيف ينسى الإيرانيون شيئاً هاماً صحب تلك الغزوات أليس السلطان محمود هو أول شخص فتح للأدب الفارسي الإسلامي آفاقاً جديدة فمهد لتلك البلاد أن تساهم بنصيبها في العمل على رقي هذا الأدب ورفع شأنه.

وراج العلم والأدب في ذلك العصر رواجاً كبيراً وكان الوزراء أنفسهم من مهرة الكتاب وصارت غزنة مركزاً جديداً للعلم والأدب يؤمها العلماء ويقصدها الأدباء من مختلف البقاع وتفوقت على غيرها من العواصم كبخارى وسمر قند وطبرستان والري وأصفهان، فيقال إنه كان في بلاط السلطان محمود نحو أربعمائة شاعر وقد مكنته تلك الثروة الطائلة التي جمعها من معابد الهند وغيرها من أن يشجع الشعراء ويفرق عليهم العطايا والهبات فلا غرو أن التف حوله هذا العدد الكبير من الشعراء يمدحونه ويطرون بطولته وشجاعته، ويسبغون عليه ألقابا عظيمة من الألقاب التي لقبه بها الخليفة القادر بالله من قبيل يمين الدولة وأمين الملة، ويطلقون عليه كذلك حامي الدين وسلطان المسلمين، ويكفي للدلالة على عظمة غزنة من الوجهة العلمية أن نتذكر شعراء مثل الفردوسي والفرخي والعنصري ومنوچهري ومن العلماء أمثال

---

(١) C.E. Bosworth: The Medieval History of Iran. Afghnistan and central Asia: Chapter XVIII (The Developing Persian Cultrue under the early Ghaznavids.

البيروني وابن سينا.

فإذا اتجه هؤلاء العلماء والشعراء إلى بلاط السلطان محمود في العاصمة غزنة فإن هذا الإجراء لم يقلل من أهمية إقليم خراسان وحواضره كنيسابور وبلخ ومرو وهراة، لأن هذا الإقليم برز فيه العلماء والشعراء الذين أثروا الحضارة الإسلامية بالعلم والأدب حتى بدا هذا الإقليم من أشهر الأقاليم الإسلامية قاطبة لاحتوائه على العلماء والأدباء في ذلك العصر والعصور السابقة.

وكان معظم هؤلاء الشعراء أمثال الفردوسي وفرخي ومنوچهري وغيرهم من كبار الشعراء والعلماء العظام أمثال البيروني وابن سينا كانوا ينتمون إلى خراسان قلباً وقالباً. ويكنون لها في كل المحافل ما حباهم الله من العلم والأدب، ولكنهم مع ظهور هذه الدولة وما لاقت من السمعة الطيبة في هذه البلاد ذهبوا إلى غزنة ليساهموا بأدبهم وعلمهم في بلاط هذا السلطان العظيم الذي استطاع بصلاته وعطاياه أن يحتضن هؤلاء الخيرة من الشعراء والعلماء في ذلك العصر.

كذلك من السمات العامة للحياة الثقافية في هذا العصر كثرة المجالس الاجتماعية والأدبية الخاصة منها والعامة وكانت هذه المجالس بمثابة تجمع لهؤلاء الأدباء والعلماء كي يبرز كل منهم في مجال علمه وأدبه وشعره، وكانت عطايا السلاطين والأمراء كفيلة بدفعهم إلى الابتكار والإبداع، ويقال إن السلطان محمود كان ينفق على العلماء مئات الآلاف من الدنانير كل عام فضلاً عن الأرزاق التي كان يجريها على طلبة العلم[1]. وتتحدث الروايات كذلك عن رعاية السلطان مسعود للأدب والعلم وتشجيعه للأدباء والعلماء، فيقول ابن الأثير: "كان السلطان مسعود شجاعاً كرماً، ذا فضائل كثيرة، محباً للعلماء، كثير الإحسان إليهم، والتقرب لهم، صنفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلوم وكان كثير الصدقة والإحسان إلى أهل الحاجة تصدق مرة في شهر رمضان بألف ألف درهم. أكثر الإدرارات والصلات، وعمر كثيراً من المساجد في ممالكه، وكانت صنائعه ظاهرة مشهورة تسير بها الركبان، مع عفة عن أموال رعاياه وأجاز الشعراء بجوائز عظمية أعطى شاعراً على قصيدة ألف دينار وأعطى آخر بكل بيت ألف درهم..."[2].

---

(١) علي الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، تونس، ١٩٦٥، ص٤٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٧.

وعلى هذا فبلاط السلطان محمود يحتل أهمية كبيرة في التاريخ الأدبي لايران اذ خطا الادب الفارسي في عصره خطوة كبيرة نحو التقدم والرقي وإذا كان السامانيون قد وضعو الدعامة الوطيدة لاقامة صرح هذا الادب فإن السلطان محمود قد تابع هؤلاءالسامانيين ونجح في تشييد هذا الصرح كما يبدو من تلك

الآثارالخالدة التي تركها شعراء ذلك العصر.

ولما كان السامانيون من أصل إيراني عملوا على إحياءالقومية الإيرانية وبعث مخاطر الإيرانيين القديمة بينما كانت تسيطر على السلطان محمود العاطفة الدينية فكان يحب أن يمدحه الشعراء الإيرانيون بمفاخره الدينيه فهو في أشعارهم حامي حمى الدين وسلطان المسلمين وخسرو الغازي وربما اختار السلطان محمود العصبية الإسلاميةلأنه كان من عنصر تركي وكان إبنا لأحد غلمان السامانيين فلم يكن في ماضية ولا ماضى قومه ما يصح أن يفتخر به الشعراء الايرانيون والسلطان محمود الذي تمسك بالعصبيةالدينية والمذهبية ونال فخر الشعراء ومدحهم وجد الإيرانيون في قصته مع الفردوسي شاعرهم الكبير دليلاً على بخله، وأنه كان للمال في نظره قيمة أعلى من قيمة العلم والفن وأن هوءلاء الشعراء كانوا يعيشون في بلاطه مجبرين وأن محمود لايستطيع ان يفهم دقائق اللغه الفارسية ففقد بذلك الميل الطبيعي إلى الادب، كما فقد الذوق الحساس الذي يستطيع به أن يتذوق هذا الأدب وعلى هذا لم يعرف قدر الشاعر فردوسي الذي قال فيه الشاعر الجامي: "مضت عظمة محمود ولم يبق على وجه الزمان سوى قصة جهله بقيمة الفردوسي"[1]. ونرى أن هذه الاتهامات مبالغ فيها ولا تقبل على علاتها، فهذا العدد الكبير من الشعراء لا يمكن أن يجتمع في بلاط السلطان محمود إلا إذا كان هناك من يرعاهم ويمنحهم ويشجعهم على النظم والتأليف ولا يعقل أن يبقى هؤلاء جميعاً مجبرين تحت سلطةالتهديد والوعيد. وكل ما في الأمر أن الإيرانيين قد عز عليهم ألا ينال شاعرهم الكبير الجائزة التي يستحقها وهو الذي كان محور هذا العصر إذ أنه نظم الشاهنامة وسجل فيها سير وقصص الأبطال والعظماء الإيرانيين وأحيا مفاخرهم القديمة وأعاد إلى تاريخها الحياة، ومع هذا تذكر الروايات أن

---

(١) برفت شوكت محمود ودر زمانه غاند، جزاين فسانه كه نشناخت قدر فردوسي علي الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، ص٧٧.

براون: تاريخ الأدب في إيران: ص١١٠.

السلطان محمود ندم علي مسلكه أزاء الفردوسي، وأنه أمر بأن تسير إليه جائزة ثمنية تعوض عليه ما لاقاه من نكران وجحود، ولكن لسوء الحظ وصلت الجائزة في الوقت الذي كان جثمان الفردوسي يحمل إلى مقرة الأبدي[1].

ثم أن ادعاء الإيرانيين بأن السلطان محمود كان يجهل اللغة الفرسية إنما ادعاء باطل تتقصه الحقائق التاريخية ونحن في سبيل التدليل على بطلان هذا الزعم نكتفي بأن نورد تلك القصة التي يرويها نظامي العروض السمرقندي في كتابه جهار مقاله، مضمونها أن السلطان محمود كان ذات ليلة في حالة سكر شديد وكان معه إياز الذي كان يؤثره بمحبته وعشقه فأمره أن يقطع طريقه فامتثل إياز لأمر محمود ولما أفاق محمود من سكره طلب إيازاً وأبصر طريقه المقطوعتين، فندم على ما فعل وغضب غضباً شديداً لدرجة أنه كان يرقد ويقوم ولا يستطيع أحد من المقربين إليه أن يسأله ما به، وأخيراً توجه حاجب علي قريب إلى العنصري وطلب إليه أن يأتي لتهدئة ثورة محمود فاقبل العنصري على السلطان محمود، وبعد أن حياه وعظمه قال تلك الرباعية عاى البديهة.

لم تعيب قطع طرة الحبيب ولم تقعد وتقوم مهموما؟

ألا فاطرب وانشط واشرب فإن زينة السرور في شذبه[2].

فسر السلطان يمين الدولة محمود من هذين البيتين سروراً شديداً، وأمر أن يؤتى بالجواهر فملأ بها فم العنصري ثلاث مرات، ولا شك أن هذا دليل قاطع على أن السلطان محمود كان يتذوق الشعر الفارسي هذا إذ تجاوزنا عن الرواية التي تقول بأنه قد أثر عن هذا

---

(١) النظام العروضي السمرقندي:جهار مقاله (المقالات الأربع) في الكتابة والشعر والنجوم والطب نقله إلى العربية عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، ص٥٦-٥٩.

(٢) كي عيب سرزلف بت ازكاستن است   جه جاي بغم نشتن وخاستن است
جاي طرب ونشاط ومى خواستن است   كاراستن سرو زيراستن است
النظامي العروض السمرقندي: جهار مقالة، ص٤٢ .
فخر الدين على صفي: لطائف الطوائف بسعي واهتمام أحمد كلجين معاني تهران ١٣٣٦هـ، ص ٤١، ٤٢ .
والبيتان وردا في هذا الكتاب على النحو:-
أمروز كه زلف يار دركاستنست   جه جاي بغم نشستن وخاستنت
هنكام نشاط ووقت مي خواستنست   كاراستن سرو بيراستنست

السلطان وعن ابنه محمد شعر فارسي.

وإذا كان السلطان محمود قد أمر بإلغاء اللغة الفارسية من الديوان وإحلال العربية محلها فإن اللغة الفارسية مع هذا قد بقيت هي لغة الشعر والأدب.

ولكن لا يسعنا إلا أن نسلم بأن السلطان محمود كان سنياً متعصباً للغاية والواقع أنه شن حرباً على أهل البدع جميعاً، فلم يكتف باضطهاد الإسماعيلية، وهم أكثر الشيعة تطرفاً ومغالاة بل غدا ذلك إلى اضطهاد الفقهاء من أصحاب النزعة الاعتزالية، فهو في الحقيقة كغيره من الأتراك كان إسلامهم ذا لون خاص فيه نواحي قوة ونواحي ضعف فهو دين شديد لا يقبل جدالاً ولا مناقشة، ولا يقبل مذاهب مختلفةوهم على العكس من الفرس إذاكان في إسلامهم الجدل الشيعي وغير الشيعي وفيه المقارنة بينه وبين المانوية والزرادشتية والمزدكية وفيه التزندق أحياناً والتفلسف أحياناً، ولا شك أن لكل من هذين النوعين من التدين مزاياه ومضاره كالفرق بين إيمان العجائز وإيمان الفلاسفة.

أولاً- المراكز الثقافية في خراسان:

لا شك أن خراسان بعد الإسلام كانت محط أنظار العلماء المسلمين لتلقي العلوم والآداب، وقد اكتسبت هذه الأهمية بعد دخول نخبة كبيرة من الصحابة والعلماء والمسلمين مع الفتح الإسلامي هذه البلاد، حيث استقروا فيها وتناسلوا وتكاثروا وتأثروا وأثروا في مجتمعها، فتتلمذ على أيديهم ابناء خراسان وتعلموا منهم شتى أنواع العلوم والمعارف الإسلامية حتى أصبحوا من أشهر العلماء في العصور الإسلامية التالية، فلذا يمكننا القول أن الصحابة كانوا النواة الأولى لانتشار الثقافة والعلوم الإسلامية الدينية فيها والدنيوية في تلك المناطق من العالم الإسلامي.

كما إنهم ساهموا مع الموالي في إرساء قواعد هذه الثقافة فشاركوا في تخطيط المدن والمساجد والدور والقصور والمجالس الثقافية والمدارس حتى أصبحت في عيون المؤرخين والجغرافيين المسلمين منبراً من منابر العلم والأدب تتجه إليها أنظار العلماء والأدباء من جميع أقطار العالم[1].

---

(١) ناجي معروف: عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية في خراسان، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ج٢، ص١٠٤.

(١) اهم المراكز الثقافية في خراسان:-

كانت خراسان تطلق على الإقليم الواسع الذي ينقسم إلي أربعة أرباع وهي نيسابور ومرو وبلخ وهراة، التي كانت تشكل مراكز العلوم والآداب في حياة الدول التي توالت على هذا الإقليم منذ فترة الاستقلال عن الدولة العباسية، حتى كسبت عواصمها الأربع شهرة كبيرة، وفي آفاق العالم المتحضر في تلك الفترة، بل إنها نافست عاصمة الخلافة وجذبت إليها العلماء والأدباء من كل الأطراف ليكونوا في خدمة أمرائها وسلاطينها خلال حكمهم الذي استمر حتى سقوط بغداد في القرن السابع الهجري.

فنجد مرو وبلخ كانتا داري الإمارة بعد الفتح الإسلامي، ثم أصبحت نيسابور في عهد الدولة الطاهرية عاصمة الإقليم، وأخذت بوشنج وبست وسجستان وهراة وسرخس، ونسا وغيرها من المدن الأخرى مكانة في التاريخ الثقافي لخراسان، وازدهرت الحركة الثقافية في سجستان بقيادة خلف بن أحمد الذي كان يتمتع بسمعة كبيرة من حيث اهتمامه بأهل العلم، وقد مدح على ألسنة الشعراء والعلماء بما هو جدير به، كما اهتم بإبراز الأعمال العلمية التي جمعها العلماء من تفسير وتصنيف للقران الكريم، وقد انفق من ماله على هؤلاء العلماء طيلة عملهم في البحث عشرين ألف دينار، وأودع نسخ هذه المؤلفات بمدرسة الصابونية بمدينة نيسابور في أكبر مجموعة من كتب التفاسير إذ كانت تقع في مائة مجلد[١].

ومدينة بست من المدن الخراسانية التي اكتسبت شهرة في الحياة الثقافية والأدبية في القرن الرابع/ العاشر الميلادي، وأخذت تجذب العلماء والأدباء إلي بلاط أمرائها وحكامها من المدن الخراسانية الأخرى، حتى أصبحت هذه المدينة مركزاً ثقافياً في حياة ألأميرطغان الذي احتفى بالأدباء والشعراء في بلاطه، فكان من بين هؤلاء الأدباء الوزير أبو الفتح البستي الذي عمل معه فترة ولايته، وبعد أن انضمت هذه المدينة إلى الأمير سبكتكين، دخل أبو الفتح البستي في خدمته، وبدأت مواهبه الأدبية تظهر خاصة وأن الدولة الغزنوية كانت في حاجة إلى مفكر وسياسي وأديب بارع مثل البستي ليدعم قواعد ومسيرة هذه الدولة الفتية الناشئة، لذا أسند الأمير سبكتكين منصب رئيس ديوانه إليه، وقد تقلد منصبه هذا بصفته أديباً كبيراً

(١) إدوارد جرانفيل براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م ج٢، ص٢٠٣.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٩٥.

في التعريف بهذه الدولة والتمجيد بانتصارات أميرها في بلاد الهند في بداية عهدها، ثم كان عليه بعد ذلك أن يوثق العلاقات بين أقاليم الغزنوية وبين ما يجاورها من الولايات والدول العريقة كالدولة السامانية في بخارى والدولة البويهية في فارس، ودولة الترك فيما وراء النهر، حتى يحفظ ظهر مولاه في حروبه من أن يطعن من الخلف[1].

كذلك اهتم الغزنويون بالمدن الخراسانية ومراكزها الثقافية وجعلوا من نيسابور ومرو وبلخ مقراً للعلم وحصناً للعلماء، وقد امتدح المقدسي أثناء زيارته لإقليم خراسان سيرة السامانيين وبين مدى ما وصلت إليها الحياة الثقافية من ازدهار ورقي في عهدهم، كما اعتبر هذا الإقليم من أكثر الأقاليم علماً وتفقهاً لأنه معدن الخير وركن الإسلام وحصنه الأعظم وإن علماءه وفقهاءه بلغوا درجة الملوك كما وصف أهل خراسان بأنهم أشد الناس تفقهاء وبالحق تمسكاً، وهم بالخير والشر أعلم، وإلى أقاليم العرب ورسومهم أقرب، وإقليمهم أكثر أجله وعقلاً مع العلم الكثير، والحفظ العجيب، به مرو التي قامت بها الدنيا، وبلخ إليها المنتهى ونيسابور فلا تنسى[2].

كذلك شهدت عاصمة السامانيين حركة ثقافية كبيرة، فكانت بخارى مركزاً لتجمع العلماء والأدباء فوصف الثعالبي هذه الحركة الثقافية في العهد الساماني بقوله: "كانت بخارى الدولة السامانية مثابة المجد وكعبة الملك، ومجتمع أفراد الزمان ومطلع نجوم أدباء الأرض وموسم فضلاء الدهر"[3]. ويعرف من وصف الثعالبي لهذه المدينة العامرة بالعلم والأدب أنها جذبت كثيراً من العلماء والأدباء فاشتهر في البلاط الساماني أبو علي الحسين بن عبد الله المشهور بابن سيناء (٣٧٠-٤٨٢هـ) الذي انتقل مع أسرته أيام نوح بن منصور الساماني، فتعلم العلوم والفلسفة على أيدي علماء عصره، وقد نبغ في الطب وهو في السابعة عشرة من عمره، فعندما مرض الأمير نوح بن منصور، استدعاه لمداواته، فلما نجح في معالجته، قربه ذلك الأمير وأغدق عليه الأموال وسمح له بالتردد على مكتبته الزاخرة بالمؤلفات[4]، وكانت مكتبة هذا الأمير كما يقول ابن خلكان: "عديمة المثل فيها من كل فن من

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣٩، ٤٣.
صملم الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٩٥، ١٩٦.
(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٩٤، ٢٩٥.
(٣) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٣، ص٣٢.
(٤) براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ص١٢٢-١٢٣.

الكتب المشهورة بأيدي الناس وغيرها مما لا يوجد في سواها ولا سمع باسمه فضلاً عن معرفته[1].

(٢) أهم المراكز الثقافية في فترة حكم الغزنويين:-

ومن المراكز الثقافية التي ازدهرت في فترة حكم الغزنويين بلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير في طبرستان، وقد وصف الثعالبي هذا الأمير بأنه خاتم الملوك وعزة الزمان، ينبوع العدل والإحسان، ومن جمع الله له إلى عزة الملك بسطة العلم، وإلى فضل الحكمة نفاذ الحكم، فأوصافه لا تدرك بالعبارات ولا تدخل تحت العرف والعادات، وأن لي أن أعمل كتاباً في أخباره وسيره، وذكرخصائصه ومآثره، وأكتب فصولاً عن عالي نثره مختتمه ببعض ما ينسب إليه من شريف نظمه مما يجري الأمثال من كلامه[2]. ولقد كان شمس المعالي نفسه أديباً كبيراً جمع اليزدادي أقواله في كتاب سماه "قرائن شمس المعالي وكمال البلاغة"، وهو يدل على براعة قابوس في اللغة والأدب وعلى معرفته بعلم الفلك والنجوم حتى أنه ألف كتاباً في الاسطرلاب أطراه أبو إسحاق الصابي، وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد مراسلات، .كما راسل أبا نصر العتبي مؤرخ حياة السلطان محمود الغزنوي[3].

وكان مدينة أصبهان والري من بين المراكز الثقافية في شرق الدولة الإسلامية، وقد انتقلت إليها المظاهر الحضارية رويداً رويداً من مراكز الحضارة الإسلامية كبغداد والبصرة، وازدهرت هاتان المدينتان كمركزي إشعاع للعلوم والآداب في العصر البويهي، وجمع فيها الأمراء كتباً وأنشئوا مكتبات كثيرة، وبذل كل من الوزيرين ابن العميد وابن عباد الجهود في جذب المحدثين والفقهاء والفلاسفة والأدباء إلى بلاط البويهيين حتى أصبح هذا العصر من العصور الزاهرة في العلم والأدب، فاشتهرمن المحدثين والفقهاء أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي الرازي، وله مؤلفات في الحديث والتاريخ، اعتمد عليها المحدثون وتوفي سنة ٣٢٠ هـ. ومن أئمة الحديث في أصفهان أبو محمد عبدالله بن حيان الأصفهاني، وله كتاب السنة

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ج١، ص ١٥٢, ١٥٣.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٤، ص٥٦ -٥٧.

(٣) العتبي: تاريخ اليميني: ج٢، ١٤- ١٧، ١٧-١٧٨.
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣٣٤-٣٣٥.

وفضائل الأعمال وتوفي سنة ٣٦٧هـ[١]. كذلك نبغ أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، وتفوق في الطب النظري والعملي والكيمياء، وكان أبو بكر الرازي في حداثة سنة مولعاً بالغناء، ثم أقبل على دراسة الطب. فخدمه، وألف فيه كتباً كثيرة، وليس أدل على ذلك من قول ابن خلكان: "إنه كان إمام وقته في عالم الطب، متقناً لهذه الصناعة، عارفاً بأوضاعها وقوانينها تشد إليه الرحال لأخذها عنه، وصنف فيها الكتب النافعة". وبلغ عدد مؤلفاته ما يقرب من مائتي كتاب. وكان أكثر إقامته بالري، وتنقل في بلاد كثيرة، وأقام فترة عند السامانيين حيث اتصل بمنصور بن اسحق بن أحمد الساماني وألف له كتابه "المنصوري في الطب"، ويعد من أشهر كتبه، وقد جمع فيه بين العلم والعمل[٢].

هذا واهتم البويهيون بالثقافة في جنوبي بحر الخزر إلا أنهم لم يأتوا بأي تراث أدبي فارسي يمجد تلك البلاد، لأنهم اندفعوا في تشجيع الادب العربي اندفاعاً تاماً -مع أنهم من أصل فارسي. ولم يقدروا للأدب الفارسي قيمة، كذلك لم يشتهر أحد في عهدهم من شعراء تلك البلاد التي كان لهم سلطان عليها، في حين أن الشعر الفارسي ثابر على التقدم في العهد نفسه، في البلاد التابعة للسامانيين والغزنويين، وحلفائهم في إيران الشرقية[٣].

لاحظنا كيف انتشرت المراكز الثقافية في الجزء الشرقي من إيران في فترة استقلال الدولة الإسلامية عن الخلافة العباسية، وهذا بطبيعة الحال أكسب هذه المنطقة ازدهاراً ثقافياً في جميع مجالات العلم والأدب، كما زاد من حماس العلماء والأدباء في العطاء وبذل الجهد لرفع سمعة هذه البلاد بين أقطار العالم الإسلامي المتقدمة في العوم والفنون في ذلك العصر.

ثم كان اختيار الغزنويين مدينة غزنة عاصمة لهم، فسعوا منذ البداية لجعلها مركز إشعاع كبير في جنوب غرب آسيا، وكان الهدف من ذلك نقل الثقافة الإسلامية إلى بلاد الهند المفتوحة أمام قواتهم، فما كان منهم إلا أن استعانوا بالمراكز الثقافية سواء في خراسان أو الأقاليم لرفع شأن العلوم والفنون في دولتهم، في الوقت الذي لم يكن الغزنويون بعيدين عن

---

(١) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٠٦.
محمدجمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص٢١٤.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص١٠٣.
أحمد أمين : ظهر الإسلام، جزءان -القاهرة ١٩٤٥، ج١، ص٢٤٨، ٢٥٢.
محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص٢١٤، ٢١٥.

(٣) بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٠٦.

الحياة الثقافية ومراكزها طيلة حكمهم لخراسان فكانوا على اتصال بالعلماء والفقهاء والأدباء في هذا الإقليم وبلاد ما وراء النهر، وقد اتصل الأمير ناصر الدين سبكتكين بالشاعر الأديب أبي الفتح البستي الذي شاركه في تأسيس دولته الناشئة وقد بذل هذا الرجل جهداً كبيراً بعد تعيينه رئيساً لديوان الكتابة في توثيق أواصر المودة بينه وبين أمراء الولايات المجاورة، وحماية ظهر مولاه من الغزو الخارجي نتيجة الحروب المتلاحقة في المنطقة هذا بجانب أنه استطاع بصلاته وعلاقاته أن يجذب إلى بلاط الغزنويين العديد من الأدباء والعلماء والشعراء أمثال أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي ومفتي نيسابور أبي الطيب سهل بن محمد سليمان الصعلوكي، والشاعر أبي ظفر بن عبدالله الهروي، والقاضي أبي القاسم علي بن الحسين الداوودي[1].

ولما برزت غزنة في أواخر القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كمركز من مراكز الثقافة في الدولة الغزنوية، استطاع السلطان محمود أن يضم إليه رجال العلم والأدب الذين كانوا يحيطون بأمراء البلاد المجاورة، فأرسل إلى الأمير مأمون بن مأمون- أمير خوارزم- كتاباً مع أحد أشراف دولته، واسمه حسين بن علي بن ميكائيل، يقول فيه: "قد علمت أن ببلاط خوارزم شاه جماعة من رجال العلم يقومون على خدمتك، ومن الواجب عليك أن ترسلهم جيمعاً إلى قصري حتى يتشرفوا بلقائي فنحن نرجو أن ننتفع بعلمهم وفنهم". ولما كان هذا الأمير يخشى بأس السلطان محمود فقد أمر رجال العلم في بلاده بالتوجه إلى غزنة، وقد أجاب طلبه ثلاثة من العلماء، إلا أن ابن سينا وأبا سهل المسيحي[2] لم يميلا إلى تحقيق هذه الرغبة وعولا على الهرب بعلم مأمون. وهلك المسيحي تحت رمال الصحراء على أثر هبوب عاصفة، وفر ابن سينا إلى طبرستان، ويأخذ رجال السلطان محمود في البحث عنه، ولكن أمير طبرستان لم يمكنهم من ابن سينا بعد أن أكرم وفادته وأفاد منه فوائد

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٥٧.
الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٤، ص٢٨٤، ٣١٢.
محمد مرسي الخولي: أبو الفتح البستي (حياته وشعره)، بيروت، ١٩٨٠م. الطبعة الأولى، ص٧١.

(٢) أبو سهل المسيحي فيلسوف عاش في بلاط مأمون بن مأمون أمير خوارزم مع مجموعة العلماء الذين اشتهروا في ذلك العصر أمثال البيروني وابن سينا.

جمة في مجالات الطب وغيره من فروع العلم[1].

(٣) المكتبات وخزائنها:-

أما عن الحركة الثقافية في الدولة الغزنوية فلم يأل السلطان محمود جهداً في تشجيعها في كافة المحافل، فزين غزنة بأجمل ما حصل عليه من مغانم الهند، وأعاد تشييد مسجدها الجامع على أحسن صورة "وأضاف إلى المسجد مدرسة رائعة تشتمل حجراتها من بساط الأرض إلى سقوفها على تصانيف الأئمة الماضين من علوم الأولين والآخرين منقولة من خزائن الملوك السابقين، يتناولها فقهاء وعلماء غزنة بالتدريس"[2].

وكان هذا المجهود يحتاج إلي وجود المكتبات المتخصصة، كما كانت موجودة في قصور الأمراء، وقد أشرنا إلى مكتبة الأمير نوح بن منصور الساماني حينما سمح لابن سينا بالتردد عليها مكافأة له على مداواته وعلاجه من مرضه، فلذا سعى السلطان محمود لإقامة المكتبات المتخصصة في المراكز العلمية في دولته لتكون مراجع للعماء والأدباء حين الحاجة إليها، ويذكر أن السلطان محمود لما فتح الري سنة ٤٢٠هـ، كان صاحبها مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه مشغولاً عن أمور بلده بقراءة هذه الكتب ونسخها، وكان عنده مكتبة ضخمة تحتوي على فروع العلم المختلفة فلما فتحها السلطان محمود أحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم وأخذ من الكتب ما كان يساوي مائة جمل إلى خزائنه[3]

هذا وكان في كل جامع كبير مكتبة، لأنه كان عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع ويقال: إن خزانة الكتب بمرو كانت تحوي كتب يزدجرد لأنه حملها إليها وتركها، وذكر ابن طيفور أن ياقوت قد ترنم بذكر مكاتب مرو فتغنى بأيامها شعراً جميلاً، وكان بها على عهده إثنا عشر ألف مجلد، ويقول ياقوت: "وكانت (الخزائن) سهلة التناول لا يفارق منزلي منهامئتا مجلد وأكثر بغير رهن، تكون قيمتها مائتي دينار، فكنت ارتع وأقتبس من

---

(١) بارون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ص١١١، ١١٢.
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٢٥، ٢٣٦.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٩٢، ١٩٣.
(٢) العتبي: تاريخ اليمين، ج٢، ص٩١-٢٩٩.
(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٧، ص٢٣٥.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٩٣.

فوائدها، وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الأهل والولد"[1].

وقد وصف المقدسي خزانة الكتب التي كانت في دار عضد الدولة بقوله: "إنها حجرة على حدة، عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد، ولم يبق كتاب صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم إلا وحصله فيها، وهي أزج طويل في صفة كبيرة، فيه خزائن من كل وجه، وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوت طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق، عليها أبواب تنحدر من فوق، والدفاتر منضدة علي الرفوف، لكل نوع بيوت وفهارس فيها أسامي الكتب، ولا يدخلها إلا كل وجيه"[2].

وكان وزراء وحكام الأقاليم الإسلامية يملكون مكتبات كبيرة يتردد عليها الفقهاء والعلماء والأدباء بين الحين والآخر للاستفادة منها في القراءة والملاحظة وفي تدوين ملاحظاتهم أثناء كتابة البحوث، ويذكر أن الأمير نوح بن منصورعندما استدعى الصاحب بن عباد (المتوفى ٣٥٨هـ/٩٩٥م) ليوليه وزارته، اعتذر عن ذلك، فكان مما اعتذر به أنه لا يستطيع حمل أمواله وما عنده من الكتب العلمية إلى بخارى، وقدر كتب هذا الوزير ما يحمله أربعمائة جمل أو أكثر، وكان فهرس كتبه يقع في عشرة مجلدات[3].

---

(١) ابن طيفور: كتاب بغداد، ص١٠٧.

آدم متز:الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣٠٤. وكان الملوك يفاخرون بجمع الكتب حتى كان لكل ملك من ملوك الإسلام الثلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد في أواخر القرن الرابع الهجري ولع شديد بالكتب فكان الحكم صاحب الأندلس يبعث رجالاً إلى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب عند أول ظهورها وكان فهرس مكتبته يتألف من أربع وأربعين كراسة كل منها عشرون ورقة، ولم يكن بها سوى أسماء الكتب، أما في مصر فكان للخليفة العزيز (المتوفى عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م. خزانة كتب كبيرة، وقد ذكر عنده كتاب العين للخليل بن أحمد، فأمر خزنة دفاتره، فأخرجوا من خزائنه نيفاً وثلاثين نسخة، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد، وحمل إليه رجل نسخة من تاريخ الطبيري اشتراها بمائة دينار، فأمر العزيز الخزان فأخرجوا ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبيري منها نسخة بخطه.

آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٣٠٤.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم ص٤٤٩.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٣٠٨.

(٤) المدارس والمجالس العلمية:-

لا شك أن هذا التطور الذي لاحظناه في المراكز الثقافية في كل من خراسان وبلاد ما وراء النهر، وما أبداه السلاطين والأمراء من اهتمام بالعلم والعلماء، كان له أثر في ظهور مؤسسات علمية سواء كانت على نمط مجالس علمية -تعقد في المساجد أو في أماكن خاصة- أو على مستوى متطور فيما بعد كالمدارس النظامية التي أسسها نظام الملك في مدينتي نيسابور وبغداد.

وكان التعليم في المدن الخراسانية على أيام السامانيين والغزنويين ينفق عليه بعض الأمراء والأعيان أو القضاة من أموالهم الخاصة، وقد أقام القاضي ابن حبان (المتوفى ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)في مدينة نيسابور داراً للعلم وخزانة كتب ومساكن داخلية للطلاب الذين يتوافدون عليها من خارج المدينة، وأجرى عليهم أرزاقاً لكي يتفرغ كل منهم لطلب العلم، كما سهل لهم دخول خزانة الكتب وقراءة ما فيها، دون أن تعار لهم الكتب خارج الخزانة حتى ينتفع الجميع من الكتب العلمية فيها[١].

وكانت معظم دروس العلوم النقلية مثل الفقه والحديث تعطى في المسجد، وكان التلاميذ يشكون حلقة بين يدي المدرس ويستمعون إليه بكل أدب وخضوع، وكان الفقهاء أكثر العلماء تلاميذ وكان ذلك طبيعياً، لأن الفقهاء يعلمون العلم الذي يؤهل أصحابه لتولي مناصب يعيشون منها.

ولو قارنا عدد التلاميذ في ذلك العصر بالنسبة لما نراه اليوم لوجدناه صغيراً جداً وهذا يدل على كثرة العلماء بالنسبة إلى التلاميذ، على أن نسبة المتعلمين كان يفوق الأميين، فمثلاً أبو حامد بن محمد الإسفراييني (المتوفي عام ٤٠٦ﻫ/ ١٠١٥م،) أمام أصحاب الشافعي، كان يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك ببغداد، ويحضر مجلسه ما بين ثلاثمائة وسبعمائة فقيه، وكان أبو الطيب الصعلوكي[٢] الفقيه الأديب مفتي نيسابور وهي مركز علماء خراسان، يحضر مجلسه أكثر من خمسمائة طالب علم في عشية الجمعة الثالث والعشرين من المحرم سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، بينما كان يعقد بين يدي أحد أصحاب الجويني (المتوفي عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م.) في كل يوم ثلاثمائة مجلس من الأئمة والطلبة، هذا وكان يعرف عدد الطلاب عن

---

(١) نفس المرجع: ج ص٣١١.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٥٤٠.

طريق إحصاء محابرهم التي كانوا يضعونها أمامهم والتي كانت أهم عتاد للطالب في ذلك العصر[1].

واهتم السلاطين الأمراء الغزنويون بالمدارس العملية والمذهبية منذ تأسيس دولتهم، فأرسل السلطان محمود بعد استيلائه على خراسان القاضي أبا صالح التباني إلى غزنة ليكون فيها إماماً على مذهب أبي حنيفة، وعلى أن يشتغل بالتدريس في مدرسة باب بستان ومن الذين تخرجوا على يده، وأخذوا العلم عنه، قاضي القضاة أبو سليمان بن داود بن يونس والقاضي زكي محمود[2]. وأخيراً ساهم السلطان محمود شخصياً في إنشاء مدرسة بالعاصمة غزنة، وقد خطط لهذه المدرسة لتكون فيها مكتبة علمية ضخمة يتردد عليها طلاب العلم والوافدون إليها من كل مكان[3].

ومع التطور العلمي الذي حدث في العالم الإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ العاشر والحادي عشر الميلاديين في كل من المشرق والمغرب، سعى الفقهاء والعلماء لإيجاد مدارس تعليمية في إقليم خراسان في فترة حكم الأمراء والسلاطين له، وتاريخ بناء المدارس في خراسان ينقسم إلى مرحلتين أحداهما المدارس التي وجدت قبل المدارس النظامية، والثانية المدارس النظامية التي تعهد نظام الملك (المتوفى ٤٨٥هـ) ببنائها في كل من مدن خراسان والعراق.

وحيث أن المدارس النظامية كانت أكثر نظاماً في اختيار الأساتذة والمعلمين وفي اسلوب التدريس والدراسة، وفي إنتساب الطلاب إليهم لأنهم كانوا يخضعون لاختبار قبل دخولهم فيها، وبالإضافة إلى حداثة مكتباتها العلميةالتي كانت تخلق للطلاب الجو المناسب في كتابة البحث والدراسة الجيدة إلا أن المدارس القديمة (ونقصد بالمدارس التي وجدت في خراسان قبل المدارس النظامية) كانت تخضع لنظام الأستاذ الواحد أو أكثر، ومعظمها كانت تشيد بمجهود الأمراء والوزراء ورجال العلم، ولا يخضع الطالب الذي ينتسب إليها لأية اختبارات شخصية قبل دخول الطالب فيها، ومن هذه المدارس مدرسة طابران التي بناها

(١) آدمتز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص٣١٥.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢١٣.

(٣) إيرانشهر: تأليف مجموعة من المؤرخين الإيرانيين، المجلد الأول، ص٦١٩.

العالم الفقيه الحاتمي (المتوفي عام ٣٩٦هـ)[1].

ومن المدارس العلمية التي كانت عامرة بالعلم والعلماء في نيسابور -المركز الرئيسي لهذه المدارس في خراسان- مدرسة كان يقوم بالتدريس فيها النيسابوري فقيه الشافعية (المتوفى عام ٣٩٦هـ) وكذلك بنى لابن فورك (المتوفى ٤٠٦هـ) مدرسة خاصة باسمه، ولعل من أهم هذه المدارس تلك المدرسة التي بنيت للعالم ركن الدين الأسفراييني المتوفى ٤١٨هـ[2].

وهناك مدارس أخرى كانت في نيسابور في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، منها المدرسة البيهقية التي بناها الإمام أبو الحسن محمد بن شعيب البيهقي مفتي الشافعية في كوي سيار نيسابور وكان يسكنها فترة من الزمن الكاتب الكبير أسعد بن مسعود العتبي النيسابوري (المتوفي ٤٠٤هـ) والذي كان يحضر مجالس الإملاء في جامع منيعي بمدينة نيسابور، وكان من أساتذة هذه المدرسة أبو الحسن علي بن حسين البيهقي الذي تولى تدريس الأحاديث النبوية فيها.

وكانت الدراسة في هذه المدرسة مقسمة إلى ثلاث حصص، حصة للعلوم والآداب، وحصة للإملاء والحديث، وحصة أخرى للتذكير والوعظ، وكان إمام الحرمين أبوالمعالي عبد الملك الجويني (المتوفي ٤٧٨هـ) من الذين درسوا على يد أبي القاسم الإسكافي الإسفراييني مادة علم الأصول في هذه المدرسة[3].

ومن المدارس التي لاقت شهرة من الناحية العلمية وظلت عامرةً إلى القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في نيسابور مدرسة الصاعدية -وتنسب هذه المدرسة إلى

---

(١) دكتر ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات درايران، تهران، ١٣٤٤ش، مجلد أول، ص٢٦٥ ويضيف أنا من المدارس القديمة في خراسان كانت مدرسة في آمل تنسب إلى الداعية حسن بن قاسم الذي قتل في سنة ٣١٦هـ.

إيرانشهر: تأليف مجموعة من المؤرخين الإيرانيين، المجلد الأول، ص٧١٨.

(٢) دكتر ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات درايران، ص٢٦٥.

ويضيف أن ابن فورك الاصفهاني كان في مدينة اصفهان وجئ به إلى نيسابور ليدرس في هذه المدرسة الخاصة التي أخذت اسمه فيما بعد.

إيرانشهر: تأليف مجموعة من المؤرخين الإيرانيين، المجلد الأول، ص٧١٨.

(٣) إيرانشهر: تأليف مجموعة من المؤرخين الإيرانيين، المجلد الأول، ص٧١٨.

دكتر ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، مجلد أول، ص٢٦٦.

القاضي أبي العلا صاعد أستاذ الأمير مسعود بن محمود الغزنوي- وكان أبو سليمان فندق بن أيوب جد المؤرخ أبي الحسن البيهقي (المتوفي عام ٥٦٥ـ) يقوم بتدريس الفقه في هذه المدرسة. أما المدرسة الصابونية فقد ظلت عامرة إلى دخول الغز خراسان، كذلك ظلت مدرسة سراجان تؤدي واجبها تجاه طلاب العلم إلى أوائل القرن الخامس الهجري[1].

كذلك من المدارس المعروفة في أواخر القرن الرابع الهجري مدرسة السعيدية التي بناها الأمير نصر بن ناصر الدين سبكتكين في فترة حكمه لخراسان عام ٣٨٩هـ/٩٩٩م. أما في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فقد تأسست أربعة مدارس كبيرة في نيسابور لتضم الفرق الدينية الأربع التي كانت لها مكانة مرموقة في المجتمع الخراساني وهذه الفرق الدينية هي الحنفية والشافعية والشيعة العلوية والكرامية، وقد تبنى فكرة هذه المدرسة أحد مشاهير بيهق في القرنين الرابع والخامس الهجريين أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف بن عمرو، على أن يتولى من كل طائفة أساتذة وعلماء التدريس في هذه المدرسة، وبالفعل تولى الإمام أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف البيهقي -جد أبي الحسن العالم المعروف في القرن السادس- التدريس لطائفة الحنفية وقد تداول المؤرخون أخبارها إلى أواخر القرن السادس الهجري كما تولى التدريس للطائفة الشافعية أبو الحسن حناني واعظ نيسابور (المتوفي في ٤١٦هـ) وكان يرأس أبو عسكر عبدالله وأبو سهل أبنا أبي نر محمد بن محمد المطوعي (المتوفي ٤٠١هـ) طائفة الكرامية. أما الشيعة والمعتزلة والزيدية فقد تولى التدريس لهم الإمام علي بن عبدالله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب (المتوفي ٤١٨هـ[2]).

هناك مدارس أخرى في بعض مدن خراسان قد تأسست منذ أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ففي سبزوار بنى الخواجه أميرك أحد كبار أعيان الدولة الغزنوية مدرسة، ليتزود منها طلبة العلم شتى أنواع العلوم والآداب، وكان الإمام أحمد بن علي البيهقي الفقيه المعروف من الذين سكنوا في هذه المدرسة بعد أن انتقل إلى هذه المدينة بأمر من نظام الملك للمشاركة في النهضة العلمية هناك وكذلك شارك الوزير أبو العباس

---

(١) إيرانشهر: تأليف مجموعة من المؤرخين الإيرانيين، المجلد الأول، ص٧١٨.
دكتر ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، مجلد أول، ص٦٦.

(٢) دكتر ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، مجلد أول، ص٢٦٦، ٢٦٧.
إيرانشهر: تأليف مجموعة من المؤرخين الإيرانيين، المجلد الأول، ص٧١٩.

الفضل بن أحمد الإسفراييني الذي كان يرأس الوزارة في عهد السلطان محمود إلى عام ٤٠١هـ في بناء مدرسة في مدينة بلخ(١).

وأخيراً اهتم السلطان محمود بعد رجوعه من فتح قنوج عام ٤٠٩هـ ببناء مسجد جامع في غزنة تكون بجواره مدرسة مزودة بنفائس الكتب وغرائبها من المؤلفات لجميع العلماء والأدباء وأئمة الفقه، ومن ثم اتجهت إليها الأنظار من كل البلاد، وقصدها الطلبة، ليتزودوا منها بالعلوم والآداب على أيدي علماء وأساتذة معروفين في المشرق الإسلامي، بعد أن توفرت لهم سبل الراحة من الناحية العلمية والمادية، لإنهم كانوا يتقاضون أثناء دراستهم رواتب شهرية من هذا الصرح العظيم(٢)

هذا ويتضح لنا من المعلومات السابقة أن المراكز التعليمية في خراسان من المدارس والمجالس العلمية كانت عامرة بالبحث والدراسة وبالطلبة والعلماء، وكذلك يؤكد أن القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كان بداية ازدهار النشاط التعليمي في هذا الإقليم بتأسيس هذه المدارس والمجالس العلمية فيها.

هكذا بدأت الأقطار الإسلامية في بلاد المشرق بعد الاستقلال عن الخلافة العباسية وخاصة الدولة الغزنوية من خلق نهضة ثقافية في هذا الجزء من العالم الإسلامي، وذلك بعد أن كانت هذه النهضة محصورة في بغداد التي اعتبرت آنذاك مركزاً للعلوم والآداب، فلذا سعت هذه الدولة لجعل بعض المدن الكبرى سواء في خراسان أو في الأقاليم الأخرى مراكز للثقافة تنافس حاضرة الخلافة في تجميل موطنها بالعلماء والأدباء وتتفاخر بهم، وتغدق عليهم الأموال، كما صار لحواضر تلك الدولة وخاصة غزنة ونيسابور مكانة، متميزة في علمها وأدبها وأصبحت منها قبلة العلماء والشعراء والكتاب(٣).

أضف إلى ذلك ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسية والدينية، واتخذت من هذه المراكز والمدن رواجاً لمبادئها وأهدافها وخير مثل لذلك ما نشاهده من الآثار التي خلفتها المعتزلة ودعاة الإسماعيلية من العلماء والمتصوفين وغيرهم،

---

(١) دكتر ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، مجلد أول، ص ٢٦٧.

إيرانشهر: تأليف مجموعة من المؤرخين الإيرانيين، المجلد الأول، ص٧١٩.

(٢) دكتر ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، مجلد أول، ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٣) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص٢١٤.

وكان للجدل والنقاش الذي قام بين هذه الفرق من ناحية، وبينها وبين العلماء من ناحية أخرى، أثر بعيد في هذه النهضة العلمية التي يتميز بها هذا العصر، وخاصة في القرنين الرابع والخامس الهجري/ العاشر والحادي عشر الميلادي، على الرغم مما انتاب العالم الإسلامي بوجه عام من تفكك وانحلال، وما أصاب الخلافة العباسية من ضعف ووهن، ولكن مع تلك الظروف والأسباب التي أدت إلى ذلك الأمر فإن هذه الدول المستقلة وخاصة الدولة الغزنوية سعت إلى الثروة والإقبال على الحركة الثقافية كا رأينا وإلى ازدهار العلم والأدب في شتى المجالات وذلك على النحو الذي نفصله في الفصول التالية.

ثانياً: الحياة الدينية والفرق والمذاهب:-

(١) المذاهب الدينية في خراسان:-

يرجع تعدد المذاهب والفرق الدينية في خراسان إلى توالي الحكام والسلاطين على حكم هذا الإقليم بعد الاستقلال عن الخلافة العباسية، فكان من حكام هذه الدول من يؤيد مذهباً من مذاهب أهل السنة، ومنهم من كان يؤيد المذهب الشيعي، ومن كان يدعم إلى جانب هذه المذاهب الدينية فرقاً كالمعتزلة أو كما كان الحال في الدولة الغزنوية حين تبنى الأمير ناصر الدين سبكتيكن فرقة الكرامية في نيسابور حتى أصبحت لها السلطة الدنيوية في رئاسة تلك المدينة أيام ابنه السلطان محمود بدلاً من أعيانها كما كان المعتاد سابقاً[١].

بلغت الفرق الإسلامية أقصى نشاطها زمن العباسيين والدول المستقلة في المشرق، وانقسم الناس إلى طوائف وأحزاب حسب مذاهبهم وزاد في هذا الانقسام أن كل فرقة من الفرق الكبيرة انقسمت بدورها إلى فرق فرعية صغيرة عديدة، ثم اشتد الجدل والنزاع بين طوائف الفرق وأصبح المجتمع الإسلامي ميداناً لصفوف الآراء المختلفة وأثر الخلاف بين هذه الفرق الإسلامية في الشئون الداخلية، إذ وجدت الحركات الانفصالية المختلفة ولا سيما في أطراف الدولة الإسلامية البعيدة متنفساً لها ذلك أن تعاليم هذه الفرق انتشرت في كثير من أقاليم الدولة بعيداً عن السلطة المركزية، وكذلك في البلاد التي اشتهرت بتعصبها لقوميتها القديمة، مثل فارس وتعد ثورات الخوارج مثلاً لهذه الحركات الانفصالية التي تولدت عن مسألة الخلافة وذلك أيام الدولة الأموية، ثم أن الخوارج أذاعوا بين أتباعهم أن الخلفاء

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج١، ص٧٤.

العباسيين لا يصلحون للخلافة لأن أولئك الخلفاء لم يستوفوا الشروط التي يجب استيفاؤها لهذا المنصب، ولذا يجب الخروج عليهم وعزلهم، ووضحت هذه الآراء السياسية الانفصالية منذ عهد أبي العباس أول الخلفاء العباسيين، إذ قامت عدة ثوارت إقليمية، ولا سيما في عمان، وخراسان وبلاد المغرب الأدني (تونس)[1].

وإذا كان الخلفاءالعباسيون قد نجحوا في إخماد فتن الخوارج، فإن ما بذلوه في هذا السبيل استنزف من قوتهم الشيء الكثير، وهيأ للفرق الإسلامية الأخرى أن يزداد نشاطها والخلافة العباسية مشغولة بهذه الفتن، فاستطاع الشيعة نشر تعاليمهم في كثير من بلاد الدولة الإسلامية، مثل فارس وخراسان، وأرسلوا الدعاة لنشر مذهبهم في البلاد الأخرى التي مهدت لدعوتهم ثورات الخوارج، فنجحوا في تأسيس دولة لهم بالمغرب امتدت فيما بعد إلى مصر والشام ألا وهي (الدولة الفاطمية)[2].

وهكذا أدى نمو الفرق الإسلامية إلى انكماش الخلافة العباسية في بغداد وتثرت الحماسة الدينية للجهاد والفتوح الجديدة الإسلامية، وانصرف جهاد المسلمين إلى إخماد الفتن السياسية الداخلية، ولم تسلم الدولة الإسلامية آثار الجدل السياسي الديني، وانتهى بها الأمر إلى التفكك والانقسام إلى ممالك ودول عديدة، وأحدثت الفرق الإسلامية آثاراً اجتماعية كبرى في المجتمع الإسلامي لأن كلا من الجدل والاختلاف في الآراء مساعد على حرية الفكر ومران الناس على تقبل الآراء والنظريات بصدر رحب، وقد وجدت هذه الفرق الإسلامية في إقليم خراسان أرضية خصبة لتقبل هذه الأفكار، وفي الحكم السامانى نجح الشيعة الإسماعيلية[3] من خلال دعاتهم إلى إدخال بعض هذه الأفكار التي تؤيد مذهبهم، ومع أن السامانيين كانوا حماة أهل السنة، وفي أيامهم ألف كتاب في العقائد باللغة العربية لوقاية الشعب من الرافضين إلا أن الشاعر الرودكي السمرقندي يبدو أنه قد تأثر ببعض هذه الأفكار والآراء، كما يقول بارتولد في كتابه -فكان مما قاله: "لا معنى لتحويل الوجه إلى

---

(١) إبراهيم أحمد العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية ابعاده الحضارية، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٢٥.

(٢) نفس المرجع: ص٢٢٥.

(٣) فرقة من الإمامية قالوا بإمامة الستة وأن السابع هو إسماعيل بن جعفر الصادق وليس الإمام موسى الكاظم كما يقول غيرهم من الإمامية، والإسماعيلية واحدة من الفرق الشيعية التي جنحت إلى الغلو أكثر من ميلها إلى الاعتدال.

شريف يحيى الأمين: معجم الفرق الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٠، ٣١.

القبلة والقلب منجذب إلى القدسية المجوسية. ويجب الإيمان بحب الإله العام لجميع الأديان، فإن إلهك يقبل حبك ولكن لا يقبل صلاتك". وقد أظهر هذا الشاعر نفسه بصراحة تامة محبته وإخلاصه للخلفاء الفاطميين الشيعيين[1].

وكان لظهور البويهيين في القرن الرابع الهجري على ساحل بحر الخزر الجنوبي وهجومهم على البلاد الإيرانية المتفوقة أثر فعال في ازدهار الحضارة، وقد انتهزوا فرصة ضعف الخلافة العباسية، فعملوا عل تقوية المذهب الشيعي في تلك البلاد، ولم يكتف هؤلاء بالاستيلاء على هذه البلاد، بل أنهم زحفوا على بغداد وقضوا على سلطان الخليفة الدنيوي، فقد اقتسم أعضاء الأسرة (البويهية) فيما بينهم البلاد التي استولوا عليها، وكان التفوق السياسي ينتقل من شخص إلى شخص ولم تكن للدولة عاصمة معينة، فالمدينة التي يقيم فيها الأمير الأقوى هي العاصمة والذي نريد قوله هنا ان هؤلاء القوم تحالفوا مع القرامطة [2] في توسيع افكارهم وأرائهم في هذه البلاد والقرامطة كما هو مع روف عنهم فرقة من الشيعة الاسماعيلية اتخذت من السلب والنهب والتعدي على قوافل الحجيج والتجارة خطا لمقاومة السلطة المركزية في بغداد، في الفترة التي فقدت فيها الخلافة العباسية نفوذها بسبب حالة الفوضى والفساد وعدم الاستقرار النزاع على السلطة بين الامراء وقادة الجيش، والتنفس بين الوزراء خلال هذا العصر.[3]

---

(١) بارتولد:: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٠٥.

(٢) فرقة من الشيعة نظمت نفسها تنظيما دقيقا تنتسب من حيث اسمها ال يحمدان قرمط بن الاشعث. ولقب قرمط من اجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه. لما يقال لهم «القرطية» والسبب في تسميتهم بهذا الاسم ان رجلا من ناحياج خوزستان قدم الكوفة سنة ٢٦٤هـ، فأظهر الزهد ودعا الى امم من زهل بيت الرسول (ص). ونزل عل يرجل يقال له «كرميته» أو قرموطية لقب بهذا لحمرة عينيه. فأخذه امير تلك الناحية فحبسه، وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام. فرقت له جارية فأخذت المفاتاح وفتحت البيت وأخرجته، وردت- المفتاح الى مكانه، فلما طلب ولم يوجد زاد افتتان الناس به، فخرج الى الشام فسمى «كرميته» باسم الذي كان نازلا عنده، ثم حفف فقيل قرمط. تمكن القرامطة من انشاء دولتهم في البحرين، بعد فشل حركة الزنج الشهيرة ثم توسعوا غربا حى وصلوا إلى بلاد الشام سنة ٢٨٨ هـ. في أواخر عهد هارون ابن خمارويه بن طولون وعندما سيطر البويهيون على السلطة في بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م، ول يجدوا حرجاً في الفتاوض معهم بل ولتوصل الى اتفاق معهم. شريف يحيى الامين: معجم الفرق الاسلامية، ص١٩٢، ١٩٣.

(٣) فارق عمر: التاريخ الاسلامي، ص٣٥٤، ٣٥٥.

ولكن هؤلاء القرامطة كما يبدو من اشارة المؤرخين فيما بعد أنه اختذوا من خراسان وفارس قاعدة لهم ين شر المذهب الاسماعيلي في تلك البلاد، وهذا ما جعل الخليفة القادر بالله يحث السلطان محمود على قمع هذه الطائفة في كل من خراسان والاقاليم التي تقع تحت سيطرته، فلجأ السلطان محمود الى مقاومة هؤلاء في كل مكان حتى انه قال يوماً- عندما اتهم وزيره حسنك بالقرمطة بعد عودته من الحج: «انني قد ادخلت اصبعي، من اجل العباسيين، في كل جهات العالم ابحث عن القرامطة، واشنق كل نم اجده وتثبت عليه القرمطية ولو تحقق لنا ان حسنك قرمطي ايضاً يعرف أمير المؤمنين ما أفعل به، وأني أنا الذي ربيت حسنك وانه ليتساوى عندي مع ابنائي واخوتي، فاذا كان حسنك قرمطيا فانني قرطي كذلك.[1]

هذا ومن ناحية اخرى نجد المقدسي له اشارات عن المذاهب الدينية عندما كان في نيساور وقد تحدث عن الصراع الذي اندلع بين الكرامية.[2] في منيشك

والشيعة في الحيرة بخراسان، وحيث أن هذا الصرع حسب وصفه لم يكن مذهبياً إلا

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٩٤.

(٢) وفي فرقة مستقلة من الصفاتية المجسمة: وهم اتباع ابي عبدالله محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ دعا ابن كرا الى تجسيم معبوده، فقال انه جسم له حد ونهاية من تحتهوالجهة التي منها يلاقي عرشهويقول عنه تعالى انهمن جهة الفوق. وقد وصف معبوده بأنه جوه، وقال ان الله تعالى مماس لعرشهوان العرش مكان له، ووصفه بالثقله وذلك انه قال في تفسير قوله تعالى: «إذا السماء انطفرت» سورة الانفطار آية ١، انها انفطرتمن ثقل الرحمن عليها.

وقالوا: ان النبوة والرسالة صفتان حالتان في النبي والرسول، سوى الوحي اليه وسوى معجزاتهوسوى عصمته عن الذنوب. وزعموا ان فيه تلك الصفاق جب على الله تعالى ارسالهوقالوا ان النبي اذا ظهرت دعوت فمن سمعها منهابو بلغه خبره لزمه تصديقه والاقرار به من غير توقف على معرفة دليله. وقالوا: ان الله تعالى، لو اقتصر على رسول واحد من اول زمان التكليف الى القيامة وأدام شريعة الرسول الأولى لم يكن حكيما،

شريف يحيى الأمين: معجم الفرق الاسلامية، ص١٩٥-١٩٧.

وجوزوا قيام امامين في وقت وحد مع وقوع الجدال وتعاطي القتال ومع الاختلاف في الاحكام، وقالوا: أن عليا ومعاوية كان امامين في وقت واحد ووجب على اتباع كل واحد منهما طاعة صاحبه وان كان احدهما عادلاوالآخر باغيا.

أبو الفتح محمد عبدالكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني: الملل والنحل تحقيق الاستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل، بدون تاريخ، ج١، ص١١٣.

أن الحزبين كانا يدافعان عن مبادئهما الدينية في تلك المناطق، وكانت منيشك من ضمن المناطق الفقيرة وتسكنها الطبقة العامة، والكرامية في بداية أمرها كانت تلجأ إلى عامة الناس لتدعوهم وتثبت فيه الأفكار والآراء الدينية التي أخذت على عاتقها أن تنشرها وتبثها بين الناس، وذلك مثل الإيمان بالتجسيم -بمعنى أن الله جوهر- وكذلك إثبات جهة الفوقية لله بمعنى أنه مستقر فوق العرش- بينما اختارت الشيعة مدينة الحيرة وكانت تسكنها طبقة التجار والأغنياء وكانوا خير سند لنصرة هذا المذهب ضد من كان يريد اضطهادهم(١).

وعندما جاء الغزنويون إلى السلطة في كل من خراسان والأقاليم الإسلامية الأخرى كان يجب عليهم الأخذ بعين الاعتبار الموقف الديني في هذه المناطق ولكن اتضح فيما بعد أن هؤلاء الأتراك اتبعوا سياسة تطهير بعض الفرق الدينيةالضعيفة مثل الشيعة الإسماعيلية وفرقها أمثال القرامطة، في مقابل تأييد بعض الفرق الدينية القوية مثل الكرامية والمذهب الحنفي الذي كان يدين له الناس بكل الثقة والولاء، لأن غالبية سكان خراسان كانوا ينتمون إلى هذا المذهب، لأن الإمام أبا حنيفة كانت إمامته مستمدة من علمه وإنسانيته، ذلك أن اجتهاده جعله يصدر فتاواه نابعة من رأي مستمد من أحكام الكتاب والسنة، وقد جاء هذا المذهب إلى خراسان عن طريق التلاميذ الذين درسوا وتخرجوا على أيدي أساتذة من المدرسة الحنفية في بغداد، وهؤلاء الأصحاب بعد ذلك أخذوا من علم وفقه أبي حنيفة نظاماً للدراسة والجدل والمناظرة مستهدفين الخير لهذه الأمة(٢).

والواقع أن الغزنويين لم يتوقفوا عن مساندة الأحناف والكراميين للتخلص من المذاهب الأخرى ويرجع ذلك لسببين رئيسين أولهما قلق السلطان محمود من ازدياد حركة الشيعة الإسماعيلية في خراسان وثانيهما التخلص من نفوذ الطبقات الدينية الأخرى التي كان لها مدارس فقهيةفي نيسابور وخاصة مدارس الشافعية بقيادة بعض العلماء الذين بدأوا ينافسون المدارس الحنفية في المناظرة والنقاش والجدل أمام الرأي العام، وهذه المدرسة كانت تجمع بين فقه أهل الرأي وفقه أهل الحديث ولكن بمقادير اختلف معها العلماء وبخاصة المحدثين منهم على ضبطها، فمنهم من يرى أن الجمع بين مدرستي الفقه كان بمقادير

---

(١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٣٦.

(٢) R.W Bulliet: The Political- Religious History of Nishapur in the Eleventh century, oxford, 1973, P 74.
Ibid - 74- 75.

متعادلة، ومنهم من يرى أنه في جمعه بين رأي المدرستين كان إلى مدرسة الحديث منه إلى مدرسة الرأي[1].

وكان المذهب الشافعي من المذاهب الرسمية التي انتشرت في خراسان في العهد السامانى وقد تبنى هذا المذهب السيمجوريون الذين كانوا يحكمون هذا الإقليم من قبل السامانيين -وكان ذلك قبل استيلاء الغزنويين على هذه المنطقة وهؤلاء أسسوا في تلك الفترة مدرسة للعالم الشافعي الأشعري ابن فورك نيسابور[2].

وفي العهد الغزنوي ومع ازدياد قوة المدراس الشافعيةفي نيسابور رأى الأمير نصر بن سبكتكين بناء مدرسة كوقف للقاضي الحنفي أبي العلا صاعد ليتنافس هذه المدارس التي بنيت للمذهب الشافعي في العهد السيمجوري سواء في نيسابور أو في المدن الأخرى بخراسان، هذا ومن ناحية أخرى اتخذ السلطان محمود قراراً بتعيين القاضي أبي صالح التباني الذي كان على المذهب الحنفي إماماً وواعظاً للجامع الكبير بغزنة، كما بنى له مدرسة في باب بستان بالعاصمة ليقوم بتدريس للتلاميذ والوافدين إليها، وأخذ القاضي أبو صالح يزود هؤلاء الطلاب من علمه وفقهه، حتى تخرج من مدرسته علماء كثيرون منهم قاضي القضاة أبو سليمان داود بن يونس الذي كان من أبرز علماء مدينة غزنة في ذلك العصر[3].

وبهذا التأييد المنقطع النظير للحزبين (الحنفية والكرامية) استطاع الغزنويون كسب الدعم السياسي لحكمهم في مدن خراسان وخاصة نيسابور التي كانت مركزاً للتجمع الديني والاضطرابات الطائفية في ذلك الوقت. إلا أن الحنفيين لم يهنأوا بهذا التأييد فترة طويلة، وذلك أن القاضي أبا العلا صاعد صاحب المدرسة الصاعدية وأستاذ الأميرين مسعود ومحمد قد عزل من منصبه الريادي كقائد لهذا المذهب عام ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م، والمتتبع لهذه الأحداث يتصور أن الغزنويين أرادوا التمسك بدستور الكراميين إلا أن هذا القول غير صحيح حيث أنه لم يتم تعيين أحد قادة الكراميين في الوظائف الدينية كبديل للقاضي أبي العلا صاعد

---

(١) مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ص٤٠١.
R.W Bulliet: The Political- Religious History of Nishapur p. 76.

(٢) عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين). طبقات الشافعية، حققه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج٢، ص١٣٦.
R.W Bulliet: The Political- Religious History of Nishapur p., 76.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢١٣.

سوى أنهم عينوا القائد الكرامي أبا بكر محمد لمنصب رئيس المدينة وذلك عام ٤٠٢هـ/ ١٠١٠م[١].

على أن هذه الوظيفة المدنية لم تدم لهم إلا فترة قصيرة، لأنهم استغلوا هذا المنصب في ضرب بعض القوى الدينية في خراسان، بل إنهم كانوا على استعداد لابتزاز الأموال من الأشراف والأعيان في مقابل عدم الاعتداء عليهم أو اتهامهم بالقرمطة أوانتسابهم إلى إحدى الفرق الدينية المضطهدة فابن فورك[٢]. الذي أحضره السيمجوريون لمدينة نيسابور في موكب عظيم، فبني له مدرسة وداراً فأحيا الله تعالى به أنواعاً من العلوم، وظهرت بركته على المتفقهه، اتهمه الكراميون بالهرطقة وأجبر على حضور محكمة له في مدينة غزنة، ولما ثبتت براءته من هذه التهمة الغادرة قام عملاء الكراميين بدس السم في طعامه أثناء عودته إلى نيسابور، فمات سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٤م[٣].

هكذا بدأ أبو بكر محمد قائد الكراميين في اضطهاد اعدائه بقسوة، ولم يكن هناك أمان لأي فرد من اتهامه بالزندقة، واستمرت الحالة على ذلك فترة إلى أن اتفق أن حج القاضي صاعد بن محمد فحمله الخليفة القادر بالله رسالة إلى السلطان محمود، وعندما كان في مجلسه ورد ذكر الكرامية، فصارحه القاضي ببعض آرائهم في التجسيم فاستنكر السلطان هذا، واستحضر أبا بكر وواجهه بما ذكره صاعد فأنكر.

على أن السلطان أحاله على قاضيه أبي محمد عبد الله الناصحي، ولما مثلا بين يديه اتهم أبو بكر صاعداً بالاعتزال، ولكن القاضي الناصحي كشف حقيقة الكرامية للسلطان، وبعد أن ثبتت عليه التهمة عزله السلطان من منصبه كرئيس لمدينة نيسابور وعين أبا علي

---

(١) العتبي: تاريخ العتبي، ج١، ص٢٧٤.
البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٢١٢.
R.W Bulliet: The Political- Religious History of Nishapur p. 76.

(٢) هو الأستاذ أبو بكر، ممد بن الحسن بن فورك، بضم الفاء وفتح الراء، الاصفهاني، وهو المتكلم الأصولي، الأديب، النحوي، الواعظ، أقام بالعراق مدة يدرس، ثم توجه إلى الري فشنعت به المبتدعة، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه رايه، وبلغت مصنفاته قريباً من مائة مصنف.
عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين): طبقات الشافعية، حققه كمال يوسف الحوت، ج٢، ص١٣٦.

(٣) نفس المصدر، ج٢، ص١٢٧.
R.W Bulliet: The Political- Religious History of Nishapur p. 76.

الحسن بن محمد العباسي الميكالي المعروف بحسنك بدلاً منه كما صادر أمواله ونفى جماعة الكرامية إلى بعض القلاع، وترك صاحبهم أبا بكر منزوياً في بيته محروماً من عطف السلطان[1]. وبهذه القرارات التي اتخذها السلطان محمود ضد الكراميين فقدت الطبقة العامة التأييد المستمر الذي كانت تتمتع به فترة سلطتهم على مدينة نيسابور وبذلك تراجعت الطبقات الأخرى كالأعيان والأغنياء من أصحاب الحرف والمصانع عن التزاماتهم السابقة بعد هذه الفترة تجاه هذه الطبقة الكادحة سواء من ناحيةرفع الأجور أو مساعدتهم في العمل أو تخفيف بعض أعباء المعيشة عنهم من قبيل عدم رفع أسعار السلع الرئيسية مثل القمح والدقيق والزيت وغير ذلك[2].

وهذه السياسة غير المتكافئة التي اتبعها السلطان محمود مع المذاهب الدينية في خراسان كان لها آثار سلبية فيما بعد وخاصة في فترة حكم ابنه السلطان مسعود وحروبه مع السلاجقة كقوة دينية مساندة للحكومة المركزية في غزنة بل إنهم اتخذوا قرار تسليم مدينة نيسابور -مركز التجمع الديني والمذهبي- للسلاجقة وذلك عندما تشاور معهم الأعيان وكبار القادة في ذلك الأمر، وكان هذا بمثابة ضربة قاصمة للغزنويين في هذا الإقليم لأنهم كانوا في هذه الفترة يترقبون الأحداث والأخبار لكي تتاح لهم الفرصة للقضاء على هؤلاء الأتراك الجفاة الغلاظ، والبيهقي في هذه القضية يصور لنا الأحداث بشيء من الصدق على لسان صاحب بريد نيسابور في ذلك الوقت وهو أبو المظفر الجمحي الذي بعث برسالة مطولة إلى السلطان مسعود يضع تصوراته حول الأوضاع السياسية في خراسان وما كسبه السلاجقة من تأييد من بعض العلماء والقادة لدخولهم مدينة نيسابور من بداية الإنذار الذي وجهه إبراهيم ينال إلى دخول طغرل بك قائد قوات السلاجقة هذه العاصمة.

وملخص هذه الرسالة أو التقرير الذي كتبه البيهقي خطوة بخطوة يمكن أن نوجزها في هذه الخطوات التي تخدم بحثنا:-

أولاً: بدأ صاحب هذا التقرير بالحديث عن صياغة الإنذار وكيف وصلت القافلة السلجوقية

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٣٢٢-٣٢٥.

محمد مرسي الخولي: أبو الفتح البستي حياته وشعره، ص٥٥، ٥٦.

(٢) R.W Bulliet: The Political-Religious History of Nishapur p. 77

إلى نيسابور بعد الهزائم المتتالية للجيش الغزنوي، وكان هذا الإنذار يعبر عن بداية عصر جديد وحكام جدد فلذا كانت صياغته كما أورد البيهقي على لسان إبراهيم ينال يقول فيه: "إنه يمثل مقدمة جيش طغرل وداود وبيغو فإذا كانتم ستحاربون فإنه يعود ليخبرهم بالأمر وإذا كنتم مسالمين فليدخل المدينة وليغير الخطبة -ويعني خطبة الجمعة لتكون باسم قائد السلاجقة طغرل بك- فإن جيشاً كبيراً يسير في أثره".

ثانياً: اجتماع كبار رجال الدولة والأعيان والأشراف في بيت فقيه الحنفيين القاضي أبي العلا صاعد لأخذ فتواه حول موضوع تسليم المدينة بعد أن وجه ابراهيم ينال الإنذار إليهم، كذلك الاتصالات والمشاورات لم تنقطع بين الجماعات الدينية حول ما هية الإنذار وكيفية الرد عليه وكان هذا الاجتماع قد عقد بين إمام الحنفيين القاضي صاعد والإمام الموفق البسطامي قائد الشافعية ونقيب العلويين أبي القاسم زيد للوصول إلى أسلوب يرضي جميع الأطراف[1].

ثالثاً: قبول مبدأ التسليم بعد أن درسوا جميع الاحتمالات منها أن حال المدينة الدفاعية والقتالية لا تسمح بالصمود أمام هذا الجيش الكبير تاركين هذه الأمور القتالية والدفاعية للحكومة المركزية بقيادة السلطان مسعود إذا رغب في استرجاع أملاكه التي وقعت تحت يد الغزاة أو كما قال القاضي صاعد في الاجتماع: "إن الأهالي لا يقوون على قتال الجيوش إن لكم سلطاناً قوياً كمسعود ولا شك أنه سيجيء بنفسه أو سيرسل قائداً من عنده ليضبط الأمن في هذه الولاية إذا رأى الاحتفاظ بها. وبذلك يتفادون الخطأ الذي وقع فيه أهالي بلخ في عهد السلطان محمود حين لامهم على مقاتلة الأعداء قائلاً لهم: ما شأن الرعية بالقتال؟ فقد هلكت مدينتكم وأحرق الأعداء من أملاكي أموالاً كثيرة وإني أحملكم غرامة هذه الخسائر... الخ".

رابعاً: بعد هذه المشاورات تم إبلاغ قائد القافلة السلجوقية بقرار التسليم وتحدد اليوم لتنفيذ القرار، ثم بدأت حلقات تعقد بالأسواق لتهدئة العامة ولشرح الموقف، وقام سالار بوزجان بإجراءات الاستقبال في حديقة خرمك المكان الذي أعد للقائد السلجوقي وضيوفه، كان أبو القاسم سالاربوزجان من القادة المناصرين لأتراك السلاجقة، هذا الرجل من الذين غلبهم وحطمهم العميد سوري والي خراسان في قيادة الجيوش

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٠٠-٦٠١.

فترة الحرب مع السلاجقة.

خامساً: رفض القاضي أبو العلا صاعد ونقيب العلويين استقبال القائد إبراهيم ينال، بينما تحمس الإمام الموفق البسطامي قائد الشافعية للاستقبال مع سالاربوزجان، وربما يرجع سبب رفض القاضي صاعد ونقيب العلويين إلى أن مركزهما الديني في الدولة سوف يتعرض لانتقاد من قبل الجماعات الدينية، فلذا فضلا ذلك بعيداً عن ثرثرة الناس[1].

سادساً: كان من شروط القائد السلجوقي ذكر إسم السلطان طغرل في دعاء خطبة الجمعة بدلاً من السلطان مسعود سلطان البلاد، وبالفعل أعد ذلك خطيب الجامع إسماعيل الصابوني الخطة خفية، فلما دعا باسم طغرل فيها علت ضجة عظيمة من الناس وخشيت الفتنة، لولا أن القادة والعسكريين تداركوا الموقف وأسكتوا الناس وأتموا الصلاة.

سابعاً: استطاع الأعيان إقناع القاضي صاعد ونقيب العويين بأداء فروض الطاعة والولاء للحاكم الجديد السلطان طغرل بك، وعندما قدما للتحية استقبلهما طغرل وتبادل الحديث معهما ثم قال القاضي صاعد: "أطال الله حياة مولاي، هذا سرير السلطان مسعود قد جلست عليه، وفي الغيب أمور لا يعرف أحد خباياها، فلذلك كن عاقلاً وأخش الله عند ذكره، واعدل بين الناس واستمع للمظلومين والمساكين ولا تترك هذا الجيش يظلم الناس فإن الظلم شؤم". فلما انتهى من حديثة لاطفه السلطان طغرل ووعده خيراً على أن لا يبخل القاضي بنصائحه عليه[2].

ثامناً: من الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الجديدة في خراسان تعيين السالار أبو القاسم البوزجاني قائداً للجيوش السلجوقية في نيسابور، كما أصبح الإمام الموفق البسطامي رئيساً للطائفة الدينية في خراسان وبهذا الإجراء فقد الأحناف مكانتهم الأدبية في هذا الإقليم وخاصة في مدينة نيسابور مقر التجمع الديني والمدارس الفقهية بعضاً من الوقت لأن الصراع بين المذهبين الرسميين في خراسان وبلاد ما وراء النهر كان قائماً حتى هذا الوقت الذي استطاع السلاجقة فيه انتزاع الحكم من

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٠٢.

(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٠٤.

الغزنويين[1].

هذا وكان الأحناف والعلويون قد تصرفوا بحكمة عند اتخاذهم موقف الفتور تجاه السلاجقة خشية أن يعود الغزنويون إلى المدينة بعد التسليم المبدئي، فيسبب ذلك لهم الحرج نظراً لمكانتهم الدينية والاجتماعية بين الناس، ولكن الغزنويين عندما لم يحافظوا على كيان دولتهم إلى أن سقطت هذه المدينة وخراسان نهائياً في أيدي السلاجقة سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠-١٠٤١م، عندها خسر القاضي صاعد مكانته كقائد للأحناف بعد إعلان الدولة الجديدة، مما كان له مبرراته بطبيعة الحال، ومن أهمها توفير الأمن والرفاهية للمدينة وحماية الناس والرعية من ظلم وقهر الجيش الكبير الذي كان يهدد خراسان، بينما كانت الجماعات الدينية قد كسبت تأييد الدولة الجديدة وزاولت نشاطها في كافة المحافل هذا ومع أن المذهب الحنفي لم ينتقص من قيمته الأدبية في بلدان المشرق لأن معظم سكان هذه البلاد كانوا يعتنقونه ويحترمون آراءه وأفكاره، إلا أن الشافعية كانت تنازعهم أحياناً الغلبة، وكانت المناظرات التي تعقد بينهم في المساجد وفي المجالس والمحافل العامة تحدد موقف كل من المذهبين ومدى تأثيرها على العامة والناس وأفاد كل من المذهبين الناس من تلك المجادلات في العلوم الدينية ومنها الفقه والتفسير وأدب البحث وغيرها واكتسبوا فوائد جمة وإن كان الجدل قد نمى روح التعصب وأطلقت الألسن بالطعن من بعض لا يحسن القول، وكان التعصب المذهبي هو السبيل للجمود الفقهي فيما بعد[2].

وكان المذهب الشافعي قد دخل هذه البلاد في العصور السابقة على أيدي علماء الشافعيين الذين تعلموا في المدارس الفقهية في بغداد، فقد علمنا أنه كان بخراسان الكرامية وهو مذهب له آراء في الاعتقاد في الفروع، وكانت هناك أيضاً مذاهب الحنفية والشيعة وكثيرون من الحنابلة فكان الخلاف يقع بين هؤلاء ونتيجة المناظرات التي تقام بينهم، وكان اتباع كل مذهب يقيمون الأدلة على صحة مذهبهم وتوهين مذهب الآخرين مما يؤدي في

---

(١) نفس المصدر، ص٦٠٤.
الإمام محمد أبوزهرة: الشافعي حياته وعصره -آراؤه وفقهه، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م، ص٤٠٠-٤٠١.
نفس المؤلف: أبو حنيفة حياته وعصره - آراؤه وفقهه، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ -١٩٤٧م، ص٤٦٩.

(٢) الإمام محمد أبو زهرة: أبو حنفية حياته وعصره، ص٤٦٩.

بعض الأحيان إلى نشوب القتال والفتنة بين الأطراف المتناظرين في خراسان[1].

وذكر المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم أن المذهب الشافعي كان المذهب الغالب على كثير من البلدان وخاصة في إقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر، فكان الشافعية كثيرين في طوس ونساوابيورد والشاش وإيلاق، بالإضافة إلى هراة وسجستان وسرخس ونيسابور، ثم ذكر أنه كانت تقع بينهم وبين الحنفية في سجستان وسرخس فتن بسبب التعصب المذهبي وكانت تراق فيها الدماء في بعض الأحيان من أتباع المذهبين في هذه المناطق[2].

(٢) الكرامية ودورها في الحياة السياسية والإدارية:-

وكانت الكرامية من الطوائف الدينية التي اكتسبت الشهرة في العالم الإسلامي وخاصة في خراسان التي أصبحت مركزاً لقادتها منذ القرن الثالث الهجري، وكان مؤسسها هو أبو عبدالله محمد بن كرام السجستاني (المتوفى ٢٥٥هـ/ ٨٦٩)[3]. ثم خرج إلى نيسابور في أيام محمد بن طاهر بن عبدالله فاغتر بما كان يظهره من زهده جماعة من أهل السواد فدعاهم إلى بدعه وهي تجسيم المعبود وزعم إنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه، ولم يكتف بذلك بل ألف كتاباً أسماه "عذاب القبر" شرح فيه مذهبه واستطاع من خلاله إقناع العامة من الناس بهذا المذهب، وتذكر المصادر إنه بلغ أتباعه في خراسان وحدها أكثر من عشرين ألفاً وكان له مثل ذلك في أرض فلسطين[4].

---

(١) نفس المؤلف: الشافعي حياته وعصره، ص١٠٤.

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٣٦.

(٣) يقول الشهرستاني في كتابه: "ونبغ رجل متنمس بالزهد من سجستان يقال له أبو عبد الله محمد بن كرام، قليل العلم، وقد قمش من كل مذهب ضغثاً وأثبته في كتابه، وروجه على أغتام غرجه، وغور، وسواد بلاد خراسان، فانتظم ناموسه وصار ذلك مذهباً، وقد نصره محمود بن سبكتكين السلطان، وصب البلاء على أصحاب الحديث والشيعة من جهتهم، وهو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج، وهم مجسمة، وحاش غير محمد بن الهيضم فإنه مقارب.
الشهرستاني: الملل والنحل، ٣١.

(٤) نفس المصدر: ص١٠٨.
C.E.Bosworth: The Medieval history of Iran, Afghanistan and Central Asia Voriorum Reprints. London 1977, Chapter 1.
The Rise of the Karamiyyah in Khurasan, p.5.

وبالرغم من عدم موافقة بعض الحكام[1] على مبادئ هذه الطائفة إلا أنها استقرت وأخذت مكانتها الطبيعية في مدينة نيسابور منذ ذلك الوقت المبكر، ثم انتشرت في أجزاء أخرى من العالم الإسلامي، ومع بداية القرن العاشر كانت توجد لهم جماعات في بغداد والقدس والفسطاط، وكانت لهم أحياء سكنية خاصة تعرف لهم في هذه المدن المذكورة[2].

هذا ومع أن المذهب الكرامي قد انتشر في مناطق شاسعة من العالم الإسلامي إلا أن قائدهم أبا بكر محمد بن إسحاق بن محمشاد فشل في إدارة مدينةنيسابور بعد أن منحه السلطان محمود رئاسة هذه المدينة وأطلق يده عليها في التخلص من بعض الطوائف الدينية التي تميل إلى الفلسفة والجدل مثل المعتزلة، وكذلك من الطائفة الإسماعيلية التي كانت قد توغلت في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العهود السابقة، ويرجع سبب هذا الفشل إلى تقبل هذا القائد الديني سياسة السلطان محمد في اضطهاد الطوائف الدينية، وبذلك لم يحترم مشاعر الطبقات الأخرى التي كانت تساند وتدعم هذه الطوائف في المجتمع الخراساني مما أدى بطبيعة الحال إلى مصادمات بين الكراميين والطوائف الدينية من جهة وبين فئات المجتمع بعضها ببعض من جهة أخرى، أضف إلى ذلك أن طبقات العامة من فلاحين وحرفيين وغيرهم ممن كانوا يؤيدون المذهب الكرامي قد تسببت في اضطرابات سياسية واجتماعية في ذلك الوقت نتيجة حماسها المتزايد لهذا المذهب وتقبلها لآرائه وأفكاره، ومن ثم قامت هذه الطبقة بتنفيذ تلك الأفكار في إصلاح المجتمع من فساد وظلم الأعيان والأغنياء والتجار الذين أساءوا معاملتهم في الحياة العملية والعامة كل حسب موقعه[3].

كذلك يبدو من إشارات المؤرخين أن المذهب الكرامي اكتسب شعبيةكبيرة في خراسان لدرجة أن البعض ادعى أن الوزير أبا الفتح البستي أول وزير في الدولة الغزنوية قد اعتنق هذا المذهب، وظهر ذلك في تأييده وتزكيته للكرامية في شعره مما أوهم البعض بأنه كان كرامياً، والواقع أن أبا الفتح لم تكن له علاقة بهذه الفرقة التي تنسب إلى محمد بن كرام،

---

(١) بدأ أبو عبد الله محمد بن كرام نشر أفكاره في بداية الأمر في مسقط رأسه (سجستان) إلا أن الحاكم المحلي لتلك البلاد آنذاك طرده نظراً لعدم تقبله كمجدد في الدين.

(٢) Bosworth: The rise of Karamiyyah in Khurasan, p.5.

(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٣٦.
Bosworth: the Rise of Karamiyyah in Khursan p. 7.
R.W. Bulliet: The Political - Religious History of Nishapur. p. 76.

فضلاً عن إيمانه القوي بأن هؤلاء القوم قد بعدوا بأفكارهم وأرائهم عن مبادئ المذاهب السنية التي كان ينتمي إليها وذلك بعد أن اتضح له ولغيره عن إيمانهم بالتجسيم (بمعنى أن الله جوهر) وإثبات جهة الفوقيةله (بمعنى أنه مستقر فوق العرش).

أما ما أثر عنه من قوله فيهم أو في زعيمهم ابن كرام:-

الفقه فقه أبي حنيفة وحده   والدين دين محمد بن كرام

إن الذين أراهم لم يؤمنوا   بمحمد بن كرام غير كرام

فإن لهذا قصة تبدأ في عهد أبي بكر محمد بن إسحق بن محمشاد زعيم هذه الطائفة في خراسان الذي تولى الزعامة بعد أبيه المتوفى في عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م[١].

ويذكر العتبي هذه القصة بقوله: "كان أبو بكر مرموقاً في صدر الدولةالغزوية لمكانة أبيه من الزهادة، وضمه الأطراف على العبادة، واقتضائه نهج أبيه فيما كان ينحله وينتحيه وكان الأمير ناصر الدين أبو منصور سبكتكين يرى من عصابته (شدته) في التزهد والتعفف والترهب والتقشف ما قل وجود مثله في كثير من فقهاء الدين وأعيان المتعبدين، فحلا ذلك بقلبه كما حلا بعينيه، واستمر ابنه السلطان محمود على وتيرته في ملاحظتهم بعين الاحترام وإيثار طوائف الكرامية حتى قال أبو الفتح البستي فيما شاهد من نفاق أسواقهم:-

الفقه فقه أبي حنفية وحده   والدين دين محمد بن كرام[٢].

واستمر نجم الكرامية بعد ذلك في الصعود، وشارك الكراميون فئات الشعب في مقاومة جيوش إيلك خان التي اعتدت على خراسان عام ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م. إلا أن قائدهم أبا بكر وقع أسيراً، واعتبر القراخانيون ذلك بمثابة نصر لهم، لأن القراخانيون من التقدم نحو المدينة، حتى تصل الخيول الغزنوية وعندما اقترب جيش السلطان محمود من خراسان نجح أبو بكر بن محمد بن محمشاد من الفرار من أيدي اقراخانيين، وبذلك علا مركزه في الدولة الغزنوية وعينه السلطان محمود رئيساً لمدينة نيسابور ضارباً عرض الحائط تلك القاعدة المتبعة في تعيين رئاسة المدينة، لأن أبا بكر كان من رجال الدين، والنظم المتبعة في تولية هذا المنصب

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص٢١٠.
محمد مرسي الخولي: أبو الفتح البستي حياته وشعره، ص٥٤.
(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ص٢١٠.

أن يكون شاغله رجلاً من الأعيان وتنتخبه ويرضى به الجميع، وكان دائماً يتولى مثل هذا المنصب شخص من عائلة الميكالية، إلا أن السلطان محمود من حبه المتزايد لهذه الشخصية أصدر أمراً بتعيينه رئيساً لأكبر مدينة في خراسان(١).

وكان من مهام هذا المنصب، أن يرعى صاحبه الشئون الإدارية للمدينة، وكان يقع على عاتقه مسئوليات جسام، لأن هذه الإدارة كانت تشمل جميع الهيئات الإدارية والمرافق العامة بالإضافة إلى إدارة شئون القصر، وتبعاً لذلك فإن صاحب هذا المنصب كان يتميز بنوع من الاستقلالية الذاتية عن الحكومة المركزية، وكان يمنح الرئيس لقب "الخواجة" ويبعث له من الخازن ملابس تليق بمقامه وهي عبارة عن طيلسان وبراعه وحصان، كما كان يعين له داراً خاصة تسمى الديوان ويشاركه في الإدارة موظفون أكفاء يؤدون واجبهم نحوه خير أداء(٢).

هكذا أصبح أبو بكر بن محمد بن محمشاد همزة وصل بين السلطان والرعية، فكان عليه أن يحافظ على الأمن الداخلي للمدينة وأريافها، وأن يعد نفسه في خدمة الناس وفي مقابلة الزائرين والوجهاء،كما كان من واجباته إعداد الزينة وإحياء الاحتفالات وغيرها من الأمور التي تعبر عن وسائل الفرحة لاستقبال السلطان الذي كان يقوم بزيارات خاصة لهذه المدينة في معظم أوقات السنة(٣).

كذلك كان عليه -أبو بكر محمد- قيادة الهيئات الخيرية، ومراعاة العلماء، ورجال الأدب، كما كان عليه أن يفتح منزله دائماً للمسافرين والوافدين إليه، وأن يحسن علاقته برجال الدولة والأمراء وكان يتطلب منه في هذه الفترة الجلوس معهم للتشاور والنصيحة دون لجوء الطرفين إلى العنف وفرض الرأي، فقد كان الرؤساء السابقون على علاقة جيدة برجال الدولة والأعيان لأن المختار كرئيس للمدينة كان منهم، أما أبو بكر فكان من رجال الدين ولم يوفق في تنفيذ كل خطوات مهام هذه المنصب لأنه كان يميل إلى طبقة معينة في الدولة وهي طبقة الشعب الكادحة من الفلاحين والحرفيين وغيرهم، فلذا أخذ على عاتقه مجارية هؤلاء

---

(١) Bosworth: the Gaznavids p. 196.

محمد مرسي الخولي: أبوالفتح البستي حياته وشعره، ص٥٥.

(٢) Bosworth: the Rise of Karamiyyah in Khursan p. 9.

(٣) R.W. Bulliet: The Political - Religious History of Nishapur. p. 76, 77.

واتهامهم بالقرمطة، واتبع معهم سياسة ابتزاز الأموال سراً كثمن لسكوته على المرؤوسين منهم حتى لا يفشي سرهم للسلطان، هذا ما جعل بعض المؤرخين يأخذ على الكراميين سوء مسلكهم ويتهمونهم بالارهاب لأنهم اتخذوا هذا الأسلوب الرخيص فيظلم الناس وقهرهم حتى قاسى المذنب والبريء على السواء نفس الحكم[1]

فكان من ضحايا الكراميين العلامة والمعلم الأشعري ابن فورك الذي جاء إلى نيسابور ليقوم بالتدريس في مدرسة بنيت خصيصاً له، ولكن الكراميين اتهموه بالقرمطة، وجعلوه يمثل أمام محكمة حضرها السلطان، وهناك أعلن ابن فورك مذهبه الذي ينتمي إليه وهو المذهب الشافعي، وبراءته مما نسب إليه من الافتراءات التي لا تمت إليه بصلة، إلا أن الكراميين لم يتركوه حراً، بل دسوا السم في طعامه عند عودته إلى نيسابور فمات سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥-١٠١٦م[2]. واستمر أبو بكر محمد يتعقب أصحاب المذاهب السنية في نيسابور حتى أن الشيخ الصوفي المشهور أبا سعيد ابن أبي الخير الميهني لم يسلم من غدره، وأراد أن يتهمه بأحد المذاهب التي كانت تحاربها الدولة إلا أن هذا الشيخ الصوفي غادر نيسابور ليستقر في بلدته ميهنة ويبعد عن هذه الاتهامات الباطلة وقضى بقية عمره هناك عطاراً يتعامل مع الأدوية والأعشاب الطبية حتى توفي عام ٤٠٤هـ[3].

كذلك لعب أبو بكر محمد دوراً رئيسياً في إعدام الداعية الإسماعيلي التاهرتي، الذي قدم إلى خراسان مسالماً يحمل رسالة من الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي إلى السلطان محمود، إلا أن هذا الزعيم قبض عليه واستجوبه ووصفت مبادئه بأنها خطيرة وهدامة ويسيء إلى قيم الإسلام ومبادئه، لذا أرسله إلى غزنة ليعدم هناك.

هكذا بدأت الحياة السياسية والإدارية في عهد الكراميين وفي فترة حكمهم لمدينة نيسابور حيث وضعوا أمامهم مبدأ الانتقام من كل فئات المجتمع سواء كانت طبقة الأعيان والأغنياء أو الطبقات الدينية، ومتظاهرين بالزهد والتقوى حتى خفي أمرهم على السلطان نفسه، ومع أن هذه الجماعة كانت منظمة ولها أتباع كثيرون ينفذون أوامر زعيمهم بكل دقة،

---

(١) بارتولد: تركستان ص٤٣٢.

Bosworth: the Rise of Karamiyyah in Khursan p. 10.

(٢) عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين): طبقات الشافعية، ج٢، ص١٢٧.

(٣) محمد بن المنصور بن أبي سعيد: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ص٦.

ويسومون الناس سوء العذاب ناشرين بين الأبرياء الفزع والرعب باسم البحث عن المبتدعة والباطنية وغيرها من المذاهب التي كانت تقف ضد الدولة، فإن نهايتهم كانت مأساوية إلى حد كبير، فبدأت هذه النهاية على يد القاضي أبي العلا صاعد حينما شرح للسلطان محمود ما يزعم الكراميون في حق الله سبحانه وتعالى ومالهم من آراء حول المعبود بقولهم إنه جسم له حد ونهاية من تحته الجهة التي منها يلاقي عرشه[1].

وأخيراً اقتنع السلطان بما قاله القاضي أبو العلا صاعد حول مبادئ وآراء هؤلاء القوم، فأمر بأن يحضر أبو بكر محمد الكرامي لمحاكمته في غزنة، وكلف القاضي أبا محمد عبدالله الناصحي استجوابه حول هذه الإدعاءات التي يدعيها في مذهبه، وعندما امتثل أبو بكر محمد أنكر تمسكه بهذه المعتقدات متهماً القاضي أبي العلا بالاعتزال، وأراد بذلك الاتهام أن يحفظ ماء وجهه أمام غضب الجميع وخاصة السلطان، ولكن القاضي الناصحي كشف عن حقيقة الكرامية في هذه المحكمة أمام السلطان والعلماء، كما برأ الأمير نصر بن سبكتكين القاضي صاعد بن محمد من هذا الاتهام الباطل مؤكداً للعلماء والحاضرين أنه ما زال رائداً للمذهب الحنفي في نيسابور[2].

غضب السلطان محمود على هذه الطائفة، فأصدر أمراً للوالي ورؤساء المجالس العلمية في خراسان بأن يطهروا المدارس والمنابع من عقائد الكرامية ولا يجعلوا لهؤلاء مكاناً بينهم بعد ما جرى منهم في حق العلماء والعباد من ظلم وجور وقهر فأعفى زعيمهم من منصبه، وترك الإجراءات الأخرى ضد هذه الطائفة للرئيس الجديد أبي علي حسن بن محمد الميكالي المشهور بـ "حسنك" الذي اتخذ ضد الكرامية أشد العقوبات، فأودع كبار الطغاة في مدينة نيسابور، لأن زعيمها وضع في حياة العزلة وعدم الرجوع إليه في كافة المحافل، لأنه كان قد تسبب أيضاً في هدم أهم قوة في المجتمع وهي قوة طبقة الشعب الكادحة التي وقفت إلى جانبه فترة رئاسته لمدينة نيسابور، وبذلك فقدت هذه الطبقة التأييد الذي كانت تتمتع به طوال

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني: ج٢، ص٣١١، ٣١٢.

وقال عبد القاهر البغدادي في "الفرق بين الفرق" ص١٣١ (أن ابن كرام دعا أتباعه إلى تجسيم المعبود، وزعم إنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التي منها يلاقي عرشه، وهذا شبيه بقول الثنوية: إن معبودهم الذي سموه نورا يتناهى من الجهة التي يلاقي الظلام وإن لم يتناه من خمس جهات.

Bosworth: theGaznavids p. 196.

(٢) العتبي: تاريخ اليميني، ج ، ٣١٣، ٣١٤.

حكمها لهذه المدينة[1].

هكذا كانت نهاية الكراميين في مدينة نيسابور بعد أن استأثروا بالسلطة فيها، واستغلوا عطف السلطان محمود عليهم، وذلك بأن أعطاهم كل الصلاحيات السياسية منها والإدارية في نيسابور، وترك لهم تطهير خراسان من بدع الطوائف والمذاهب الهدامة التي كانت تقلق بعض أجهزة الدولة، إلا أن هذه الطائفة كات تتطلع إلى مميزات أكبر في حكمها لهذه المدينة ألا وهي الوصول إلى إقامة ما كانت يتعارض مع الأساس المذهبي للدولة الغزنوية، ومع أننا رأينا كيف كانت نهاية هذه الطائفة من حبس عزل ومصادرة للأموال إلا أنها ظلت محبوبة بين بعض فئات المجتمع، بل أكثر من ذلك نجد في أحداث عام ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م، أنه قد شيد رجل من أثريات خراسان يقال إنه ينتمي إلى الأسرة الميكالية أربع مدارس للمذاهب والطوائف الدينية في نيسابور وخصها بدون تحيز الحنفية والشافعية والعلوية والكرامية، ولكن مع هذا الاحترام الذي كانت تتلقاه الكرامية في هذه المدينة، نجد أن العداوة القديمة بين الكرامية والصاعدية لم تنته بمرور الأيام، بل زادت من حدتها في السنوات التالية، فلذلك سجل ابن الأثير في أحداث عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م، أخباراً عن حرب أهلية في نيسابور كانت بين الكرامية وسائر الطوائف الدينية في هذه المدينة، فقتل منهم كثيرون وكان مقدم الشافعية أبو القاسم بن إمام الحرمين أبي المعالي الجويني ومقدم الحنفية القاضي محمد بن أحمد بن صاعد على رأس المناوئين للكرامية وقائدهم محمشاد الكرامي، فكانت الغلبة للكثرة، والظفر للشافعية والحنفية على الكرامية، فخربت مدارسهم، وقتل كثير منهم ومن غيرهم، وبذلك اختفت الكرامية بعد هذه المعارك ولم يبق لهم أثر في خراسان، كما انتهى الصراع في مدينة نيسابور بينهم وبين الطوائف الدينية الأخرى بمقتل قائدهم محمشاد الكرامي وإبادة مدارسهم في هذه المدينة[2].

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج٢، ص ص٣١١-٣٢٥.
بارتولد: تركستان، ص٤٢٥، ٤٢٦.
Bosworth: the Rise of Karamiyyah in Khurasan p. 12.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٧٧.
Bosworth: the Rise of Karamiyyah in Khurasan p. 13.

(٣) التصوف ومدارسه ومشايخه وطرقه:-

رغبت بعض فئات المجتمع الخراساني في الانضمام أو مساعدة حركة التصوف نتيجة للصراعات الدينية والاضطرابات السياسية التي عانت منها خراسان وخاصة في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فمنهم من قبل المبالغة في الزهد وترك متاع الحياة، ومنهم من مد يد العون بالمال لنشر مبادئهم ومؤلفاتهم التي كانت تتناول أفكارهم عن المحبة الإلهية ورياضة النفس وغيرها من الأفكار التي كانت موضع قبول العامة والناس في ذلك الوقت.

والصوفية حركة دينية ليست محدودة المعالم والمقاصد كالمذاهب الأخرى، وإنما كان هدفها الزهد عن الدنيا وما فيها واندرجت تحت راية العناصر الروحية وعوامل النشوء والارتقاء، فأخذت هذه الحركة نزعة روحية تميل بالإنسان من العالم المادي إلى العالم الروحي، فهم دون شك يسيرون في صدق وأمانة باحثين عن الحقيقة متبعين أسلوب العبادة ونهجاً من الرياضة كي يصلوا من خلالهما إلى الحب الإلهي، تاركين الأمور الدنيوية من حروب وخلافات بين السياسة والعسكريين حتى يجدوا لها حلاً مناسباً بعد الأحداث الدامية التي وقعت بين الغزنويين والسلاجقة من جهة وبين فئة من الطوائق الدينية من جهة أخرى[١].

والتصوف ظاهرة دينية أخذت تنشأ في كل بيئة دينية، وتنمو نتيجة لعوامل داخلية موجودة في تلك البيئة[٢]. فمما لا شك فيه أن التصوف الإسلامي جزء من الأجزاء التي يتألف منها التراث الديني والعقلي والنفسي للإسلام، خضع كما خضع غيره من مظاهر الحياة الإسلامية لعوامل الارتقاء، وإن تاريخ التصوف في الإسلام جزء لا يتجزأ من تاريخ الإسلام نفسه، ومظهر من مظاهر هذا الدين، وما أحاط به من ظروف، وما دخل فيه من

---

(١) عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، القاهرة، ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م، ص٥.
أحمد أمين: ظهر الإسلام، القاهرة، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٧٥، ج٤، ص ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) فبهذا نحن نرد على بعض المستشرقين والباحثين الذين اتجهوا بآرائهم إلى أن التصوف حركة دخلت في الإسلام نتيجة لعوامل خارجية بعيدة عن البيئة الإسلامية، فمنهم من أرجعه إلى أصل هندي ومنهم من رده إلى الرهبنة المسيحية، ومنهم من قال أنه رد فعل للعقلية الآرية ضد دين فرضه الغزاة المسلمون على أهل فارس فرضاً، ومنهم من زعم أنه وليد الفلسفة اليونانية. "فالصوفية أنفسهم يعتقدون أن طريقتهم مؤيدة بالكتاب والسنة، وأنها مبينة على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء".
الشعراني: "الطبقات الكبرى"، القاهرة ١٣١٦هـ، ج١، ص٢.

شعوب، ليس شيئاً اجتلب من الخارج دون تكون له صله بالدين الإسلامي وروحه وتعاليمه[1].

على أننا يجب ألا ننكر مؤثرات خارجية ساعدت على نمو التصوف الإسلامي وتطوره، فقد تعاونت العناصر الروحية الوافدة على البيئة الإسلامية مع العوامل الدينية التي كانت موجودة في تلك البيئة، وعملت معها على تطوير التصوف وبلوغ النضج والكمال، وإن كان هذا فيما بعد نشأته الأولى.

أما عن نشأة التصوف الإسلامي والمراحل التي مر بها حتى القرن الخامس الهجري فإننا نجد أنه نشأ نشأة إسلامية فقد ظهرت بذوره الأولى من نزعات الزهد التي سادت العالم الإسلامي في القرن الأول الهجري وكان قوامه الانصراف عن الدنيا ومتاعها، والعناية بأمور الدين، ومراعاة أوامر الشريعة، وكانت غايته التي يتطلع إليها العباد والزهاد هي الظفر برضوان الله والنجاة من عقابه[2].

وكان زهد الزهاد والعباد في صدر الإسلام معتدلاً، بمعنى أنهم كانوا يشاركون في الحياة الاجتماعية، ويسعون لكسب معاشهم، ويرعون أوامر الدين والشرع بكل طاقتهم، ويحافظون عليها بأرواحهم.

وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ظهر من بين الزهاد أفراد يحيون حياة تخالف حياة الآخرين، من حيث المبالغة في الزهد، وترك متاع الدنيا، ورياضة النفس فكان لا بد أن يتسموا باسم خاص، فأطلق عليهم اسم الصوفية، وكان تصوف هؤلاء امتداداً للزهد ومسلك زهاد القرن الأول مع شيء من المبالغة، فقد قطعوا في طريق الزهد مراحل أبعد من زهاد القرن الأول، إلا أن المتأمل في أقوالهم لا يجد فيها شيئاً من العناصر الأساسية للتصوف مثل المحبة والفناء ووحدة الوجود، والشخص الوحيد الذي تحدث من بينهم عن المحبة الإلهية هي "رابعة العدوية". المتوفاة سنة ١٨٠ أو ١٨٥هـ. وبظهور رابعة تطور مفهوم التصوف فقد أصبح الزهد وسيلة من الوسائل التي يستعان بها على مطالعة وجه الله ومشاهدة جماله الأزلي.

---

(١) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٢٧، ٢٨.

(٢) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص ٢٨.

عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، ص ص١٤-١٩.

وفي القرنين الثالث والرابع الهجريين وصل التصوف إلى مرحلة النضج، وأخذت الوسائل الصوفيةالتي ظهرت أول الأمر غامضة ساذجة تتضح وتدق، ذلك أن العناصر الغريبة التي بدأت تتسرب إلى الإسلام منذ القرن الثالث الهجري أخذت تنفذ إلى التصوف وتتفاعل معه، وكان من نتيجة هذا التفاعل أن تطور مفهوم التصوف وأصبح شيئاً جديداً لا يقف عند حد الرياضة والمجاهدة، ولا يقنع فيه الإنسان بالمشاهدة، وإنما تجاوز هذا كله إلى غاية أسمى هي فناء الإنسان عن نفسه، وبقاؤه بربه، واتحاده به[1].

وفي القرن الثالث وما يليه صار التصوف فكراً وتأملاً ورياضة نفسية أكثر منه زهداً وعبادةً بدنية فتقشف إبراهيم بن أدهم وأمثاله، وكان أعظم ما يمتاز به المتصوفة، وكان الجنيد يلبس لبس الفقهاء لا الصوفية فلما سئل في ذلك قال: إنما الاعتبار بالحرقة وليس الاعتبار بالخرقة، وأثر عن الشبلي وأبي حفص أنهما كانا يستضيف أحدهما الآخر فيقدم له أطايب الطعام، وقال البسطامي: الزهد لا دوام له كما تقدم وقال الخراز:قوت الزاهد الجوع، وقوت العارف الذكر[2].

والمتأمل في أقوال صوفية القرنين الثالث والربع الهجريين يلمس تحولاً فكرياً طرأ على مفهوم التصوف وظهرت في أقوالهم أفكار جديدة، واصطلاحات وتعبيرات خاصة، بعضها يتعلق بالجانب النظري للتصوف من تحديد لمعالم الطريق، وترتيب للمقامات والأحوال، وكان من الرواد الأوائل في هذا المجال "ذا النون المصري"[3]. و "سري السقطي"[4] فيعزى إلى ذي النون أنه أول من تكلم في مصر في الأحوال والمقامات، وإلى سري أنه أول من تكلم في بغداد في ترتيب المقامات وبسط الأحوال، وبعضها يتعلق بالجانب النفسي والوجداني الذي يرمي إلى الفناء في الله، واتحاد المحب والمحبوب، ومحو الوجود المجازي في الوجود المطلق

---

(١) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٢٨، ٢٩.

(٢) عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، ص٣١.

(٣) المتوفي عام ٢٤٥ هـ، وهو أبو الفيض، ويقال: ثوبان بن إبراهيم، وذو النون لقبه أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، بتحقيق نور الدين شريبة، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص١٥.

(٤) المتوفى عام ٢٥١هـ، وهو سري بن المغلس السقطي، يقال أنه خال الجنيد، وأستاذه، صحب معروفاً الكرخي، وهو أول من تكلم -يقال- في لسان التوحيد، وحقائق الأحوال، وهو إمام البغداديين، وشيخهم في وقته.
أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص٤٨.

الحقيقي، ونشأ عن هذا، القول بوحدة الوجود، وإن الموجود الحقيقي هو الله، وأن ما سواه عدم حض[1].

ومن الموضوعات التي تطرقت إلى التصوف في هذه الفترة الاعتقاد في الوحدة وأن روح أحكام الشريعة وباطنها أهم من شكلها وصورتها الظاهرية، وأن من بلغ درجة الولاية تحرر من المظاهر، وأن النية مقدمة العمل، وأن السنة خير من الفرض، وأن من اتصل بالله وبلغ الغاية في الفناء، خضع له الكون وقوانينه، وأن الطاعة خير من العبادة، وقد أثارت هذه الأقوال انتباه الناس في ذلك الوقت واسترعت أنظارهم وخصوصاً طبقة الفقهاء الذين عَدوا هذه الأقوال خطراً على المجتمع الإسلامي، واتهموا الصوفية باختلاق البدع تارة، وبالكفر والإلحاد تارة، كما جرت عليهم أقوالهم في المحبة والاتحاد والحلول سخط الفرق الإسلامية الأخرى[2].

وكان هؤلاء المتصوفة الذين خرجوا بهذا الاعتقاد والأفكار الجديدة كفلسفة لهم في العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، وفي المدارس السنية التي تلقوا فيها الدراسة على أيدي علماء عظام في نيسابور ومدن خراسان واغترفوا من كل العلوم الدينية والدنيوية حتياتخذوا لأنفسم زوايا وخانقهات في أنحاء الدولة الإسلامية للظهور بهذه الآداب المخصوصة واصطلاحات من الفاظ تدور بينهم في المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والأذواق والمواجيد المعارضة في طريقها، وكيفية الترقي منها من ذوق إلى ذوق، هذا ما جعل هذه الطائفة موضع انتقاد بين العلماء والفقهاء الذين لهم موقف مناهض لهذه الآراء والأفكار الصوفية[3].

فشهد القرن الثالث الهجري بداية الصراع بين هاتين الطائفتين، ويرجع النزاع بينهما إلى أن أحكام الشريعة في أول عهد الإسلام كانت تؤخذ بالرواية، لا فرق بين عبادات

---

(1) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٢٩.

(2) عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، ص٣٢.
أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص٦٤.
إسعاد عبد الهدي قنديل: كشف المجوب للهجويري، ص٢٩.

(3) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٤، ص١٥١.

وعتقادات أو معاملات، ثم لم يلبث المسلمون أن بدأوا يناقشون مسائل الدين ويتدارسونها، ويبحثون عن علل الأحكام على نمط علمي، ويدونون ما يتناقشون فيه. وهنا نشأ علم الفقه وأقبل الناس عليه يتناقشون في تدارسه، والعمل بأحكامه حتى أن كثيراً من المسلمين كانوا يظنون أن الاشتغال بهذا العلم والعمل به هو الغاية من الدين.

ثم ظهر أمر الصوفية، وكان لهم رأيهم الخاص فيما يتعلق بالمسائل الدينية والأحكام الشرعية، فقد كانوا يرون أن الدين أصبح في عرف الفقهاء جمله من رسوم وأوضاع لا حياة ولا روحانية فيها، وأن الكمال الديني يكمن في البحث عن المعاني الباطنة للأحكام بالإضافة إلى معانيها الظاهرية، ومن هنا ظهر علم التصوف، أو بمعنى آخر، انقسم علم الشريعة إلى قسمين: ظاهر وباطن، واختص الفقهاء بالاهتمام بالظاهر، وعني الصوفية بالباطنية وأصبح لكل من الطائفتين وجهة نظرهم الخاصة في ماهية الدين[1].

وعلى هذا كان من الطبيعي أن يتم الصدام بين الطائفتين الفقهاء والصوفية لاختلاف وجهتي نظرهما، فأعلن الفقهاء العداء للصوفية، فتصدوا لبعضهم بالمعارضة، واتهموا البعض الآخر بالكفر والزندقة، وقد أوردت لنا الكتب المتقدمة أخبار سلسلة من الاضطهادات التي لاقاها الصوفية على أيدي الفقهاء، حتى أن مجموعات كبيرة من شيوخ الصوفية سيقوا إلى المحاكمات والحكم عليها بالموت، واستطاع بعضهم أن يفلت من العقوبة، وراح البعض الآخر ضحية لهذا التعصب. وقد ظهر اضطهاد الفقهاد للصوفية على أشده فيما عرف بمحنة الصوفيةببغداد، أو محنة غلام الخليل[2]، وهي المحنة التي فر على أثرها أبو سعيد الخراز إلى مصر، واتهم فيها نحو سبعين صوفياً بالزندقة، ومن بينهم الجنيد[3]. والنوري[4]. وحكم عليهم بالموت، وكاد الحكم ينفذ في بعضهمثم أفرج عنهم، إلا أن هذا الاضطهاد بلغ ذروته

---

(١) إسعاد عبد الهادي قنديل: شكف المحجوب الهجويري، ص٢٠.

(٢) هو أحمد بن محمد بن خالد بن مرداس ولد بالبصرة توفي ببغداد سنة ٢٦٢هـ، كان مشهوراً بالورع والتقوى ولكنه كان مكروهاً من أهل عصره الذين رموه بالرياء. وقد وصفه الهجويري بالمكر والشعوذة والحقد على الصوفية (انظر كشف المحجوب، ص١٧٢ وما بعدها).

(٣) هو الجنيد بن محمد، أبو القاسم الخراز، وكان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك كان يقال له: القواريري، وكان فقيها، تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وصحب السري السقطي، والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب البغدادي وغيرهموهو من أئمة القوم وسادتهم مقبول على جميع الألسنة.
أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص١٥٥.

في المأساة التي ذهب ضحيتها الحسين بن منصور الحلاج[1]، فسجن وعذب وقتل، وكان مقتله بإفتاء الفقهاء وأن بدا بأمر الخليفة، وإلا فما بالهم قد تركوا الصوفية الآخرين كالجنيد وأبي يزيد البسطامي، وذي النون المصري من غير قتل، إذن فهي كانت مسألة سياسية بحتة اتخذت شكلاً دينياً لعلمهم أن الدين أفضل في الشعوب من السياسة- فكم من صوفية ادعوا وحدة الوجود فلم يلتفت إليهم، وتركوا وشأنهم مما لفت عامة المسلمين إليه ما ورد عن الحلاج من إتيانه بالأعاجيب، فيظهر أنه كانت له قدرة كبعض الأشخاص اليوم على استحضار ما يريد من الأشياء من أماكنها، كالذهب والمسك وغيرها، وإنه كانت له قدرة على التنويم المغناطيسي، وقدرة أخرى كيماوية بهر الناس بها لجهلهم بالكيمياء[2].

وقد أثر الحلاج في علوم الدين عند المتصوفة أثراً كبيراً، ورغم قتله فإن كثيرين من تلاميذه حملوا مذهبه من بعده، وخصوصاً فرقة السالمية، ويحدثنا الهجويري في القرن الخامس الهجري أنه رأى بالعراق أربعة آلاف يسمون أنفسهم الحلاجية، ويصرح الهجويري نفسه بعطفه على الحلاج ويقول إنه لم ينكر فضله وصفاء حاله وكثرة اجتهاده ورياضته إلا فئة قليلة منم مشايخ الصوفية[3].

كذلك كان من نتائج هذا التعصب أن أخذ كبار الصوفية يتمسكون أكثر من ذي قبل بالقرآن والحديث والأدلة العقلية، وانشغلوا بالتأليف والتصنيف، ونهضوا للدفاع عن أنفسهم

---

(٤) وهو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، بغدادي المنشأ والمولد، خراساني الأصل، وكان من أجل مشايخ القوم وعلمائهم لم يكن -في وقته- أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاماً.
أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية: ص١٦٤.

(١) وهو الحسين بن منصور الحلاج، وكنيته أبو مغيث، وهو من أهل بيضاء فارس ونشأ بواسط والعراق، وصحب الجنيد، أبا الحسن النوري، وعمر المكي والفوطي وغيرهم، والمشايخ في أمره مختلفون، رده أكثر المشايخ، ونفوه، وأبوا أن يكون له قدم في التصوف، وقبله من جملتهم أبوالعباس بن عطاء، وأبو عبدالله محمد خفيف وغيرهم، وأثنوا عليه، وصححوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتى قال عنه محمد بن خفيف: "الحسين بن منصور عالم رباني" قتل ببغداد سنة ٣٠٩.
أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص٧٥، ٧٦.
آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج٢، ص٥٠.
إسعاد عبد الهادي قنديل (دكتورة): كشف المحجوب للهجويري، ص٣٠، ٣١.

(٣) نفس المصدر، ص٣٦٢ وما بعدها.

بسلاح الكتاب، ولعل علم التصوف أصبح علماً مدوناً في هذه الفترة، فقد بدأ في القرن الرابع والخامس الهجريين تأليف الكتب في مقامات الصوفية، وبيان أنواع المجاهدات وما ينشأ عنها من الأذواق والمواجيد، وألفت في هذه الفترة كتب قيمة مثل "اللمع" لأبي نصر السراج (٣٧٨هـ)، "والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي المتوفى ٣٨٠ هـ" "وقوت القلوب" لأبي طالب المسكي المتوفى في ٣٨٦هـ، ثم جاء أبو عبد الرحمن السلمي في القرن الخامس الهجري فأثرى المكتبة الصوفية بالكتب والمؤلفات الكثيرة منها: "جوامع آداب الصوفية" و"تاريخ الصوفية"، و"تاريخ أهل الصفة" و "طبقات الصوفية"، كذلك من الكتب التي اشتهرت في هذا العصر كتاب "الرسالة" لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى ٤٦٥هـ، ثم كتاب أسرار التوحيد الذي كان أقرب الكتب الصوفية عهداً إلى كشف المحجوب، فهو من مؤلفات القرن السادس الهجري، ومؤلفه واحد من أحفاد الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير، وأخيراً كتاب كشف المحجوب للهجويري الموفى سنة ٤٦٥هـ[١].

ثم انتشرت الصوفية في القرنين الثالث والرابع الهجريين في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وأخذوا ينظمون أنفسهم في جماعات وفرق لها طرقها الخاصة وشيوخها وسالكوها، وكانت هناك مدارس كثيرة للتصوف في هذه الفترة، لكل منها طابع معين، وقد أحصى الهجويري الفرق الصوفية أو (المدارس الصوفية) التي وجدت في هذه الفترة بإثنتي عشرة فرقة[٢]، ونسب كل واحدة منها إلى شيخ من شيوخ القرنين الثالث والرابع الهجريين، ولعل من أبرز هذه المدارس التي عبرت عن التصوف وبينت أسسه وقواعده وآدابه ومعاملاته،

---

(١) أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص٣٤، ٣٥.
إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، الصفحات ٨٢، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩.
ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، ج١، ص٢٥٧.

(٢) وجملة المتصوفة أثنتا عشرة فرقة، منهم فرقتان مردودتان، وعشر مقبولة، وأولى الفرق المقبولة: المحاسبية، والثانية القصارية، والثالثة: الطيفورية، والرابعة الجنيدية والخامسة النورية، والسادسة السهلية، والسابعة الحكيمية، والثامنة الخرازية، والتاسعة الخفيفية، والعشارة السيارية، وهؤلاء جملة من المحققين وأهل السنة والجماعة.
أما الفرقتان المردودتان، فواحدة منهما الحلولية المنسوبة إلى الحلول والامتزاج وإليهم ينتمي السالمية والمشبهة، والأخرى: الحلاجيون المردودون لتركهم الشريعة والحادهم، إليهم ينتمي الإباحيون الفارسيون.
إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٣٤٣.

مدرسة أبي القاسم الجنيد (المتوفى ٢٠٧هـ) ببغداد وقد اعتمدت هذه المدرسة على الكلمة المنطوقة واتخذت من المساجد منابر لدعوتها. ثم مدرسة أبي نصر السراج المتوفى ٣٧٨هـ في نيسابور، واعتمدت على الكلمة المكتوبة واتخذت من الكتب ميداناً لبيان دعوتها، وشرح رسالتها، ونشر علومها وأذواقها، كما حفظت لنا أيضاً تراث المدرسة الأولى[1].

أما في القرن الخامس الهجري، فقد ظهرت مدارس أخرى اعتبرت متجددة للصوفية ومميزة بأسلوبها التي لاقت القبول عند الناس، وأقبل عليها التلاميذ والمريدون، يتأدبون بها ويأخذون عنها علوم التفسير والحديث والكلام، ومن هذه المدارس مدرسة أبي عبد الرحمن السلمي المتوفى عام ٤١٢هـ، التي اعتمدت على التأليف والمصنفات واتخذت من الأحاديث والتفسير ميداناً لبيان دعوتها، ومن الرواية سلكت به طريق التصوف فجعلها تفسيراً على لسان أهل الحقائق، حتى اشتهر أبو عبد الرحمن بأنه "نقال الصوفية وراوي كلامهم، وممن له العناية التامة بالمذهب وتهذيبه على ما بينه الأوائل"[2].

كذلك اشتهرت في هذا العصر مدرسة أبي سعيد فضل الله بن محمد الميهني في خراسان، واعتمدت هذه المدرسة على المشاهدة والاعتقاد وقوة الحال، واتخذت من فنون العلم والبراهين بياناً لدعوتها، ومن الشعر وإقامة حلقات الرقص والسماع مسلكاً لتربية المريدين المحيطين بها[3].

كما حفل القرنان الثالث والرابع الهجريين بكثير من الشخصيات الصوفية الفذة والمذاهب الروحية النظرية والعلمية التي سوف نتعرف عليها من خلال دورها في تلك الفترة ولعل أهم هذه الشخصيات هو الحسين بن منصور الحلاج، وقد اختلف مشايخ هذه الطريقة

---

(١) عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، ص٢٣.
إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٣١، ١٥٢.

(٢) محمد عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص٣٠.

(٣) محمد بن المنورين أبي سعيد بن طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير: أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة: الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل -مراجعة الدكتور يحيى الخشاب، بدون تاريخ، ص١٤، ١٥.

في شأنه فهو كان مردوداً عند طائفة، ومقبولاً عند أخرى[1]. ويقول عنه الهجويري إنه كان حديث سر المشايخ أمثال الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير والشيخ أبي القاسم الجرجاني وغيرهما، حتى قال عنه الأستاذ أبو القاسم القشيري: إذا كان من أرباب المعاني والحقيقة فلن يصير مهجوراً بهجر من رده، وإن يكن مردوداً من الحق ومقبولاً من الخلق، فلن يصير مقبولاً بقبول الخلق، ونحن نتركه لله بحكم التسليم، ونجله بقدر ما وجدنا فيه من دلائل الحق، ولا ينكر كمال فضله وصفاء حاله وكثرة مجاهداته، ورياضاته إلا قلة من جملة الشيوخ[2]

ومن أبرز مشايخ القرنين الرابع والخامس الهجريين أبو القاسم إبراهيم بن محمدية النصر أبادي[3]، الذي كان يعتبرالمبارز في صفوف المتصوفين، والمعبر عن أحوال العرافين، فكان شيخ خراسان في وقته كما كان في نيسابور كالملك سابور

بعلو الحال ومرتبة الرجال، غير أن عز الملوك يكون في الدنيا، وعزه في الآخرة[4].

كذلك كان أبو العباس أحمد بن محمد القصاب الآملي أحد المشاخ المشهورين بعلو الحال وصدق المقال والفراسة لدى المتصوفين في خراسان وكان له كرامات كثيرة، فقد قال عنه أبوعبدالله الخياط إمام طبرستان: "إنه من أكبر نعم الله أن يجعل أمياً لم يتعلم يجيب على أسئلتنا في غوامض الدين ودقائق التوحيد "ومع أن أبا العباس القصاب كان أمياً إلا أنه

---

(١) فقد رده فريق من أمثال عمر بن عثمان، أبي يعقوب النهرجوري، وأبي يعقوب الأقطع، وعلي بن سهل الأصفهاني وغيرهم، وقبله ابن عطاء ومحمد بن خفيف وأبوالقاسم النصر أبدي وجملة المتأخرين من الصوفية.

(٢) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب اللهجويري، ص٣٦٢.
أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص٣٠٨.

(٣) أبوالقاسم النصر أبادي نيسابوري الأصل والمنشأ والمولد، أقام بنيسابور ثم خرج في آخر عمره إلى مكة وحج سنة ستة وثلاثين وثلاثمائة، وأقام بالحرم مجاوراً، مات سنة سبع وستين وثلاثمائة كتب الحديث ورواه وكان ثقة.
أبو عبد الرحمن السلمي:طبقات الصوفية، ص٤٨٤.

(٤) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٣١٧.
أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص٤٨٤.

كان متفقها في علوم الصوفية والدين[1].

أما أبو علي الحسن بن محمد الدقاق، كان إمام فنه وثقة في علومه، ولم يسبه أحد من معاصرية في مشاهداته، وكان ذا بيان صريح ولسان فصيح في كشف طريق الله تعالى، رأى كثيراً من المشايخ وصحبهم، وكان مريد النصرابادي، يقوم بالوعظ نيابة عنه، وقد ورد عنه أنه قال: "من أنس بغيره ضعف في حاله، ومن نطق من غيره كذب في مقاله". لأن الأنس بالغير غاية في الجهل وعدم المعرفة والأنس به وحشة من الغير، والمستوحش من الغير لا ينطق عن الغير.

كذلك من أئمة الصوفيين الإمام المتفرد، شرف أهل الزمان، أبو الحسن علي بن أحمد الخرقاني من أجلة الشيوخ وقدمائهم، كان شيخاً كبيراً ممدوحاً من كل أولياء عصره. زاره الشخي أبو سعيد بن أبي الخير وتذاكرا معاً في كل العلوم، فلما أراد أن يستأذن قال له الخرقاني: "قد اصطفيتك لتكون خلفاً لي"[2].

أما أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بالداستاني فكان مقيماً في بسطام، عالماً بأنواع العلوم، وسائساً مهذباً، ومن محتشمي حضرة الحق، وله أقوال مهذبة، وإرشادات لطيفة في القاء دروسه وقته وقد اتخذ خلفاً له الشيخ السهلكي الذي كان إمام هذه الناحية[3].

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد جامي: نفحات الأنس من حضرات القدس، بتصحيح مهدي توحيدي بور أز انتشارات كتابفروش محمودي،تهران، ص ص ٢٨٦-٢٨٨ أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري: كشف المحجوب، ترجمه عن الإنجليزية محمد أحمد ماضي أبو العزائم، راجع الترجمة الإنجليزية إسماعيل ماضي أبو العزائم، طابقه على الأصل الفارسي وحققه وقدم له دكتور ابراهيم الدسوقي شتا القاهرة، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ص١٩٢.

(٢) نفس المرجع، ص١٩٣، ١٩٤.

إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب الهجويري، ص٣٧٧.

(٣) محمد أحمد ماضي أبو العزائم: كشف المحجوب للهجويري، ص١٩٤، ١٩٥.

أما ملك ملوك الصوفية أبو سعيد فضل الله بن محمد الميهني[1]، كان سلطان زمانه، زينة أهل الحق، وكل معاصريه كانوا يرجعون إليه في كمال مشاهداتهم، وكمال عقيدتهم، وشدة حالهم، وكان عالماً بكل فروع العلم، وله تجارب عديدة دينية عجيبة، وقوة مدهشة في قراءة أسرار النفوس، فوق ذلك كان له براهين وأدلة ساطعة، ظهرت نتائجها في ذلك الوقت[2].

وأخيراً كان أبو الفضل محمد بن الحسن الختلي أستاذ التصوف عالماً بعلم التفسير والروايات، وكان مريد الحصري وصاحب سره، وقد ظل ستين عاماً وهو يفر إلى الزوايا طلباً للعزلة الصادقة، واختفى اسمه من بين الخلق، وكان كثيراً مايلجأ إلى جبل لكام، عمر طويلاً، وكانت له روايات براهين كثيرة،غير أنه لم يكن يرتدي ثياب المتصوفة ويمارس رسومهم، وكان شديداً مع أهل الرسم، ويقول الهجويري عنه: "لم أر رجلاً شديد المعاداة للدنيا أكثر منه"[3].

وخلاصة القول أن الصرح المتكامل للتصوف الإسلامي الذي خلد على مر الزمان وبدا متين الأساس شامخ البنيان، قد أرسى أسسه وقواعده رجال عاشوا في القرون السابقة، ووضع كل منهم لبنة في هيكله حتى اكتمل البناء، وإذا كانت هناك تغييرات طرأت على التصوف بعد ذلك فإن أكثر التغييرات يرجع إلى التعبيرات والاصطلاحات والظواهر والأشكال، أما الأسس فقد ظلت ثابتة حتى الآن، أما عن التصوف في القرن الخامس الهجري، فنجد أنه انتشر انتشاراً كبيراً في ذلك الوقت، ويرجع ذلك إلى أن العالم الإسلامي

---

(١) ولد أبو سعيد فضل الله بن أبي الخير يوم الأحد ١ محرم سنة ٣٥٧هـ الموافق ٧ ديسمبر ٩٦٧م في قرية مينة وهي من قرى خاوران التي تقع بين ابيورد وسرخس وكان والده عطاراً يجالس العلماء وأهل الطريقة من الصوفيين كل أسبوع في منزله، وكان تقياً وورعاً،كما أنه اهتم بتربية وتعليم ابنه سعيد حيث بعثه ليتعلم القرآن على يد أبي محمد عياري، ثم بعد ذلك ليتعلم الأدب والنحو على يد أبي سعيد غباري،ثم تتلمذ علي أبي القاسم بشر ياسين الذي يعتبر المربي والمعلم له حتى وافته المنية سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م، ثم درس الفقه والعلوم الأخرى لدى أستاذه أبو عبد الله الحضري، هكذا اشتهر الشيخ بعد ذلك في عالم التصوف إلى أن توفاه الله يوم الجمعة ٤ شعبان سنة ٤٤٠ هـ/ الموافق ١٢ يناير ١٠٤٩م. ص١٧٨-١٧٩.

غلام محسين يوسفي: ديداري با أهل قلم درباره بيست كتاب نثر فارسي (عارفي ازخراسان) خرداد ٢٥٣٥.

(٢) محمود أحد ماضي أبو العزائم: كشف المحجوب، ص١٩٥.

(٣) نفس المرجع، ص١٩٧.

كانت تسوده الاضطرابات والمنازعات في الحياة السياسية والدينية والعلمية فكانت الخلافات مستمرة بين الخلفاء العباسيين في بغداد ومن يوالونهم من الحكام السنيين كالغزنويين والسلاجقة في خراسان وبين الفاطميين في مصر وأتباعهم من الشيعة والباطنية والقرامطة الذين انتشروا في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي وخاصة في إقليم خراسان، وعلى أن الخلافات المذهبية كانت أشدها، ولم يكن هذا الخلاف مقصوراً على السنة والشيعة، بل تعدى ذلك إلى المذاهب السنية فيما بينها، كل هذه الأسباب هيأت للتصوف سبل الانتشار وليس تعليل ذلك بالأمر الصعب، فإن اضطرابات الحياة السياسية، وتفرق الناس في مذاهبهم شيعاً وأحزاباً، وجنوح كل فريق إلى التعصب، أشاع في الناس اليأس والقنوط، وملأ نفوسهم بالخوف والقلق، فلم يجدوا لهم ملجأ غير التصوف[1].

ومن ناحية أخرى فإن الاشتغال بالاضطرابات السياسية والمنازعات الدينية هيأ الفرصة للصوفية لترويج مبادئهم ونشر تعاليمهم، وكان لبعدهم عن المجادلات المذهبية أثر كبير في احترام الناس والأمراء والسلاطين لهم، مما أدى إلى انتشار التصوف وبروز طبقة المتصوفة، وقد ظهرت في هذا القرن جماعة من كبار شيوخ الصوفية في العالم الإسلامي عامة، وفي خراسان خاصة، فكان هناك في النصف الأول من القرن الخامس أمثال السلمي والخرقاني وأبي سعيد بن أبي الخير وأبي القاسم الجرجاني والقشيري وغيرهم ممن يرجع إليهم الفضل في تربية جيل من التلاميذ والمريدين الذين صاروا أعلاماً في تاريخ الحياة الروحية في القرون التالية[2].

على أن انتشار التصوف في هذه الفترة ساعد على دخول بعض المغرضين والأدعياء المزيفين بين هذه الطائفة، إما لحماية أنفسهم من الحكام والسلاطين وإما طمعاً فيما كان يتمتع به هؤلاء من احترام وتقدير الناس لهم، وقد قام هؤلاء الأدعياء بترويج البدع والخرافات ودعا بعضهم إلى التحرر من التقاليد الإسلامية، وإسقاط التكاليف الشرعية، وروج بعضهم العقائد الشيعية والإسماعيلية الباطنية، الأمر الذي أساء إلى الصوفية وألقى ظلالاً قاتمة على التصوف.

---

(١) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص ص١٧٢، ١٧٣.
إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٣٣.
عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٧٣.

ثم عكف المتصوفون على العلوم الدينية التي أصبحت من أهم العلوم نجاحاً في القرن الخامس الهجري، وهم بذلك واكبوا الحركات العلمية التي ضمت أعظم القوى الدينية في ذلك الوقت، وأخذت من خراسان أكبر مركز تجمع للتصوف في العالم الإسلامي، ومن هنا يجدر بنا أن نشير إلى أن إقليم خراسان كان مهد الكتابات الصوفية، وموطن كبار العلماء الذين ألفوا في التصوف الإسلامي مثل أبي نصر السراج، وأبي عبد الرحمن السلمي النيسابوري، وأبي القاسم القشيري النيسابوري، وحجة الإسلام الإمام الغزالي الطوسي.

ومن أهم كتب الصوفية التي ألفت في القرن الخامس الهجري كتابان ألفا في النصف الأول منه، وهما: "الرسالة" و"كشف المحجوب"، والرسالة ألفها بالعربية أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري وشرح فيها الأسس الصوفية وأحوال المتصوفة، وآراءه فيها مثل التوسط والاعتدال[1].

وكشف المحجوب ألفه بالفارسية أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري، وسلك فيه مسلك معاصره القشيري في الاعتدال، فهو يربط في كتابه بين الشريعة والحقيقة ويبين أن الشريعة بدون الحقيقة ليست إلا رياء، وأن الحقيقة بدون الشريعة ليست إلا نفاقاً.

والواقع أن القشيري والهجويري كانا من الرواد الأوائل وكانت لهما جهودهما التي لا تنكر في سبيل إعادة التصوف إلى سيرته الأولى وتنقيته مما علق به من شوائب فقد ألفا كتابيهما في وقت كان التصوف فيه قد بلغ حداً جعل الكثيرين يأخذون أنفسهم بالازورار عنه، والنفور من أهله، وتوجيه المطاعن إليه، وإلقاء الشبهات على تعاليمه، فقد كان ينظر إلى التصوف وقتئذ على إنه زندقة وخروج على تعاليم الكتاب والسنة. ولم تكن هذه النظرية ناشئة مما كان يدعو إليه بعض الصوفية من التعاليم المنطوية على التحرر من التقاليد، وإسقاط التكاليف فحسب، وإنما كانت ناشئة أيضاً عما كان هنالك من امتزاج بين بعض التعاليم والمذاهب الصوفية وبين العقائد الشيعية والإسماعيلية الباطنية[2].

ومن المميزات التي تميز بها التصوف في هذه الفترة أن نفوذ التصوف بدأ يظهر في الشعر الفارسي وأخذ هذا النفوذ يزداد قوة على مر الأيام، وأصبح للشعراء الصوفية في

---

(١) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٣٢، ٣٤.

(٢) محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، القاهرة ١٩٤٥م، ص١٢١.
إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٣٤.

القرن الخامس لسان مرموز، فعلى الرغم من أنهم استعملوا نفس ألفاظ ومصطلحات القرن الرابع، إلا أنهم استعملوها على سبيل الكنايات والاستعارات فالله عندهم هو "الحبيب"و "المعشوق" و "المحبوب" والوجد الحاصل من التفكير فيه: هو "الخمر" و "الخمار"، والظاهر والباطن منه عبارة عن "طلعته المنيرة" أو "طرته السوداء القائمة"، وما إلى ذلك من التعبيرات الرمزية الكثيرة(١).

وكان أبو سعيد بن أبي الخير أول من استعمل هذا اللسان المرموز من شعراء الصوفية في خراسان، ويعزى إليه أنه أول من ابتدع الشعر الصوفي، ويعتبر في ذلك إماماً لمن جاء بعده من شعراء الصوفية الكبار في إيران أمثال "السنائي" و "العطار" و جلال الدين الرومي"(٢).

وقد استقر صوفيةالقرن الخامس في الخانقاهات التي بدأت في الانتشار منذ القرن الرابع الهجري، وازداد انتشارها بشكل ملحوظ في أوائل القرن الخامس حتى عمت جميع أنحاء العالم الإسلامي وكان هناك عدد كبير من هذه الخانقهات في خراسان والعراق وفارس وأنحاء كثيرة من إيران(٣)، ووضعوا نظاماً معيناً للحياة فيها وكان يقوم بإدارة كل واحدة منها شيخ من شيوخ الصوفية المعروفين في هذه الفترة ونجد على رأس هؤلاء أبا سعيد بن أبي الخير الذي يعتبر أول من شرع نظام الحياة في الخانقاهات، وأدار عدداً منها، واعتلى المنبر في نيسابور، وعقد المجالس، وتصدى لعلماء الظاهر وأئمة المذاهب وجادلهم وحاورهم مما عرض حياته للخطر في بعض الأحيان، وقد ظل أبو سعيد يعمل قرابة نصف قرن على نشر تعاليمه الصوفية في خراسان، مستقراً في نيسابور وموطنه "ميهنة" تارةومتنقلاً ما بين "طوس" و "خرقان" و "مرو" تارة أخرى، وتجمع حوله المريدون من كل مكان، ونال حظوة كبيرة عند العامة والخاصة(٤).

والواقع أن أبا سعيد قاد حركة صوفية واسعة النطاق في إقليم خراسان في النصف الأول من القرن الخامس الهجري وخصوصاً بعد انقضاء فترة الغزنويين الكبار وظهور أمر

---

(١) إدوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ص٢٣٤.

(٢) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٢٧.

(٣) محمد بن المنور: أسرار التوحيد، الصفحات ١٦، ٤١، ٨١، ٢٥٢، ٢٨٢، وما بعدها.

(٤) نفس المصدر: ص١٣-١٤.

السلاجقة في هذا الإقليم، فقد فتح الميدان أمام المتصوفة في هذه الفترة وراجت سوقهم في العصر السجلوقي.

ونجد في "راحة الصدور" و"أسرار التوحيد" إشارات إلى زيارات ولقاءات بين أمراء السلاجقة وشيوخ الصوفية في عصرهم[1].

هذا وقد عاصر الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير عدداً من شيوخ الصوفية المعروفين أمثال أبي عبد الرحمن السلمي (٤١٢هـ)، وأبي حسن الخرقاني (٤٢٥هـ)، وأبي العباس الشقاني، وأبي الفضل الختلي، وأبي القاسم الجرجاني (٤٦٥هـ) وقام كل هؤلاء بنشاط كبير في نشر التعاليم الصوفية في خراسان وأجزاء أخرى من إيران، وانشغل كل منهم بتربية عدد من المريدين الذين برزت منهم مجموعة بلغوا بدورهم مرتبة الشيوخ، وقاموا بتربية جيل آخر من المريدين، وأداروا الخانقهات وقاموا برحلات واسعة النطاق لنشر التعاليم الصوفية ومن هؤلاء:-

"أبو علي الفارمدي" (٤٧٧هـ) شيخ حجة الإسلام الغزالي، فقد كان تلميذاً ومريداً لكل من أبي القاسم القشيري وأبي القاسم الجرجاني، وتلقى الخرقة على يد هذا الأخير وخلفه من بعد وفاته، وأصبح شيخ شيوخ خراسان، و"أبو الفتح بن سالبه" (٤٧٣هـ) ابن شيخ شيوخ أبي الحسن ابن سالبة البيضاوي، وكان تلميذاً ومريداً لأبي مسلم الفارسي وخواجه على بن حسن الكرماني، وصحب الشيخ أبا علي الداستاني، واتخذ بياب كوارخانقاها خدم فيها ثلاثين سنة، وجاور عنده كثير من العلماء والصالحين، وتوفي سنة ٤٧٣ هـ ودفن في خانقاهه، و "أبو الحسن علي بن عثمان الهجويري" (٤٦٥هـ) الذي تتلمذ على يد أبي العباس الشقاني، وكان مريداً لكل من أبي الفضل الختلي وأبي القاسم الجرجاني، والتقى بمعاصره القشيري، وقام برحلات واسعة النطاق في أنحاء العالم الإسلامي التقى خلالها بعدد كبير من شيوخ الصوفية الكبار والأئمة ورؤساء المذاهب، وجمع معلومات قيمة ضمنها كتابه كشف المحجوب[2].

---

(١) الراوندي: راحة الصدور، ص١٦٠-١٦١.
محمد بن المنور: أسرار التوحيد، ص١٤٠، ١٨٢.

(٢) إسعاد عبد الهادي قنديل: كشف المحجوب للهجويري، ص٣٧، ٣٨.

ثالثاً: العلوم والآداب:-

(١) العلوم النقلية ودور العلماء في تقدم هذه العلوم:-

اتسع أفق الفكر الإسلامي في خراسان والأقاليم الإسلامية في العصر الغزنوي اتساعاً كبيراً، فكانتْ ملكات المسلمين في البحث والتأليف قد بلغت درجة عظيمة من النضج، نتيجة لحركة الترجمة التي نشطت في الدولة العباسية، قبل قيام الدولة الغزنوية بأكثر من قرن ونصف من الزمان، وكثرة تنقل رجال العلم والأدب في مشارق العالم الإسلامي ومغربه في ذلك الوقت، فنشطت الحركة الفكرية، وراجت سوق الثقافة، وكثر العلماء والأدباء[١].

كما ساعد وجود الفرق الدينية المختلفة كما رأينا على تنشيط الفكر العلمي لأن هذه الفرق اتخذت العلم وسيلة لترويج تعاليمها، ومحاولة الإقناع بصحة هذه التعاليم، وكان الجدل الذي ثار بين هذه الفرق من وسائل ترويج سوق الثقافة في ذلك العصر، وأوضح دليل على صحة هذا الرأي تلك الآثار العلمية الوفيرة التي خلفها علماء الفرق الدينية المختلفة، برغم ما أحدثته هذه الفرق من انقسام بين المسلمين وإضعاف لقوتهم، وإضعاف للدولة العباسية والدول التي قامت في بلاد المشرق الإسلامي، وخاصة الدولة الغزنوية وفترة حكمها في خراسان الذي انتهى في عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠-١٠٤١م[٢].

وكان طلاب العلم يجوبون البلاد سعياً إلى موارد العلم والمعرفة، مما يسر للدارسين الأخذ بحظ وافر من العلوم المختلفة من نقلية[٣] وعقلية[٤]، مما أثمر تقدما في سائر العلوم المعروفة في ذلك العصر.

وقد شجع سلاطين الغزنويين على بناء المدارس، وتنافسوا في تكريم العلماء والمتخصصين في كل علم وفن حتى يذيع صيتهم وتذكر أسماؤهم في مقدمات الكتب، وفي قصائد الشعراء وكتابات الكتاب، مما زاد الحياة الثقافية في خراسان وإيران في العصر الغزنوي تقدماً وازدهاراً.

---

(١) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨١.

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٣٣٢.

عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص١٨١، ١٨٢.

(٣) يقصد بالعلوم النقليةعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو واللغة والبيان الأدب.

(٤) تشمل العلوم العقلية الفلسفة، والطب، والرياضة، وعلم النجوم والمنطق والتاريخ والجغرافيا.

وقد خصصت هذه المدارس لتعليم العلوم النقلية، ولا سيما أصول فقه الحنفية والشافعية التي انتشرت في خراسان، وكانت هذه المدارس كما تحدثنا، قد اكتسبت الصفة الرسمية في خراسان، واعترفت بها الدولة، وقد بدئ في بنائها في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتولى التدريس في هذه المدارس نخبة من الفقهاء والعلماء الذين بدأوا بتأليف الكتب الدينية في علومها المختلفة منها التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام.

أولاً: العلوم الدينية:-

(١) التفسير:

كان القرآن الكريم، ولا يزال، المصدر الأساسي والمنهل الذي يأخذ عنه المسلمون العلوم المختلفة، وقد اتجه المفسرون في تفسير القرآن اتجاهين: يعرف أولهما باسم التفسير المأثور، وهو ما أثر عن الرسول الكريم ﷺ وكبار الصحابة، ومن أشهر مفسري هذا النوع ابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، وهو صاحب الكتاب العظيم في التاريخ، وكتابه الآخر في التفسير، ويعرف ثانيهما باسم التفسير بالرأي، وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من الاعتماد على النقل، ومن أشهر مفسري هذا النوع المعتزلة والباطنية ولم يتخذ التفسير هذه الطريقة المنظمة إلافي القرن الرابع الهجري والقرون التالية فيما بعد، على أن جواز تفسير القرآن لم يكن أمراً مسلماً به في القرن الرابع الهجري دون استيفاء شروطه، فيحكى لنا الطبري من أمثلة التحرج في ذلك أن الشعبي مر على السُدّي، وهو يفسر القرآن فقال:- "لإن يضرب على اسمك بالطبل خير لك من مجلسك هذا"[1].

وقد امتاز الطبري في تفسيره للقرآن الذي كان يقع في ثلاثين مجلداً، بأنه يتحرى الدقة في النقل عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، وهوبذلك كان يعارض أصحاب الرأي الذين كانوا يتبعون هواهم في تفسير القرآن، فلذلك قال عنه أبو حامد الإسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل كتاب تفسير ابن جرير الطبري لم يكن ذلك كثيراً". كما أنه اتبع منهجاً في التفسير جمع فيه آراء المفسرين السابقين لعصره، وأخذ بأقوال المفسرين

---

(١) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص٣٨.

آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع، ج١، ص٣٤٥.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ٣٣٩، ٣٤٠.

والعلماء الذين درس عليهم، وبذلك كان يريد أن يتلاشى الخطأ ويزيل في تفسيره لأنه كان يعلم مدى خطورة هذا العمل، والحديث الذي روي عن النبي عليه الصلاة والسلام من شأنه أن يوفق بين الفريقين، وهو قوله: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار" فكل تفسير يجب أن يسند إلى أثر وارد عن النبي، ولا يجوز أن يعتمد فيه الرأي، ولا يكون القول بالرأي إلا في التفسير للألفاظ، على أننا نجد في تفسير الطبري نفسه دليلاً على أن المفسر يستطيع رغم هذه القيود أن يقول في تفسيره بحذق ومهارة أشياء كثيرة ينبغي ألا تقال في التفسير، هذا مع العلم أن العلماء يقولون عن تفسير الطبري إنه لم يؤلف مثله، لأن صاحبه جمع فيه بين الرواية والدراية، ولم يشاركه في أحد لا قبله ولا بعده[1].

هذا وكان في العصور الأولى قوم يستعملون العقل في التفسير وربما كان من أشهرهم ابن مجاهد[2] وكان مطلعاً يميل إلى الآراء العقلية، فيقول مثلاً في قصة مسخ أهل السبت: أن الله لم يمسخهم في أجسامهم بل مسخهم في قلوبهم أيضاً، ثم توالى على الأزمان نواة التفسير العقلي على يد المعتزلة، وأخذت هذه الطائفة الشهرة في القرن الرابع الهجري على يد الزمخشري في كتابه الكشاف، الذي كان يميل إلى مذهبهم، وكان واضحاً في تفسيره الذي امتاز ببيان أساليب القرآن وبلاغته ودلالة إعجازه، وقد استطاع الزمخشري أن يفعل ذلك لتمكنه الغزير من اللغة والأساليب العربية، ثم بذل المفسرون جهدهم في القرن الخامس الهجري على أيدي علماء أمثال ابن فورك الاصفهاني والإسفراييني وغيرهم من تغيير منهج التفسير القائل بالرأي وحثوا المفسرين والعلماء على اتباع منهج تفسير ابن جرير الطبري القائل بالمأثور حتى لا يحصل الخلق والجرح في تفسيرهم للقرآن كما كان متبعاً في منهج المعتزلة وأتباعهم في العالم الإسلامي، وخاصة إقليم خراسان[3].

---

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ج٢، ص٢٤٠.
آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣٤٥، ٣٤٦.

(٢) ابن مجاهد: هو ابو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي، قال السبكي هو شيخ القاضي أبي بكر الباقلاني، وكان بينهما مناظرات، وتحدث عنه ابن تيمية فجعله من طبقة الأشعري وأخذ عنه الباقلاني علوم العقيدة.
أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني: إعجاز القرآن، دراسة تحليلية نقدية قدمها الدكتور عبد الرؤوف مخلوف، بيروت، ١٩٧٣، ص٨٤، ٨٥.

(٣) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص٤٠، ٤١.
الباقلاني: إعجاز القرآن، ص٨٥.

فقد ألف المعتزلة الكثير من كتب التفسير، بينوا فيها آراءهم التي تهدف إلى خدمة ميولهم وهواهم في تلك الفترة، وهم بذلك كانوا يخالفون مدرسة التفسير المأثور، معتمدين على العقل أكثر من اعتمادهم على النقل، كما كانوا يلجئون إلى التأويل إذا اعترضتهم من الآيات القرآنية ما يخالف مبدأ نفي الصفات عندهم، وقد عالج المعتزلة رؤية الله يوم القيامة بطريقة تخالف ما قام به المفسرون بالمأثور، ومن تفسيرهم لقوله تعالى في سورة القيامة: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"[1]، على أن رؤية الله تكون عندهم على المجاز لا على الحقيقة في حين يقول المفسرون بالمأثور أن الصالحين يرون ربهم عياناً، مستدلين بقوله تعالى في سورة الأنعام: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير"[2].

والجديد الذي نلاحظه في تفسير القرآن في هذا القرن وفي القرن الذي تقدمه هو تعاون المعتزلة واجتهادهم في تفسير القرآن، ومن ألف في التفسير منهم أبو علي الجبائي يقول الأشعري تلميذه وخصمه إنه في هذا التفسير ما روى حرفاً واحداً عن المفسرين، وإنما اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه[3].

ثم أخذت كل فرقة من الفرق الإسلامية في القرنين الرابع والخامس الهجريين تفسر القرآن حسب هواها فاشتهر الصوفية والشيعة بأنهم أصحاب تأويلات، وحاول بعض الشيعة الغلاة أن يؤولوا كثيراً من الأسماء الواردة في القرآن بأنها أسماء أشخاص كما كان بعض المفسرين على خلاف معهم، ومنهم أبو زيد البلخي المتوفى عام ٣٢٢ هـ الذي تتلمذ على يد الكندي، وأخذ عنه الفلسفة والتنجيم والطب وعلوم الطبيعة،كان البلخي يتنزه عما يقال في القرآن من تأويل بعيد ولايقول إلا بالظاهر المستفيض من التفسير والتأويل، وقد بين ذلك في كتابه المسمى نظم القرآن، ثم صنف كتاباً في البحث عن التأويلات أغضب فيه رجلاً قرمطياً، فقطع هذا القرمطي البلخي صلات كان يجريها عليه[4].

ولم يكن المعتزلة أشد مخالفة لأهل السنة والشيعة في ذلك العهد، ذلك أن من الفريقين – كما قال ابن حزم – من كان يخالف أهل السنة الخلاف البعيد، ومنهم من يخالفهم الخلاف

---

(١) سورة القيامة: الآية ٢١، ٢٢.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

(٣) آدم متز:الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣٤٦، ٣٤٧.

(٤) نفس المرجع: ص٣٤٦، ٣٤٧.

البعيد والقريب. وفي القرن الرابع الهجري كانت مخالفة المعتزلة لجمهور المسلمين مخالفة كلامية محضة لا تخرج عن حدود مسائل علم الكلام، وهي شبيهة بخلاف الصوفية، لأن هؤلاء اعتبروا فرقة إلى جانب الفرق الأخرى الكبيرة[1].

وكان الصوفية، قبل أبي عبد الرحمن السلمي آراء في فهم القرآن تختلف، في كثير أو قليل عن الآراء الشائعة بين عامة العلماء، فلما "جاء أبو عبد الرحمن جمع لهم "حقائق التفسير" فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن، بما يقع لهم، من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم[2].

فيقول بعض المؤرخين لو قرأت هذا التفسيرلم تجد فيه لأبي عبد الرحمن رأياً خاصاً، إنما هي آراء القوم وفهمهم، جمعها في كتاب، أخرجه للناس "لكن المفسرين، من أهل الظواهر، تكلموا فيه على ما هو رأيهم في أمثاله". بل لقد غلا الإمام الواحدي في حملته على أبي عبد الرحمن بسبب هذا الكتاب، حتى ليروى عنه أنه قال: "إن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير، فقد كفر"[3].

وبالرغم من هذا كله فقد لاقى الكتاب رواجاً وقبولاً، عند خاصة العلماء، حتى في حياة مؤلفه، قال السلمي: "لما دخلنا بغداد، قال لي الشيخ أبو حامد الإسفراييني: أريد أن أنظر في "حقائق التفسير" فبعثت به إليه، فنظر فيه، وقال: أريد أن أسمعه، ووضعوا لي منبراً" ثم استنسخه أحد الأمراء، وهو في طريق همذان، وأراد أن يصل مؤلفه فرفض الصلة، ففرقها الأمير في نقباء الرفقة وبعث معهم من خفرهم، كما سمعه منه الأمير نصر بن سبكتكين، وكان عالماً، قد أجازهبه أبو عبد الرحمن وبرغم ذلك، فإن ما في هذا الكتاب هو آراء الصوفية، لا رأي أبي عبد الرحمن[4].

هذ وظل القرآن منبع كثير من العلوم التي انشغل بها المسلمون في هذا العصر،

---

(١) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص٤٣، ٤٤ .

آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣٥٣، ٣٥٤.

(٢) ابن الجوزي: تلبيس إبليس، ص١٦٤.

(٣) مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بحاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ج٢، ص٢٣٩ ج٣، ص٧٩.

(٤) أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص٤٤.

فاستعان به علماء اللغة والنحو على استنباط قواعد اللغة العربية، كما اعتمد الفقهاء في أحكامهم الفقهية على القراء، وألفوا كتباً كثيرة سموها "أحكام القرآن" واستعانت الفرق الإسلامية بكتاب الله واتخذوه أساساً للتدليل على صحة ما ذهبوا إليه.

(٢) الحديث:

يعتبر علم الحديث من أهم مصادر التشريع الإسلامي، ويأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم، وقد ظهر هذا العلم في القرن الثاني الهجري على أيدي طائفة من أئمة الحديث، إلا أن رجال الحديث والفقه أمثال البخاري ومسلم وغيرهما، خدموا هذا العلم خدمة كبرى بجدهم وصبرهم على البحث ورحلاتهم إلى أنحاء العالم الإسلاميل يأخذوا العلم من أهله حيثما كان، فالإمام البخاري كان محدثاً، قد تفوق على من سبقه من المحدثين في جمع الأحاديث فلم يكتف بجمع أحاديث البلاد التي نشأ فيها، بل تنقل في البلاد الإسلامية لجمع الحديث منها حتى أن رحلاته استغرقت ست عشرة سنة، ويقول ابن خلدون في هذا الموضع، "وجاء محمد بن اسماعيل البخاري إمام المحدثين في عصره، فخرّج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح، بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين الشاميين، واعتمد منها على ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكرر الأحاديث يسوقها في كل باب، بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث، فتكررت لذلك أحاديثه، حتى يقال إنه اشتمل على تسعة آلاف حديث ومائتين، من ثلاثة آلاف متكررة[1]. وفرق الطرق والأسانيد عليها مختلفة في كل باب[2].

ثم جاء من بعده تلميذه مسلم بن الحجاج القشيري، وكان من أهل نيسابور، وامتاز

---

(١) مثال ذلك حديث: بني السلام على خمس.... الخ، فإنه يذكر في باب الإيمان والإسلام ويذكر في كتاب الصلاة، وفي كتاب الزكاة، وفي كتاب الصيام وفي كتاب الحج، باعتبار أنه أصل لكل فرض من هذه الفروض على المسلمين.

(٢) بمعنى أنه يذكر الحديث في كل باب بسند مخصوص عن الصحابي الذي رواه كأن يسنده إلى أبي هريرة أو إلى عبد الله بن العباس ولكل من هؤلاء الرواة سند ورجال مخصوصون.

عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون المغربي: المقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ص٣٨٦.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣٤٥.

كالبخاري بكثرة رحلاته في طلب الحديث، رحل إلى العراق والشام ومصر والحجاز، وتكررت رحلاته إلى بغداد خاصة، وأفاد من البخاري في أثناء إقامته في نيسابور مدة، وعرف مصنف مسلم بصحيح مسلم أو المسند الصحيح، الذي يقول عنه ابن خلدون أنه "حذا فيه حذو البخاري في نقل الجمع عليه وحذف المتكرر منها، وجمع الطرق والأسانيد، وبوبه على أبواب الفقه وتراجمه، ومع ذلك لم يستوعبا (أي البخاري ومسلم) الصحيح كله. وقد استدرك الناس عليهما في ذلك"[1].

هذا وبجانب جمع الحديث نشأ حوله كثير من العلوم مثل الناسخ والمنسوخ من الأحاديث[2]، وكذلك علم الجرح والتعديل الذي يذكرون فيه الصفات التي تلزم المحدث حتى يكون عدلاً، فإذا نقضها أو نقض صفة منها لم يحز صفة العدل، إلى غير ذلك من العلوم.

وفي القرن الرابع الهجري ظهرت فكرة أنه يجوز الاكتفاء في رواية الحديث بما في الكتب، وكان المحدثون يعدون أكبر العلماء شأناً، فيبجلون ويعظمون ويغدق المال عليهم أكثر من الفقهاء والنحاة وغيرهم، فمن أبرز هولاء العلماء الذين اشتهروا في علم الحديث في هذا القرن هو إبراهيم بن أحمد الأبرازي[3]. وهو من محدثي نيسابور المشهورين، سمع بنيسابور ونسا، ورحل إلى العراق، فسمع بها، وكتب بالجزيرة والشام،وسمع بخراسان وبغداد عن أئمة الحديث.

وكذلك حسان بن محمد القرشي الأموي النيسابوري الفقيه، شيخ الشافعية بخراسان صنف التصانيف، وكان بصيراً بالحديث وعلله، ثقة أثنى عليه غير واحد وروى عنه الحاكم أبو عبد الله قائلاً: "هو إمام أهل الحديث بخراسان، وأزهد من رأيت من العلماء، وأعبدهم".

وكان أيضاً محمد بن يعقوب بن يوسف بن الأخرم، أبو عبدالله الشيباني الحافظ محدث نيسابور وعالمها صنف "المسند الكبير والصحيحين" روى عنه أبو عبد الرحمن السلمي، وكذلك الحاكم أبو عبدالله، ومع براعته في الحديث والعلل والرجال، لم يرحل عن

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٨٧.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ٣٤٦.

(٢) فإذا رأوا حديثاً يناقض حديثاً آخر، وعرف المتأخر منها، دل ذلك على أن المتأخر ناسخ للمتقدم.

(٣) نسبة إلى ابراز، وهي قرية بينها وبين نيسابور فرسخان.

نيسابور، وظل يخدم الحديث وعلومه حتى توفي سنة ٣٤٩هـ[1].

وفي القرن الخامس الهجري اهتم السلطان محمود الغزنوي بتشجيع الحركة الدينية في خراسان والعاصمة غزنة حتى يقال إنه كان مولعاً بعلم الحديث، فالتف حوله كثير من علماء الدين وتنافس أهل المذاهب الدينية والفقهية على كسبه لاعتقادهم إنه إذا اعتنق مذهباً ساد في الأقاليم الواسعة التي فتحها، علماً بأن إقليم خراسان كان في تلك الفترة على مذهب الإمامين أبي حنفية والشافعي بالإضافة إلى المذاهب والفرق الدينية الأخرى التي أخذت في الانتشار في كل من خراسان وبلاد ما وراء النهر في العهد الساماني وفي العهود السابقة لها. ومن علماء الحديث في هذا القرن أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الذي رحل إلى كثير من البلاد وروى عن أهلها وجمع الحديث، ثم عاد إلى بلده، وأخذ في التصنيف، وأكثر منها حتى قالوا إنها نحو ألف جزء، وهو أول من جمع نصوص الإمام الشافعي في عشرة مجلدات. ومن تأليفه السنن الكبير والسنن الصغير، ودلائل النبوة، ومناقب الشافعي، ومناقب ابن حنبل، وطلب إلى نيسابور لنشر العلم بها فأجاب، وظل يدرس لطلاب العلم بها إلى أن توفي سنة ٤٥٨هـ[2].

وأخيراً يطول بنا القول لو عددنا أسماء كبار المحدثين الذين أنجبتهم هذه البلاد، فالبخاري ومسلم كانا سبباً في حركة انتشار علم الحديث التي ظلت تعمل في هذه البلاد لفترة طويلة من الزمن، وحسبنا دلالة على كثرة هؤلاء العلماء والمحدثين الذين أخذوا الشهرة من وراء جمع الحديث واستخراجه حتى لتجد الكثير منهم ينتسب إلى هذا الإقليم وخاصة نيسابور.

(٣) الفقه:-

لم يقف نشاط الفقهاء المسلمين في العصور الأولى للإسلام على إيصال علم الفقه إلى الناس عن طريق المدارس التي كانت تنتمي إليها المذاهب الأربعة، وهي مذهب الإمام أبي حنيفة، ومذهب الإمام مالك، ومذهب الإمام الشافعي، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل، بل ظهر

---

(١) أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، ص١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤.

(٢) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٣٦٤.

محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٢٠.

في العصر العباسي الثاني بعض أعلام الفقهاء الذين كونوا لهم مذاهب في الفقه، ولكن لم يقدر لها الاستقرار والنبوغ أمام هذه المذاهب الأربعة، ومن هؤلاء الفقهاء أبوسليمان داود بن علي بن خلف الأصفهاني[1].

كان أبو سليمان داود شافعي المذهب، وأخذ فقه الشافعي عن بعض تلاميذه، وله طريقة خاصة تتلخص في الأخذ بظاهر نص القرآن، وعدم قبول القياس والتأويل، وفي ذلك يقول ابن النديم: "هو أول من استعمل قول الظاهر، وأخذ بالكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس"[2]، ثم تحول علم الفقه تحولاً جديداً في القرن الرابع الهجري وكان من أكبر مظاهر هذا التحول، وقف باب الاجتهاد، لأن هذا العلم قد وصل إلى ذروة مجده في القرون السابقة، فلذا أقفل العلماء باب الاجتهاد المطلق، وفتحوا باب الأخذ بالرأي في فهم القرآن والحديث، وكانت هذه الحال نتيجة طبيعية للتاريخ السياسي والاجتماعي، فنجد الدولة الإسلامية وقعت تارة تحت الحكم التركي وتارة أخرى تحت سيطرة الديلم من بني بويه وهولاء الأتراك والديالمة لم يكونوا يحسنون اللغة العربيةإحسان من قبلهم، ثم إن الدويلات التي قامت في المشرق كان ولاؤها للقوميات التي ظهرت في المنطقة مثل الفارسية والتركية، فخدمت كل دولة الطائفة التي تنتمي إليها، ثم أتت بعد ذلك غارة التتار فقضت علي البقية الباقية من المدنية والحضارة، وعلو الهمة[3].

وكان نشاط الفقهاء قبل هذا القرن نشاطاً غير محدود في إحياء العلوم الفقهية وتعريف الناس بما دخل على مجتمعهم من أفكار وفتاوى جديدة نتيجة التصارع الذي وقع بين الفرق الدينية في المسائل الفقهية، فلما أغلقوا باب الاجتهاد في القرنين الرابع والخامس الهجريين وجه الفقهاء نشاطهم إلى المسائل السياسية فمنهم من دخل مجال الحكم الإداري كالكرامية ومنهم من شارك في إدارة المدارس الفقهية وخدمة النظام القائم في البلاد كما كان الحال بالنسبة للعائلتين التبانية والصاعدية في العصر الغزنوي حتى اقتصر عليهما مباشرة

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٤٧.

(٢) أبو الفرج محمد بن اسحق النديم المعروف بابن النديم: الفهرست، مع مقدمة عن حياة ابن النديم وفصل الفهرست بقلم أحد أساتذة الجامعة المصرية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ ص٣٠٣.

(٣) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص٣د.

آدم متز: الحضارة الإسلامية، ص٣٦٩.

الشئون القضائية لمدينة نيسابور[1].

كذلك وجه الفقهاء في هذه الفترة اهتمامهم للمشاكل التي طرأت على المجتمع نتيجة الرفاهية فقد كثر في البيوت الرقيق من نساء ورجال وأطفال، وحدثت حوادث للرقيق كثيرة، من أباق ومكاتبة وغير ذلك، فتوسع الفقهاء في هذا الباب كثيراً، كما شغلتهم في هذه الفترة أيضاً ظاهرة أخرى وهي الطلاق، وقد كثر في ذلك العصر بسبب تعدد الزوجات، وكثرة الإماء، وغيرة الإماء بعضهن من بعض، وغيرة الحرائر من الإماء، فلذلك كثرت الفروض والأحكام في هذا الباب[2].

ومن مظاهر الفقه في هذا العصر أيضاً شيوع العصبيات المذهبية، فكان الأئمة أنفسهم متسامحين وكانوا لا يعيبون اجتهاد زملائهم، وقد فهموا تمام الفهم حرية الرأي، واجتهدوا في التبدليل عليه، ونقدوا أقوال خصومهم، إلا أن هذه الظاهرة اختفت بعد فترة نتيجة الصراعات التي وقعت بين الطوائف في القرن الخامس الهجري وخاصة في خراسان، وقد أشرنا في موضع سابق إلى هذه الخلافات المذهبية عندما تكلمنا عن المدارس الفقهية في نيسابور التي كانت تعتبر مركز التجمع الديني في خراسان، كما أن المقدسي تناول في كتابه هذه العصبيات بشكل تفصيلي وبين مدى خلافاتهم حول الأمور الفقهية وما وقع بين هذه الفرق من الصراعات، وشهد ما حدث بين الشيعة والكرامية، وبين الشافعية والحنفية، وما كان يراق نتيجة هذه العصبيات من دماء، حتى كان يتدخل بينهم السلطان لفض ما وقع بينهم من خلاف[3].

(٤) علم الكلام:-

يقصد به الأقوال التي كانت تصاغ على نمط منطقي أو جدلي، وعلى الأخص في العقائد، فكان يطلق على المشتغلين بهذا العلم اسم "المتكلمين"، وظل هذا اللفظ يطلق بعد ذلك على من كان يخالف المعتزلة ويتبع مذهب السنة والجماعة، فعندما نشأ هذا العلم كان دفاعاً عن الإسلام وعقائده الدينية ضد العقائد الفلسفية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي نتيجة

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٣٦-٤٣، ٢١٢-٢١٣، ٢٢٥-٢٣٦.
(٢) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص٥٤.
(٣) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٣٦.
أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص٥٤.

ازدهار حركة الترجمة للعلوم والدراسات الفلسفية والتي ترجمت من اليونانية إلى العربية، ولكن المعتزلة بعد ذلك كان لهم الأثر الكبير في تطور علم الكلام، فقد تم على أيديهم القول بخلق القرآن ونادوا بنفي الصفات، مخالفين في ذلك جمهور أهل السنةواستمر الصراع والجدل بين طائفتي المعتزلة وأهل السنة والجماعة، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري بين الفريقين، فلذلك يقول دي بور في كتابه: " إن ظهور علم الكلام في الإسلام كان بدعة من أكبر البدع، وقد شدد في الإنكار على هذا العلم لأنه كان يرى أن ما جاوز البحث في الأحكام الفقهية العلمية ابتداع، لأن الإيمان عند المتكلمين هو الطاعة، لا كما يذهب إليه المرجئة والمعتزلة من أنه هو العلم"[1].

وأخذ هذا العلم يحتل مكانة بين العلوم الأخرى، وكان للمعتزلة الفضل الأكبر في إيصاله للناس عن طريق الجدل والتأويل حتى أخذوا يبحثون في مسائل الكلام ويقررون قواعده، ويضعون مبادئه، فنشأت منه مسألة خلق القرآن، كما راجت في ذلك الوقت المسائل الكلامية بين الفرق الدينية، وكانت كل فرقة من هذه الفرق تنقسم إلى طوائف قد تختلف فيما بينها كثيراً أو قليلاً، فإذا كان الخلاف على العقائد وما يتصل بها فذلك علم الكلام، وإذا كان الخلاف على الفروع وما يتصل بها فذلك علم الفقه[2].

ثم أخذ علم الكلام ينتشر على أيدي أئمة المعتزلة في بلدان الخلافة العباسية وخاصة خراسان، فنبغ في القرنين الثالث والرابع الهجريين أبو علي الجبائي (٢٣٥هـ- ٣٠٣هـ) الذي تتلمذ عليه أبو الحسن الأشعري (٢٧٠هـ-٣٣٠). وأخذ منه مذهب الاعتزال، إلا أن الأشعري لم يبق طويلاً على هذا المذهب فخرج على المتكلمين وحاربهم وألف فيهم الكتب الكثيرة، مخالفاً آراءهم والكثير من أصولهم التي كانوا ينادون بها مثل الاختيار المطلق ووجوب العدل على العدل، ومسألة خلق القرآن، وقد ناصره على ذلك جماعة من أشهر علماء القرن الخامس الهجري، من أشهرهم الباقلاني وابن فورك، والإسفراييني، وظل مذهبه يؤيد من قبل العلماء والفقهاء بعد ذلك أمثال أمام الحرمين الجويني، ثم الغزالي، وأبي حامد الإسفراييني الذي

---

(١) دي بور (ت ج) تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة (١٣٥٧/ ١٩٣٨) ص٥١.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٣٥٠.

أحمد أمين: ضحى الإسلام، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٧٨م، ص٨.

(٢) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ص٥١.

كان يحضر إليه أكثر من ثلاثمائة فقيه(1).

ولما اشتد الجدل بين الأشعرية والمعتزلة في القرن الخامس الهجري، لم تجد الخلافة العباسية سوى أن تتدخل لفض هذه المناظرات والخلافات، ففي عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م أصدر الخليفة القادر بالله كتاباً ضد المعتزلة فأمرهم بترك الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والمقالات المخالفة للإسلام، وأنذرهم إن خالفوا أمره فسوف يتخذ ضدهم أشد العقوبات، وكان السلطان محمود الغزنوي أول من امتثل في غزنة لأمر أمير المؤمنين واستن بسنته في قتل المخالفين ونفيهم وحبسهم، كما أمر بلعنهم(2).

ثانياً العلوم الإنسانية:-

(١) التاريخ:-

زخر العصر الغزنوي بطائفة كبيرة من أعلام التاريخ، ولا غرو فإن النهضة العلمية قد وضعت أسسها في هذا العصر بعد أن نشطت حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية والفارسية، وبدأ المؤرخون يصنفون الكتب في مختلف العلوم والفنون، وساهم الفرس في هذه الحركة بأوفر نصيب، ومن أشهر مؤرخي هذا العصر أبو الفضل أحمد بن حسين البيهقي، الذي ولد في قرية بيهق في الجنوب الشرقي لخراسان حوالي سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م وتوفي في صفر سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، وقد نشأ في بداية حياته في مدينة نيسابور، ودرس على أيدي علماء وفقهاء، حتى نال منهم الثقافة في شتى العلوم وخاصة علوم القرآن والحديث والآداب العربية، كما ارتبط برجال العلم والأدب بروابط وثيقة، ومن أبرز كتبه، ذلك الكتاب الذي ألفه عن تاريخ السلطان مسعود والذي أطلق عليه بعض المؤرخين "تاريخ المسعودي" أو "تاريخ البيهقي" وهذا الكتاب يعد أهم مرجع في تاريخ الدولة الغزنوية وخاصة فترة حكم السلطان مسعود الذي كان يناضل من أجل الإبقاء على أملاكه في خراسان بعد الأحداث السياسية التي توالت على الدولة نتيجة الصراع الذي وقع بينها وبين السلاجقة، أما الذي

---

(١) أحمد أمين:ظهر الإسلام، ج١، ص٢٢١- ٢٢٢.

(٢) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، ص٣٦٢.

يقرأ هذا الكتاب فإنه يشعر بسعة اطلاع مؤلفه، وعمق ثقافته وإحاطته الكاملة باللغتين العربية والفارسية[1].

التحق البيهقي بالعمل في ديوان الرسائل كتلميذ لأبي نصر بن مشكان رئيس الديوان أيام السلطان محمود الغزنوي وابنه مسعود، وبعد وفاة أستاذه لم يرتق إلى منصبه رياسة ديوان الرسائل وذلك لصغر سنة في ذلك الوقت، فلبث منصبه كمعاون لأبي سهل الزوزني، وظل يعمل في الديوان حتى أصبح رئيساً له في عهد السلطان عبد الرشيد، ثم اعتزل الحياة الإدارية بعد خروجه من السجن أيام فرخ زاده وعكف في بيته على القراءة والتأليف إلى أن وافته المنية عام ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، وللبيهقي كتب أخرى بالإضافة إلى كتابه تاريخ البيهقي منها "زينة الكتاب" و"مقامات أبي نصر بن مشكان"[2]..

أما عن منهج البيهقي في الكتابة فيختلف تماماً عن منهج المؤرخين المعاصرين له، فلم يقتصر كتابته على سرد الأحداث السياسة، وإنما وجه اهتمامه كذلك إلى عرض دقيق للنظم السياسية والإدارية والمالية ورسوم قصر السلطان، وفضلاً عما كتبه عن هذه النظم الدقيقة في الدولة فإنه لم ينس الحياة الاجتماعية، بل تناول في كتابه بياناً عن العادات والنظم والتقاليد والمجالس الاجتماعية وغيرها من النظم التي كانت شائعة في العصر الغزنوي.

هذا وترجع أهمية كتاب البيهقي إلى أن صاحبه عاصر معظم الأحداث التي كتب عنها، والبيئة التي جرت فيها، ولم يكتف البيهقي بالأحداث التاريخية كعادة معاصريه من المؤرخين، إنما كان يتوقف ليبدي رأيه ورأي الوزير ورئيس الديوان، وينقل صدى الأحداث عند الرأي العام الغزنوي، كل هذا أتاح للبيهقي أن يكون رجل سياسة من الطراز الأول، وأن يطلع على الوثائق الرسمية التي تدخل في حوزته بوصفه الكاتب المسئول عن نسخها ثم عن حفظها، وأن يكتب تاريخه بكل صدق ويبرز كل الأطراف، لذلك كان كتابه يشمل كل عصور الغزنويين الأوائل، ويفيد في تأريخ هذه الفترة إذا ما أراد أي باحث كتابة تاريخ هذه الدولة، وخاصة ما كان في البلاط الغزنوي أيام السلطان مسعود، وما لقيت الدولة من متاعب سياسية وعسكرية نتيجة عدم قبول السلطان مسعود لنصائح وتقارير ديوان الرسائل التي كان يبعث بها البيهقي وأستاذه أبو نصر بن مشكان إلى السلطان لكي يتخذ على ضوئها القرارات اللازمة

(١) البهيقي: تاريخ البيهقي، ص٥ من المقدمة.
(٢) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص٦٠٥.

ضد الأعداء الذين بدأوا في ضرب مصالح الغزنويين في إقليم خراسان[1].

ويعتبر أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي[2]، أول من أرخ لفترة حكم السلطان محمود، وقد كان هذا المؤرخ يتابع تأسيس هذه الدولة على يد مؤسسها سبكتيكن خطوة بخطوة، حتى كتب لهذه الدولة في بداية عهدها ثم اختاره الأمير سبكتكين كاتباً له مع أبي الفتح البستي، وله مؤلفات كثيرة، ومن أبرزها كتاب تاريخ اليميني الذي نسبه إلى لقب السلطان محمود، وقد تناول في هذا الكتاب تاريخ الدولة الغزوية، فترجم فيه لسبكتكين، وأوضح كيفيةتأسيس الدولة، ثم أبرز أهم الوقائع والأحداث التي حدثت في أيام السلطان محمود، ويعد هذا الكتاب بحق أكبر مصدر لتاريخ هذه الدولة في هذه الفترة بالذات، وقد صاغه في أسلوب أدبي مسجوع على نحو ما فعل معاصره أبو منصور الثعالبي، ولذلك حاز شهرة كبيرة بين الكتب الأدبية والتاريخية، وعُني بشرحه الكثير من الأدباء منهم الشيخ أحمد المنيني الذي سمى كتابه شرح اليمينى المسمى بالفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي[3].

وكذلك كان أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود الكرديزي[4]. من مؤرخي العصر الغزنوي، ويبدو أنه عاش بداية حياته في غزنة وتعلم على علماء عصره، وألف فترة وجوده في عاصمة الغزنويين كتاباً باللغة الفارسية أسماه "زين الأخبار" تيمناً بالسلطان عبد الرشيد بن محمود الملقب بـ (زين الملة). وقد تناول في كتابه تاريخ إيران من العصور القديمة

---

(١) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٠. من المقدمة.

(٢) وكان فارق وطنه الري في شبابه، وقدم خراسان على خاله أبي نصر العتبي الذي كان من كبار عمال الدولة السامانية وفضلائهم، فلم يزل عنده، إلى أن مضى أبو نصر لسبيله، وتقلب بأبي النصر أحوال وأسفار في الكتابة للأمير أبي علي، ثم الأمير أبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي، ثم النيابة بخراسان لشمس المعالي، واستوطن نيسابور وأقبل على خدمة الآداب والعلوم،
الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٤، ص٣٩٧.

(٣) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري: يتمية الدهر في محاسن أهل العصر بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٣م، ج٤، ص٣٩٧.
براون: تاريخ الأدب في إيران: ج٢، ص١٣٢.
محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٢١.

(٤) نسبة إلى كرديز، وهي مدينة تقع جنوب شرقي كابل بأفغانستان، وجنوب جلال أباد، وشرق غزنة، وكانت على رأس الطريق بين غزنة والهند، الكرديزي: زين الأخبار، ص٣.

إلى منتصف القرن الخامس الهجري، وأبرز في دراسته للعصر الغزنوي الحديث عن السلاطين الأوائل والأحداث السياسية التي وقعت في عصرهم، كما أشار إلى بعض النواحي الإدارية والحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك العصر من قبيل الاحتفالات بالأعياد كالنوروز والمهرجان والسدق، ويذكر الكرديزي في حديثه عن هذه الوقائع التي وقعت في العهد الغزنوي أنه رآها رأي العين، كما أنه اتصل ببلاط الغزنويين وقرب منهم، وقد أنهى تاريخ هذه الدولة بمقتل الأمير مودود، ثم أخذ يدعو لسلطان عبد الرشيد بن محمد الغزنوي مرة بدوام ملكه وأخرى بدوام دولته مما يدل على أن الكرديزي لم يدرك فتنة طغرل ومقتل السلطان عبد الرشيد الذي وافته المنية بين عامي ٤٤٢هـ- ٤٤٣هـ[١].

(٢) الجغرافيا:

كان لاتساع نطاق التجارة في الدولة التي قامت في خراسان وخاصة الدولة الغزنوية، واتصال مدينة نيسابور بالبلدان القاصية براً وبحراً، ثم تعبيد الطرق وجلعها آمنة، أثر كبير في تسهيل الأسفار وتمهيد السبل أمام المستكشفين والرحالة، فظهر كثير منهم قاموا برحلات مهمة، ووضعوا في وصفها الكتب والأسفار ووصفوا ما شاهدوه في البلدان التي اختلفوا إليها وصفاً دقيقاً قائماً على المشاهدة، وبذلك خلف لنا جغرافيو المسلمين ثروة كبيرة هي خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم التي اكتسبوها من أسفارهم في كثير من الأقاليم والممالك والبلدان[٢].

لكن مما يسترعي النظر أن هذه الثروة الجغرافية العظيمة التي خلفها جغرافيو المسلمين لم تظهر ظهوراً واضحاً إلا في القرنين الثالث والرابع الهجريين. ويعتبر ابن خرداذبة الفارسي الأصل الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري من أقدم الجغرافيين المسلمين في ذلك الوقت، وقد خلف لنا كتابه "المسالك والممالك"[٣] الذي يشتمل

---

(١) الكرديزي: زين الأخبار، ص٣، ٤ من المقدمة.

(٢) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٤٠٤.

(٣) نشره دي غويه في ليدن سنة ١٩٦٩م (ص٤- ١٨٣) ويليه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكتاب البغدادي، ويشمل الباب الحادي عشر من الكتاب وعنوانه: في ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحي المشرق والمغرب (١٨٤-٢٦٦).

على معلومات هامة عن نظم الحكم والنظام المالي بوجه خاص، وتطرق أيضاً إلى الطرق والمسافات بين المدن الإسلامية وسلوكها، ويعد هذا الكتاب من أقدم الكتب الجغرافية التي كتبت باللغة العربية، وكان يمثل الدليل الذين يستعين به المسافرون في الاهتداء إلى الطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة عند الأبلة ويصل إلى الهند والصين[1].

ثم جاء أبو إسحاق إبراهيم بن محمد –المشهور بالفارسي في أيامه، وبالاصطخري فيما بعد نسبة إلى بلده– في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فدس علم البلدان التي كانت الحياة العملية تتطلع إليه في شوق وفي إلحاح، ذلك لأن التجارة كانت تريد منه أن يكون لها هادياً ومرشداً في دولة مترامية الأطراف واسعة الأرجاء ومختلفةالشعوب والأجناس والألسنة، وكانت تريد أن تعرف سبلها ومسالكها ومن تعطي وما تأخذ، ولقد وجدت في هذا العلم مبتغاها، فأقبل عليه التجار والناس يطلبونه من أصحابه، فظفر بتأييد أتاح له أن يتطور تطوراً سريعاً جعل علم البلدان في أوائل القرن الرابع الهجري علماً كامل المعالم والأسس، وقد أظهر ذلك في كتابه "المسالك والممالك" الذي اتبع فيه أسلوباً ومنهجاً جديداً في ذلك الوقت وهو المشاهدة والوصف وفق الرؤية، كما وصف فيه نتائج مشاهداته في الأقاليم التي زارها وخاصة إقليم خراسان الذي كان موضع خلاف بينه وبين الجغرافيين فيما بعد من أمثال البلخي والجيهاني والمقدسي في تحديد هذا الإقليم ومسالك طرقه ومدنه، ويقول المقدسي في هذا الموضع مخالفاً أبا زيد البلخي الرأي في تقسم المشرق (وقد جعله أبو زيد ثلاثة أقاليم خراسان وسجستان وما وراءالنهر، أما نحن فجعلناه واحداً ذا جانبين يفصل بينهما جيحون)[2].

أما أبو زيد البلخي (ت ٣٢٢هـ) فقد اعتمد في كتابه "صور الملوك" على ما دونه برزك بن شهريار الذي كتب كتابه "عجائب الهند" باللغة العربية، مستعيناً في ذلك بمشاهداته وما نقله عن غيره من الرحالة ثم جاء ابن حوقل (٣٨٠هـ) في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، فراجع كتاب المسالك والممالك للاصطخري وزاد عليه وأخرجه بنفس الاسم، وكلا الكتابين قد ألف في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ويحتوي كل منهما على وصف

---

(١) ابن خرداذبه: المسالك والممالك، ص٥، ٦.
حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٤١٥.

(٢) الاصطخري: المسالك والممالك، ص٧، ٨ من المقدمة.
المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٣٦.

دقيق لكل من خراسان والأقاليم الأخرى من العالم الإسلامي وما فيهما من المدن والأماكن الهامة[1].

ومن أشهر الجغرافيين والرحالة في القرن الرابع الهجري شمس الدين أبو عبدالله محمد المعروف بالبشاري المقدسي وكتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" الذي كان ذا قيمة عظيمة من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، والمقدسي من الذين كان لهم اهتمام خاص بإقليم خراسان فقد وصف هذا الإقليم بشكل تفصيلي من عدة نواحٍ منها الحياة الاجتماعية والدينية، فتحدث عن الأسواق والسلع والبضائع التي كانت ترد إليها كما تحدث عن المذاهب والفرق الدينية ودورها في المجتمع الخراساني، فقد أورد ذلك في عدة مواضع منها: "هوأكثر الأقاليم -يعني إقليم خراسان- علماً وفقهاً، وبه يهود كثيرة ونصارى قليلة وأصناف المجوس، وأولاد علي فيه على غاية الرفعة، ولا ترى هاشمياً إلا غريباً ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة وكرخ واستربيان كثيرة، والمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة، وللشيعة والكرامية بها جلبة، والغلبة في الأقليم أصحاب أبي حنيفة، إلا في كورة الشاش وإيلاق وطوس ونسا ابيورد وطراز وصنغاج وسواد بخارى وسنج والدندانقان واسفراين وجويان فإنهم شوافعة كلهم... الخ"[2].

كذلك اشتهر في القرن الخامس الهجري ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م) الذي أمدنا في كتابه "سفر نامة" أو (زاد المسافر) بمعلومات قيمة عن البلدان التي زارها وخاصة مسقط رأسه خراسان، فقد ولد في قباديان عام ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م، والتحق بخدمة السلطان محمود وابنه مسعود، وبعد سقوط خراسان في يد السلاجقة عمل مع جغري بك، بدأ ناصر خسرو رحلته من مرو عام ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م إلى فلسطين ومصر وبلاد العرب، وأثناء عودته إلى بلخ عام ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م عرج عن طريق الحجاز وفلج والحسا والبصرة، ثم أخذ يستنتج هذه المعلومات والمشاهدات التي رآها في رحلته في كتابه "سفر نامة"، ثم تبنى من خلال كتاباته ومناظراته فيما بعد المذهب الإسماعيلي، وقد استطاع أن يقنع كثيراً من الناس بالدخول في مذهبه ولكن مناظرته للعلماء وشهرته بمذهب خاص يتنافى من السنة وجهره بآرائه وعنايته ببثها بين الجمهور، أثار عليه الناس والحكومة، فاعتُدي على منزله واضطر أهله

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٤٠٦.
(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٣٢٢، ٣٢٣.

إلى هجره، كما اضطر هو إلى أن ينجو بنفسه فهاجر إلى يُمكان، وهناك أخذ يصنف الكتب والرسائل في مذهبه، وكان بعضها بوحي من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله نفسه[1].

(٣) الأدب:

كان العصر الغزنوي عصر نهضة أدبية واسعة، وقد أجمع مؤرخو الأدب أن هذه النهضة لم يكن لها فيما سبق مثيل، وتركزت هذه النهضة بصفة خاصة في بلاط السلطان محمود الغزنوي الذي اجتمع فيه من أهل الأدب زهاء أربعمائة شاعر، وظهر في هذا العصر مجموعة من الشعراء الذين يعتز بهم الأدب الفارسي في جميع عصوره، ويمكن أن تجمل فيما يأتي الأسباب التي أدت إلى هذه النهضة الأدبية:

أن انتصارات السلطان محمود الحربية وغزواته المختلفة التي قام بها لنشر الدين كانت من الأسباب التي أطلقت لسان الشعراء بمدح محمود والثناء عليه، وقد جعلت الناحية الدينية في فتوحات محمود منه بطلاً شعبياً رويت حوله القصص ونظمت فيه الأشعار، والقارئ لمجموعة الأشعار التي امتدح بها السلطان محمود ليلمس أثر الباعث الديني في نظم هذه الأشعار، وكذلك لم يكن موقف الشعراء من هذه الفتوحات الدينية والحروب المختلفة قاصراً على مدح السلطان بل تجاوزه إلى غير هذه الأغراض التي لم يسبق للشعراء الالتفات إليها كوصف الحروب، والحث على القتال وإثارة الحماس في نفوس الجند ونحو ذلك من الأغراض الحيوية في دولة حربية فتية.

ولم يكن السلطان محمود وحده الذي حرك ألسنة الشعراء بانتصاراته الحربية، فأبوه من قبله، وأخوه نالا من شعر الشعراء نصيبهما لنفس السبب.

وكان للانتصارات الحربية ثمرة أخرى ساعدت على رواج الأدب هي وفرة الأموال والغنائم التي يعود بها الغزاة المنتصرون، وقد أدى تدفق الأموال وانتشار الثراء إلى شيوع الترف بحيث صار البلاط الغزنوي قبلة أنظار عدد كبير من الشعراء والعلماء وبين أيدينا من

---

(١) ناصر خسرو: سفر نامة، ص٣١.

المصادر والمراجع أمثلة عديدة على هذا التطور في ذلك العصر[1].

(١) الشعر:-

شجع الغزنويون الشعر والشعراء حتى أصبحت غزنة مركزاً أدبياً هاماً، وخاصة في عصر السلطان محمود وابنه مسعود، اللذي ازدان بلاطهما بالعديد من الشعراء والكتاب والعلماء.

وكذلك تمتاز هذه الفترة التي نتحدث عنها بكثرة الشعراءوتعدد آثارهم، والواقع أن تشجيع السلاطين والحكام والوزراء كان السبب الرئيسي الذي ساعد على رواج الشعر، إذ حاول كل حاكم أن يضم إلى بلاطه أكبر عدد ممكن من أمثال الشعراءوالكتاب، وأخذ يجزل لهم العطاء، حتى وصل بعض الشعراء إلى درجة كبيرة من الثراء، فقد قيل في ذلك أن أمتعة الرودكي كانت تحمل على أربعمائة جمل[2]، وأشار الخاقاني إلى ثراء العنصري فقال: "سمعت أن موقد العنصري قد صنع من فضة... وأن أدوات مائدته قد صنعت من الذهب[3]. وكذلك صار بعض الشعراء يحسده على ما هو فيه من نعيم وجاه، كقول الفرخي (المتوفى ٤٢٩هـ).

لقد صدرت محسود العظماء بسبب خدمتي لمحمود وهذا ما يجب أن يكون عليه خادم محمود دائما[4].

وهذا ما يجب أن يكون عليه خادم محمود دائماً.

وغير ذلك من الأمثلة كثيرة ويدل على ما كان للشعراء من مكانة، وما كان لهم من ثراء وجاه، وقد كان للشعراء أثر لا ينكر في بعض الأحيان على الحكام، ومن أمثلة ذلك ما رواه

---

(١) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد موسى هنداوي، القاهرة ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م، ص٣٩، ٤٠.
طه ندا: دراسات في الشاهنامة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص٩٤.

(٢) النظامي العروضي السمرقندي: جهار مقالة، ص٤١.

(٣) شنيدم كداز نقرة زد ديكدان، ززد ساخت آلات خوان عنصري.

(٤) محسود بزركان شدم ازخدمت محمد خدمتكر محمود جنين بايدهموار.
محمد نور الدين عبد المنعم: منوجهري دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير -كلية الاداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٦، ص٣٦.

نظامي عروضي عن قصة السلطان محمود وإياز التركي، وهذه القصة دليل على مكانة العنصري وتأثيره السحري بشعره على محمود وملخصها أن السلطان محمود كان يعشق إيازا التركي المشهور، وقد أثر الشراب في السلطان ذات ليلة، فأمر بأن يقطع إياز طرتيه، ولما أفاق من سكره "أغار جيش الندم على قلبه واستولى خمار العربدة على رأسه، فكان ينام ويقوم ولا يجرؤ أحد من المقربين أن يسأله ماذا به، حتى توجه الحاجب علي القريب، وهو حاجبه الكبير، إلى العنصري، وقال: ادخل على السلطان، وأره نفسك، واحتل حتى تطيب نفسه"، فدخل عليه العنصري وروى له محمود ما حدث، وأمره بأن يقول شعراً في هذا المعنى، فقال العنصري على البديهة:

أي عيب في قطع طرة الحبيب، ولم الغم لدرجة الجلوس والنهوض، اليوم يوم الطرب والسرور والشراب لأن زينة السرور في شنبة[1].

ونجد أيضاً أن كثيراً من الحكام والأمراء والوزراء[2] من كان هو نفسه من المشتغلين بالشعر أو فنون الأدب الأخرى، ويقال إن السلطان محمود كان شاعراً، ونسبت إليه أشعار مختلفة في الغزل والرثاء والبطولة، وتورد كتب التذاكر ما بقي له من هذه الأشعار[3]، وحين أنس رجال الأدب فيه هذا الميل التفوا حوله حتى اجتمع ببلاطه عدد كبير من الشعراء

---

(١) النظامي العروضي السمرقندي: جهار مقالة، ص٤٢، ٤٣.

(٢) على سبيل المثال: شمس المعالي قابس (متوفى سنة ٤٠٢هـ)، وابن العميد (متوفى ٣٦٠هـ) والعتبي (متوفى سنة ٤٢٧هـ). والبلعمي (متوفى سنة ٣٦٣هـ) وزير الأمير منصور بن نوح بن نصر الساماني.

(٣) وقد نقل عوفي بعض الأبيات في رثاء فتاة كان يحبها:

تاتو أي ماه زير خاك شدى	خاك برسپهر فضل آمد
دل جزع كرىم تكفتم أي دل صبر	أين قضا از خداي عدل آمد

عوفي: لباب الألباب، ج١، ص٢٢.

والأدباء، منهم أبو القاسم حسن بن أحمد العنصري[1]، الذي كان نديماً للسلطان، كما كان شاعراً له، وظل ينظم أشعاراً في مدح السلطان محمود، وأخيه الأمير نصر وابنه السلطان مسعود، ويمجد فيها أعمالهم البطولية وفتوحاتهم، حتى أن السلطان منحه لقب "ملك الشعراء" في دولته، ومن ثم جرى العرف بين الشعراء على أن يعرضوا على الأستاذ العنصري شعرهم حتي يميز بين غثه وجيده قبل أن ينشده الشاعر في حضرة السلطان[2].

لم يكتف هذا الشاعر الكبير بالتدخل في أمور الشعراء لانتقاء الجيد من بين أشعارهم بل بلغ به الزهو والعظمة حتى أخذ يغار من الشعراء أمثال العسجدي فرخي وفردوسي الذي ذاع صيته في المحافل الأدبية بعد أن بدأ الناس يرددون أشعار شاهنامته في المجتمع، ويقال إن العنصري وبعض الشخصيات الكبيرة في الدولة، كانوا السبب المباشر في تحويل نظر محمود للاستغناء عن هذا العمل العظيم فلذا لم يلقه السلطان لقاءاً كريمـاً، ولم يمنحه مكافأة تليق بعمل استغرق حوالي خمسة وثلاثين عاماً[3]. ومن الشعراء الذين اشتهروا أيضاً في هذا العصر الشاعر أبو نظر عبد العزيز بن منصور المروزي المعروف بالعسجدي، الذي كان يعاصر أستاذه العنصري، ومع أنه كان شاعر السلطان ويرافقه في فتوحاته، وينظم له القصائد في مدحه وانتصاراته على الأعداء، إلا أنه لم يلق الجاه والعظمة والكرم كما لقيه

---

(١) يقال أنه ولد سنة ٣٥٠هـ، وأصله من بلخ، ويذكر عنه أن أباه كان يحترف التجارة، وقد مارس هو أيضاً مهنة أبيه، وظل يعمل فيها حتى غصبه ثروته قطاع الطريق في أحد أسفاره، واندمج بعد تلك الحادثة في طريق تحصيل العلم، حتى بلغ منزلة رفيعة، ووصل في النهاية إلى خدمة السلطان محمود، فكرس حياته في تلك الفترة لمدح السلطان محمود، وليجعله بطلاً من أبطال الإسلام العظام بينما بعض كتاب الأدب الفارسي لا يرون رؤية العنصري في السلطان محمود بل إن المحدثين لا يتوانون عن قدحه والنيل منه كلما أتاحت لهم الفرصة ذلك.

عفاف السيد زيدان: دراسة عن شاعر الفرس أبي القاسم حسن بن أحمد العنصري، رسالة مقدمة إلى كلية الاداب بجامعة القاهرة، للحصول على درجة الماجستير عام ١٩٦٧، ص٦.

(٢) براون: تاريخ الأدب في إيران، ص١٤٠.

رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٤١، ٤٢ .

(٣) علي الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، ص٦١، ٦٤ .

يحيى الخشاب: الشاهنامة – للفردوسي، مقالة في مجلة تراث الإنسانية، العدد ٧ ، المجلد الرابع، ٥ يونيو ١٩٦٦، ص٥١٥، ٥١٦.

عبد الوهاب عزام: الشاهنامة، نظمها بالفارسية أبو القاسم الفردوسي وترجمها نثرا الفتح بن علي البنداري، القاهرة، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢، ص٤٤.

أستاذه العنصري من قبل السلطان، ويعترف له أصحاب الطبقات، بأنه كان ذا حظ من عطايا السلطان وتقريبه له[1].

أما الشاعر فرخي[2]، فكان لدى الفرس من الفصاحة والبلاغة والشهرة كالمتنبي لدى العرب، وقد التحق في بداية حياته بخدمة بعض الأمراء، فلما علا أمره، ألحقه السلطان محمود ببلاطه، ورأى أن يكرم وفادته ويعلي من شأنه، فأمر أن يركب خلفه عشرون غلاماً قد عقدوا على خصورهم مناطق الفضة الخاصة[3]، هكذا اشتهر هذا الشاعر في البلاط الغزنوي وألف كتاباً في فنون البلاغة اسمه (ترجمان البلاغة) يعتبر من النماذج الأولى لفن البلاغة باللغة الفارسية، واعتمد رشيد الدين الوطواط عليه في تأليف كتابه (حدائق السحر في دقائق الشعر)[4] كذلك ارتبط الفردوسي[5] بالعصر الغزنوي كشاعر كبير أنجز في أواخر حياته موسوعة تاريخية أسطورية لملوك الفرس حتى العهد الإسلامي، في قصة منظومة استهدفت إحياء القومية الفارسية بعد أن رأى ما حل ببلاد إيران القديمة من تفكك وانقسام، وكيف ضاعت وحدتها، وأخذت الدول المختلفة التي قامت في تلك الرقعة الواسعة تتطاحن وتتنازع وكان طبيعياً في هذه الرقعة التي تتنازعها دول من أصول مختلفة كالفرس والترك والديلم أن تعم الحروب جميع البلاد وأن ينصرف الناس ومن بينهم الفرس عن التغني بأمجاد

---

(١) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٤٣.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص١٩٨.

(٢) هو أبو الحسن علي بن جولوغ السيستاني، ولد عام ثلاثمائة وثلاثة وستين للهجرة، فهو كما يقول الرواة أدرك في حياته أميرين وثلاثة من السلاطين وهم سبكتكين، إسماعيل السلطان محمود، السلطان محمد والسلطان مسعود، عفاف السيد زيدان: فرخي سيستاني (عصره بيئته وشعره) بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة من كلية الآداب بجامعة عين شمس، ١٩٧٥، ص٨.

(٣) النظامي العروضي السمرقندي: جهار مقالة، ص٤٨.

(٤) دولتشاه سمرقندي:تذكرة الشعراء بتحقيق وتصحيح محمد عباسي، ص٦٣.

(٥) ولد أبو القاسم الفردوسي فيما بين سنة ٣٢٠هـ وسنة ٣٢٩ في قرية تدعى باز، من نواحي طبران حوالي طوسي، وليس لدينا علم عن عهد شبابه سوى ما ذكره صاحب جهار مقاله، الذي ألف كتابه في حدود سنة ٥٥٠هـ. فذكر عنه أنه كان "من الدهاقين، أي أصحاب الضياع والعقار، عبد الوهاب عزام: الشاهنامة، ص٤٩.
رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي ص٤٩.
النظامي العروضي: جهار مقالة، ص٥٥.

أجدادهم وأن تضعف فيهم العناية بالنواحي القومية والوطنية خصوصاً بعد أن أصبحت الكلمة العليا للأتراك منذ أسس الغزنويون ملكهم، فأراد الفردوسي أن ينبه الفرس إلى ما غفلوا عنه، وأن يؤجج في قلوبهم نيران العصبية التي خمدت بفعل العوامل الكثيرة المختلفة كالدين الإسلامي، واللغة العربية، وانتشار الحروب، وكثرة المنازعات وأخيراً غلبة الأتراك على البلاد وكانت وسيلته إلى ذلك أن ينظم لهم تاريخهم الحافل فيردهم بذلك إلى ماضيهم الذي نسوه وتخلوا عنه.

وكان الفردوسي يتوقع لنفسه ما ينتظره من مجد فهو يصرح بأن كتابه إذا تم سيكون حديث الناس في كل مكان وأن أصحاب العقل والفضل والرأي والدين سيقدرون له هذا الجهد فيترحمون عليه بعد موته ويحيون اسمه على ألسنتهم فيخلد بذلك ذكره[١].

نظم الفردوسي شاهنامته كما جاء في أخبار المؤرخين في عهد أبي منصور محمد والي خراسان في ذلك الوقت، وتعهد هذا الوالي وهيأ له من أسباب الحياة ما يجعله في غنى عن سؤال غيره، وأخذ الشاعر في المضي في النظم، وأخذ الناس يتناقلون ما نظم من قصص وأصبح الفردوسي ذائع الصيت في كل مكان حتى أنه هدأ نفساً إذ أصبح من الخالدين.

ثم سعى الشاعر إلى السلطان محمود بعد أن فقد أبا منصور لأنه كان في حاجة إلى معين،ومثل هذا العمل الأدبي الضخم الذي يقوم به الشاعر يتطلب مالاً كثيراً وقد نصحه أبو منصور قبل موته أن يهدي كتابه أو نظومته إلى الملوك فهم أقدر على تقويمه، وأسخى في المكافأة[٢].

رحل الشاعر إذن إلي السلطان محمود بعد أن كان قد نظم من شاهنامته قدراً كبيراً إلى غزنة، وتوسل بالرئيس الكبير أحمد بن الحسن الميمندي، فقبلها، وكان السلطان محمود يعرف له أياديه، ولكن الرئيس كان له منافسون يدأبون على الإيقاع به والغض من قدره، فسأل محمود هذه الجماعة ماذا نعطي الفردوسي على هذا العمل العظيم؟ قالوا خمسين ألف

(١) طه ندا: دراسات في الشاهنامة، الاسكندرية، ص١٠٢.

(٢) يحيى الخشاب: الشاهنامة، تراث الإنسانية، العدد ٧، المجلد الرابع، ص٥١٥.

درهم، بل هذا كثير، لأنه رافضي ومعتزلي[1].

وكان السلطان محمود رجلاً متعصباً للدين الإسلامي فعملت فيه هذه السعاية وأصغى إليها، فأرسل إلى الفردوسي عشرين ألف درهم، فكان هذا المبلغ لا يتناسب مع الجهد الذي بذله هذا الشاعر الكبير، فغادر الفردوسي غزنة، وقصد هراة في ضيافة أحد الوراقين، فلما أمن الفردوسي نفسه من سطوة السلطان محمود، لجأ إلى ملك طبرستان شهريار بن شروين بن رستم، من آل باوند –والتقى به قائلاً: "سأحول هذا الكتاب من اسم محمود إلى اسمك فإن هذا الكتاب كله أخبار أجدادك ومآثرهم". ولكن هذا أخذ يهدئ من روع الشيخ الكبير، مندفعاً بعطفه عليه، وحبه للعمل الرائع الذي قام به، فعزم على أن ينحه بعض المال ليكون عوناً ما. وقد خفي على الفردوسي أن الزياريين والأمير من أتباعهم، وأن هواهم أصبح مع السلطان محمود منذ سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١٢م، ولا يستطيع شهريار أن يأتي بعمل يغضب "محمود"، والشاهنامة التي لم يقدرها محمود لا يستطيع هو أن يبدي إعجابه بها ولا أن يصل الشاعر.

وأكد له "أن محموداً حمل على هذا وإن الكتاب لم يعرض عليه وإنه سُعي بك، ثم أنت رجل شيعي، وكل من تولى آل البيت لم تستقم له أمور الدنيا إذ لم تستقم لهم أنفسهم، ومحمود ملكي، فدع الشاهنامة باسمه، وأعطني الهجاء لأغسله، وأعطيك شيئاً يسيراً، سيدعوك محمود ويسترضيك. ولا يضيع جهد مثل هذا"[2].

---

(١) النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ص٥٦.

هناك رأي حديث في المراجع العربية والفارسية يذهب إلى أن الشاهنامة كتبت في العهد السامانى وأن الوالي أبا منصور محمد في عهده على خراسان كان المعين لهذا العمل الأدبي الضخم، وهو بذلك يبطل ما زعم الزاعمون من أن السلطان محمود الذي كلف الفردوسي بهذا العمل العظيم، ومن المستبعد بطبيعة الحال أن يهتم السلطان محمود –وهو التركي– بإحياء مجد الإيرانيين فضلاً عما قد يتطلبه نشر تاريخ الإيرانيين من التعرض لديانتهم القديمة وإذاعاتها بين الناس الأمر الذي لا يمكن أن يقره السلطان محمود وهو المعروف بتعصبه للدين الإسلامي، وكانت له اليد الطولى في ضرب الفرق والطوائف الدينية التي بدأت تدعوا للإسماعيلية، والاعتزال وغيرها من المذاهب في بلاد خراسان في ذلك العصر، ثم زد على ذلك، أن الشاهنامة كانت تمجد الإيرانيين وتحقر التورانيين أجداد السلطان محمود وأن نشرها سيثير نوازع الشر الكامنة بين العنصرين الإيراني والتوراني.

(٢) النظامي العروضي: جهار مقالة، ص٥٧، ٥٨.

يحيى الخشاب: الشاهنامة، ص٥١٦، ٥١٧.

وكان الفردوسي قد نظم مائة بيت في هجاء السلطان محمود فعرض شهريار أن يشتري هذه الأبيات، كل بيت بألف درهم، على أن تبقى الشاهنامة باسم محمود وعلى أن يمحو شهريار أبيات الهجاء، وقبل الفردوسي ذلك[1].

وفي غزنة كان السلطان محمود قد ندم على سوء تصرفه مع الفردوسي، فقال لوزيره الميمندي بعد عودته من بلاد الهند: مر لأبي القاسم الفردوسي بستين ألف دينار، يعطاها نيلجاً، وتحمل على الإبل السلطانية إلى طوس، ويعتذر إليه بما حصل مني، ولكن يشاء الله حينما تدخل هذه الأبل من باب رودبار كانت جنازة الفردوسي تخرج من باب رزان[2].

أما صلة السلطان فهناك روايتان عنها واحدة تقول إن الفردوسي خلف بنتاً عظيمة النفس فلما أرادوا أن يسلموها هبة السلطان أبت، حراصاً منها على كرامة أبيها وإجلالاً للشاهنامة التي أصبحت بعد موت ناظمها فوق الصلات. قالت "لا حاجة بي إلى هذا المال"، فعمروا به رباط جاهه في حدود طوس والرواية الثانية تقول إن المال عرض على أخت الفردوسي فأخذته وأنفقته على إقامة جسر على النهر الذي كان يروي أو يغطي على أرض الفردوسي فحققت لأخيها أملاً طالماً تمناه في أشعاره[3].

هذا ولم يكن السلطان محمود وحده من سلاطين الغزنويين الذي يُعنى بالشعراء، فقد كان ابنه مسعود (٤٢١هـ-٤٣٢هـ/ ١٠٣١/ ١٠٤٢م) يهتم بالشعراء والأدباء ويصلهم بصلات كبيرة، قال عنه ابن الأثير: " كان محباً للعلماء، كثير الإحسان إليهم والتقرب لهم، صنفوا له التصانيف الكثيرة في فنون العلم، وأجاز الشعراء جوائز عظمية، أعطى شاعراً على قصيدة

---

(١) ويعد قراية مائة عام يذكر العروضي ست أبيات من هذا الهجاء تبين مدى غضب الشاعر على محمود الذي خيب أمله فيه. "لقد قالوا طاعنين؟

إن هذا المنطيق شاب على حب النبي وعلي،

ولئن حكيت لهم حبي لأحمين مائة مثل محمود.

إن ابن الأمة لا يرجى خيرة ولو كان أبوه ملكاً.

حتام أطيل الكلام في هذا وهو كالبحر لا أعرف له قرارا؟

ولم يكن للملك قدره على الخير، وإلا لرفعني على العرش.

لوم يكن عظيم الأصل فلم يحسن أن يستمع أسماء العظماء".

(٢) النظامي العروضي: جهار مقالة. ص٥٩ .

(٣) يحيى الخشاب: الشاهنامة، ص٤٣٢

ألف دينار، وأعطى آخر لكل بيت ألف درهم[1]. ويذكر البيهقي أنه في احتفال بالعيد أمر السلطان مسعود للشعراء الغرباء بعشرين ألف درهم، وأعطى الزينبي العلوي[2] خمسين ألف درهم حملت إلى منزله على ظهر فيل، وأعطى العنصري ألف دينار[3]

كذلك كان الشاعر منوجهري أحد أعمدة الشعر في العصر الغزنوي،ومع أنه عاصر السلطان محمود إلا أنه لم يعد في زمرة شعراء عصره، لأنه قدم إلى غزنة عام ٤٢٦هـ، وهي السنة التي ذهب فيها السلطان مسعود إلى جرجان، وعلى ذلك يعد منوجهري شاعراً معروفاً في عصر السلطان مسعود لأن أغلب قصائده في مدح هذا السطان ووزرائه وأمراء دولته[4].

(٢) النثر:

إذا كان الشعر الفارسي قد راج وارتقى في هذا العصر، فإن النثر الفارسي كان حظه ضئيلاً من هذا الرقي، ولم يبلغ المنزلة التي كانت له في العصر الساماني، ولعل السبب في ذلك أن السامانين كانوا يعملون على تشجيع النثر وترقيته مدفوعين في ذلك بأصلهم الفارسي وتحمسهم للغة الفارسية وآدابها والعمل على إحيائها وتشجيع التأليف بها، أما عن اللغة الفارسية في العصر الغزنوي فقد كان سلاطينها أتراكاً لا يعنيهم كثيراً أن تنهض هذه اللغة لتناوئ اللغة العربية هذا من جهة، ومن جهة أخرى في عهد هذه الدولة زادت العلاقات بين خراسان وبين بغداد وقوى الارتباط بينهما، فقد كان سلاطين تلك الدولة يتوددون إلى الخليفة في بغداد عن طريق إنفاذ الرسل وإرسال الهدايا إليه، ليكتسبوا شرعية إقامة دولتهم فكانت هذه الروابط مدعاة إلى مزيد من العناية باللغة العربية وآدابها ويدل على ذلك أن ديوان الرسائل كان يحرر باللغةالفارسية في بادئ الأمر في عهد الوزير أبي العباس فضل ابن

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٢٤٢.

(٢) "الزينبي" : عبد الجبار الزينبي العلوي، ويسميه دولتشاه: "الزينتي"، من شعراء بلاط السلطان محمود وابنه مسعود، وله فيهما مدائح كثيرة، وتوفي في عهد السلطان مسعود.
دولتشاه سمرقندي: تذكرة الشعراء، ص٣٩.
بديع الزمان فروزانفر: سخن وسخنوران، شركة سهامي انتشارات خوارزمي، ص١٥١.
ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، ج١، ص٥٥٠.

(٣) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص١٣٧، ٣٠٢.

(٤) علي الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، ص١٨٧، ١٨٨.

أحمد الإسفراييني ثم صار يحرر باللغة العربي على يد الوزير أحمد بن الحسن الميمندي الذي حل محل الإسفراييني، وعلى هذا رأينا أن معظم كتب النثر قد كتبت باللغة العربية فمثلاً "من بين الكتب التاريخية كتاب اليميني الذي ألفه أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي في تاريخ السلطان محمود الغزنوي وقد كتب هذا الكتاب بنثر مسجع، فاختفت الحقائق التاريخية تحت بريق الألفاظ، وجاء متكلفاً للغاية. وقد سبق أن تحدثنا عن هذا الكتاب.

ومن أشهر أدباء الدولة الغزنوية الوزير أبو الفتح البستي الذي لم يحظ أدبه بنصيب كبير من الدراسة فلقد كان الرجل كما نعلم كاتباً من كبار الكتاب في عصره واقترنت هذه الصفة باسمه فكان يعرف بأبي الفتح البستي الكاتب، وقد أخذه سبكتكين لهذا المنصب عندما تم له الاستيلاء على مدنة "بست"، ثم انتقل هذا الكاتب البارع والشاعر المبدع إلى خدمة السلطان محمود وهوينظم الشعر في كثير من الأغراض التي طرقها الشعراء قبله على مر العصور، وتناول هذه الأغراض بما يلائم نفسه وبيئته وشخصيته فمدح وهجاء، وقال في الفخر والتغزل والخمر والإخوانيات والشكوى والحكمة وغيرها.

هذا ومع أن أباالفتح البستي كان بارعاً في نظم الشعر أكثر من كتابته للنثر فقد أورد الثعالبي له نصين هما: مقدمة رسالة يقول فيها: "كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها، وأشرقت الأرض بنور ربها[1]".

أما الثاني فهو رسالة كتبها على لسان السلطان محمود الغزنوي إلى قابوس ابن وشمكير يتشفع فيها للشيخين أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي يقول فيها:

"من علم الأمير شمس المعالي -أدام الله عزه الكريم- فكأنما علم الغيث سجاماً، والليث أقداماً، وذلك لأن المكارم من خصائص معانيه ونتائج مساعيه ومعاليه، غير أن العادة جارية بهذا السيف وإن كان ماضي الغرار، وقدح الزند لانتضاء ما فيه الأنوار. ومساق هذا القول إلى ذكر شيخنا أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي الاسماعيلي.... الخ[2]".

من هذين النصين اللذين أوردهما الثعالبي من رسائل الفتح، وكتبه الديوانية هما كل ما

(١) الثعالبي: يتمية الدهر، ج٤، ص٣٠٤.

(٢) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٤، ص٣٠٧.

بقي لنا من رسائله، ولا يتيح لنا فرصة الحكم على كتبه التي كان فخوراً بها أشد الفخر، وهو أيضاً على قدر بالغ الضآلة لرجل ظل يقوم بكتابة الرسائل وتوجيه الكتب أكثر من خمس عشرة سنة في الدولة الغزنوية.

ومعنى هذا أن أبا الفتح كانت له رسائل سياسية بارعة يخاطب بها الأمراء والحكام بلغة سلسة تمتاز بسهولة الألفاظ ويسرها، وهو أقصى ما يمكن أن تصل إليه براعة الكاتب، فلذا نجده يصف نثره وشعره بهذين البيتين:-

إذا أحببت أن تحظى بسحر ... فلا تختر على نظمي ونثري

فأحسن من نظام الدر نظمي ... وأنق من نثار الورد نثري[1]

هناك مشاهير أخرون من الأدباء ارتبطت أسماؤهم بالعصر الغزنوي، فنجد بديع الزمان الهمذاني، أول شخص وضع القصص والروايات الأدبية في النثر العربي المسجوع وابتكر فن المقامة، مما جعل الثعالبي يصفه: "بأنه معجزة همذان وعزة العصر، وكان صاحب عجائب وبدائع وغرائب، فمنها انه كان يُنشدُ القصيدة التي لم يسمعها قط وهي أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها، فيجمع فيها من الإبداع والإسراع، كما أنه تنقل في طلب العلم، وقصد نيسابور، ونشر فيها روائعه وأملى بها أربعمائة مقامة في موضوعات مختلفة، ثم ناظر أبا بكر الخوارزمي فغلبه مع أن أحداً لم يكن يتجرأ على مناظرة هذا العالم في ذلك الوقت لعلمه الغزير[2].

ثم أخذ بديع الزمان يطوف بلدان المنطقة إلى أن استقر به الحال في غزنة، وهي إذ ذاك عاصمة الغزنويين والسلطان محمود كان يهوى لقاء الأدباء والعلماء ويشجعهم على الإقامة عنده وأكبر شاهد على ذلك تلك القصة التي ذكرناها عند الكلام عن الحياة الأدبية في القرن الرابع عندما سمع السلطان محمود بجماعة من كبار العلماء يقيمون عند "مأمون بن مأمون" أحد أمراء خوارزم، فأرسل في استدعائهم وأكرم مثواهم، إذن فقد عاش البديع في كنف السلطان محمود بغزنة عيشة رخية هنيئة ومدحه بقصيدة مطلعها:

---

(١) خليل الله خليلي: سلطنت غزنويان، ص٢٨٠.
محمد مرسي الخولي: أبو الفتح البستي، ص٧٣، ٩٤.

(٢) الثعالبي:يتمية الدهر، ج٤، ص٢٥٦.

تعـــالى الله مـــا شـــاء وزاد الـــلـــه إيمـــانـــي

أأفـــريدون فـي التـــاج أم الإسـكـنـدر الثـــانـي[1].

وكان للسطان محمود وزير أديب هو أبوالعباس الفضل بن أحمد الإسفراييني وكانت بينه وبين بديع الزمان صلات ومكاتبات، وقد أكرمه الوزير أثناء وجوده في العاصمة غزنة إلى أن توفي سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م.

كذلك من مشاهير القرنين الرابع والخامس الهجريين،أبو منصور عبد الملك ابن محمد النيسابوري الثعالبي صاحب كتاب يتيمةالدهر، وهو كتاب جمع الكثير من غرر شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس الهجري فلولا اليتيمة لانمحى ذكر شعراء كثيرين وخاصة شعراء وأدباء خراسان وخوارزم أمثال البستي والهمذاني والميكالي والخوارزمي الذين كانوا يعاصرون عصر الدولة الغزنوية وهو العصر الذي كنا بصدد الحديث عن الحياة الأدبية فيه، ولأبي منصور الثعالبي كتب أخرى قد ألفها وأهداها لأمراء وحكام الأقاليم التي كان يزورها [2]، وقد كان من عادة الشعراء ورجال العلم والأدب في ذلك الزمان أن ينتقلوا بين القصور المختلفةوأن ينظموا القصائد أو يؤلفوا الكتب ويهدوها إلى الأمراء كدليل على العرفان بالجميل منهم نظير ما كانوا يلاقون من المعاملة الحسنة ومن الصلات والعطايا الكثيرة سواء ماكان من مال أو هدايا أو غيرها.

(٢) ازدهار العلوم العقلية ودور العلماء في هذا المجال:-

لم يقلل السلطان محمود من أهمية الحياة العلمية في عاصمته غزنة، بعد أن أزدهرت في عهده الحياة الأدبية، وأخذ بلاطه يعج بالأدباء والشعراء، فقد أولى اهتمامه بتشجيع

---

(١) العتبي: تاريخ اليميني، ج١، ص٣٨٤، ٣٨٦.
مصطفى الشكعة:بديع الزمان الهمذاني، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣، ص١٧٥.
براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ص١٢٩.

(٢) أهدى الثعالبي كتابه الطاف المعارف" إلى الصاحب إسماعيل بن عباد وزير فخر الدولة البويهي، وأهدى : المبهج" و "التمثل والمحاضرة" إلى شمس المعالي قابوس وشمكير وأهدى "سحر البلاغة" و "فقه اللغة" إلى الأمير أبي الفضل الميكالي"، وأهدى "النهاية في الكتابة" و "نثر النظم" و "اللطائف والظرائف" إلى "مأمون بن مأمون" أميرخوارزم.
براون: تاريخ الأدب في إيران ،ج٢، ص١١٦.

الحركة العلمية، فبعث في طلب جماعة من رجال العلم والفلسفة، فمنهم من لبى دعوته ومنهم من رفض المجيئ إليه، فكان من الذين وفدوا علي بلاطه أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الذي نشأ في خوارزم، إذ ولد بها سنة ٣٦٢هـ، وتوفي بغزنة سنة ٤٤٠هـ(١). قضى البيروني بداية حياته في رعاية أمراء خوارزم، وتجلى نبوغه في كثير من العلوم وبخاصة الرياضة والفلك، كان يعاصر الفيلسوف ابن سينا وجادله في بعض المسائل العلمية جدلاً عنيفاً، أمضى صدر حياته في بخارى ثم اتصل بالمأمون بن المأمون أمير خوارزم، وكذلك رحل إلى جرجان، واتصل بشمس المعاني بن المأمون أمير خوارزم، وكذلك رحل إلى جرجان، واتصل بشمس المعاني قابوس وشمكير الزياري، وعاش في كنفه أياماً، وأقام بعد ذلك في قصر السلطان محمود الغزنوي وخلفائه وقام برحلات عديدة إلى الهند فاطلع على أحوالهم وألم باللغة السنسكريتية(٢).

ومن مؤلفاته كتاب "الآثار الباقية عن القرن الخالية" كتبه باسم قابوس وتناول في هذا الكتاب التواريخ التي كانت تستعملها الأمم، والاختلاف في الشهور والسنين والتقاويم عند الأمم، ونظم الطوائف والجماعات المختلفة، والاحتفال بالأعياد القومية، ولما اتصل البيروني بالسلطان محمود الغزنوي، استفاد من فتوحاته في بلاد الهند فائدة علمية كبيرة، وجعل ثروة الهند العلمية الكبيرة في الرياضة والفلسفة والإلهيات في يد العرب والفرنج بما ألفه في ذلك من كتب لا تزال خير مرجع لكل من كتب عن الهند، وهو بذلك كان في هذا العلم درة في الدولة الغزنوية كابن سينا في الدولة السامانية(٣).

كذلك للبيروني مؤلفان مشهوران في النجوم والهيئة والهندسة ويسمى أحدهما "التفهيم في صناعة التنجيم" ألفه سنة ٤٢٠هـ، وقد أهداه للسيدة ريحانه الخوارزمية وكتب ثانيهما "قانون المسعودي" وأهداه للسلطان مسعود، ثم أهدى بعد ذلك كتابه عن الأحجار الكريمة(٤)،

---

(١) بارون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ص١٢١.

(٢) بارتولد: الحضارة الإسلامية، ص١١١، ١١٢.

محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق، ص٢٢١.

(٣) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج١، ص٢٨٧.

عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٢٠١.

(٤) الجماهير في الجواهر.

إلى السلطان مودود بن مسعود[1]. ومن أبرز مصنفاته القيمة كتاب "تحقيق ما للهند من م قولة مقبولة في العقل أو مرذولة "الذي قارن فيه بين رياضة الهند وفلسفة اليونان، ولقد استقى البيروني معلوماته عن الهند من المراجع السنسكريتية الهندية مباشرة، وقد أشار بعض المؤرخين إلى هذا العمل العظيم بقوله: " كانت محاولة فريدة من رجل مؤمن يدرس بنزاهة وتجرد حضارة وثنية"[2]. كما قال مترجم هذا الكتاب الدكتور سخاو في مقدمته: "إن الباحث الحديث في أيامنا لو أراد دراسة اللغة السنسكريتية والهندية، لتعينه على دراسة العلوم والآداب المختلفة بهذه البلاد (بلاد الهند)، لأخذ وقتاً طويلاً في بحثه دون أن يتمكن من معرفة تاريخ الهند القديم، ولكن البيروني ببراعته ودقته في هذا العلم استطاع التوصل إلى تاريخ هذه البلاد وإن يحقق للمهتمين والدارسين في هذا العلم من المعلومات القيمة دون تعب وعناء"[3].

وكان أبو الريحان البيروني مهندساً وفلكياً لا يقل مكانة عن معاصريه في ذلك الوقت أمثال أبي معشر وأحمد عبد الجليل، كما كان له المام تام بمدارس بغداد والبصرة العلمية، إلا أن نظرات أولئك العلماء كانت متأخرة بالقياس إليه، فالبيروني يصف الجاحظ وهو أكبر علماء البصرة في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بأنه "ساذج سريع التصديق"ومع ذلك لم يبدع مذهباً جديداً لا في الرياضة ولا في الهيئة، بل ظل مؤمناً بالتنجيم مشاركاً معاصريه في ذلك، وكان من آرائه في المعتقدات الدينية الغريبة وخاصة الأديان الهندية، أن هذه المعتقدات تابعة لأسباب واحدة في كل مكان، وكان يهتم بالفرق بين دين الخواص وبين العوام في كل موضع، فهو لا يعترض ولا ينقد مطلقاً، حينما يشرح العقائد الدينية، وإذا قارن دينا بدين آخر، فإنما يقارنها مقارنة علمية محضة، وعلى ذلك يمكننا القول إن مؤلفات ومنتجات البيروني العلمية تحتل مكانةممتازة من حيث وفرة مواردها وما فيها من الاعتناء بتطبيق الأصول العلمية، على أن البيروني كتب مؤلفاته بلغة صعبة جداً، لا يمكن لأي شخص عادي معرفة علومه، وقد اعترف بذلك في كتابه "تحقيق ما الهند" بأنه ألف كتبه للعلماء لا

---

(١) براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ص١١٧.

(٢) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، تحقيق علي صفا، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص١١، من المقدمة.

(٣) بارون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ص١١٧.

للعوام[1].

وصفوة القول أن البيروني كان من كبار العلماء الذين ظهروا في القرنين الرابع والخامس الهجريين فلم يترك علماً إلا ألف فيه وكان إلى جانب ذلك يفضل الكتابة بالعربية على الفارسية لأن العربية أكثر طواعية للعلم ومصطلحاته من الفارسية. وتدل كتبه التي نشرت فيما بعد ابتداء من كتابه "الآثار الباقية عن القرون الخالية" إلى آخر كتاب ألفه، على سعة آفاقه العلمية وعمقه فيها[2].

ومن فلاسفة هذا العصر الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله المشهور بابن سينا، ولد سنة ٣٧٠هـ، وحصل في شبابه جميع أنواع المعارف المعروفة في عصره إذ درس القرآن والأدب، وحصل الدين والفلسفة على أهله غالباً، وتعمق في دراسة الفقه والمنطق والنجوم والرياضة والطب على كتب الفارابي، وجه اهتماماً خاصاً لما وراء الطبيعة والحكمة الإلهية، وأظهر في هذا العلم تعمقاً واهتماماً بتحقيق غوامض الفلسفة، ومن ناحية أخرى نراه قد اهتم كذلك بنقد أصول الطب والكشف ومعالجة الأمراض، وبلغ فيها شهرة فائقة حتى ظفر بعلاج السلاطين والأمراء، أمثال نوح بن منصور الساماني، ومجد الدولة وشمس الدولة الديلميين[3].

أقام ابن سينا أولاً في بخارى، ولما اضطربت أحوال الدولة السامانية خرج مها، وقصد بلاط خوارزمشاه، وكان له الصادرة بين جلساء المأمون بن المأمون أمير خوارزم، ثم أرسل السلطان محمود إلى الخوارزمشاه يطلب أن يبعث إليه برجال العلم الذين يقومون على خدمته وكان من بينهم ابن سينا، ولكن ابن سينا كان يخشى السلطان محمود لتعصبه فلجأ إلى آل زيار في جرجان ثم اتصل بالبويهيين، ودخل في خدمة شمس الدولة الديلمي ووزر له مرتين في همدان.

---

(١) بارتولد: الحضارة الإسلامية، ص١١٢، ١١٣.
عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ الإسلام، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج٢، ص١٣٨.
محمد جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص٢٢٢.

(٣) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٦٣.
براون: تاريخ الأدب في إيران، ج٢، ص١٢٣.
حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٨٥.

على أية حال لم تمنع هذا الشيخ تنقلاته ومشاغله من أن يعكف على المطالعة والتأليف وإفادة الطلاب الذين كانوا يتلقون العلم على يديه، كما نهض أيضاً بتدوين العلوم وتصنيفها[1].

ألف ابن سينا في المنطق مقتفياً أثر أبي نصر الفارابي، ويعتبرالمنطق المدخل للفلسفة التي ألف فيها الكتب وتأثر بأرسطو، كما بحث في الإلهيات وشرح إلهيات أرسطو، وتكلم عن الطبيعة، وكان يحاول ما استطاع أن يوفق بين فلسفته وعقيدة أهل السنة والجماعة، كما تكلم في الإنسان والنفس الإنسانية والعقل، وانفرد في العقل بآراء، ففي رسالته "حي بن يقظان" يرى أنه هو هادي النفوس الناطقة وهو العقل الفعال آخرالعقول الفلكية، وهو الذي يؤثر في العقل الإنساني[2]. هذا وكانت مؤلفاته، تربو على المائة، من أهمها كتاب الشفاء في الحكمة، وكتاب القانون في الطب، وهما من أمهات الكتب العلمية في العالم، ويدرسان في بلاد الشرق والغرب علي أيدي كبار العلماء[3].

وإلى جانب تعمقه في العلوم والرياضة كان أديباً ممتازاً، وقد ألف ابن سينا أيضاً باللغة الفارسية كتابه "دانش نامة علائي" ألفه باسم علاء الدولة بن كاكوية، كذلك كانت له أشعار باللغتين العربية والفارسية وإليك أحدى الرباعيات التي تنسب إليه:-

ليس سهلاً عليك، أن تجعلني طريد الدين

إذ ليس هناك إيمان أحكم من إيماني

إذا كنت أعد في الدهر كافراً متبرما

إذن فلن يكون -طول الدهر- من تجده مسلماً[4].

---

(١) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ص٦٤.

حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٨٥.

(٢) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ١٨١.

حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج٣، ص٢٨٦.

(٣) رضا زاده شفق:تاريخ الأدب الفارسي، ص٦٧.

(٤) كفر جومني كزاف وآسان نبود ... محكمتر ازايمان من ايمان نبود

دردهر جو من يكي وآنهم كافر ... بس دردهر يك مسلمان نبود

رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي، ٦٣.

الخاتمة

حاولت في الصفحات السابقة أن أقدم صورة متكاملة عن منطقة خراسان في فترة الحكم الغزنوي،وقد حاولت أن لا أتناول منطقة خارج خراسان أو أتناول خراسان نفسها خارج العصر الغزنوي، ذلك أنه بالرغم من السنوات القليلة التي عاشتهاخراسان في ظل الحكم الغزنوي أثبت البحث أنها فترة متميزة في تاريخ خراسان ولها سماتها الخاصة التي تجعلها تختلف عن بقية الفترات التاريخية التي جرت على هذه المنطقة والتي تحتل أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي، وكان من أهم النتائج التي توصلنا إليها وظهرت جلية واضحة من خلال البحث هي:-

أولاً: إن منطقة خراسان ليست هي تلك المنطقة التي تعرف بخراسان اليوم، فخراسان حالياً لا تتعدى قدراً يسيراً من خراسان الكبرى سابقاً، وأن السيطرة على هذا الجزء من العالم الإسلامي وقتئذ كان يعنى السيطرة على كل المشرق، وقد اتضح أن الغزنويين عندما اضطروا بعد معركة داندانقان إلى الجلاء عن خراسان لم تقم لهم قائمة في المشرق بل انحصر وجودهم في غزة والولايات الهندية، وهذا يدل على مقام خراسان بالنسبة إلى سياسة الخلافة من ناحية وبالنسبة إلى المشرق كدويلات متسقلة من ناحية أخرى.

ثانيا: إن خراسان كجزء من الدولة الإسلامية الكبرى احتوت في ثناياها على كل عوامل القوة وعوامل الضعف الموجودة في الدولة فقد لمسنا عن قرب مدى النتائج الوخيمة التي أدى إليها عدم وجود نظام ثابت لولاية العرش مما جعل القصور دائما موضع دسائس وأدى إلى فتنة مستمرة وشديدة أضاعت ملك الغزنويين في خراسان في النهاية.

ثالثاً: إن سياسة الغزنويين في خراسان كانت في مفهومها العام جزءاً من السياسة الإسلامية في دار الخلافة فلم يكن الاستقلال يعني استقلالاً في النظم أو استقلالاً في الاتجاه أو حتى في أسلوب الممارسة بل كان الغزنويون في خراسان يقدمون

صورة مصغرة للنظام في بغداد يتطابق في معظم ملامحه ولا يشذ عنه إلا في القليل النادر.

رابعاً: إن المجتمع الإسلامي في خراسان كان شأنه في ذلك شأن بقية المجتمعات الإسلامية يمتلئ بالمتناقضات التي كانت تعجل بنهاية الدولة. فبينما كان التشدد في إجراء أحكام ظاهر الشريعة على العامة وبعض الخاصة كما حدث مثلاً في حادثة الوزير حسنك كان المجتمع الخاص للسلطة والمتصلين بها مجتمعاً مفتوحاً لم يقل إباحية إلى أبعد الحدود وهذا التناقض الشديد بين ما هو موجود بالفعل وبينما تنادي به الدولة كان سمة أيضاً من سمات الحكم في المشرق الإسلامي، وكان سبباً في قصر الدويلات في المشرق عادة.

خامساً: إن هذه الحالةالسياسية غير المستقرة كان لا بد وأن تؤدي إلى نتائج وخيمة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية، فبينما كانت خراسان تتعم بما يؤدي إلى رخاء اقتصادي مؤكد، كان هذا الرخاء بعيد المنال نظراً للحروب المتتالية والشد والجذب بين الغزنويين والسلاجقة والدسائس المستمرة بين الفئات الحاكمة ومن ثم فإن خراسان تحت حكم الغزنويين لم تنعم برخاء كالذي نعمت به في عهد السامانيين على سبيل المثال وانعكست هذه الحالة الاقتصادية على طبقات المجتع وبخاصة الطبقة الدنيا التي كانت تمثل وقود كل حرب وضحية الاصطدام.

سادساً: برغم هذه الحالة يمكن القول إن خراسان في تلك الفترة من القرنين الرابع والخامس الهجريين شهدت تنوعاً ثقافياً ملحوظاً وهذا يدل على أن الحضارة الإسلامية كانت لا تزال في مرحلة وصلت مداها، فإنه برغم الحالة السياسة والاقتصادية والاجتماعية وجدت المراكز الثقافية وظهرت المؤلفات العظيمة في كل فروع المعرفة، كما شهد بلاط الغزنويين نشاطاً كمياً في الشعر قام على حب السلطان محمود لهذا الفن، ومن نافلة القول إن في خراسان وفي هذه الفترة التي هي مجال بحثنا نظم الفردوسي الشاهنامة ملحمة الفرس وهذا له دلالته الثقافية التي لا تخفى .

وأخيراً لست أزعم أنني قدمت الصورة الكاملة المتكاملة لخراسان في ظل حكم الغزنويين فدون ذلك أبحاث أخرى وأبحاث حتى يتحقق الهدف المنشود.

والله الموفق.

المصادر والمرجع

قائمة المصادر مرتبة حسب الحروف الهجائية

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني):
- الكامل في التاريخ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢.

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي):

- تلبيس إبليس، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الطبعة الأولى، حيدر آباد، ١٣٥٨هـ.

ابن حوقل (أبو القاسممحمد بن حوقل النصيبي):

- كتاب صورة الأرض –منشورات مكتبة الحياة – بيروت- ١٩٧٩م.

ابن خرداذبة (أبوالقاسم عبيد الله بن عبدالله):

- المسالك والممالك –نشردي غويه- ليدن ١٨٨٩م.

ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون):

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ العلامةابن خلدون، دار الكاب اللبناني، بيروت ١٩٨٦م.
- المقدمة، دار الكتاب اللبناني- بيروت ١٩٨٢م

ابنرسته (أبو علي أحمد بن علي):

- الأعلاق النفيسة –المكتبة الجغرافية- المجلد السابع- ليدن ١٩٨٢م.

ابن الضحاك الكرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمد الكرديزي):

- زين الأخبار، ترجمته عن الفارسية الدكتورة عفاف السيد زيدان، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ابن الفقيه (أبوبكر أحمد بن محمد الهمذاني):

- مختصر كتاب البلدان –ليدن ١٣٠٢هـ

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي):

- البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ابن النديم (أبو الفرج محمد بن اسحق النديم):

- الفهرست، مع مقدمة عن حياة ابن النديم، وفضل الفهرست بقلم أحد أساتذة الجامعة المصرية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨.

أبو زهرة (الإمام محمد)

- أبو حنيفة حياته وعصره –آراؤه وفقهه– القاهرة– الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ ١٩٥٠.
- الشافعي حياته وعصره –آراؤه وفقهه– القاهرة– الطبعة الثانية– ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.

أبو سيف (فتحي عبد الفتاح) دكتور:–

- خراسان (تاريخهم السياسي من سقوط الطاهريين إلى بداية الغزنويين) القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ– ١٩٨٨م.
- المشرق الإسلامي بين التبعية والاستقلال، أولاً الطاهريون، تاريخهم السياسي والحضاري، القاهرة، ١٩٧٨.
- المصاهرات السياسية في العصر الغزنوي والسلجوقي – القاهرة ١٩٨٦م.

الأسنوي (عبد الرحيم جمال الدين):

- طبقات الشافعية، حققه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

الاصطخري (أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي):

- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، مراجعة محد شفيق غربال، القاهرة ١٣٨١هـ–١٩٦١م.

أمين (أحمد):–

- ضحى الإسلام (٣ أجزاء)، القاهرة، الطبعة التاسعة، ١٩٧٨م.
- ظهر الإسلام (٤ أجزاء)، القاهرة، ١٩٥٢.

- فجر الإسلام، القاهرة، الطبعة الرابع عشر، ١٩٨٧م.

الأمين (شريف يحيى)

- معجم الفرق الإسلاميةبيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

الأندلس (بنيامن بن يونه التطيلي التياري الأندلسي):

- رحلة بنيامن، ترجمها عن الأصل العبري وعلق على حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م.

بارتولد. ف

- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان، راجعه ابراهيم صبري، القاهرة، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٨م.

- تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمه حمزة طاهر، القاهرة، ١٩٨٣م.

- تركستان (من الفتح العربي إلى الغزو المغولي) نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هشام، الكويت ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

بدر الدين حي الصيني:

- العلاقات بين العرب والصين، القاهرة- ١٩٧١م.

بدر عبد الرحمن محمد (دكتور):

- رسوم الغزنويين ونظمهم الاجتماعية -القاهرة- ١٩٨٧.

براون (ادوار. ج):

- تارخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي -نقله إلى العربية الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، القاهرة -١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

بروكلمان (كارل):

- تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير البعلبكي - بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٨٤.

البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي):

- الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة ادوارد سخاو، ليبزج، ١٩٢٣م.

- الجماهر في معرفة الجواهر - حيدر اباد- الدكن، ١٩٥٨م.

- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

البيهقي (أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي)-

- تاريخ البيهقي، ترجمه إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب والأستاذ صادق نشأت، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢م.

الثعالبي (أبو منصور عبد الملك الثعالبي):

- يتيمة الدهر -٤ أجزاء- الطبعة الثانية- ١٣٩٢هـ- ١٩٧٣م.

الجاحظ (أبو عمرو بن بحر):

- المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ، نشر المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله الرومي الحنفي):-

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون-دار الفكر، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

الحديثي (قحطان عبد الستار) دكتور:-

- الدولة العربية في العصور المتأخرة والحركات الانفصالية في إيران -البصرة- ١٩٨٧م.

الحديثي (قحطان عبد الستار) دكتور:-

- الدولة العربية في العصور المتأخرة والحركات الانفصالية في إيران -البصرة- ١٩٨٧م.

حسن ابراهيم حسن (دكتور):

- تاريخ الإسلام (السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) الجزء الثالث، الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٧.

حسن أحمد محمود (دكتور) وأحمد إبراهيم الشريف (دكتور):

- العالم الإسلامي في العصر العباسي، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٩٨٢م.

حسن أحمد محمود (دكتور):

- الإسلام في آسيا الوسطى، القاهرة، ١٩٧٢م.

حسنين (عبد النعيم محمد) دكتور:

- إيران والعراق في العصر السلجوقي، القاهرة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

الحسيني (صدر الدين علي بن ناصر الحسيني):

- زبدة التواريخ في أخبار الأمراء والملوك السلجوقية -تحقيق الدكتور محمد نور الدين، بيروت،

١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

حلمي (محمد مصطفى):

- الحاية الروحية في الإسلام، القاهرة، ١٩٤٥م.

الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي):

- تاريخ بغداد أو مدينة السلام- ١٤ جزء- القاهرة ١٩٣١م.

خليل أدهم:

- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، نقله عن التركية الدكتور أحمد السعيد سليمان، الناشر دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢م.

خواندمير (غياث الدين):

- دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق الدكتور حربي أمين سليمان، تقديم الدكتور فؤاد الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

الخولي (أحمد حمدي السعيد) دكتور:

- سجستان بين العرب والفرس -القاهرة، بدون تاريخ.

الخولي (محمد مرسي) دكتور:

- أبو الفتح البستي حياته وشعره، بيروت، ١٩٨٠م.

الدمقشي (أبو الفضل جعفر بن علي)

- الإشارة إلى محاسن التجارة، مطبعة المؤيد، دمشق ١٣١٨هـ

الدوري (عبد العزيز) دكتور:

- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع،مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.

دونالد ولبر:

- إيران: ماضيها وحاضرها، ترجمه عن الانجليزية،الدكتور عبد النعيم محمد حسنين، القاهرة ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م.

دي بور (ت.ج):

- تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.

الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد عثمان الذهبي الدمشقي):

- الأمصار ذوات الآثار، حققه وقدم له قاسم علي سعد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

الراوندي (محمد بن علي بن سليمان الراوندي):

- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية الدكتور ابراهيم أمين الشواربي والدكتور عبد النعيم محمد حسنين والدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م.

رضا زاده شفق (دكتور):

- تاريخ الأدب الفارسي، ترجمه محمد موسى هنداوي، ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧.

رفاعي (أحمد فريد) دكتور:

- عصر المأمون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٤٦هـ- ١٩٢٧م.

روفائيل (أبو إسحاق):

- أحوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٦٠م.

الريس (محمد ضياء) دكتور:

- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية -دار الأنصار- القاهرة- الطبعة الرابعة- ١٩٧٧م.

زامباور (ادوارفون):

- مجم الأنساب والأسرات الحاكمة، نقله إلى العربية الدكتور زكي محمد حسن والدكتور حسن أحمد محمود، القاهرة ١٩٥١-١٩٥٢م.

زكي محمد حسن (دكتور):

- الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٤٠م.

الساداتي (أحمد محمود) دكتور:

- تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية، القاهرة، ١٩٥٨م.

السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب)

- طبقات الشافعية الكبرى، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٢٤هـ

السرنجاوي (عبد الفتاح) دكتور:

- النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية، الطبعة الرابعة، القاهرة ١٩٤٥م.

سرور (محمد جمال الدين) دكتور:

- تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق- القاهرة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م.

السلمي (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي):

- طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، القاهرة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

السمعاني (الإمام أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي):

- الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، دار الجنان بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

الشابي (علي مسعود) دكتور:

- الأدب الفارسي في العصر الغزنوي، تونس ١٩٦٥م.

الشرباصي (أحمد) دكتور:

- المعجم الاقتصادي الإسلامي -دار الجيل- بيروت ١٩٨١م.

شعبان (محمد عبد الحي) دكتور:

- الثورة العباسية، ترجمة وتعليق عبد المجيد حسيب القيسي، دار الدراسات الخليجية، أبو ظبي ١٩٧٧م.

الشكعة (مصطفى) دكتور:

- إسلام بلا مذاهب، بيروت ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

- بديع الزمان الهمذاني (رائد القصة العربية والمقالة الصحفية؟ بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٣م.

شلبي (أحمد) دكتور:

- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة ١٩٨٣م.

الشهرستاني (أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني):

- الملل والنحل، تحقيق الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل، القاهرة بدون تاريخ. صالحي (محمد أمان) دكتور:

- أفغانستان والأدب العربي عبر العصور، القاهرة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

الصياد (فؤاد عبد المعطي) دكتور:

- النوروز وأثره في الأدب العربي، بيروت ١٩٧٢م.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري):

- تاريخ الأمم والملوك -حققه محمد أبو الفضل إبراهيم- القاهرة ١٩٦٢م.

الطوسي (نظام الملك الطوسي):

- سياست نامة (سير الملوك) ترجمة الدكتور يوسف حسين بكار، دولة قطر، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

عباس إقبال:

- تاريخ إيران بعد الإسلام (من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد علاء الدين منصور، القاهرة ١٩٨٩م.

- الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد كمال الدين حلمي، الكويت ١٩٨٠م.

العتبي (أبو نصر محمد بن عبد الجبار):

- تاريخ اليميني -جزءان- وبه شرح الشيخ أحمد بن علي الحنفي المينيني المتوفى سنة ١١٧٢م وسماه الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي -القاهرة ١٢٨٦هـ.

العدوي (ابراهيم أحمد) دكتور:

- التاريخ الإسلامي (آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، القاهرة ١٩٧٦م.

عدي يوسف مخلص:

- المقدسي البشاري حياته. منهجه دراسة في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من الناحية التاريخية، بغداد، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

عزام (عبد الوهاب) دكتور:

- التصوف وفريد الدين العطار، القاهرة ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م.

- الشاهنامة، نظمها بالفارسية أبو القاسم الفردوسي، ترجمها نثراً الفتح محمد علي البنداري وقارنها بالأصل الفارسي، وأكمل ترجمتها في مواضع، وصححها وعلق عليها، وقدم لها الدكتور عبد الوهاب عزام، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م.

عطوان (حسين) دكتور:

- الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

العلي (صالح) دكتور:

- التنظيمات الاجتماعية في القرن الثاني الهجري في البصرة، بغداد، ١٩٥٢م.

عمر (فاروق) دكتور:

- التاريخ الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.

الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي):

- إحياء علوم الدين –أربعة أجزاء، القاهرة ١٣٥٨هـ– ١٩٣٩م.

فامبري (أرمينوس):

- تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة الدكتور أحمد الساداتي، القاهرة ١٩٦٥م.

فريمان جرنفيل:

- التقويمان الهجري والميلادي، ترجمة الدكتور حسام يحيى الدين الألوسي، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

الفقي (عصام الدين عبد الرؤوف) دكتور:

- تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي، القاهرة ١٩٧٥م.
- الدول الإسلامية المستقلة في الشرق، القاهرة ١٩٨٧م.

فهمي عبد الرزاق سعد:

- العامة في بغداد (في القرنين الثالث والرابع الهجريين) بيروت ١٩٨٣م.

قنديل (إسعاد عبد الهادي) دكتورة:

- فنون الشعر الفارسي، القاهرة ١٩٧٥م.
- كشف المحجوب للهجويري، دراسة وترجمة دكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل، راجع الترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، القاهرة ١٣٩٤هـ.

محمد علي حيدر (دكتور):

- الدويلات الإسلامية في المشرق، القاهرة ١٣٨٣هـ–١٩٦٣م.

محمد غنيمي هلال (دكتور):

- مختارات من الشعر الفارسي، القاهرة ١٣٨٤هـ– ١٩٦٥م.

محمد ماهر حمادة (دكتور):

- الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

محمد محمود إدريس (دكتور):

- تاريخ العراق والمشرق الإسلامي خلال العصر السلجوقي الأول، القاهرة ١٩٨٥م.

محمد بن المنور بن أبي سعيد بن طاهر بن أبي سعيد بن أبي الخير:

- أسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد، ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل، مراجعة الدكتور يحيى الخشاب، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، بدون تاريخ.

مسكوية (أبو علي أحمد بن محمد):

- تجارب الأمم، القاهرة ١٣٣٤هـ- ١٩١٦م.

معوض (أحمد) دكتور:

- أضواء على تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته وذروة عصر السلاجقة العظام (طغرل بيك) القاهرة ١٩٨٣م.

مليحة رحمه الله(دكتورة):

- الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة، بغداد، ١٩٨٢م.

ميرخواند (مير محمد بن سيد برهان الدن خواندشاه الشهير بميرخواند):

- روضة الصفا في تاريخ الدولة الغزنوية، ترجمة وتعليق الدكتور أحمد عبد القادر الشاذلي، بدون تاريخ.

ناجي معروف (دكتور):

- عروبة العلماء المنسوبين إلي البلدان الأعجمية في خراسان، بغداد ١٩٧٦م ناصر خسرو:

- سفر نامة، نقلها إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب، بيروت ١٩٨٣م.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي):-

- معجم البلدان (٥ مجلدات) دار صادر -بيروت- ١٩٧٧م.

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي):

- البلدان، ليدن ١٨٩١م.

ثانياً: المصادر الفارسية:

- إيرانشهر تأليف مجموعة من المؤرخين، تهران ١٣٤٢ هـ.ش، ١٩٦٣م

برتكس. آ.ي:

- ناصر خسرو واسماعيليان، ترجمة أي، آرين بور، تهران، جابخانه داوريناه.

برتولد أشبولر:

- تارخ إيران درقرون نخستين إسلامي، ترجمة دكتر جواد فلاطوري، تهران ١٣٤٩هـ.ش.

باول هرن:

- تاريخ مختصر إيران، ترجمة دكتر رضا زاده شفق، تهران.

ثابتي (سيد علي مؤيد):

- تاريخ نيشابور، سلسلة انتشارات انجمين آثار إيران، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي.

جامي (عبد الرحمن بن أحمد):

- نفحات الأنس من حضرات القدس بتصحيح ومقدمة وبيوست مهدي توحيدي بور، انتشارات كتابفروشي محمودي.

جوزجاني (قاضي منهاج الدين عثمان بن سراج الدين، معروف به منهاج سراج)

- طبقات ناصري، به تصحيح ومقابلة وتحشية وتعليقات عبد الحي حبيبي، قندهاري، كابل ١٣٤٣هـ.ش.

حافظ أبرو (نور الله عبدالله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي):

- تاريخ حافظ ابرو، مجلد دوم بخش جغرافياي خراسان، تصحيح ومقدمة دوروتياكرافولسكي فيسبادن ١٩٨٢م.

حسن أنوري:

- اصطلاحات ديواني دورة غزنوي وسلجوقي، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهي.

حمد الله مستوفي قزويني:

- تاريخ كزيده، باهتمام إداورد براون، لندين ١٣٢٨هـ. ش- ١٩١٠م.

خليل الله خليلي:

- سلطنت غزنويان، كابل ١٣٣٣هـ.ش

خواندمير (غياث الدين بن همام الدين الحسيني)

- حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تهران ١٣٣٣هـ. ش

ذبيح الله صفا (دكتر):

- تاريخ أدبيات در إيران، جاب جهارم، تهران، ١٣٤٢هـ. ش

- خلاصة تاريخ سياسي واجتماعي وفرهنكي إيران تاپايان عهد صفوي، تهران، ٢٥٣٦ شاهنشاهي.

شبانكاره (محمد بن علي بن محمد شبانكاره إي):

- مجمع الأنساب، به تصحيح ميرهاشم محدث، تهران ١٣٦٣هـ.ش

شيرين بياني (دكتور):

- هشت مقالة در زمينه تاريخ (زن در تاريخ بيهقي) تهران ١٣٥٢ هـ.ش.

عباس إقبال:

- تاريخ إيران از صدر إسلام تا استيلاي مغول، تهران ١٣٨١هـ.ش.

عباس برويز:

- تاريخ ديالمة وغزنويان، تهران ١٣٣٦هـ.ش.

عقيلي (سيف الدن حاجي بن نظام عقيلي):

- آثار الوزراء بتصحيح مير الدين حسين ارموي محدث، تهران ١٣٣٧هـ.ش

علي مظاهري:

- زندكي مسلمانان درقرون وسطا، ألف باللغة الفرنسية، ترجمة مرتضى راوندي، تهران ١٣٨٩-١٩٦٦م.

عنصر المعالي كيكاووس بن اسكندر بن قابوس بن وشمكير بن زيار:

- قابوس نامة، به اهتمام وتصحيح دكتور غلا محسين يوسف، تهران ١٣٤٥هـ.ش.

غبار (مير غلام محمد):

أفغانستان در مسير تاريخ -كابل- الطبعة الأولى -١٣٤٦هـ.ش

غلام حسين يوسفي (دكتور):

- ديداري باأهل قلم درباره بيست كتاب نثر فارسي، تهران ٢٥٢ شاهنشاهي غلامرضا

أنصافيور:-

- ساخت دولت در إيران إز إسلام تايورش مغول، تهران ٢٥٢٤ شاهنشاهي.

غلامرضا رياضي:

- دانشوران خراسان -كتاب فروشي باستان، تهران ١٣٣٦هـ.ش

فراي ن. ريجارد:

- بخارا دستاورد قرون وسطى، ألفه باللغة الانجليزية، ترجمه محمود محمودي، تهران ١٣٦٥هـ.ش.

فريدون كرايلي:

- نيشابور شهر فيروزه، خراسان، ١٣٥٧هـ.ش -١٣٩٨هـ.ق.

كرماني (ناصر الدين كرماني):

- نسائم الأسحار من لطائم الأخبار در تاريخ وزرا، بتصحيح ومقدمة وتعليق مير جلال الدين حسيني أرموي"محدث)، تهران ١٣٦٤هـ.ش.

مرتضى راوندي (دكتر):

- تاريخ اجتماعي إيران، تهران ٢٥٣٦ شاهنشاهي.

محمد عوفي:

- لباب الألباب -بالتصحيحات جديد وحواشي وتعليقات كامل بكوشش، سعيد نفيسي، تهران، استقنده ١٣٣٣هـ.ش.

مرتضى راوندي (دكتر):

- تاريخ اجتماعي إيران، تهران ٢٥٣٦ شاهنشاهي.

ميرخواند (مير محمد بن سيد برهان الدن خواند شاه الشهير بميرخواند):

- تاريخ روضة الصفاء تهران، ارديبهشت ١٣٣٩ هـ.ش.

نصر الله فلسفي (دكتر):

- چند مقاله تاريخ وأدبي تهران ١٣٤٢ هـ.ش.

ن. وبيكولوسكايا وآ.يو. ياكوبوسلي واي. ب. پطروسفسكي ول.م ستريوا وآ.م. بلنتسكي:-

- تاريخ إيران ازدوران بستان تاپايان سده هيجدهم ميلادي، ترجمة كريم كشاورز، تهران ١٣٥٤

هـ.ش.

ثالثاً: المصادر الأوربية:

Barthold (W)

- An Historical Geography of Iran, Translated Svat Soucek, New Jersey 19891.
- Four Studies on the history of Central Asia (3 vols) Translated from the Russian by V. and T. Minosky.

Bowsworth (C.E).

- An embassy to Mohud of Gazna recorded in Qadl Ibn az-Zubay's kietab adh-dhakha'ir wa't-tuhaf. Journal of the American Orietnal society LXXXV. New Haven 1965.
- The cabridge history of Iran (Vols) Vol 4 "The Early Ghaznavids by C.E. Boosworth ed. cambridge. 1975.
- The developmnt of persian culture under the Early Ghaznavids, Iran V1. London 1968.
- Early sources for the history of he first four Ghaznavid sultans (977-1041) the Islamic Quarterly V11. Oxford 1963.
- The Ghaznavids, their empire in Afghanistan and eastern Iran, Edinburgh 1963.
- The Islamic Dynastiies, Edinbrgh 1967.
- The imperian policy of the early Ghaznavids, Islamic studies, Journal of the central Institute of Islamic Research, Karachi 1/3, 1962.
- Mohud of Ghazna in contemporary eyes and in later persian literature, Iran IV-London 1966.
- The Medieval History of Iran, Afghanistan and Central asia, London 1977.
- Notes on the per-Ghaznavid history of Easter Afghanistan, The Islamic Quarterly, 1X. Oxford 1965.
- The rise of the karamiyyah in Khurasan. The Muslim World L., Hartford, 1960.
- The titulature of the early Ghaznavids, Oriens V. Leiden, 1962.

Bullet (R.W).

- The particians of Nishapur. A study in Medieval Islamic social history, Cambridge 1972.

Habib Mohammed:

- "Sultan Mohmud of Ghaznin". New Delhi and Mulsm University, Aligarh, 1951.

Lane Poole:

- The Muhammadan Dynasties, Paris. 1935.

Munshi:

- "The struggle for Empire" Chatper 1. "Ghaznavid invasion" Bombay 1969.

Nazim (M):

- The life and the Times of Mohmud of Ghazna, with aforeword by the late sir Tomes Arnold cambridge 1931.

Noldeke:

- Shetches from Eastern, History by, J.S. Black, Edinbargn, 1892.

R.W. Bulliet:

- The political- Religious History of Nishapur in the Eleventh Century, Oxford, 1973.

Saunders J. J.:

- A History of Medieval Islam, Chapter 1X, The Turkish Irruption, London, 1965.

Sir perey Sykes (Brig-Gen):

- A history of Afghanistan- London 1940.

رابعاً: الدوريات البحوث والمعاجم:

أبو سيف (فتحي عبد الفتاح) دكتور:

- النزعات السياسية في الدولة الغزنوية (مع بداية حكم السلطان مسعود بن محمود الغزنوي) مقالة في مجلة الدراسات الشرقية، العدد السابع، يوليو ١٩٨٦.

ادي شير:

- الألفاظ الفارسية المعربة، طبع في المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعين، بيروت ١٩٠٨م.

أمين (حسين) دكتور:

- الدولة السامانية، مجلة المؤرخ العربي تصدرها الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب العدد الخامس عشر، بغداد، ١٩٨٠.

الحديثي (قحطان عبد الستار) دكتور:

- دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان في مجال الزراعة والصناعة، مجلة الخليج العربي، مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة، البصرة، العددان الأول والثالث البصرة ١٩٨٧م.

حسنين (عبد النعيم محمد) دكتور:

- قاموس الفارسية بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

- دائرة المعارف الإسلامية (أصدت بالألمانية والإنجليزية والفرنسية) ترجمها نخبة من الأساتذة أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، مراجعة الدكتور محمد مهدي علام، القاهرة ١٩٢٣م.

زيدان (عفاف السيد):

- دراسة عن شاعر الفرس أبي القاسم حسن بن أحمد العنصري، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٧م.

- فرخي سيستاني (عصره وبيئته وشعره)، رسالة دكتوراه -كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٧٢.

محمد نور الدين عبد المنعم:

- منوجهري -دراسات في الشعر الفارسي حتى القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير كلية الآداب- جامعة القاهرة ١٩٧٦م.

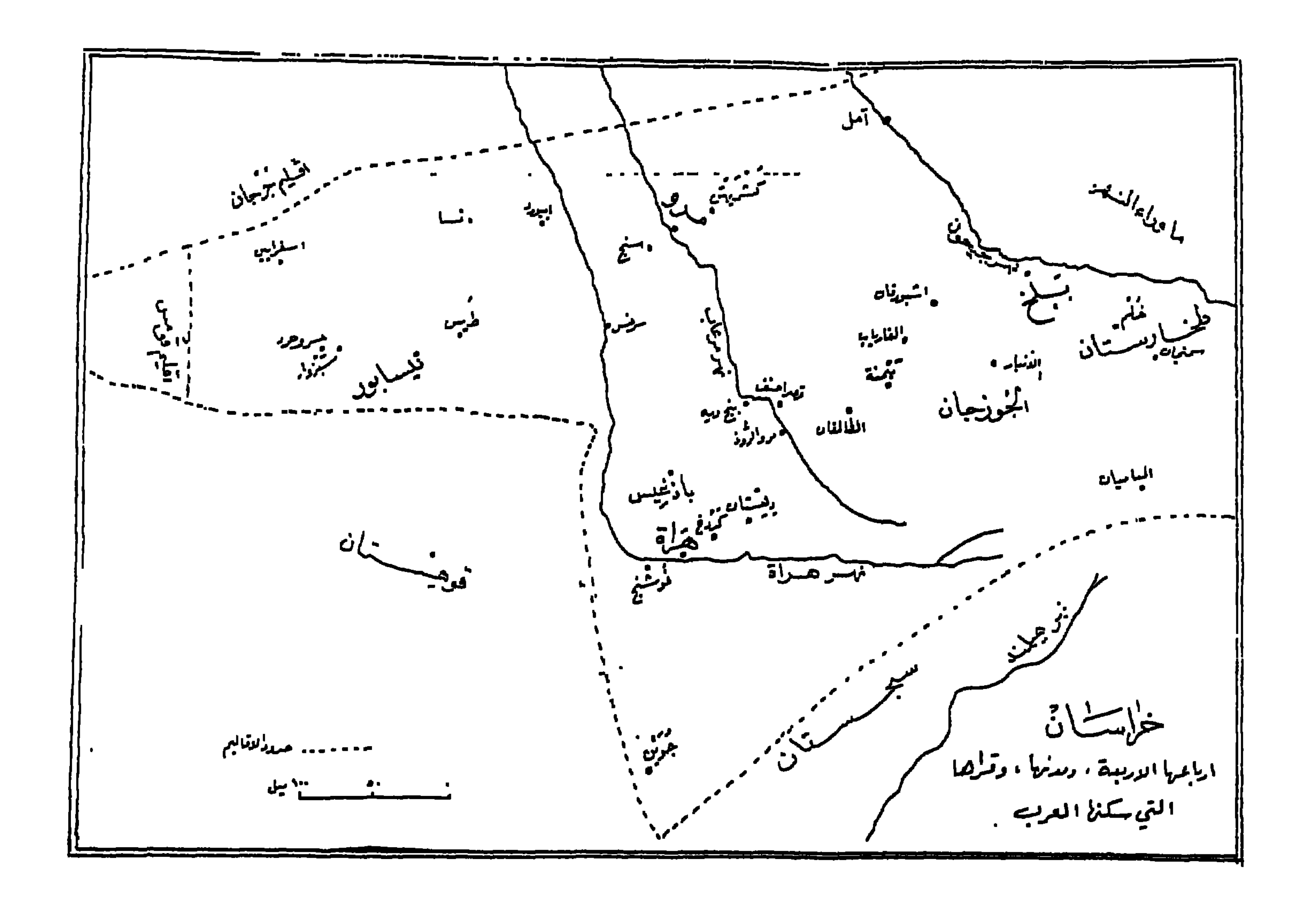
المصري (حسين مجيب) دكتور:

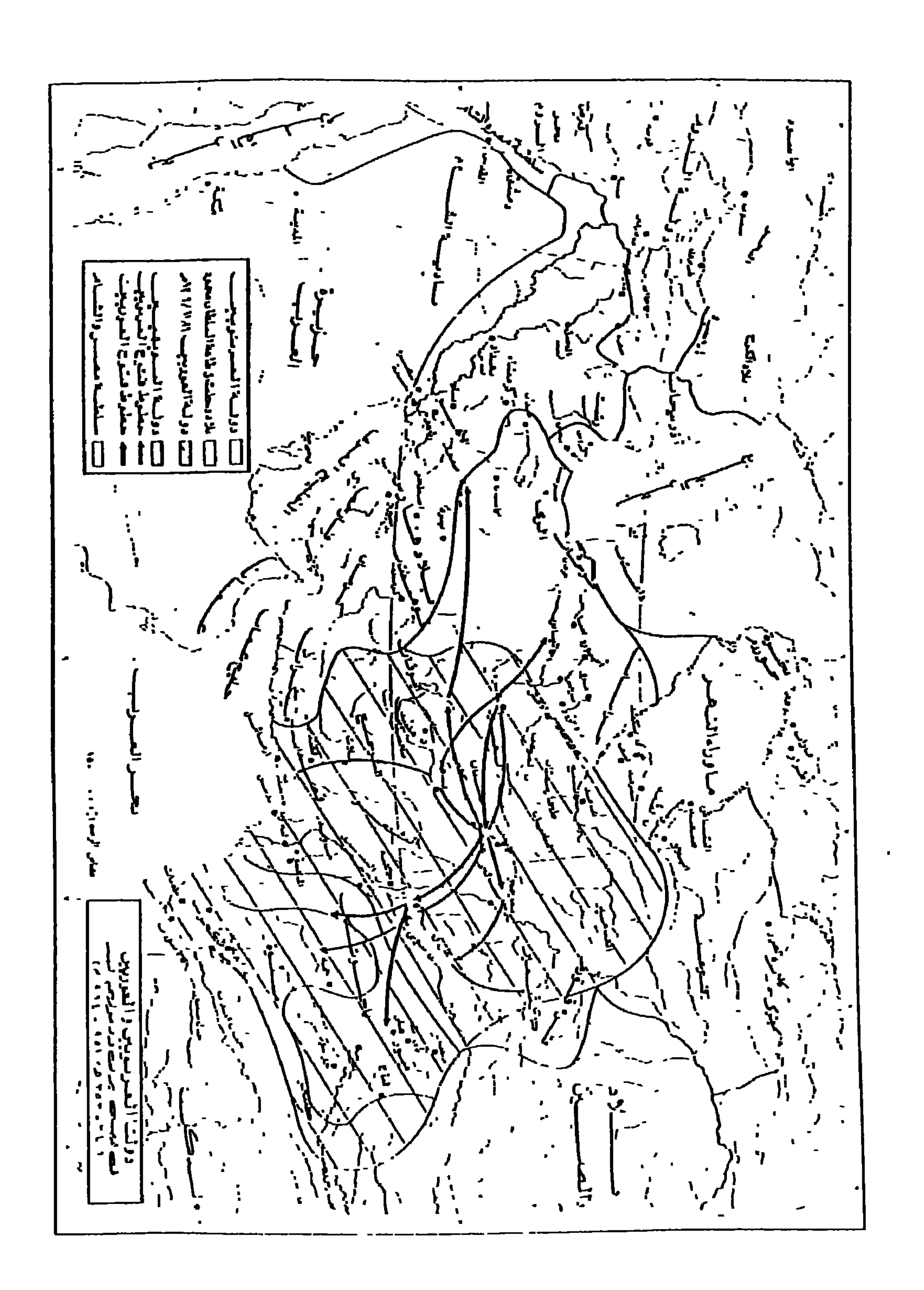
- المعجم الفارسي العربي الجامع، القاهرة ١٩٨٣م.

يحيى الخشاب (دكتور):

- الشاهنامة للفردوسي، مقالة في سلسلة تراث الإنسانية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، المجلد الرابع، ٥ يونيو ١٩٦٦.

الملاحق


خراسان
أرباعها الأربعة، ومدنها، وقراها
التي سكنها العرب.
ما وراء النهر
آمل
بلخ
طخارستان
الجوزجان
الباميان
الطالقان
الفارياب
اشبورقان
مرو
مرو الروذ
سرخس
باذغيس
هراة
نهر هراة
بوشنج
سجستان
نهر هيلمند
قوهستان
نيسابور
طوس
نسا
ابيورد
اسفراين
سبزوار
اقليم جرجان
حدود الاقاليم
ميل



طرق التجارة الداخلية والدولية

الطرق الرئيسية الكبرى

طرق ثانوية الداخلية

طرق بحرية

0 500 km

A_D

شكل ٣ ـ المجال الإيراني

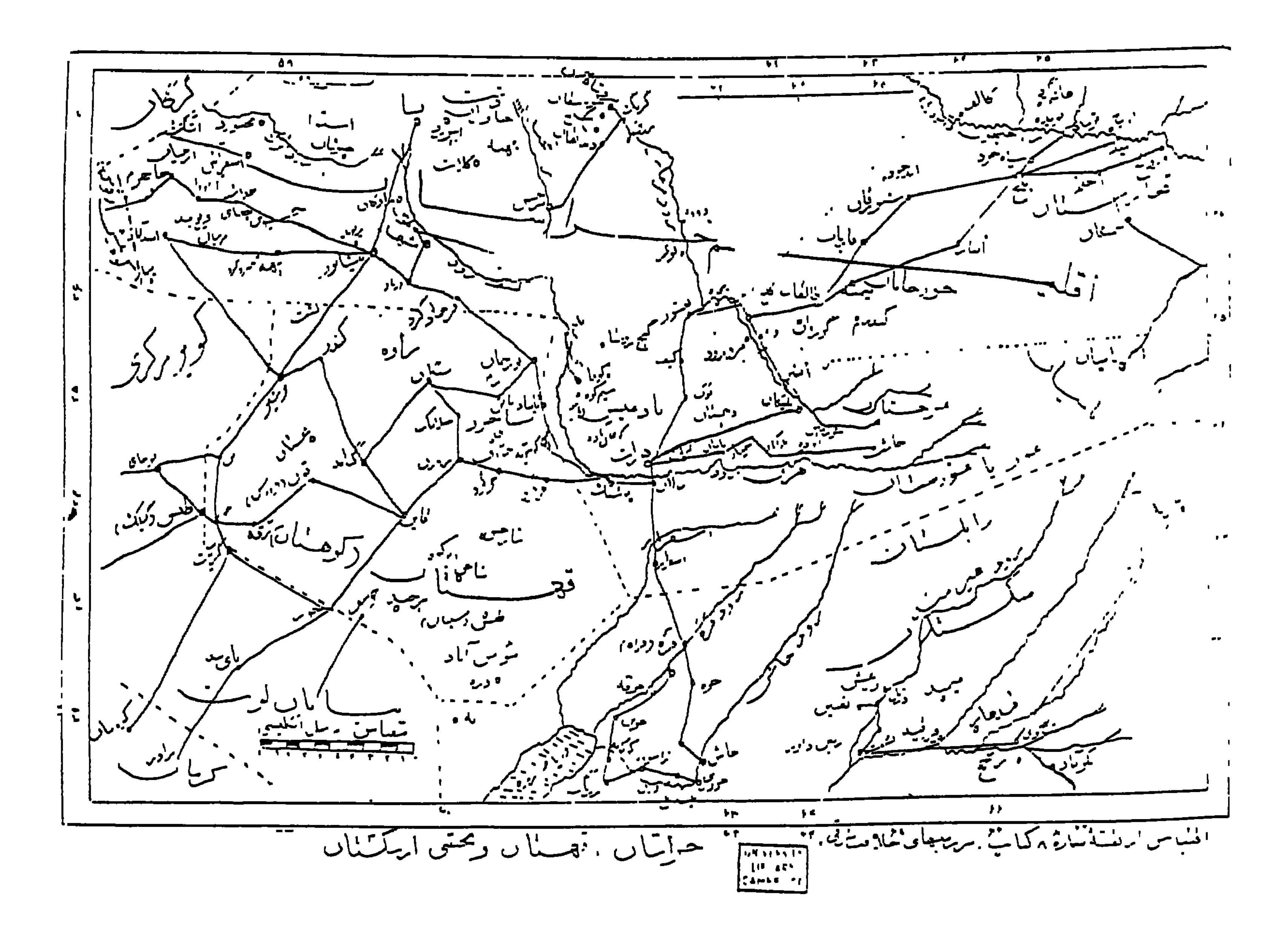
الجناح الشرقي لدولة الإسلام

٢- عصر الدول المحلية الإيرانية

- حدود الدولة الصفارية في أقصى اتساعها سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م أيام عمرو بن الليث بن الصفار
- خطوط توسع الصفاريين
- الدولة السامانية سنة ٣٠١ - ٣٣١ هـ / ٩١٣ - ٩٤٢ ميلادية
- خطوط توسعات الدولة السامانية.

البحر الأسود
قبائل الترك الخزر
قبائل الأتراك الغزية
خوارزم
القسطنطينية
بحر الروم
الإسكندرية
القاهرة
القدس
أيلة
الفاطميون
القرامطة
حلب
الموصل
بغداد
أصفهان
شيراز
كرمان
مكران
سجستان
نيسابور
بخارى
سمرقند
بلخ
خليج عمان
البصرة

الحساح الشرق لدولة الإسلام
١ - عصر السيادة العربية
التركستان الصينية
ماوراء النهر
بلاد البلغار
بحر بنطش
الدولة الطاهرية
بلاد الشام
مصر
الصحراء الليبية
الجزيرة العربية
المدينة
مكة
الربع الخالي
خليج عمان
بحر العرب
مقياس الرسم ١ : ١٥٠٠٠٠٠٠



اقتباس از نقشهٔ شمارهٔ ۸ کتاب سرزمینهای خلافت شرقی. خراسان، قهستان و بخشی از سگستان

سلاطين الدولة الغزنوية

بنو البتكين:

(١) البتكين		٣٥١هـ
(٢) أبو إسحق ابراهيم بن البتكين		٣٥٢
(٣) بلكاتكين	من مماليك ألبتكين	٣٥٥
(٤) پيري أو پريتكين		٣٦٢.

بنو سبكتكين:

سبكتكين	٣٦٧
إسماعيل بن سبكتكين	٣٨٧
يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين	٣٨٩
جالال الدولة محمد بن محمود	٤٢١
ناصر الدين مسعود بن محمود	٤٢١
محمد بن محمود	٤٣٢
شهاب الدولة أبوسعد مودود بن مسعود	٤٣٣

وزراء الدولة الغزنوية

أبو الفتح البستي	٣٦٧-٤٠١هـ
أبو العباس الفضل بن أحمد الإسفرايني	٤٠١-٤٠٤
أحمد بن الحسن الميمندي	٤٠٤-٤١٤
أبو علي حسن بن محمد بن ميكال (حسنك)	٤١٤-٤٢١
أحمد بن الحسن الميمندي (للفترة الثانية)	٤٢١-٤٢٤
أحمد عبد الصمد الشيرازي	٤٢٤-٤٣٢

الولاة في إقليم خراسان في عهدي السلطان محمود والسلطان مسعود

أبو القاسم كثير

أبو الفضل سوري بن معز٢٣

قائمة التصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
—	—	—	—	قائمة المحتويات (الباب الثاني) أولاً: نظم الحكم (١) السلطان وسلطاته
مقدمه (١)	١٧	–	إذ	كلمة ناقصة
–	٢٣	السيهاريه	السپهسالاريه	
مقدمه (٣)	٣	انهكف	انه عكف	
–	١١و١٢	٤٣٢هـ/١٠٤١م	٤٣١هـ/١٠٤٠م	
–	٢٦	العصرالغزني	العصر الغزنوي	
مقدمه (٤)	١٥	وأستاذ	وأستاذى	
بحث في اهم المصادر(١)	١	ملؤفيها	مؤلفيها	
الصفحة الاولى	١٠	نفه	نفسه	
بحث في اهم المصادر	٤	.كلك	كذلك	
الصفحة الثانية	١٣	والاقصادية	والاقتصادية	
١	٢	كملة	كلمة	
١٠	٩	يقوب	يعقوب	
١٢	١	للخيلفه	للخليفة	
١٣	٥	قاتل	وقاتل	
١٣	٥	وقتل	قُتل	
١٥	١٤	السامنيون	السامانيون	
١٥	١٥	شاروكوا	شاركوا	
١٧	١٩	قد	لقد	
٢٠	٦	والاقتصايه	والأقتصادية	
٢٠	٧	أو	–	زائدة والجملة تكون هكذا (خصوصاً أن هذا السلطان)
٢٣ الهامش (١)	سطر ٢	الدلة	الدولة	
٢٦ الهامش (١)	سطر ٤	بمعنيم	بمعنى	
–	–	ثل	مثل	
٢٩	١٩	بيرتيكين	بيريتكين	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
٣٠	٢	سبكتيكين	سبكتكين	
٣١	١٣	للقراخانييين	للقراخانيين	
٣٣	٨	السبتي	البستي	
٣٤	٦	هرارة	هراة	
٣٦	٢	بجشه	بجيشه	
٣٦	٧	سبكتين	سبكتكين	
٣٦	١٣	واء	وراء	
٣٧	٨	معله	معلمه	
٣٧	١٠	الناجخ	الناجح	
٣٩	٤	احصن	الحصن	
٣٩	١١	باكلمها	باكملها	
٣٩	٢٣	الأمرى	الأمير	
٤١	١٨	ابتعها	اتبعها	
٤١	١٨	أن	كان	
٤٣	١٧	بلأجزاء	بالأجزاء	
٤٤	٢	وتقدت	وعقدت	
٤٤	١٤	تشتتووا	تشتتوا	
٤٤	١٥	وتقبهم	وتعقبهم	
٤٥	٢	الهيزمة	الهزيمة	
٤٦	١	الذيين	الذين	
٤٦	١٥	هذه الاقاليم	هذا الاقليم	
٤٧	٦	هذهه	هذه	
٤٧	١٠	محمد	محمود	
٤٧	١٣	اسرئيل	اسرائيل	
٤٧	٢٤	نهما	منهما	
٤٨	٧	اسرئيل	اسرائيل	
٤٨	٢٠	الدوة	الدولة	
٥٠	١٦	لايسطع	لايستطيع	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
٥١	٥	تفيكر	تفكر	
٥١	١١	يضمت	يتضمن	
٥١	٢١	اخبار	اختيار	
٥٢	١	عهد السلطان	عهد السلطان محمود اصابته الحيرة والذهول لهذا التنصيب له أن السلطان كان يريد (كان السطر ناقصاً)	
٥٣	٥	رجلاً	رجال	
٥٣	٩	ونسام	ونسا	
٥٣	١٠	وخوطن	وخوطب	
٥٤	٢	ببينما	بينما	
٥٤	٣	الجش	الجيش	
٥٤	٥	أرق	اقرب	
٥٥	١٥	هرة	هراة	
٥٥	١٥	ساروعوا	سارعوا	
٥٦	٧	٤٢٦هـ	٤٢٦/٤٣٢هـ	في المقابل ١٠٣٥/١٠٤١م
٥٦	٢٠	بيجث	بحيث	
٥٧	١٠	المظاهرة	المظاهر	
٥٧	١٤	المظار	المظاهر	
٦١	٦	العسباسى	العباسى	
٦٢	١٤	بزرگك	بزرك	او بالفارسية تكتب بزرگ
٦٣	١٠	التبانيا	التباني	
٦٣	١٠	أمامٌ	إماماً	
٦٣	١٦	القدرات	والقدرات	الواو ناقصة.
٦٤	٢	تتلقى	يتلقى	
٦٤	٥	أنزال	أن زال	
٦٥	١٦	بلالط	بلاط	
٦٨	١٦	وإقليم	في إقليم	
٦٧	٢	المالفه	المألوفة	
٦٨	٣	انه	كان	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
٦٨	٨	والستيلاء	والاستيلاء	
٦٨	١٦	مال	وكمال	
٦٨	١٨	سبت	بست	
٧٠	—	تستدعهيا	تستدعيها	
٧٠	١٥	المشرورة	المشورة	
٧٠	١٧	ومحاولااتهم	ومحاولاتهم	
٧٠	٢٢	ومظمن	وعظمت	
٧١	٥	وثرء	وثراء	
٧٥	٨	وشتبك	واشتبك	
٧٧	١٢	التونتاشي	التونتاش	
٧٨	١١	الري	السَراي	
٨٠	٣	قرت	قرن	
٨٢	٥	شيء	شئ	
٨٢	٢٠	السطان	السلطان	
٨٢	٢٤	بأن	—	الكلمة زائدة (أو مكررة)
٨٣	٨	شيىء	شئ	
٨٣	١١	الأمير	الاميرة	
٨٤	٧	كانخراسان	كان خراسان	
٨٤	٨	الاسيهبد	الاسپهبد	
٨٤	١٦	والخفاء	والخلفاء	
٨٥	٢٤	وهوكس	وهوكش	
٨٦	٣	المسملين	المسلمين	
٨٦	١٧	والجعرفيين	والجغرافيين	
٨٧	١٢	وكان قدراً	وكان قادراً	
٨٧	٢٠	أولئلك	أولئك	
٨٨	٣	لـا	لم	
٨٩	٩	دوواوين	دواوين	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
٩١	١٣	فيهاميرها	فيه أميرها	
٩٢	٨	سيهالارية	سپهسالارية	
٩٢	٨	محمد	محمود	
٩٣	٦	دخلو	دخول	
٩٣	١٠	أخاه نصر	اخاه نصراً	
٩٣	٢٣	محمود	محمد	
٩٤	١٣	وحلفئه	وحلفائه	
٩٤	١٩	السيهالاريه	السپهسالارية	
٩٥	٥	بدايه	بدأ به	بدأ به (صواب الكلمة).
٩٦	٧	أقوات	أوقات	
٩٧	١٢	ثالاثه	ثلاثة	
٩٧ هامش (٢)	السطر ١	ف يأفغانستان	في أفغانستان	
٩٧ هامش (٢)	السطر ١	تايرخ	تاريخ	
٩٧ هامش (٢)	السطر ٢	لخيل	لخليل	
٩٨	٣	ويخلصلوهم	ويخلصوهم	
٩٨	١٥	السيهالار	السپهسالار	
٩٨	١٨	الحوب	الحرب	
٩٩	٨	السيهالارية	السپهسالاريه	
٩٩	١٠	السيهالارية	السپهسالاريه	
٩٩	١٢	السيهالارية	السپهسالاريه	
٩٩	١٩	السيهالارية	السپهسالاريه	
٩٩	٢١	هاذا	هذا	
١٠٣	٨	السيهالارية	السپهسالاريه	
١٠٥	١٦	برزكك	بزرك	او تكتب هذه الكلمة بالفارسية بزرگ
١٠٦	٢٣	من	—	كلمة زائدة
١٠٧	١	سيهالار	سپهسالار	
١٠٩	٨	سيهالاراً	سپهسالاراً	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
١١٠	٢١	قطعام	قطعان	
١١١	٦	صحب	صاحب	
١١٢	٧	سواءا	سوءاً	
١١٤	١٦	والسيهالار	والسيهسالار	
١١٤	٢٣	ندانقان	بندانقان	
١١٦	٤	٤٣٢هـ/١٠٤١م	٤٣١هـ/١٠٤٠م	
١٢٢	١٠	٣٦٦	—	هذا الرقم ليس له صلة بالجملة السابقة واللاحقة.
١٢٢	١٨	حسن	حسنك	
١٢٧	٢	وكسرمان	وكرمان	
١٢٧	٣	دهم	درهم	
١٢٧	٥	ومائتي	مائتي	الواو زائدة
١٢٨	٩	نيسباور	نيسابور	
١٢٨	١٩	الحاصيل	المحاصيل	
١٢٨	٢٠	أسفراسيين	اسفرايين	
١٢٩	١٣	تشهتر	تشتهر	
١٣٠	٢١	لقطاعنهم	لقطعانهم	
١٣٢	٥	المعاد	المعادن	
١٣٤	١	اطوس	طوس	
١٣٦	١٤	الطالقاشيه	الطالقانيه	
١٣٩	١٤	يول	پول	
١٤٥	١٦	للتصائع	للصنائع	
١٤٧	٣	النوقش	النقوش	
١٤٧	١٣	ألانغل	ألانغفل	
١٤٨	١٤	والسيعيدى	والسعيدى	
١٤٨	١٦	وفرى	وفراء	
١٤٩	٤	اسبيدورى	اسبيدروى	
١٥٠	٣	الأوسواق	الأسواق	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
١٥١	٢	زحد	أحد	
١٥٤	١٣	الأخريه	الاخيرة	
١٥٥	٢	كمله	كلمة	
١٥٥	٤	جبهات	جهات	
١٥٩	١٣	الفتروي	الغزنوي	
١٥٩	١٧	الرقه	الرقعة	
١٦٠	٧	نتيه	نتيجة	
١٦٠	١٤	فلميراه	فلم يره	
١٦٤	١٦	سيمون	سيحون	
١٦٥	١٥	الخفاء	الخلفاء	
١٦٥	١٦	العاسيين	العباسيين	
١٦٦	١٩	وقصدا	وقصدار	
١٦٧	١٧	خاسان	خراسان	
١٦٨	١	بعضم	بعضهم	
١٦٨	١٣	فصرو	مضر	
١٧١	١٢	وكذك	وكذلك	
١٧٤	٢	والوزاء	والوزراء	
١٧٧	١٢	السيهالارية	السپهسالارية	
١٧٧	٢٠	قاضائي	القضائي	
١٨٠	٢	واسمتر	واستمر	
١٨٠	١٢	مصب	منصب	
١٨٤	٣	عالياه	عاليه	
١٨٤	٤	بالمعاماء	بالعلماء	
١٨٤	٨	ومستلزماتالحياة	ومستلزمات الحياة	
١٨٤	١٣	اللذين	الذين	
١٨٦	٥	الشعارئر	الشعائر	
١٩٠ الهامش (٣)	سطر ١	ن.ويتكولوسكايا	ن . و . بيكولوسكايا	
١٩٠ الهامش (٣)	سطر ٢	تشاورز	كشاورز	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
١٩٢	٥	فؤلاء	فهؤلاء	
١٩٢	٧	وشباسي	وسباشي	
١٩٥	٤	والأكلاتت	والاكلات	
١٩٥	١٢	مثه	مثله	
١٩٦	١٤	الالتفاق	الاتفاق	
١٩٦	٢٠	السلطله	السلطة	
١٩٧ الهامش (١)	سطر ١	محليه	مليحه	
١٩٨ الهامش (١)	سطر ٣	فزوردين	فروردين	
٢٠٠	٧	عبيداله	عبيدالله	
٢٠٢	٢	احتلف	احتفل	
٢٠٢	٢٢	يجمع	بجميع	
٢٠٣	٨	مظمه	مظلمة	
٢١٠	٤	السلطلاين	السلاطين	
٢١٦	٣	صافت	ضاقت	
٢١٧	٤	ورقة	رقعة	
٢٢٤	٣	محمد	محمود	
٢٢٤	٨	وفوتحاته	وفتوحاته	
٢٢٤	٩	مكركزا	مركزاً	
٢٢٤	٩	المجاور	المجاورة	
٢٢٤	١٩	بغراحق	بغراجق	
٢٢٥	١٠	كاشفر	كاشغر	
٢٢٥	١٤	محمود	محمد	
٢٢٦	٦	إعظم قوه خبثاً	أعظم قوه واكثر خبثاً	
٢٢٧	١٠	الشواب	الشراب	
٢٣٢	٧	ولس	ولست	
٢٣٢	١٦	أم	أما	
٢٣٣	٩	العد	العهد	
٢٣٧	٦	(طرغل)	(طغرل)	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
٢٤٧	٤	الفرسية	الفارسية	
٢٤٧	٨	طريقه	طريته	
٢٤٧	٩	طريقه	طرته	
٢٤٧ الهامش (٢)	سطر ١	نشتن	نشتستن	
٢٤٧ الهامش (٢)	سطر ٥	٤١، ٤٢	٢٤١، ٢٤٢	
٢٥٥ الهامش (١)	سطر ٨	تاريخ الطبيري	تاريخ الطبري	
٢٥٥ الهامش (١)	سطر ٩	تاريخ الطبيري	تاريخ الطبري	
٢٦٣	١١	مع روف	معروف	
٢٦٣ الهامش (٢)	سطر ١	ال يحمدان	إلى حمدان	
٢٦٣ الهامش (٢)	سطر (٤)	امم من زهل	إمام من أهل	
٢٦٣ الهامش (٢)	سطر ٥	المفاتاح	المفتاح	
٢٦٣ الهامش (٢)	سطر ٤	عل يرجل	على رجل	
٢٦٣ الهامش (٢)	سطر ٧	حفف	خُفف	
٢٦٣ الهامش (٢)	سطر ١٠	ول	ولم	
٢٦٣ الهامش (٢)	سطر ١٠	الفتاوض	التفاوض	
٢٦٤	٢	بن شر	في نشر	
٢٦٤	٦	كل نم	كل من	
٢٦٤	٩	قرطي	قرمطي	
٢٦٤ الهامش (٢)	سطر ٢	ابن كرا	ابن كرام	
٢٦٤ الهامش (٢)	سطر ٣	غرشهويقول	عرشه ويقول	
٢٦٤ الهامش (٢)	سطر٤	لعرشهوان	لعرشه وان	
٢٦٤ الهامش (٢)	سطر ٥	انطفرت	انفطرت	
٢٦٤ الهامش (٢)	سطر ٥	انفطرتمن	انفطرت من	
٢٦٤ الهامش (٢)	سطر ٧	معجزاتهوسوى	معجزاته وسوى	
٢٦٤ الهامش (٢)	سطر ٨	منهابو	منها أو	
٢٦٨	١١	مع السلاجقة كقوة	مع السلاجقة إذ لم يقف الحنفيون إلى جانبه ضد السلاجقة كقوة سنية	(هذا السطر يكون بعد التصحيح بهذا الشكل).

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
٢٦٩	٣	كانتم	كنتم	
٢٧١	١٩	في الفروع	وفي الفروع	
٢٧٤	٩	الدوله الفزويه	الدولة الغزنوية	
٢٨٤	١٣	منم	منهم	
٢٨٦	١٢	اشترت	اشتهرت	
٢٨٨	١٠	الشخي	الشيخ	
٢٩٩	٨	الإسلاميل	الإسلامي	
٣٠٣	٤	أباق	إعتاق	
٣١١	٩	النتصارات	أنتصارات	
٣١١	١٢	الباث	الباعث	
٣١١	١٣	الدنينيه	الدينية	
٣١٢	١٦	وهذا ما يجب أن يكون عليه خادم محمود دائماً (هذا البيت مكرر مرتين)		
٣١٢ الهامش (٤)	سطر ١	محمد	محمود	
٣١٣ الهامش (٣)	سطر ٣	كردم	كرد	
٣١٧	سطر ٨	ينحه	يمنحه	
٣١٧ الهامش (١)	سطر ٦	وإذاعاتها	وأذاعتها	
٣١٨	سطر ٩	حراصاً	حرصاً	
٣١٨ الهامش (١)	سطر٨	لوم	ولم	
٣٢٢ الهامش (٢)	سطر١	الطاف	لطائف	
٣٢٣	٦و٧	وكذلك رحل إلى جرجان، واتصل بشمس المعالي بن المأمون أمير خوارزم (هذا السطر مكرر مرتين)		
٣٢٣	٨	بشمس المعاني	بشمس المعالي	
٣٢٤	١	ماللهند من م	ما للهند من	
٣٢٤ الهامش (٣)	سطر ١	بارون	براون	
٣٢٥	١٥	مها	منها	
٣٢٥	١٦	الصادرة	الصدارة	
٣٢٦ الهامش (٤)	سطر ١	جومنى	چو منى	

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	ملاحظات
٣٢٦ الهامش (٤)	سطر ٧	جو	چو	
٣٢٨	١٥	طبقات المجتع	طبقات المجتمع	
٣٢٩	١٤	دار الكاب	دار الكتاب	
٣٢٩	١٧	ابنرسته	ابن رسته	
٣٣١	٤	الاندلس	الاندلسي	
٣٣٢	١٣و١٤	—	—	السطران مكران لما قبل
٣٣٣	٣	الحايه	الحياة	
٣٣٣	١٦	الدمقشي	الدمشقي	
٣٣٥	٦	ابوسعيد	ابو سعد	
٣٣٥	٢٢	صالحى (محمد أمان) دكتور		كان يجب كتابة هذا الاسم في اول السطر مع اسم الكتاب
٣٣٨	١٨	ناحي	ناجي	
٣٣٨	١٩	ناصرخسرو		كان يجب كتابة هذا الاسم في اول السطر مع اسم الكتاب
٣٤٢	٦	Minosky	Minorsky	
٣٥٣	١١	جالال	جلال	
٣٥٣	١٧	١٠١-٤٠٤هـ	٤٠١-٤٠٤هـ	
٣٥٣	٢٤	الرقم ٢٣	-	لا ضرورة له مع الاسم السابق